طليعة التنكيل

بما في (بيان المثقفين) من الأباطيل

والذي نشر في موقع (الإسلام اليوم)

ويتلوه كتاب (التنكيل) – وهو الرد المفصل – قريباً إن شاء الله تعالى

كتبه

ناصر بن حمد الفهد

شهر صفر من عام 1423

تحذير

إن البيان المسمى بـ(بيان المثقفين) والذي تبناه ونشره موقع (الإسلام اليوم) بيان خطير على التوحيد ، قادح في عقيدة الولاء والبراء ، معطل لأحكام الجهاد ، مخالف للكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين ، محرف للنصوص ، منحرف عن الشريعة ، متبع سبيل غير المؤمنين ، لهذا :

فإنه يحرم نشره ، وتوزيعه ، وتوقيعه ، ويجب التحذير منه ، والبراءة مما فيه ، وعلى من كتبه ، أو نشره ، أو وقعه ؛ التوبة ، والإنابة ..

والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل ...

ومن أراد زيادة علم في هذا فليسأل أهل العلم المعروفين بالدين والصدق والورع عن حكم هذا البيان ، مثل :

الشيخ عبد الرحمن البراك ، والشيخ سليمان العلوان ، والشيخ علي الخضير ، والشيخ بشر البشر ، والشيخ سعد الحميد ، والشيخ عبد الرحمن المحمود ، والشيخ عبد الله السعد ، والشيخ عبد العزيز الجليل ، والشيخ محمد الفراج ، وغيرهم.

اللهم هل بلغت ..

اللهم فاشهد ..

ناصر بن حمد الفهد

خلاصة (طليعة التنكيل فيما ورد في بيان المثقفين من الأباطيل)

(1) اعلم أخي المسلم أن (الكفر بالطاغوت) و (البراءة من الكفر) و(أهله) و (معاداتهم) ركن التوحيد وأصله ،كما قال تعالى (**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**) ، وقال تعالى (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**) ، وقال تعالى عن إبراهيم (**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إننا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده**) ، فانظر إلى قوله (**وبدا**) يعني (ظهر) وليس موجوداً في (القلب) فقط ، وقوله (**بيننا وبينكم العداوة والبغضاء**) فجمع بين (**العداوة**) و (**البغضاء**) وقدم العداوة لأن من الانهزاميين من قد يقول : أنا أبغضهم ، ولكنه لا يعاديهم ، أو لا يظهر عداءهم ، ثم قال (**أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده**) فجعل العداء قائماً بين المؤمنين والكفار إلى الأبد ولا غاية لانتهائه إلا أن (**يؤمنوا بالله وحده**) . وهذا البيان المسمى ببيان المثقفين ناقض لهذا الركن (الكفر بالطاغوت والبراءة من الكفر وأهله) قائم على التودد إليهم ، وإظهار ذلك لهم ، وأنهم لا يعادونهم ولا يريدون صدامهم ، ويرغبون في الحوار معهم من أجل (التعايش) ، وهذا كله على قادح في عقيدة الكفر بالطاغوت والبراءة من الكافرين والذي هو أصل التوحيد .

(2) واعلم أخي المسلم أن الجهاد في سبيل الله من الأحكام التكليفية العملية التي يختلف حكمها باختلاف الحال فقد يكون فرض عين ، وقد يكون فرض كفاية ، وقد يسقط عند العجز فينتقل إلى البدل وهو الإعداد ، وهذا كله يخضع لاجتهاد أهل العلم الموثوق بهم ، أما اعتقاد وجوبه وشرعيته وفرضيته وبقائه إلى يوم القيامة فهذا أمر عقدي وأصل من أصول الإسلام ، وعليه الإجماع القطعي ، لا يخضع لاجتهاد ، ومن أنكره ، أو تبرأ منه ، أو سعى لإلغائه ؛ فقد كفر بالله ؛ إذ يوجد في القرآن أكثر من مائة آية في (الجهاد) و (القتال) في سبيل الله ، هذا غير أحاديث الجهاد ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرة أصحابه ، ومن بعدهم ، وهذا البيان المسمى ببيان المثقفين تبرأ من (الصدام) ، أو (العنف) ، أو (التطاحن) ، أو (الإرهاب) ، وأن هذا ليس من دين الإسلام ، وادعى أن (الإسلام) لا يلزم غير المسلمين في الدخول فيه ، والله سبحانه يقول (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) ، ويقول (**فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد**) ، وقال تعالى (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ...إلى قوله : حتيعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**) فلم يجعل للقتال غاية ينتهي عندها إلا عندما يدخل الكفار في (حكم الإسلام) ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وهذا ما سعى البيان لإنكاره والبراءة منه ، وفرق شديد بين أن يقال : الوقت وقت ضعف لا يصلح للقتال ، أو يقال : لن نذكر

الجهاد مطلقاً بخير ولا شر ، فهذه مسألة قد تخضع للاجتهاد ، وبين إنكار الجهاد والقتال في سبيل الله لنشر الإسلام والبراءة منه بطريقة أو بأخرى فهذه مسألة عقدية إنكارها مؤداه إلى الانسلاخ من الدين والعياذ بالله!!.

(3) واعلم أخي المسلم أن غاية شبهة هؤلاء الانهزاميين هو قولهم (إن هذا من أجل كسب هؤلاء الكفار) أو على الأقل (تحييدهم) من أجل ضعف المسلمين ، وهذا قول باطل ، فإن إبراهيم عليه السلام قال لقومه مع (قلة أنصاره) و (ضعفه بينهم) حتى رموه في النار : (**إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده**) ، ولو سعى لكسبهم بمصانعتهم أو مداهنتهم كما جاء في هذا البيان الممسوخ لسلم من أذى قومه.

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم في (مكة) وكان المسلمون في (ضعف) و (قلة) وتحت سلطان المشركين ، ومع ذلك نزل عليه قوله تعالى (**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**) وقيل : إنها نزلت وعدد أصحابه لا يتجاوز الأربعين ، ولم يصانعهم حتى يدرأ أذاهم عن نفسه وأصحابه ، ثم إن أصحابه لقوا صنوفاً من العذاب : فقتل فريق كآل ياسر ، وعذب فريق كبلال وعمار وخباب ، وأخرج فريق كمهاجرة الحبشة ، وحوصر فريق وسجنوا كالرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه في (الشعب) ، ولقوا من الأذى ما هو معروف معلوم لمن قرأ السيرة ، ولو كان معه أحد هؤلاء (**الانهزاميين**) لقال : إن (بعد النظر) و (الرأي السديد) يقتضي أن (يكسب كفار مكة) أو على الأقل (يحيدهم) وذلك لرفع العذاب عن المسلمين ، فالمسلمون بين قتيل ومعذب وطريد ومسجون ، والسلطة والقوة لكفار مكة ، و من أجل مصلحة الدعوة ، ولحماية الأقلية في (مكة) التي لو فنيت فني معها الإسلام ، فلا بأس بمداهنة هؤلاء وكلامهم بلغة لا يفهمها إلا (المثقفون من كفار مكة) ، كما قد جاء مثله في هذا البيان الممسوخ المسمى (بيان المثقفين) ، ولكن الله سبحانه قال في ذلك الوقت (**فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون**) والادهان : اللين والمصانعة كما ذكره أهل التفسير ، فنهاه الله سبحانه عن نقض أصل الكفر بالطاغوت والبراءة من الكفار ومعاداتهم كما جاء في هذا البيان .

فمسألة (الكفر بالطاغوت) و (البراءة من الكفر وأهله) و (عداوتهم) و (بغضهم) مسألة عقدية ، هي أصل من أصول التوحيد ، وركن من أركان الشهادة القائمة على أصلين (الإيمان بالله وحده ، والكفر بالطاغوت) .

فجاء هذا البيان ليهدم هذا الأصل ، ويداهن الكافرين ويصانعهم ويتولاهم ، ويبين لهم براءة من كتبه من (الجهاد) و(أهله) ، وأنهم ضد (الصدام) و (الصراع) ، وأنهم يؤيدونهم في ضربهم للإرهابيين ولكنهم عتبوا عليهم أنهم قصروا الإرهابيين بالمجاهدين فقط !!!! .

(4) وفي هذا البيان من التحريف للنصوص ومسخ الشريعة ما يطول بذكره المقام – وعليك بأصل الطليعة وهو كتاب (**التنكيل**) تجد التفصيل في ذلك إن شاء الله تعالى – ومن هذا :

– دعواهم عدم الإكراه في الدين مطلقاً ، وأن الإسلام لا يلزم غيره بشريعته ، وهذا تحريف ، فالإكراه المنفي هو الإكراه العقدي ، فلا يلزم الكافر بالدخول في الإسلام ، ولكن يلزم في الدخول في أحكامه فيؤدي الجزية ، وإلا فالسيف ، وهذا بالإجماع .

–دعواهم أن الأصل في معاملة المسلم للكافر هو (البر والإقساط) ، وهذا كذب وتحريف ، فهذا هو الاستثناء ، وإلا فآيات القرآن كلها تدل على أن الأصل قتال الكافر حتى يلتزم بأحكام الإسلام ، فيكون مسلماً ، أو ذمياً يؤدي الجزية ، أما (البر والإقساط) فهذا في معناه اختلاف شديد بين العلماء لأنه خرج عن الأصل ، وآيات السيف جاءت بعد هذه الآية .

– دعواهم أن الأصل في بني آدم التكريم – وهم يخاطبون الكفار – وهذا تحريف ، فالتكريم في أصل الخلقة وتفضيله على (كثير مما خلق تفضيلا) كما يوضحه آخر الآية ، أما الكفار فقال تعالى عنهم (**إن هم إلا كالأنعام بل أضل سبيلا**) ، وفي الحديث (**وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري**) ، فأي تكريم لمثل هؤلاء ؟!! .

وفي البيان من التخليط ومسخ الشريعة ومخالفة العقيدة ما سوف تراه مفصلاً إن شاء الله في (**التنكيل**).

فاحرص أخي المسلم على أصل الدين ، والبراءة من الكافرين ، ولا يهولنك كلام المنهزمين ، فانظر إلى آيات القرآن تجد رد بيانهم في أكثر آياته ، ولله الحمد والمنة .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

مقدمة لا بد منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في الآية المدنية (**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه**) ، والقائل في الآية المكية (**فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون**) ، وصلى الله على رسول الله القائل (**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري**) ، وعلى أصحابه الميامين ، الذين جاهدوا المرتدين ، وقاتلوا اليهود والنصارى والمشركين ، وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها بسيف التوحيد ، وقادوا كثيراً من الناس إلى الجنة بالقيود والسلاسل ، ولم تأخذهم في الله لومة لائم ، وعلى من اتبعهم من الأئمة والعلماء والقادة الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله من (**قرح**) أو (**سجن**) ، وسلم تسليماً كثيراً :

أما بعد:

فإن المصائب على هذه الأمة قد توالت ، والفتن تتابعت كقطع الليل المظلم ، فلا نكاد ننتهي من واحدة إلا وتتلوها الأخرى ، حتى صدق في هذا قول الشاعر :

أتاني الدهر بالأرزاء حتى *** فؤادي في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتني سهام *** تكسرت النصال على النصال

فلم يجف القلم بعد عن التحذير من مخاطر التطبيع والسلام المزعوم مع اليهود ونحوهم والذي تبناه السياسيون ، حتى خرج مشروع تطبيع آخر مع الصليبيين تبناه (بعض الدعاة المنتسبين إلى الشرع) ، فظهر في هذا ما (طم الوادي على القرى) ، مرققاً ما سبقه من مصائب ، وأعني به (البيان الكارثة) المسمى ببيان (المثقفين) ؛ الذي نسب توقيعه إلى ما يقرب من مائة وخمسين من (المشايخ والدعاة وطلبة العلم والعصرانيين والأكادميين والعلمانيين (!) وغيرهم) ، ونشره موقع (الإسلام اليوم) ، فكان هذا البيان فاقرة من الفواقر ، ورزية من الرزايا ، فوامصيبتاه على التوحيد ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ويعلم كل من عرفني عن قرب أنني — والله — كنت أتحاشى الرد على أي داعيةٍ ممن يسمون بـ(مشايخ الصحوة) — عند مخالفتي لهم في ما يطرحون — ، وأبتعد عن ذلك ما استطعت إليه سبيلاً ، على الرغم من إلحاح كثير من الإخوة ، فلم أخطّ – قبل الساعة – ورقة واحدة في الرد على أحدٍ منهم ؛ لأمور أحسبها من المصلحة ، وسعياً في وحدة الكلمة ، فلا أريد أن أرمى بأنني ممن يسعى في شق الصفوف ، أو تصيد الأخطاء ، في زمن فوّق فيه الأعداء سهامهم على المسلمين من كل جانب.

إلا أنهم بعد أن أظهروا هذا البيان الممسوخ ، وقرأت ما فيه ، علمت أن الحزام قد بلغ الطُّبَيَيْن ، و أن الأمر قد عظم عن التلاقي ، وأن الداء قد أعيى على الراقي ، فلم يسعني إلا أن أقول :

قربا مربط النعامة مني *** لقحت حرب وائل عن حيالِ

لم أكن من جناتها – علم الله – وإنني بحرّها اليوم صالِ

فقد جل الأمر — بعد هذا البيان — عن العتاب ، وطاولت (تخبيطاتهم) السحاب ، ووصل سيلهم الزبى ، وجاوزوا المدى ، فلم يبقوا خياراً لمستخير ؛ حيث بلغ بهم الانهزام والتخاذل والذلة إلى : تغيير الشرع ، والعبث بأصول الدين ، ومسخ عقيدة الولاء والبراء ، والبراءة من الجهاد والمجاهدين ، ومداهنة الكافرين ، وتحريف النصوص ، في سبيل إرضاء حفنة من الصليبيين.

وقد كنا سابقاً نسمع (شائعات) عن (بعض) من ينتسب إلى الدعوة وأن لديهم مشاريع للتقريب بين أهل السنة والروافض ، ألا أننا لم نعلم أن همتهم أعلى ؛ وأن لديهم مشاريع أيضاً للتقريب بين الإسلام والنصرانية ، كما أظهره هذا البيان ؛ الذي هو أشبه ما يكون بورقة عمل في مؤتمر للتقريب بين الأديان ، نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإسلام والسنة حتى نلقاه .

ومن العجيب أن من الكفار من سجن لأجل مبادئه ما يقرب من الثلاثين عاماً ، فلم يتزحزح – على كفره – عنها حتى خرج ، بينما تجد من (الدعاة) من سجن بضع سنين فانقلب رأساً على عقب من : (حتمية المواجهة) إلى (حتمية الحوار) ، ومن (صناعة الموت) إلى (صناعة العيش) أو (التعايش) ، ومن (لماذا يخافون من الإسلام؟) إلى (لماذا يحارب

الإرهابيون الكفار؟) ، هذا وهم في (سجن) يأتيهم رزقهم فيه بكرة وعشياً ، فكيف لو كانوا محاصرين في (كهوف أفغانستان) أو (جبال كشمير) أو (غابات الشيشان) أو (مخيمات جنين) ؟!! ماذا تراهم سيصنعون ؟!!.

وهذا – أخي المسلم – يوجب عليك – والله – دوام المراقبة ، والخوف الشديد من الله سبحانه ، والتضرع إليه ، وكثرة الوقوف بين يديه ، واللجوء إليه ، وسؤاله التثبيت ، والتوفيق ، والهداية ؛ فإن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، والعبد مهما بلغت حاله ، أو علت منزلته : فهو فقير ، مسكين ، محتاج ، لا غنى له عن رحمة ربه ، وتوفيقه ، وهدايته ، نسأل الله سبحانه أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك ، وأن يتوفانا وهو راض عنا .

واعلم – أخي في الله – أن البيان المذكور: متهافت ، ساقط ، مليء بالعظائم ، يعرف بطلانه العامي من أهل التوحيد ، مؤسس على شفا جرف هار ، مخالف للكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين ، بل ولإجماع أهل البدع : سواء من الوعيدية : كالخوارج ، والمعتزلة ، أو المرجئة : كالأشاعرة ، والماتريدية ، ومصادم لعقيدة الولاء والبراء ، و منحرف عن ملة إبراهيم ، ومعطل للجهاد في سبيل الله ، ومغير لشريعة رب العالمين ؛ ومداهن للكافرين ، ولهذا :

فلا عجب أن وقعه بعض المحسوبين على العلمانيين !! فأين لهم بمثله من (طلبة علم ودعاة) ؟!! .

ولا عجب أن قامت جريدة الوطن بنشره ، ثم أثنت عليه !!

ولا عجب أن خصصت قناة الجزيرة وقتاً خاصا لذكره ، وللمقابلة مع أحد من تولى كبره !!

ولا عجب أن ذكرته بعض الإذاعات وأثنت على صاحبه بقولها (فضيلة الشيخ الداعية المعروف) بعد أن كان إذا ذكر اسمه سابقاً قيل (المدعو) !!

ولا عجب أن قرأنا بعض مقالات للعلمانيين يثنون فيها على هذا البيان ، ويمجدونه ، ويستبشرون بترك (المشايخ) للمنهج السلفي (المتشدد) بزعمهم !!

بل ولا تستغرب لو سمعت أن هذا البيان تبنته أمريكا بقوة ، وجعلته ورقة لضرب جميع المجاهدين في العالم ، واتخذته طريقاً للقضاء على عقيدة (معاداة الكفار والبراءة منهم وجهادهم) من مناهج المسلمين وتعاليمهم **!!**

ولا تستغرب لو تبنى هذا البيان أحد مؤتمرات التقريب بين الأديان **!!** فإنهم قد لا يجدون له مثيلاً**!!**

فأحسن الله عزاءنا بمن رضي بما فيه ، والله المستعان .

وحيث إن هذا البيان الساقط مليء بالعظائم ، والرد عليه سيطول ، وسيأخذ وقتاً لاستيفاء ما فيه من المخازي والرد عليها بالتفصيل ؛ فقد رأيت أن أجعل بين يدي الرد التفصيلي (**طليعة مختصرة**) : فيها رد عليه ، و تحذير منه ، وبيان ما فيه من مزالق ، وكل هذا على وجه الإجمال ، وهو هذا المختصر ؛ للمسارعة في تحذير من لا علم عنده ممن قد يغتر بالأسماء المذكورة فيه ، وأما التفصيل فتجده في كتاب (**التنكيل بما في بيان المثقفين من الأباطيل**) الذي استوفيت فيه بيان الأصول والأدلة والأقوال والنقول والرد على الشبهات وسأخرجه حال الانتهاء منه إن شاء الله تعالى .

وقبل أن أتكلم على ما ورد في هذا البيان ؛ أريد أن أذكر بعض الأمور :

الأمر الأول : أن هذا البيان تولى كبره وتحريره ونشره وجمع التواقيع عليه أحد المنتسبين للدعوة و (بعض) مريديه ، وإنما أراد أن يتترس بتواقيع أهل الخير والعلم والصدق حتى لا ترشقه سهام الموحدين ؛ لهذا فمن العدل أن لا ينسب ما فيه من (المخازي) إلا له ومن أعانه عليه ، أما بقية الموقعين فهم على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : بعض المشايخ ، وطلبة العلم ، والدعاة ، والداعيات ؛ الذين لهم فضلهم ، وسبقهم ، و جهودهم في الدعوة ، ونشر العلم ، ونعلم عنهم : صدقهم ، وحبهم للخير ، والرغبة فيه ، فهؤلاء هم الذين صعقنا لما رأينا أسماءهم ، وقد ثبت لدينا بالدليل القطعي :

أن منهم من (لم يقرأ البيان) وإنما وثق بمن كتبه وحمله إليه ..

ومنهم من (لم يوقعه) وفوجيء بوجود اسمه بعد النشر ..

ومنهم من (طلب حذف اسمه) بعد تدقيقه لما ورد فيه ..

ومنهم من (أرسل تعديلاً) لهذا البيان ؛ فوضع اسمه دون التعديل ..

ومنهم من نبُه إلى ما فيه من مزالق فاسترجع واستغفر وتراجع ..

وبعضهم كتب تراجعاً ، وبعضهم وعد بكتابة ذلك ..

و هؤلاء أعرفهم بأسمائهم ، ولعلي أنشرها في (**التنكيل**) إن شاء الله بعد استكمالها ، وكلمت بعضهم ، وكلمهم غيري ، وقد كان هذا ظننا فيهم من أول الوقت ؛ إذ هذا البيان لا يقبله العامي من الموحدين ، ويناقض أبجديات (ملة إبراهيم) ، فمثل هؤلاء لا يمكن أن يتواطئوا على هذا البيان الكارثة .

القسم الثاني : من عرف عنهم : الدين ، والرغبة في الخير ، والصدق ، ولكنهم ليسوا من أهل العلم الشرعي ، فهؤلاء قد وثقوا بمن (خط) البيان وحمله ووقعه من المنتسبين للعلم الشرعي فوضعوا تواقيعهم بناء على هذا ، دون تصور لما فيه .

ومع هذا كله ؛ فإن أهل هذين القسمين – مع تنصل كثير منهم مما فيه – لا يعفيهم أيضاً من المسئولية ، بل يجب عليهم وجوباً عينياً إظهار البراءة منه ، وبيان ذلك للناس.

القسم الثالث : خليط من (العصرانيين) و (الانهزاميين) و (العلمانيين) و (من لا أعرف محلهم من الإعراب) ، فهؤلاء لا أدري ما سبب وجود تواقيعهم إلا أن يكون للمكاثرة بهم ، فهم كما قيل :

طلبت بك التكثير فازددت قلة *** وقد يخسر الإنسان في طلب الربح

وهؤلاء لهم أصلاً من (المصائب) ما هو أعظم مما ورد في البيان ، ولو كان لا يوجد في البيان إلا أسماؤهم ما خططنا سواداً في بياض .

لذلك فما ورد في هذا الرد من تشنيع وقسوة فلا يقصد به (أصحاب القسمين الأول والثاني) لمعرفتنا بصحة قصدهم ، ورغبتهم في الخير ، وحرصهم عليه ، ولأنه قد دُلِّس الأمر عليهم ، وقد تراجع كثير منهم لما خوطب ، – إلا من كان منهم موافقاً لما فيه بعد معرفته لفساده – .

الأمر الثاني : **أن** موقع الإسلام اليوم قال في مقدمة هذا البيان[1] : (قام موقع "الإسلام اليوم " بخطوة جريئة في هذا المجال من خلال طرح ورقة جوابية يخاطب بها الطبقة المثقفة في المجتمع الغربي ، وتبناها أهل العلم والفكر والثقافة في المملكة العربية السعودية). وهذا كذب

---

[1] وفي مقدمة البيان هذا أشياء أخرى تجد ردها إن شاء الله تعالى في (**التنكيل**) .

، فقولهم (**وتبناها أهل العلم والفكر والثقافة في المملكة العربية السعودية**) ، افتراء ظاهر ، وأتحدى كاتب هذا البيان أن يثبت أن هذه (الورقة) يتبناها (أهل العلم) في (**بريدة**) فقط – التي هي مصدرها – فضلاً عن أن تنسب (لأهل العلم والفكر في المملكة العربية السعودية) ، بل إن هذه الورقة ثبت عندنا أنه لا يتبناها كثير من الذين وقعوها –كما سبق – ، فهي لا ينبغي أن تنسب إلا إلى (الكاتب) و بعض (مريديه) ، وإن أراد أن يستكثر بالعصرانيين والعلمانيين فشأنه وما أراد.

وهذا (شيخ بريدة) و (شيخ صاحب البيان) الشيخ سليمان العلوان حفظه الله تعالى قد عرض عليه هذا البيان فأنكره ، وشنع عليه ، وحذر منه ، وبين ما فيه من خلل ، ونقضه في مجالس متعددة ، و هذا الشيخ علي الخضير والشيخ محمد الفهد الرشودي والشيخ إبراهيم الدبيان وغيرهم من المشايخ – الذين في (بريدة) فقط – يعارضونه ويحذرون منه .

أما في غيرها فهم كثير لا يحصون من المعارضين من العلماء وطلبة العلم : كالشيخ عبد الرحمن البراك ، والشيخ عبد الرحمن المحمود ، والشيخ بشر البشر ، والشيخ سعد الحميد ، والشيخ حمد الريس ، والشيخ محمد الفراج ، والشيخ عبد الله السعد ، والشيخ عبد العزيز الجليل ، وغيرهم من المشايخ الأفاضل وهم كثيرون ، وكلهم معارضون لما ورد فيه ، منكرون له ، ومن هؤلاء من عرض عليه البيان قبل خروجه فرفض التوقيع عليه ، وحذر منه ، فكيف ينسب بيان إلى (أهل العلم في السعودية) مع معارضة أمثال هؤلاء وأضعافهم له ؟!! .

الأمر الثالث : وقال الموقع أيضاً في مقدمة البيان (هذه الورقة الجوابية .كما يقول معدو الورقة . ليست موجهة للمثقف المسلم أو حتى الرجل العادي في الغرب، بل كتبت بلغة يفهمها المثقف الغربي) .

قلت : وقد وضعت هذه العبارة من أجل أن تكون (**مخرج طوارىء**) إذا رشقتهم السهام لجأوا إليها ، وقالوا : أنتم لا تفهمونها ، وهذا الكلام مردود من وجوه :

الوجه الأول : أن أصول الإسلام وأركانه وعقائده لا تمسخ في حوار سواء كان مع (مثقف) أو (عامي) أو (ملك) . وبالنسبة لإلغاء (الولاء والبراء) ، والتنكر (للجهاد) ، والدعوة (للحوار من أجل التعايش) و (السلام العادل) ، ومداهنة الكفار ، والإكثار من التودد إليهم ، في الوقت الذي يرسلون فيه أطنان القنابل فوق رؤوس المسلمين ، فهي لغة

نفهمها ، ويفهمها كل سليم الفطرة ، وهي لغة (**الانهزاميين**) (**المتخاذلين**) ، تنسب إليهم ، ويرمى بها في وجوههم ، ولا تنسب إلى الشريعة ، والشريعة منها براء ، وفرق شاسع بين أن يسكت العالم عن أشياء من الحق ولا يبينها ، وبين أن يقلب الحق فيجعله باطلاً ، ويجعل الباطل حقاً ، كما فعلوا في (الولاء والبراء) و (الجهاد) وأشياء أخرى يأتي تفصيلها إن شاء الله !!.

الوجه الثاني : أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام ملوكاً وعامة وسوقة وغيرهم ، فلم يغير من أصول دعوته لما دعا الملوك ، بل دعاهم إلى التوحيد وحذرهم من الشرك ، كما فعل مع غيرهم ، وهكذا الرسل جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم ، وعقيدة الإسلام قد كملت ، وانقطع الوحي .

الوجه الثالث : أن الإسلام ليس ديناً كهنوتياً يحتوي على طلاسم لا يفكها إلا (المتخصصون) ، بل معرفة الحق من الباطل متيسرة ولله الحمد ، خصوصاً في أصول التوحيد كالولاء والبراء .

الوجه الرابع : أن يقال : إذا كان هذا البيان لغته لا يفهمها إلا (المثقفون الغربيون) فكيف وقع عليها مشايخ ودعاة وطلبة علم و (عوام) من المثقفين (العرب)!!! إذا كانوا قد فهموها فقد فهمناها ، وإن كانوا لم يفهموها فكيف يوقع (المثقف) على شيء لم يفهمه !!
.

الوجه الخامس : أن يقال : ما الفائدة من نشر هذا الخطاب باللغة العربية ، والدعاية له بين المسلمين ، والسعي لجمع التواقيع عليه ، فهلاّ جعلوه – لما كان (طلسماً) لا يفكه إلا (المثقفون الغربيون) – بينهم وبين أولئك !! . أم أنهم يريدون مسخ البقية الباقية من دين الناس ؟!! .

الأمر الرابع : أن الحق لا يعرف بالكثرة ، بل بموافقة الكتاب والسنة ، ومن أوضح الأدلة على هذا الشيء أن هذا البيان وقع عليه جملة من (الدعاة وطلبة العلم وغيرهم) ، ومع ذلك فبطلانه وفساده واضح لكل ذي عينين ، لأن كلامهم ليس في مسألة قد تختلف فيها الاجتهادات ، ولا في مسألة عقدية خفية ، بل في أصل دعوة الأنبياء والمرسلين ، وفي أصل يتفق فيه عامة أهل البدع مع أهل السنة ؛ وهو الولاء والبراء والكفر بالطاغوت .

الأمر الخامس : اعلم أنه ليس بيننا وبين من كتب هذا البيان عداء شخصي ، بل — والله — إننا كنا نحبه لما فيه من الخير ، وهو يعلم ذلك جيداً ، ووالله إنه لمن أسعد الأوقات لو علمنا أنه تراجع وتاب واتقى الله فيما ينشر ، نسأل الله تعالى أن يهديه ، وأن يوفقه لما يحب ويرضى ، وأن يكفيه شر نفسه وشر الهوى والشيطان ، وأسأل الله سبحانه أن يغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وأن لا يجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، والله المستعان.

وفيما يلي ذكر ما في البيان من مخالفات على وجه الإجمال :

أولاً : مقارنة بين بيان (المثقفين) وبين كلامهم في السابق :

من الظاهر جداً أن هذا البيان مملوء بلغة الهزيمة والتخاذل والذل والاستجداء والتودد إلى الكفار ، ولو قرنته ببعض كلام من (تولاه) و (نشره) في السابق لأخذك العجب :

فقد كانت له محاضرة قبل (سجنه) بعنوان (لماذا يخافون من الإسلام؟) قرّر فيها بكلام جميل (دور الجهاد) في (إخافة أعداء الله من الكفار) ، ثم رد (وبالغ في الرد) على من سماهم بـ(السذج) من (المفكرين الإسلاميين) ممن يظنون أن الإسلام سينتصر بـ(الكلمة) و (الدعوة) و (الحوار) ولن ينتصر بالسيف والجهاد ، فانظر كيف بلغ به الحال ليس إلى مجرد ترك الدعوة إلى الجهاد أو تمجيده أو تقريره ، بل إلى إنكار (الصدام) و (الصراع) و (لغة القوة) – وهذه كلها تعني (الجهاد) – والتبرؤ منها ، وأنها لا تبني (أجيال المستقبل) و لا (الخير للبشرية) ، بل الذي يبني هذا (الحوار)!! وزعم بأن هذه شريعة الإسلام!!! .

وكانت له محاضرات عن الجهاد وقتال الكفار منها (صناعة الموت) و (حتمية المواجهة) ، ولكنها انقلبت الآن إلى (حتمية الحوار) و (صناعة التعايش) !! .

كما كانت له محاضرة بعنوان (التطبيع) تكلم فيها على دعاة (التقارب بين الأديان) وطريقتهم في (إزالة العداء من نفوس المسلمين) وكسر الحاجز النفسي عندهم للقبول بالتعايش مع اليهود وغيرهم ، وهذا البيان الممسوخ إنما هو في حقيقته ورقة من ورقات التقارب بين الأديان كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وهناك آخر ممن وقع على هذا البيان كانت له محاضرة بعنوان (القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى) طبعت في كتاب عام 1414 – قبل سجنه – يقول فيها بالحرف الواحد ، وانتبه جيداً لكلامه كما في ص 8 :

"**إن الحديث عن الحقوق المشروعة** ، والقرارات الدولية ، الذي استنزف ، ويستنزف ؛ من الإعلام العربي ما يملأ البحار لم يجد أذناً – ولا عشر أذن – كتلك التي أحدثها انفجار مشاة البحرية في بيروت ، والهجوم على ثكناتهم في مقديشو ، **بهذه اللغة وحدها يسحب الكفر أذيال الهزيمة ، وتنحني هامات الخواجات العتية** أمام مجموعات طائفية ،

وعصابات قبلية ، وليست جيوشاً دولية ، وإن استرداد بضعة قرى ومدن في البوسنة قلب المؤشر الصليبي وأرغمه على إعادة حساباته .

إن أي خطاب للكفر لا يستخدم هذه اللغة : هو لغو من القول ، وزور من العمل)

قلت :

فقد حكم على نفسه بنفسه ، وأن بيانه هذا (لو كان سالماً من المخالفات الأخرى): **لغو من القول ، وزور من العمل !!**.

واحمد الله على العافية ، وسل الله الثبات والتوفيق والهداية [1] .

---

[1] وقد وضعت ملحقاً في آخر هذا المختصر وهو عبارة عن مقال لأحد الإخوة في الإنترنت ويرمز لاسمه بـ(لويس عطية الله) وقد ذكر فيه جملة من تناقضاتهم .

ثانياً : مقارنة بين بيان (المثقفين) و بيان (الكفار) :

عندما تقرأ بيان الكفار الأمريكيين وهم الذين ضربت عليهم الذلة كما في الحديث (**وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري**) : تجد في لغتهم الاعتزاز بقيمهم ، وتراثهم ، وفي لغتهم التعالي ، والتهجم على الإسلام (الراديكالي) – وهو الإسلام الصحيح لا الممسوخ – .

بينما إذا قرأت بيان من يسمون بالمثقفين والذين يتكلمون باسم الإسلام والله تعالى يقول (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) : وجدت في كلامهم التخاذل ، والاستحياء ، والهزيمة ، والاستجداء ، والتودد إليهم ، واستعطافهم ، والرغبة في الحصول على الاعتراف ، وسأذكر فيما يلي مقارنة سريعة :

1- عنوان بيان الأمريكيين (**على أي أساس نقاتل؟**) .

وعنوان المثقفين (**على أي أساس نتعايش؟!**) .

فانظر إلى مبلغ الذلة والهوان ، والرغبة في (التعايش) ، وكأن لهم شرعاً غير شرع الإسلام الذي من أصوله (الجهاد والقتال في سبيل الله) ، في الوقت الذي تصب فيه القنابل على المسلمين في كل مكان !! .

فهلاّ – لما استحوا من ذكر الجهاد – قالوا (**على أي أساس نقاوم؟!**) .

ولكن : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله !!.

2- في بيان الأمريكيين يؤيدون (بوش) في حملته على المجاهدين ويقولون كلاماً معناه (سر يا بوش ونحن وراءك) حيث قالوا ما نصه (**باسم المبادئ الأخلاقية الإنسانية العامة ، وبوعي كامل لقيود ومتطلبات الحرب العادلة نؤيد قرار حكومتنا ومجتمعنا باستخدام حد السلاح**) وقالوا (**نرفع صوتا واحداً للقول إن انتصار أمتنا وحلفائها في هذه الحرب حاسم ، إننا نقاتل للدفاع عن أنفسنا ، ولأننا نؤمن أيضاً ، أننا نقاتل من أجل حماية تلك المبادئ العامة المتعلقة بحقوق الإنسان والكرامة الإنسانية والتي تشكل الأمل الأفضل للنوع الإنساني**) .

وفي بيان المثقفين تبرؤوا فيه من المجاهدين وأعمالهم ، وأنهم أفراد ، وأنهم لا يتحملون مسئولية أعمالهم ، وأن كثيرا من المسلمين ساءهم فعلهم ، في لمز ظاهر وخفي في مواضع من بيانهم ، والمجاهدون حتى لو أخطأوا خطأً قطعياً فإن لهم حق النصرة والإخوة خصوصاً في الوقت الذي يقاتلهم الكفار ، ولا عجب فقد جاء هذا البيان بطامة أعظم من هذه عندما أيدهم في (حملتهم على الإرهاب) كما سيأتي !.

3- في بيان الأمريكيين يطالبون فيه بفرض ما يسمونه بـ(**القيم الأمريكية**) على المجتمع المسلم ولو بالقوة ! .

وفي بيان المثقفين يقولون ما نصه (**وليس من شريعتنا أن نلزم الآخرين بمفاهيمنا الخاصة، هذا هو خيارنا الشرعي**) . وقد كذبوا في هذا إن كانوا يقصدون بالشريعة شريعة الإسلام ، فإن الله سبحانه يقول (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) ويقول (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ..الآية**) ، وغيرها من آيات السيف ، مع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في الجهاد ، وسيرته ، وسيرة الصحابة ، وعلى ذلك أجمع العلماء إجماعاً قطعياً قبل ظهور هذه الشريعة الممسوخة ، وهذا هو الإلزام بالمفاهيم ؛ فإما الإسلام ، وإما أن يؤدي الجزية وهو صاغر ، وإما السيف ولا كرامة له.

4-في بيان الأمريكيين يطالبون فيه أن يضرب (الإسلام الراديكالي) يعني الحقيقي القائم على (الولاء والبراء) و (الجهاد في سبيل الله) .

وفي بيان المثقفين يدعون الكفار و (المفكرين الأحرار) إلى (الرحمة) و (العطف) و (التعقل) وفتح (باب الحوار) من أجل (التعايش) و (السلام العادل) و (التعاون) لما فيه (خير البشرية)!!.[1]

[1] والمقارنة التفصيلية في (**التنكيل**) إن شاء الله .

ثالثاً : البيان والسياسة :

إن الذي يقرأ بيان المثقفين لا يشك لحظة أنه كتب ، ووضعت حدوده ، وصرفت طرقه ؛ بحيث يتوافق مع (سياسة ومواثيق هيئة الأمم المتحدة) القائمة على مباديء (الحرية والمساواة والعدل) ، حيث يبدأ البيان ويكرر عدم التفريق في (العدل) و (الظلم) و(القتل) بين الناس (**مهما اختلفت أديانهم**) ، فيحرص على ذكر (الأديان) وعدم التفريق بينها في مواضع ، وهذا موافق لميثاق هيئة الأمم ، وليس موافقاً للقرآن إلا بتحريف لنصوصه كما يحرفه أهل الأهواء ، كما أنهم يوافقون على نبذ الصراع والصدام ، ويريدون (السلام العادل) ، و (التعايش السلمي) ، ولا يعارضون (الحريات)[1] ، و يطلبون (الحوار) من أجل (التعاون) لما فيه (خير البشرية) و (الإنسانية) ، إلى آخر ما تفوهوا به ، وقد سمعت من غير واحد أن هذا البيان روجع من قبل بعض السياسيين .

ولم يلتفتوا في هذا إلى الشرع الذي من أصل الأصول فيه (الكفر بالطاغوت) و(البراءة من الكفر وأهله) ، بل أنكروا هذه العداوة تلميحاً في مواضع ، وأنكروا (الجهاد) في مواضع ، ولم يذكروا ملة (إبراهيم) ، بل ولم يدعوهم (إلى الإسلام) ، فقد استحوا من ذلك ، فهذه الورقة لا يستبعد أن تتبناها هيئة الأمم المتحدة في (تقرير ضرب المجاهدين) في كل مكان لأنهم يمثلون (الصدام والصراع) الذي أنكره (مثقفو المسلمين) ، و في (إنكار مقررات ومناهج وكتب المسلمين) التي تقرر عداء الكفار وجهادهم ، وكل هذا بناء على ما كتبه هؤلاء (المثقفون) !!.

[1] انتبه أخي الموحد : فالخطاب موجه إلى الكفار ، والكلام الذي يفهمونه أن الإسلام لا يعارض (عدلهم) ولا (حرياتهم) ونحو هذا ، وهذا من أبطل الباطل ، ومن أعظم الكذب على الله وعلى الإسلام ، ونقض هذا بالتفصيل في (**التنكيل**) إن شاء الله .

رابعاً : البيان والتقريب بين الأديان :

يخطيء من يظن أن الدعوة إلى (تقريب الأديان) تعني إحداث دين جديد ، أو الدخول في دين آخر ، فهذا يندر من يفعله ؛ لثبوت فشله ؛ لذلك لجأ كثير من كفار العالم إلى الدعوة إلى (تقريب الأديان) ، ويسمى (حوار الأديان) ، أو (حوار الحضارات) ، أو (نبذ التعصب الديني) ، أو (الحوار الإسلامي المسيحي) ، ونحو هذا ، ولا يطالبون فيه إلى أن يغير أحد دينه ، بل الكل على دينه ، وزعمه بأنه على الحق ، ولكنهم يبحثون عن الأهداف المشتركة لتحقيق (التعاون) من (أجل التعايش) و (نبذ الصراع) ، والتقريب بين الأديان يقوم على ثلاثة أسس :

الأول : الحوار من أجل التعايش والتعاون.

الثاني : الانطلاق من الأهداف المشتركة ، وترك القضايا الشائكة (التي تختلف عليها الأديان) .

الثالث : نبذ التعصب الديني [1].

وقد قام هذا البيان على هذه الأسس ، فبدأ بذكر الأهداف المشتركة التي ينبغي الانطلاق منها في (الحوار من أجل التعايش) ، و كرر وأعاد أن المسيحيين قريبين من المسلمين ، و تبرأ من الجهاد أو (الصدام) أو (الصراع) أو (لغة القوة) ، كما تودد إلى الكفار وبين أن الإسلام جاء لاستقرار (المؤمنين وغير المؤمنين) ، وأنه يحرم قتل (المسلمين وغير المسلمين) ، في لغة يفهم منها البليد أن الإسلام قد أتى بشريعة لا يعادي فيها الكفار ، وأنهم لا يفرقون بين (المسلم) و(غيره) حتى لو قالوا: إن (الإسلام حق) ، ويكون (الولاء والبراء) في هذا الحوار على أمر آخر ، فالولاء لأصحاب (التعايش السلمي) على اختلاف أديانهم ، والبراء من (أعداء التعايش السلمي) على اختلاف أديانهم ، فالجامع هو (التعايش) ، والمفرق هو (الإرهاب) ، وقد قرّره أصحاب هذا البيان الممسوخ أبلغ تقرير حين زعموا أنهم (ضد الصراع) و (الصدام) وهم مع (التعايش) و (التعاون) ويرغبون في (فتح حوار لأجل خير

---

[1] وتجد في (**التنكيل**) إن شاء الله تفصيل هذه الأسس ، والمقارنة التفصيلية بين ما جاء في هذا البيان الممسوخ وما جاء في مؤتمرات التقريب بين الأديان ، مع مقارنتها بشريعة الإسلام الحقيقة .

البشرية) و (مستقبل الأجيال) ، وأن إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة ، فهذا معقد (ولائهم) .

كما قرروا مساندتهم للأمريكيين ضد الإرهابيين — أعداء التعايش السلمي — (سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين) ، وهذا معقد (براءتهم) .

فليس ولاؤهم للمسلمين مطلقاً ، ولا براءتهم من الكفار مطلقاً ، كما قرره القرآن ، والسنة ، وعليه إجماع أهل الإسلام من (سنة) و (أهل بدع) ، بل الولاء (لأصحاب التعايش) ، والبراء من (أعداء التعايش) من الإرهابيين وغيرهم ، بغض النظر عن دينهم .

وبطلان كلامهم ، وما سعوا إليه ظاهر لكل من عرف التوحيد والإسلام ، ولو كان من (عامة الناس) ، والكلام في نقض هذه الأباطيل تجدها بالتفصيل في كتاب (**التنكيل**) إن شاء الله تعالى .

خامساً : البيان والافتراء على الشريعة وتحريف النصوص :

قام كاتبو هذا البيان في سبيل (التودد) للكفار و (استرضائهم) بالافتراء على الشريعة في مواضع ، ولعلك لا تجد نصاً ذكروه إلا وحرفوه ، وإليك بيان هذا باختصار :

1- من ذلك أنهم كرروا أنه (لا إكراه في الدين) وأن هذا أصل من أصول الإسلام ، وهذا تحريف وكذب ، فالمقصود بهذه الآية أنه لا يكره الكافر على تغيير معتقده ، ولكن يكره على الدخول في حكم الإسلام ، فإما أن يسلم ، وإما أن يؤدي الجزية ، وإما أن يقتل ، وهذا بإجماع المسلمين ، والآيات والأحاديث الواردة في ذلك تفيد العلم الضروري ، وقد تواتر على ذلك عمل الأئمة والعلماء والقادة .

2- ومن ذلك أنهم زعموا أن الأصل في معاملة الكافر (البر والإقساط) ، وهذا كذب وتحريف ، بل هذا هو الاستثناء ، وأما الأصل فهو قتالهم حتى يسلموا أو يدخلوا في حكم الإسلام ويؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون كما دلت على ذلك النصوص المتواترة ، وأجمع عليه المسلمون ، وأما هذه الآية فهي استثناء خاص في معاملة بعض الكفار بشروط مذكورة في نفس الآية ، فكيف يجعل الاستثناء أصلاً ، وهو مذكور في آية واحدة ، بينما آيات القتال والجهاد أكثر من مائة آية ، فكيف تهمل وكأنه لا وجود لها !!!.

3- ومن ذلك أنهم ذكروا أن النصارى أقرب الأديان إلى الإسلام وذكروا آية المائدة وفيها قوله تعالى (**ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى**) ثم تركوا باقي الآية ولم يكملوها ، وباقيها مفسر لهذا وهو قوله تعالى (**ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ..الآيات**) فهذا يبين أن المقصود بهم الذين آمنوا من النصارى لأن هذا الكلام لا يقوله إلا مؤمن ، وقد ذكر ذلك المفسرون ، بل ذكر بعض أهل العلم كالقاضي أبي يعلى وغيره إن مقالة النصارى أقبح من مقالة اليهود ، وقد ذكر الله سبحانه كفر النصارى وقبح مقالتهم قبل الآية المذكورة بآيات يسيرة ، وقال تعالى عنهم (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض**)

فقد جعلهم أولياء لليهود على المسلمين وهو الحاصل اليوم ، وقال تعالى (**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**) وغيرها من الآيات .

4- ومن ذلك أنهم ذكروا في سبيل (استعطاف الصليبيين) أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل بعض (الصحابة) من مكة إلى أحد الملوك المسيحيين في الحبشة !! ، وهذا من التلبيس ؛ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبعث الصحابة إليهم لأجل اتصافه بالنصرانية ، بل لأنه عادل لا يظلم عنده أحد –كما ثبت في الصحيح – ولذلك لم يبعثهم إلى هرقل وهو نصراني ودياره أقرب من ديار الحبشة بكثير !!.

5- ومن ذلك إنكارهم أن شرع الإسلام يلزم غيره في الدخول فيه ، وقد كذبوا فآيات وأحاديث القتال والجهاد ترد عليهم ، فالدخول في الإسلام شيء ، والدخول في حكم الإسلام شيء آخر ، فالأول هو المنفي ، أما الثاني فلأجله شرع الجهاد في سبيل الله حتى يكون الدين كله لله .

6- ومن ذلك زعمهم أن من أساس رسالة الإسلام إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة ، وهذا في خطاب الكفار ، وهذا كلام مجمل ، ملبس ، بل الأساس في العلاقات الإنسانية هو (الكفر) و (الإيمان) .

7- ومن ذلك زعمهم أن من قتل نفساً (هكذا بإطلاق) فكأنما قتل الناس جميعاً ، وهذا باطل .

8- ومن ذلك تسويتهم في مواضع بين المسلمين وغيرهم في (العدل) و (الظلم) و ونحو ذلك ، وهذا الكلام بهذا الإطلاق كذب .

9- ومن ذلك قولهم إن الإسلام جاء لاستقرار المؤمنين وغير المؤمنين ، وهذا الكلام بهذا الإطلاق كذب.

والكلام على تحريفاتهم هذه وإبطالها يطول ، وستجد ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى في (**التنكيل**)[1] .

---

[1] ومن العجيب أنهم لم يستدلوا بنص تقريباً إلا وحرفوه عن وجهه كما سبق ، ومن العجيب أنهم لا يستدلون بنص إلا وكان فيه ما يبطل استدلالهم به ، وقد بينت ذلك في (**التنكيل**) ، كما ذكرت فيه الإجماعات التي خرقوها بهذا البيان الممسوخ .

سادساً : البيان وموالاة الكفار :

وهذه هي الداهية الدهياء ، والقاصمة للظهر ، وإن كان بيانهم أصلاً يسير في مداهنتهم والتودد إليهم ومحاولة استرضائهم بشتى الوسائل ، فإنهم هنا صرحوا بتأييد حملتهم على الإرهاب ، فقد جاء في البيان ما يلي :

1- (إن الغرب يتحدث كثيراً عن مشكلة الإرهاب والتطرف، ومن وجهة نظرنا فإن **هذه مشكلة جادة في العالم،** ويفترض أن تكون هنالك مشاريع متعددة لمعالجتها) .

2- (وأيضاً فإن التطرف الديني ليس مرتبطا بديانة معينة وإن كنا نعترف **بأشكال متطرفة مرتبطة ببعض المسلمين** كغيرهم) .

3- (إننا على إدراك أن كثيراً من **التجمعات الإسلامية المتشددة** -كما توصف - لم تُرِدْ أن تكون كذلك في أولى خطواتها.. قنواتها في التعبير السلمي،و تمتلك إلغاء فرص الاعتدال[1]) .

4- (إننا معنيون بالحملة على الإرهاب **سواءً أتى من مسلمين أو غير مسلمين** لكن ما دام الأمر مستنداً إلى قيم وأخلاقيات) .

5- (إن الإرهاب بالمعنى الاصطلاحي الشائع اليوم **إنما هو صورة واحدة من صور الاعتداء الظالم على الأنفس والممتلكات**) .

فمن مجموع ما سبق – وغيره مما تركته – يتبين لك أخي الموحد ما يلي :

أن الإرهاب بمعناه الاصطلاحي عند الكفار (**صورة من صور الاعتداء الظالم**) فالمثقفون يقرون بهذا ، وإنما ينكرون قصره عليه ، ومن المعلوم للجميع علماً ضرورياً أن المخاطبين بذلك اصطلاحهم في الإرهاب يعنون به في المقام الأول المجاهدين في (الأفغان) و (كشمير) و (الفلبين) ونحوهم .

وعلى ذلك فالمثقفون يرون أن (الجهاد في سبيل الله) مشكلة جادة في العالم ، وأنها أشكال متطرفة ، بناء على إقرارهم بالإرهاب الاصطلاحي لدى الكفار .

[1] الاعتدال عند هؤلاء هو ترك الجهاد !!!.

بل وزادوا ذلك فقالوا : **إنهم معنيون بهذه الحملة على الإرهاب سواء أتى من مسلمين أو غير مسلمين** ، إلا أنهم يرفضون قصره على حرب (الإرهابيين الاصطلاحيين) عند الغرب وهم (المجاهدون) . بل يريدون تعميمه عليهم وعلى غيرهم كاليهود .

فإقرارهم (الإرهاب الاصطلاحي) نسف كل تأويل وحجة ؛ إذ الإرهاب الاصطلاحي عند الأمريكان معروف لكل ذي لب .

وبهذا يظهر للقاريء أن (هؤلاء الدعاة) صاروا – شعروا أو لم يشعروا – يساندون (الحملة الصليبية) في حربها (ضد الإرهاب) ، ورحم الله التوحيد وأهله .

سابعاً : إنكار الجهاد والبراءة منه :

إن الذي يقرأ هذا البيان الممسوخ من أوله إلى آخره يخرج بنتيجة واضحة مؤداها إلى أن الإسلام ليس فيه جهاد في سبيل الله ، ولا قتال للكفار حتى يكون الدين كله لله ، كما تقرأ في كلامهم إنكار (الصراع) أو (الصدام) أو (الإرهاب) و (التطاحن) ، كما تقرأ في طياته لمزاً للمجاهدين في مواضع والبراءة منهم .

و قد زادوا البلاء حينما نسبوا هذه (الانهزامية) إلى الشريعة حيث قالوا : (**وليس من شريعتنا أن نلزم الآخرين بمفاهيمنا الخاصة، هذا هو خيارنا الشرعي**) ، وقد كذبوا في ذلك على الله وعلى الشريعة ، فالله سبحانه يقول (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) ، ويقول (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** ...) ، وقوله تعالى (**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم**) ، وغيرها من آيات السيف الكثيرة ، وهي من آخر ما نزل من القرآن ، وكما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**) ، وقال صلى الله عليه وسلم كما في حديث بريدة في الصحيح (**اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله**) ، وغيرها من الأحاديث ، كما أن سيرة الصحابة ترد هذا القول ، وعليه إجماع المسلمين ، قال الشوكاني رحمه الله [1]:

"أما غزو الكفار ، ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام ، أو تسليم الجزية ، أو القتل ، فهو معلوم من الضرورة الدينية ، ولأجله بعث الله رسله ، وأنزل كتبه ، وما زال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ بعثه الله سبحانه إلى أن قبضه إليه جاعلاً لهذا الأمر من أعظم مقاصده ، ومن أهم شئونه ، وأدلة الكتاب والسنة في هذا لا يتسع لها المقام ، ولا لبعضها ، وما ورد في موادعتهم أو تركهم إذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ بإجماع المسلمين".

---

[1] السيل الجرار : 518/4 ، 519 ، وانظر : المحلى 341/5 ، المغني 165/9 ، وجميع كتب الفقه في أول باب الجهاد أو السير ؛ فإن هذا متفق عليه.

وإنما ذكر هؤلاء المثقفون الجهاد فيما يشترك فيه جميع البشر مع الحيوانات أيضاً وهو الدفع للمعتدي حيث قالوا : (**لكن حينما يفضل طرف أن يصنع الصراع مع المسلمين, أو يتجاهل حقوقهم ؛ فإن الإسلام يقابل ذلك بالمقاومة والمدافعة التي هي أحد مقاصد الجهاد**) .

والكلام في الجهاد على قسمين ، فقهي ، وعقدي :

أما القسم الأول :

وهو الفقهي ، فأعني به حكمه ، وهل هو فرض عين ، أو كفاية ، وهل المسلمون يستطيعون الجهاد ، أو ينتقلون إلى البديل وهو الإعداد لضعفهم ، ونحو هذا ، فهذه مسألة عملية فقهية تكليفية قد تختلف فيها الاجتهادات ، والأمر فيها قد يكون متسعاً.

وأما القسم الثاني :

وهو العقدي ، وهو اعتقاد مشروعيته ، فهذا أمر قطعي ، ضروري ، ثبت بالتواتر في القرآن والسنة ، وعليه أجمع العلماء ، فإنكاره ، أو البراءة منه ، كفر وردة .

ففرق بين من يترك ذكر الجهاد مطلقاً في حواره مع الكفار لمصلحة معينة، أو يبين أن الجهاد لا يمكن في هذا الوقت للضعف .

وبين من ينكر الجهاد أصلاً ، وينسب هذا للشرع ، ويقرر مراراً إنكاره لـ(التصادم) و (الصراع) و (التطاحن) ، والسعي لـ(التعايش) مع الكفار ، وأنه ليس من (شريعته) إلزام الغير بمفاهيمه ، وأن أساس التعامل مع الكفار (البر والإقساط) ، وأن الأصل في (الدماء والعدل) المساواة بين المسلمين وغيرهم ، ونحو هذا ؛ فهذا إنكار لقطعيات الدين وضرورياته .

ثامناً : لغة الاستجداء والذلة والمهانة :

سبق أن ذكرت في المقارنة بين بيان الأمريكيين ، وبيان المثقفين ، الفرق بين الفريقين في (اللغة) التي يخاطبون بها الناس ، وأن لغة المثقفين قائمة على (الانهزامية) و (التخاذل) ، و(الاستجداء) ، ولكني سأنقل عبارات فيما يلي ، وأظن – والله تعالى أعلم – أن أبا جهل (فرعون هذه الأمة) ، لا يرضى أن تنسب إليه لما فيها من ذلة ، فمن ذلك قولهم:

1- (و تعاليم الإسلام تصف النصارى بأنهم أقرب للمسلمين من غيرهم ...)الخ كلامهم وتملقهم للصليبيين في الوقت الذي يصبون فيه العذاب صباً على كثير من المسلمين !!.

2- (ونحن المسلمين ننظر إلى إشكالية العلاقة بين الدين والدولة نظرة أخرى تختلف عن هذا التصور، وتصورنا يحمي إرادة الأكثرية، ويحفظ حقوقها، ويحمي كذلك حقوق الأقلية ...) ثم ردوا على طلب المثقفين الأمريكيين بفرض العلمنة ، بأن الأكثرية مسلمون ، فقالوا (و نرى أنه لا يمكن تطبيقه في المجتمع المسلم لأنه يحرم أفراده من حقهم في تطبيق أحكام حياتهم العامة ويتعدّى على إرادتهم بحجة حماية الأقلية ولا يصح عقلاً أن نحمي حقوق الأقلية بحرمان الأكثرية من حقوقها) ، فالمثقفون يقولون : لماذا تظلمون يا (أمريكا) الأكثرية بفرض العلمانية (يا حرام!!) .

3-(إن المسلمين من حقهم أن يكونوا متمسكين بدينهم وقيمه وتعليماته ، هذا خيار من الصعب محاولة تعويقه ؛ لكننا نقدم المفهوم الوسطي المعتدل) .

4-(وسيجد العالم الغربي فيه فرقاً كبيراً عن المفاهيم والتصورات التي يحملها عن الإسلام، هذا إذا كان جاداً **في الاعتراف بنا وبديننا ومقدراتنا)** .

5- (حين نؤمن أن العالم يواجه مشكلة الإرهاب والتطرف بالمفهوم الشامل الذي ذكرناه, فكذلك ينبغي أن نقدر أن ثمة مجموعة من المشاكل يواجهها العالم في: الحقوق، والحريات، والأوليات الإنسانية (التعليمية، والصحية، والغذائية، والأخلاقية) يفترض أن تحظى باهتمامنا) فهذه المشاكل والأولويات ، ولا مكان للإيمان بالله ورسوله !!! .

6- (إننا ندعو إلى انفتاح جاد من الغرب على الإسلام، وقراءة مشاريعه، والتعامل بهدوء مع الواقع الإسلامي) .

7- (ولئن كان الغرب يعتبر أحداث الحادي عشر من سبتمبر تتجه لزعزعة الأمن المدني في الغرب فمن الممكن أن نشاركه الشعور وحتى الموقف في رفض ضرب الأمن المدني في العالم) .

8- (ولذا فإن إيجاد مساحة أوسع للحوار، وتبادل الرأي يلتقي فيها أهل الفكر والعلم والثقافة هي – من وجهة نظرنا – البديل للغة العنف والتدمير) .

وأنا أقول لهؤلاء الذين استكانوا وذلوا للكفار رجاء أن ينظروهم (بعين الرحمة) ، أنا أخبركم بنتيجة هذا الخطاب مقدماً :

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) .

(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسداً من عند أنفسكم).

فيا ضيعة التوحيد ، والعلم ، والدعوة ، والابتلاء ، والله المستعان .

خاتمة الطليعة

وأختم هذه الطليعة ببعض التنبيهات :

أولاً : أن عمدة شبهة أصحاب هذا البيان الممسوخ هو قولهم :

إن المسلمين في (ضعف) ونريد أن نكسب هؤلاء ، أو على الأقل (نحيدهم) فنكف شرورهم ، والإجابة على هذه الشبهة[1] وما ماثلها يطول إلا أنني أختصر الجواب بذكر قاعدة تعينك أخي الموحد على نسف شبههم كلها ، وهي كما يلي :

أن تعلم أن أصل الدين وقاعدته الإيمان بالله سبحانه والكفر بالطاغوت ومنه البراءة من الكفر وأهله ومعاداتهم وبغضهم ، فلا يصح الإيمان بالله إلا مع الكفر بالطاغوت ، وهذا معنى الشهادة ، وعليه قوله تعالى (**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**) ، وقوله تعالى (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**) ، فإذا علمت أن هذا أصل من أصول التوحيد وركن من أركانه فتركه والتخلي عنه لا يجوز إلا في حالة الإكراه . وفي حالة الضعف فإن المسلم قد يجوز له التخلي عن الجهاد ، ولكن لا يجوز له بحال ترك الكفر بالطاغوت :

فقد قال تعالى عن إبراهيم (**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إننا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده**) ، هذا وإبراهيم عليه السلام كان في (ضعف) و (قلة من الأنصار) حتى ألقوه في النار ، ومع هذا صدع بالكفر بالطاغوت والبراءة منهم ، وانظر إلى قوله (**وبدا**) يعني (**ظهر ، و بان**) ، وقوله (**العداوة والبغضاء**) فقدم العداوة على البغضاء لأن ذلك آكد ؛ فإن الرجل قد يقول : أنا أبغضهم ، ولكنه في الحقيقة لا يعاديهم ، وقوله (**أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده**) فجعل هذه العداوة و البغضاء أبدية لا تنتهي إلا بـ(الإيمان بالله) وحده .

---

[1] قد فصلت الشبهات والرد عليها في (**التنكيل**) .

ولم يدع قومه إلى (حوار) في سبيل (التعايش) ينطلق من (الأهداف المشتركة) ؛ فإنهم من بني آدم ! ، وكلهم من أمة واحدة ! ، وقد قال تعالى (**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه**) .

وفي مكة :

كان النبي صلى الله عليه وسلم في (ضعف) و (قلة من الأنصار) و (الأعوان) تحت تسلط (كفار قريش) وفي بلدهم ، ومع ذلك نزل قوله تعالى (**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**) وقد قيل إن عدد الصحابة لما نزلت – في السنة الثالثة للبعثة – لا يزيد على الأربعين ، ثم إن المسلمين لاقوا صنوفاً من العذاب والأذى :

فمنهم من قتل كآل ياسر ، ومنهم من عذب كبلال وخباب ، ومنهم أخرج وهاجر كمهاجرة الحبشة ، ومنهم من حوصر كالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في (شعب أبي طالب) .

فهم مستضعفون ، قلة ، بين يدي عدو كافر لا يرحم ، منهم من مات وقتل ، ومنهم من ارتد عن دينه بسبب ما يلقاه ، ومنهم من عُذِب عذاباً شديداً ، ومنهم من خرج وهاجر ، وكأني بأحد (**الانهزاميين**) لو كان معهم لقال : لا بد من (بعد النظر) و (سعة الأفق) و (الواقعية) و (العقلانية) ، فلا بد من (دعوة جادة) لجميع (المفكرين الأحرار من كفار مكة) لـ(الحوار) من أجل التعايش ، ولا بد من كتابة بيان لا يفهمه إلا المثقفون من (كفار مكة) لعقد حوار مثمر ، بناء على الأهداف المشتركة فيما فيه صالح (قريش) و (مكة) و (البشرية) .

ولكن هيهات ، هيهات : فقد نزل قوله تعالى (**فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون**) يعني : لو صانعتهم ولاينتهم ، ولو أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب بياناً فيه أقل من عُشْر ما في هذا البيان من مهانة وذلة – وحاشاه – لجعلوه أميراً عليهم ، ولكن هذه عقيدة الإسلام ، وملة إبراهيم عليه السلام ، وأصل التوحيد .

واعلم أنه لولا أصل (الكفر بالطاغوت) و (البراءة من الكفر وأهله) ما حصل على الرسل ولا لأتباعهم ما حصل من القتل والتشريد والابتلاء ، فإن مجرد إقامة الشعائر والعبادات لا

يجعل الكفار يعادونهم هذا العداء ، أفلم يكن لديهم (بعد نظر) كما عند هؤلاء فيكسبونهم بالمداهنة ، أو على الأقل يحيدونهم؟!! تعالى الله سبحانه وتعالى .

وهناك فرق بين ترك الجهاد عند الضعف ، وبين ترك (عقيدة الولاء والبراء) ، فالأول مسألة عملية فقهية – مع الإقرار بمشروعية الجهاد – تخضع لاجتهاد ذوي النظر ، أما المسألة الثانية فمسألة عقدية ، فهي ركن من أركان التوحيد ، وأصل من أصول الدين وقواعده .

ثانياً : أن الله سبحانه قد قال (**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**) ، ألم يسمعوا بهذه الآية ، فما لهؤلاء القوم لا يفقهون حديثاً ؟!!.

ثالثاً : أن الموقعين على هذا (البيان الممسوخ) لا للكفر كسروا ، ولا للإسلام نصروا ؛ بل على العكس ، سيتضرر منه المسلمون ، وسينتفع به الكفار .

أما انتفاع الكفار به : فإن أعداء الله من كفار أمريكا وغيرها يعلمون دين الإسلام جيداً ، ويعلمون عقيدة الولاء والبراء فيه ، وأصل شريعة الجهاد في سبيل الله ، فلن يغرهم هذا البيان وهم الذين يعرفون القرآن وآياته ، ولديهم مراكز دراسات متخصصة في هذا الباب ، ولكنهم سينتفعون به من جهة جعله أداة لضرب (المجاهدين) في شتى بقاع العالم : (بفتوى مشايخكم ودعاتكم) الذين أقرونا على الإرهاب الاصطلاحي ، و أنكروا الصدام والصراع ، ودعونا إلى التعايش !!، وسيجعلونها أداة لمسخ تعاليم المسلمين التي تؤصل (الولاء والبراء) .

وأما مضرته على المسلمين فكونه سيمسخ البقية الباقية من عقيدة المسلمين في (الولاء والبراء) و (الجهاد في سبيل الله) .

رابعاً : أن الجهاد في سبيل الله – الذي استحى المثقفون منه – ما شرعه الله إلا رحمة للعالمين ، فإن نجاة الأمم بسببه ، فلم ينتشر الإسلام من الأندلس غرباً وحتى الصين شرقاً خلال قرن من الزمان إلا بالجهاد في سبيل الله ، فبالجهاد حرّر المسلمون الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، وفي هذا سعادتهم في الدنيا والآخرة .

وأخيراً :

فهذه (**الطليعة**) التي بين يديك إنما تخبرك ببعض ما في هذا البيان من مزالق عقدية خطيرة ، وتفصيلها سيكون في (**التنكيل**) إن شاء الله ، يسر الله سبحانه إتمامه .

ملحق :

قرأت مقالاً لبعض الإخوة في أحد منتديات (الإنترنت) وقد رمز لنفسه باسم (**لويس عطية الله**) وكان مقاله رداً على هذا البيان ، وقد أعجبني ما فيه ، لأنه ركز على مسألة التناقض من الموقعين ، فرأيت أن ألحقه بهذه (**الطليعة**) :

هزيمة الإسلاميين (رد على بيان المثقفين)

قبل أن تقرأ هذا المقال ضع في اعتبارك أنني أصبحت أفرق بين نوعين من العاملين في المجال الإسلامي .. الأول هم المجاهدون .. والثاني الإسلاميون الآخرون أصحاب النظريات الكلامية في الدعوة .. كلامي في هذا المجال موجه لهذه الطائفة ..

نشر بيان المثقفين والجميع قرأه .. وهذه بعض النظرات في البيان ..

لدي قناعة راسخة أن هناك إفلاس يعاني منه من صاغ وكتب البيان ..

سأتجاوز عن (لغة) البيان وضعفه .. بحيث صيغت عبارة :

(إن لغة الحوار هي لغة القوة ، ومن الخطأ أن نجعل القوة هي لغة الحوار ..) بطريقة مشكلة ..

فكلمة لغة في الجملة الأولى مفسدة للمعنى ..

والمفترض أن يقال (إن لغة الحوار هي القوة ، ومن الخطأ أن نجعل القوة لغة للحوار)

، لأن للقوة لغات كثيرة أولها السلاح وآخرها العفو ، وليس الحوار لغة من لغات القوة بل هو بديل لها ..ولا أدل على الفرق بين (الحوار) و (القوة) من هذا البيان الضعيف !

لن أتوقف عند هذه النقطة فآخر ما أهتم به في هذا الوقت الصياغة اللغوية ،

وإن كنت أتمنى الاطلاع على النص الانجليزي .. للبيان ..

يجب أن يدرك الذين كتبوا البيان أننا قرأنا مقدمتهم التي قالوا فيها إن البيان إنما صيغ بتلك الطريقة لمخاطبة عقلية أكاديمية محددة .. نحن ندرك ذلك ..

لكننا نملك الحق في التساؤل والنقاش في نفس الوقت مع الموقعين .. ويحق لنا أن نكون شهودا حضروا الحوار ومراقبين يراقبون كلمات وأفكار من نصبوا أنفسهم ممثلين لنا ، مع احترامنا لهم واعترافنا بصحة تمثيلهم في الجملة .. وعليه يحق لنا أن نعترض ونقول ..

لا هذه الفكرة لا تمثلنا ، ودعني أبتعد عن استخدام ضمير الجمع ، فلأتحدث عن نفسي وأقول إنه يحق لي أن أطلع وأعترض على ما أعتقد أنه لايمثلني خصوصا وأنني أعتبر نفسي جزءا من هؤلاء الذين وقعوا البيان في الجملة أيضا ..

لقد قرأت البيان ، وفي البدء فإن هناك مكاسب مثل اعتراف بعض من اعتبروا ضمن التيار العلماني برفض العلمانية كمنهج في بلاد الاسلام .. هذا مكسب تحقق في البيان ..

لكن أغلب نقاشي سيكون مع الاسلاميين الذين اختاروا الفكرة الاسلامية كمنهج للحياة ، وسألونا يوما ونحن صغار بسؤالهم (من يحمل هم الدعوة ! ؟) ..

فحملنا هم الدعوة ، ودخلنا معهم المعترك واعتبرنا أنفسنا جنودا مجندين من أجل الدعوة .. وأخبرنا

أولئك الأساتذة أن الاسلام مستهدف من الغرب الصليبي واليهود ..
وجلسنا في مجالسهم وحلقات العلم التي عقدوها وظللنا سنوات نعتقد أن الغرب هو (عدونا) الأول ، وأنه يجب أن نعمل كل ما بوسعنا من أجل جهاده والقضاء عليه أو على الأقل دفع ضره عنا ، ورد كيده في نحره ودفع غائلته ..
وحاربنا وكلاءه (العلمانيين) حربا ضروسا كنا فيها أتباعا وجنودا مخلصين لشيوخنا الذين كانوا يقودون تلك الحروب ..
فأصبحت هذه المفاهيم أسسا قامت عليها حياتنا وبنينا عليها أن دين الله يقتضي البراءة من الكفر أولا ، ثم منابذته العداوة ثم جهاده .. وقيل لنا إن هذا هو التوحيد ..
فقلنا نعم وهذا ما دل عليه القرآن ..
ومرت السنوات ونحن نعتقد أن هذا هو الدين .. وأن الله خلقنا لهذه الغاية ..
أن نقيم دينه بالبراءة من الشرك ثم تحقيق التوحيد في أنفسنا وفي حياتنا وكل شيء يتعلق بنا ..
وخرج منا رجال تشربت نفوسهم بمبدأ (حتمية المواجهة) ..
فحملوا رؤسهم على أكفهم يطلبون الشهادة في سبيل الله والموت من أجل ماذا ؟
من أجل ردع الكفر وإخراجه من بلاد المسلمين ، ودفع تسلطه وطغيانه علينا ..
وكان من نتيجة هذا كله أن حدثت غزوات نيويورك وواشنطن المباركة ..
فباركناها كما تعلمنا من شيوخنا ودعونا لمن نفذها وقلنا ..
رحمهم الله يا أرشد الله من غزاة وقد رشدوا ..
أليس هذا هو القرآن الذي تعلمناه من شيوخنا ؟
أليس الله قال (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) .. ؟ أليس النبي صلى الله عليه وسلم قال (ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبه من النفاق) ؟
فإذا لم نحدث أنفسنا بالغزو فلا أقل من الدعاء للغزاة والقنوت من أجلهم .. أليس هذا هو الإسلام الذي علمنا إياه شيوخنا ..
أليس الله يحب أن تسفك الدماء في سبيله وإقامة شرعه ودينه ؟
أليس هذا الدين الذي تعلمناه من هؤلاء الشيوخ حسنا نحن عملنا
بمقتضاه ودعونا لمن سفك الدماء في سبيل الله ..
وخرج الكفر وأجلب على المسلمين بخيله ورجله ،
وحمل معه الخمر والقيان (ماريا كاري المغنية زارت الجنود الأمريكيين في
طاجكستان وغيرها وغنت لهم هنا) ..

فكتب شيوخنا بيانات خاصة يعلنون أن الفئة المسلمة التي غزت أمريكا في عقر دارها إنما هي فئة (مفتئتة) على الأمة ، وأنها شرذمة لا تمثل الأمة .. ! عجبا !!

ثم كتب مفكرو الأمريكان وفلاسفتهم بيانا قالوا فيه (على أي أساس نقاتل) ! ؟

قالوا فيه ما قالوا وخلاصته أنهم برروا لحكومتهم ما تفعله بنا ..

وأننا بما نحمل من فكر (التوحيد) و (الولاء والبراء) و(الجهاد) مجرد حثالات يجب تخليص البشرية منها ..

فقلنا كافر ونطق كفرا فكان ماذا ؟

لكننا صدمنا .. بأن شيوخنا الذين علمونا كل شيء عن المواجهة وحتميتها تغيرت مواقفهم .. وأصبحوا يتحدثون أن كلام أولئك المفكرين مجرد (وجهة نظر) وأنهم أي شيوخنا يقدمون (وجهة نظر بديلة) فلم يتحدث شيوخنا عن شيء اسمه (الحق) .. و (الباطل) ، ولم يقولوا إننا على حق ، بل إن الأمر لا يعدو أن يكون (وجهات نظر)..

هذه ليست مشكلة فلنفرض أنها وجهات نظر وإن شيوخنا يعتقدون أن وجهة نظر الامريكيين (باطلة) .. ولكنهم يتنزلون مع المخالف .. حسنا لكن ماذا عن التطلع

(لتأسيس أجواء تفاهم مشترك تتبناها الحكومات والمؤسسات) ؟

أين ذهب الكلام عن المواجهة وحتميتها وأين اختفت مبادئ (المدافعة) ؟

لقد افتقد هؤلاء الشيوخ أبسط المعايير (البشرية) دعك من مبادئ الشجاعة والحمية !

إن هؤلاء الأمريكيين كانوا صادقين مع أنفسهم ..

فحكوماتهم تخوض حربا ضد عدو نال منها فقالوا لها إنك على الحق فأنت تدافعين عن نفسك !

وأتحفوها ببيان عن الأسس التي يقاتلون عليها !

فماذا فعل شيوخنا ؟

كتبوا بيانا عن (التعايش)!! .

مدجج بالسلاح يقف على رأسك قتل أبناءك وينتهك حرماتك ، ثم يتلو عليك بيانا لماذا يقاتلك ! ما أنت صانع ؟

تقول له تعال إلى الحوار ؟ تعال لنتعايش ؟

لو لم أكن مسلما ووقفت في هذا الموقف لكانت طبيعتي البشرية تحتم علي أن أقول له أضعف الإيمان : سأقاتلك..أضعف الإيمان أن أقول له إنني سأقاومك بما أستطيع .. سأدافع عن نفسي وعن أمتي..

فكيف وإسلامي يقول لي إنني لو قتلت في الدفاع عن (حذائي) أكرمكم الله فإنني شهيد سأدخل الجنة فورا ! (من قتل دون ماله فهو شهيد)! .

لكن شيوخنا في الوقت الذي خرجوا علينا ببياناتهم في نقد (الفئة التي ناصبت الغرب العداء بنفس طريقته)وسارت علي هدي قوله تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) خرجوا علينا في نهاية الأمر ببيانهم عن التعايش وأسسه ..

حسنا نحن وإياكم على مفترق طريقين ..

أولا : إما أنكم مخطئون فيما سبق من دعوتكم لنا .. وما علمتمونا إياه كان خطأ وأن المعارك التي خضناها سابقا على ذمتكم ضد العلمانية مثلا .. كانت باطله ، والدماء الفكرية التي سفكت فيها كانت هدرا .. وإذا كنتم على قدرة للتعايش مع الغرب الكافر الآن فإنه يلزمكم التعايش مع العلمانية العربية والاعتراف بها .. فالعلماني يفترض أن يكون أدعى لقبول التعايش معه إذا كنتم قادرين على التعايش مع الغرب الذي يعتدي عليكم ، فالعلماني وأعني به من يعتقد أن هناك تفسير
آخر للإسلام غير التفسير الذي علمتمونا إياه .. أقرب لكم من اليهودي أو النصراني الكافر يقينا ..
بينما العلماني يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لكنه يقول إن كلامكم عن الإسلام مغلوط..
وإن كنتم مخطئين سابقا فما الذي يضمن لنا أنكم على صواب هذه المرة أيضا ؟

وما فائدة رفض العلمانية الآن إذا كنتم على استعداد (لقبول مبدأ التعايش مع الغرب) علما أن الغرب لا يتعايش معكم بل هو يتعيش فوقكم ويستولي على ثرواتكم وينتهك أبسط حقوقكم ..

حق أن تكونوا من الإنس الأحرار ! ، أما العلماني ، فمسكين هو العلماني !

لا يفعل بكم كثيرا مما يفعله الغرب ، بل كل ما يطلبه تفسير آخر للإسلام ..

بحيث يخرج من المأزق الذي وضعتم الأمة فيه عندما جعلتموها تعيش هاجس المواجهة ثم تراجعتم الآن ..

إنني بعد بياناتكم سأنظر بعين العطف للعلماني الذي يطالب بإلغاء مبدأ الولاء والبراء ..

فدعوى العلماني ومطلبه يعطي نفس النتيجة التي توصلتم لها أخيرا في بيانكم لكن العلماني لا يعيش التناقض الفكري الذي تعيشونه ولا تحسونه ..

فالعلماني يرفض مبدأ المواجهة من أصلها ولذا هو يطلب تفسيرا جديدا لمبدأ الولاء والبراء في الإسلام..
أما أنتم .. وأنتم أنتم ! .. فتقبلون مبدأ الولاء والبراء بل وتعتبرونه من أصول الدين . ثم تطلبون تعايشا مع الغرب ! ألا تشعرون بتناقضكم ؟

نحن مضطرون للاعتراف بواحد من مواقفكم .. إما القديمة وإما الجديدة ..

لا نستطيع رفضها كلها لسبب واحد ، أننا وجدنا نموذجا عمليا ما زال متمسكا بما كنتم تتحدثون به سابقا عن الإسلام ..

وأعني بهم من وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم (لا يزالون على الحق منصورين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، يقاتلون في سبيل الله)

وقد علمنا مما سبق من بياناتكم أنكم خذلتموهم .. وقد سمعت أحدهم في قناة الجزيرة يقول .. إننا أمرنا بالقتال فقاتلنا وأدينا ما علينا إبراء للذمة ، لكن الأمة خانت نفسها وخذلتنا وأكثر من خذلنا العلماء .. الذين كتبوا في بوش زعيم الكفر كلاما لينا ، وكتبوا فينا ما يسفه أحلامنا ويجعلنا مفتئتين على الأمة ،

قلت : ونسي ذلك العالم أنه قبل سنوات افتأت هو على علماء الأمة عندما عارض فتواهم في الاستعانة بالقوات الكافرة ، فما الذي جعل افتئات أولئك الشباب مرفوضا

وجعل افتئات هذا الشيخ مقبولا ؟

والأدهى والأمر أن هذا الشيخ بالذات ورفضه لوجود القوات الأجنبية كان من ركائز وأساسيات فكر تنظيم القاعدة حاليا .. أخرجوا المشركين من أرض العرب ..

لكن هذا الشيخ يتنصل منهم الآن .. فمن الذي يجب أن يحاسب أسامة بن لادن ؟ أم ذلك الشيخ المتنصل من مسئوليته ؟

إن صاحب النظرية يتحمل نفس القدر من المسئولية التي يتحملها من طبق النظرية ..

أليس كذلك ؟ لا ؟ طيب بقدر أقل ألا يتحمل جزءا من المسئولية ؟ أظنك ستقول نعم هذه المرة!

أم أن هذا الشيخ يظن أن الإسلام (مجرد كلام في كلام) .. وينسى أن فتوى يقولها أو كلام يطلقه ينسى أن هناك شباب مؤمن وإيمانه في العمل ، فهو عندما يسمع كلاما يعمل جاهدا على تطبيقه ..

وقد سمعوا منه رفض وجود القوات الأمريكية في البلد ، وعدم شرعية إحضارها وعدم شرعية بقائها وأن وجودها احتلال للبلد ..

أم أن هذا الشيخ الفاضل يتنصل الآن مما صاغه وكتبه بيده قبل سنوات ؟

وثانيا : إن الخطأ ليس منكم بل من الإسلام وهذا لا تقولونه

ولا يقوله مسلم بحال من الأحوال .. فلزمكم ما سبق . والله المستعان .

أمر آخر ..

إن كل بياناتكم ، وكل ما كتبتموه أثبتم به أنكم كما يقول العلمانيون عنكم (مجرد ظواهر صوتية)

فأنتم لم تقدموا أي حلول عملية للأمة ..

إنني أشعر بالأسف الشديد أنكم أكثر الناس معرفة بحقيقة الغر ب وطبيعة صراعه معنا ، وأغراضه من التحكم بنا وبمصالحنا .. لكن الأنكى من ذلك أنكم تستبعدون تماما الخيار البسيط والصحيح ..

خيار الجهاد والقتال في سبيل الله ..

إنكم لم تستطيعوا أن تفتحوا عيونكم على أن الأمة تعيش أزمة ومشكلة أنتم جزء منها ، وتعرفون الحل لكنكم لا تريدون أن تدفعوا الأمة باتجاهه .. كونكم جزء من الأزمة .. يكمن في أنكم دفعتم الشباب

عبر محاضراتكم ودروسكم وندواتكم ، وكتاباتكم في مواجهة الثور ، فلما حصلت المواجهة وغرس الشباب رماحهم في رأس الثور وهاج الثور على الجميع جئتم تتحدثون عن (التعايش) ! وتأسيس أجواء تفاهم مشترك ؟

وإن كان وصلكم لهيب الحرب مع الأمريكان وأتباعهم فإن أولئك الشباب قد أحرقتهم تلك النار ، واسأل الله أن يبدلهم بردا وسلاما في الجنة ..

يجب أن تدركوا أيها الشيوخ أن الغرب والأمريكان صادقون جدا مع أنفسهم ، وأنتم الذين تغالطون أنفسكم .. وتكذبون عليها .. فأسامة بن لادن خرج من تحت عباءتكم ،

وخطاب رحمه الله وأسكنه فسيح جناته من الذين يستمعون دروسكم ،

وأحمد الحزنوي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته من تلاميذكم

وكل الغزاة السعوديين رحمهم الله أجمعين وجمعنا بهم في جنات النعيم ،

كانوا من تلاميذكم ، وممن جثوا على ركبهم في مجالسكم ..

فلماذا اليوم تتنصلون منهم ؟ ولماذا تتبرأون منهم وتبدون للغرب أن ليس لكم علاقة بهؤلاء الشباب ؟

لماذا لا تتحملون مسؤولياتكم أمام الدين الذي تصديتم لهمّ حمله

والدعوة إليه ؟ لماذا لا تصدقون مع أنفسكم وتقولون إن هؤلاء العظماء منكم وإليكم ..

إن تنصلكم منهم لن يزيدهم إلا رفعة في نظرنا ولن يزيدكم في نظري إلا تخبطا كما تخبطتم وتخبطت بياناتكم أول وقوع الغزوات ..

يجب أن تدركوا أن كل ما يحدث الآن أنتم أحد صناعه ، وأنتم الذين (شكلوا الصحوة) في بداياتها وصبغها بصبغتها الحالية .. لا تقولوا لقد كنا نرفض الذهاب لأفغانستان ونحذر الشباب منه.. هذا لا ينفعكم شيئا ، لأنكم عندما تزرعون في عقول الشباب أي فكرة عن حماية الإسلام وحمل هم الدعوة ، ووجوب مدافعة أعداءه ثم يتجاوزكم هؤلاء الشباب وينفذون عمليا ما قلتموه نظريا .. فلا تلوموهم ولوموا أنفسكم .. واعتذروا لهم عن خذلانكم لهم ..

إن كاتب هذا المقال واحد من الذين كانوا يهتمون بحضور دروسكم .. وكثير من مواقفي تجاه الغرب والأمريكان واليهود إنما تشكلت بعد الاستماع لمحاضراتكم .. وحضور مجالسكم ..

فأصبحت هذه المواقف جزءا من تكوين شخصيتي وحياتي ..

فماذا تتوقعون أن يكون شعوري عندما أقرأ لكم أنكم الآن تطلبون التعايش مع الغرب ؟

أشعر بالقرف الشديد من بياناتكم .. وأشعر أنكم أفلستم حقا .. وأنكم أقل من أن تستطيعوا معالجة أزمة الأمة التي كنتم أحد مظاهرها ..

أشعلتم نيران حروب ثم انسحبتم الآن بعدما حمي الوطيس وبدأت تلك الحروب تحرق الأخضر واليابس

.. واعلموا أنها ستحرقكم يوما فلا تستعجلوا ..

لقد نكصت على عقبي فيما مضى من سنوات عندما رأيت أنكم وضعتمونا في طريق ثم اكتشفنا أنكم أعجز الناس عن إكمالها ..فرجعنا وقلنا هذه طريق ليست بسالكة .. لا يمكن عبورها .. كيف لا وشيوخنا وقفوا في وسطها !

لكن رجلا واحد فقط أثبت لكم ولكل العالم الإسلامي .. أن هذه الطريق سالكة وأنها توصل إلى الجنة لكنها مفروشة بالموت في كل جانب من جوانبها .. ذلك الرجل هو أسامة بن لادن ..

هذا الرجل أعاد ثقة الآلاف من المسلمين الضعفاء مثلي بأن هذا الدين حق بعدما ضاع هذا الحق في النسبيات التي لا أول لها ولا آخر عندكم ..

ولئن أسلم الكثير من الغربيين بعد 11 سبتمبر فإنني واحد من الآلاف من المسلمين الذين رجعوا يؤمنون بأن هذا الدين يمكن تطبيقه كاملا كما أنزله الله .. لا على سياسة المراحل التي خدعتمونا بها في السنوات السابقة .. تلك السياسة التي لم تورث سوى حسرة وحرقة ومصائب إصابتكم قبل أن تصيبنا نحن من بعد ..

أيها الشيوخ إننا معاشر تلاميذكم .. نعيش أزمة حضارة وهوية ..

وقد عجزتم عن تعبيد الطريق الصحيح للنهضة أريتمونا الداء ولم تعطونا الدواء ..

فاتركوا المجال لغيركم .. وعلى أقل تقدير لا تخذلوهم ..

لقد سقطت نظرياتكم وأطروحاتكم ، فلم تقدموا للأمة سوى حلول خيالية .. لا تصلح للتطبيق..

واعلموا أن الميكافيلية لا تصلح لكم ، وإخفاء المبادئ ومحاولة تهميش أصول الإسلام الكبرى كالجهاد بكل أنواعه ، لن يجديكم نفعا ولن يجعل الغرب ينظر لكم بعين الرضا ، فالغرب يعرف حقيقة دينكم ولن يقبل منكم بغير الطاعة العمياء له وبقاء استعباده للأمة كلها ، وعندما يقرأ لكم تلك اللغة المتهالكة ومحاولة إرضائه وإظهار أنفسكم بمظهر (المتحضر) ..

الذي يحسن التحدث بمصطلحات السياسة ويتحدث عن (الأوراق) و (الأدوار)..

ويقول في معرض كلامه ، لدينا أوراق لم تنفد بعد ! ويستخدم عبارات مثل (يمارس دورا) .. هذا كله لا يجديكم نفعا ..

وهذا اللباس لا يصلح لكم بل هي لغة من يعتقد أن الحياة مجرد (لعبة ورق) قائمة على الحظ .. قمار ..أو أن الحياة عبارة عن مسرحية تمارس فيها الأدوار بعبثية ..

أنتم أصحاب رسالة قائمة على التدين والعبودية لله .. فابتعدوا عن هذا المستنقع الآسن من مخلفات الفكر الليبرالي ..

والغرب لن يرضى عنكم حتى تتبعوا ملته فأفيقوا من نومكم واخلعوا عنكم كل لباس ليس من لباسكم ..وابحثوا عن الحل البسيط الواضح ..

أيها الشيوخ .. تعلمنا منكم أن الإسلام بسيط .. وأن الإسلام ليس بذلك التعقيد الذي يتخيله من لا يعرف الإسلام ، فلماذا كلما سألناكم عن طريق الحل رغتم وتخبطتم ؟

ألا تستطيعون فهم حقيقة قول النبي صلى الله عليه وسلم ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا ؟

ألا تشعرون بالذلة ؟

ألا يدل بيانكم على حجم المذلة التي دفعتكم إلى كتابته ؟

ما الذي جعل بيان الأمريكيين قويا وتبريريا للحرب علينا وشجاعا ، وجعل بيانكم بتلك الدرجة من الضعف ؟

أليس قوتهم ؟ وهواننا عليهم ؟

إذن كيف نتخلص من هذا الهوان ؟

إذا لم تقنعكم أقوال نبيكم صلى الله عليه وسلم عن أهمية الجهاد والقتال فا قرأوا في تاريخهم هم وانظروا كم من الدماء الغربية النجسة سفكت حتى تخلصت أوربا إبان الثورة الفرنسية الأولى وما تلاها من ثورات ثم ثورات في كل أوربا .. تخلصت من الذل والاستعباد الذي كان يمارس عليها من بني جلدتها ؟

فكيف وأنتم يستعبدكم عدو صليبي حاقد وكافر تعرفون أن مصيره جهنم ..!

وتعرفون أنكم إذا متم في المواجهة معه فإن مصيركم الجنة ؟

أشعر بغصة .. وصدمت عندما قرأت في أسماء الموقعين واحدا كان يقول لنا **:**

إن من يعادي أميركا سيد لنا .. فهل تغيرت الموازين الان أيها اللبيب ، وأصبحنا نستطيع التعايش معهم ؟

العبيد لا ينتصرون فتحرروا **..**

أعتذر عن شدتي معكم .. لكني قلت هذا لأني أعلم أننا سنلتقي يوما ما نتخاصم عند ربنا سبحانه وتعالى فآثرت أن أكون مخاصما في الدنيا عن الحق لا خصيما له في الآخرة**..**

(لويس عطية الله) .

الفهرس

تحذير	2
خلاصة الطليعة	3
مقدمة لا بد منها	6
أولاً : مقارنة بين كلام المثقفين وبين كلامهم سابقاً :	14
ثانياً : مقارنة بين بيان المثقفين وبيان الكفار :	16
ثالثاً : البيان والسياسة :	18
رابعاً : البيان والتقريب بين الأديان :	19
خامساً : البيان والافتراء على الشريعة وتحريف النصوص :	21
سادساً : البيان وموالاة الكفار :	23
سابعاً : البيان وإنكار الجهاد والبراءة منه :	25
ثامناً : لغة الاستجداء والذلة والمهانة :	27
خاتمة الطليعة :	29
ملحق : هزيمة الإسلاميين (لويس عطية الله) :	32
الفهرس	40

التنكيل

بما في (بيان المثقفين) من الأباطيل

كتبه

ناصر بن حمد الفهد

القسم الأول

الطبعة الأولى

ربيع الآخر - 1423

قال المعلمي رحمه الله تعالى في (الأنوار الكاشفة) ص **25** :

"إن أضرّ الناس على الإسلام والمسلمين هم (المحامون الاستسلاميون) ، يطعن الأعداء في عقيدة من عقائد الإسلام ، أو حكم من أحكامه ، ونحو ذلك ، فلا يكون عند أولئك المحامين من الإيمان واليقين والعلم الراسخ بالدين والاستحقاق لعون الله وتأييده ما يثبتهم على الحق ويهديهم إلى دفع الشبهة ، فيلجأون إلى الاستسلام بـ(نظام) :

1-ونظام المتقدمين : (التحريف) .

2-ونظام المتوسطين : زعم أن النصوص النقلية لا تفيد اليقين ، والمطلوب في أصول الدين اليقين ، فعزلوا كتاب الله ، وسنة رسوله عن أصول الدين .

3- ونظام بعض العصريين : (التشذيب). "انتهى.

وقال محمد محمد حسين رحمه الله في (الإسلام والحضارة الغربية) ص **47** :

"أما الوسيلة الأخرى التي اتخذها الاستعمار لإيجاد هذا التفاهم المفقود [بين المسلمين والمستعمرين] وعمل على تنفيذها فهي أبطأ ثماراً من الوسيلة الأولى [تربية العلمانيين] ، ولكنها أبقى آثاراً ، كما لاحظ اللورد لويد ، وهي تتلخص في : تطوير الإسلام نفسه ، وإعادة تفسيره ؛ بحيث يبدو متفقاً مع الحضارة الغربية ، أو قريباً منها ، وغير متعارض معها على الأقل ، بدل أن يبدو عدواً لها ، أو معارضاً لقيمها وأساليبها ."انتهى .

مقدمة

الحمد لله الذي أتم نعمته و أكمل الدين ، و شرع الجهاد رحمة للعالمين ، وجعل العزة لمن أطاعه من المؤمنين ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره وإن هملجت بهم البراذين ، القائل (**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**) ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : كلمة قامت بها الأرض والسماوات ، وفطر الله عليها جميع المخلوقات ، وعليها أسست الملة ، ونصبت القبلة ، و لأجلها جردت سيوف الجهاد ، وهي محض حق الله على جميع العباد ، وهي كلمة الإسلام ، ومفتاح دار السلام ، وبها انقسم الناس إلى مسلمين وكفار ، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والبوار ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ أرسله الله بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد وحده ولا يشرك به ، وجعل رزقه تحت ظل رمحه ، بعثه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

فقد تأملت في تاريخ الإسلام طويلاً ، وقلبت صفحاته ، ونظرت في حال أعداء الإسلام ، وحروبهم له ، من الصليبيين ، و الوثنيين ، في المشرق ، و في المغرب ، لأكثر من عشرة قرون ، فلم أر لهم عدواً : أعدى ، ولا أخبث ، ولا أنكى ، من (أمريكا) ، وبقراءة التاريخ يظهر إن من أعظم الهجمات التي تعرض لها المسلمون قديماً هجمات التتار في القرن السابع ، ومع ما حصل للمسلمين منهم من بلاء ؛ فإن ذلك لا يقاس أبداً بما حصل للمسلمين من (العدو الأمريكي) اليوم:

1- فإن التتار هاجموا مشرق بلاد المسلمين ، أما هؤلاء فهاجموا جميع بلدان المسلمين في المشرق والمغرب ، بطريق مباشر وغير مباشر ، ولو علموا بوجود بلاد إسلامية تحكم بالإسلام تحت المحيطات لخاضوها من أجل القضاء عليهم .

2-ولئن قضى التتار على حكم المسلمين في المشرق ، فإن كثيراً منهم دخل في الإسلام بعد ذلك ، وبقيت دول المسلمين تحكم بالإسلام في وسط العالم الإسلامي ومغربه ، وأما هؤلاء فقد قضوا على حكم الإسلام (مادياً) و (معنوياً) في المشرق والمغرب ، بل قضوا ويحاولون القضاء على من (يحلم) بتحكيم الإسلام .

3-ولئن قتل التتار آلافاً من المسلمين في هجمتهم حتى بلغوا المليون أو أكثر في بغداد ، فإن ضحايا (أمريكا) من أطفال العراق فقط تتضاءل عندها جرائم التتار كلها ، دعك من باقي ضحاياهم في بلاد المسلمين الأخرى .

4-ولئن كانت (أعنف) هجمات التتار هي (العسكرية) ، فإنها (أيسر) هجمات أمريكا ، فإن حروبها العسكرية للمسلمين – على خبثها – تتضاءل أمام فسادها وإفسادها في البلاد الإسلامية ونشرها للخبث والمجون والإلحاد والعلمانية وحمايتها لذلك ، وغير هذه الأمور ؛ مما قتله للعقائد في نفوس المسلمين أعظم من قتل أسلحتها لأجسادهم ، وهذا مما لا يستطيع أن يصفه قلم.

5-ولئن اكتفى التتار بالخيرات الظاهرة في بلاد المشرق ، فإن هؤلاء لم يكتفوا بخيرات جهة دون أخرى ، بل نهبوا خيرات بلاد المسلمين وثرواتها الظاهرة والباطنة ، حتى صاروا يستأثرون بنصف ثروات العالم.

وكل من يتابع وضع المسلمين اليوم يعلم أكثر من هذا ، ولو لم يكن بيننا وبينهم اختلاف في الدين يحملنا على معاداتهم وبغضهم والبراءة منهم ، لكانت أفاعيلهم هذه تكفي في ذلك ، ولولم يكن عند الإنسان دين يحمله على بغضهم وعداوتهم فإن (الشهامة) و (الرجولة) و (الأنفة) تجعله يأنف من استجدائهم والخضوع لهم وطلب التعايش معهم ، بعد أن بلغ بهم الطغيان حداً لا يتصوره عقل ، فلم يسلم من شرهم مصر ، ولم تخل من خبثهم أرض ، وبعد أن فتكوا بالمسلمين في كل مكان ، ويكفي من هذا ما يفعلونه اليوم في إخواننا المسلمين من الأسرى في (كوبا) ، وقد كانت العرب في جاهليتها الجهلاء تأنف من الركون إلى العدو ولو كان أقوى منهم ، فكان شعارهم : (مت كريماً ، ولا تعش ذليلاً) ، وقصص حروبهم الجاهلية تدل على هذا ، ويقول شاعرهم :

حكّمْ سيُوفَكَ في رقابِ العُذَّلِ ... وإذا نزلتَ بدار ذلٍّ فارحلِ

وإذا بُليتَ بظالمٍ كُنْ ظالماً ... وإذا لقيت ذوي الجهالةِ فاجهلِ

واختَرْ لِنَفْسِكَ منْزلاً تعْلو بهِ ... أَوْ مُتْ كريماً تَحْتَ ظلِّ القَسْطَلِ

لا تسقني ماءَ الحياةِ بذلةٍ ... بل فاسقني بالعزِّ كأسَ الحنظلِ

ماءُ الحياةِ بذلةٍ كجهنم   وجهنم بالعزِّ أطيبُ منزلِ[1]

ولما شاور الرسول صلى الله عليه وسلم السعدين في إعطاء غطفان (وهم مشركون) ثلث ثمار المدينة ليصدهم عنها –كما ورد في كتب السيرة بسند مرسل– قال له سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، أ فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟! والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف.

هذا و قد كنت أخرجت كتاباً مختصراً بعنوان : (**طليعة التنكيل**) ، رداً على (بيان المثقفين) الذي دعوا فيه أعداء الله الأمريكان إلى (التعايش) ، ووعدت بكتاب مفصل في الرد عليه ، وها هو الآن بين أيديكم ، اسأل الله سبحانه أن ينفع به ، وأن يجعله خالصاً لوجهه ، وأحب أن أنبه إلى أمور :

الأول :

أنني ذكرت في (الطليعة) بأن هذا البيان مخالف للكتاب والسنة والإجماع ، وأنه قادح في الولاء والبراء ، وأنه كثير الطوام ، عظيم القواصم ، وهذا الكتاب الذي بين يديك يفصل لك ما أجملته هناك .

الثاني :

أن هذه المسألة في (أصول الدين) وفي عقيدة (التوحيد) ، فلا يسعنا السكوت عليها مطلقاً مهما قيل في كاتب هذه الأسطر ، بل لا بد من بيان الحق فيها .

الثالث :

حاولت الاختصار قدر الإمكان في هذا الكتاب ، فحذفت بعض المباحث ، واختصرت مباحث أخرى ، وجمعت الأدلة المتشابهة تحت دليل واحد ، واختصرت في النقول ، والشبه ،

[1] هذه الأبيات فيها معانٍ لا يقرها الشرع كما هو ظاهر ، وليس المراد الاستشهاد بمعناها ، بل المراد بيان أنفة العرب وهم كفار من التذلل للأعداء .

ونحو ذلك ، ومع هذا صار الكتاب كبيراً نوعاً ما ، وهو لمن أراد التفصيل والتدليل ، وأما من أراد خلاصته فيما يتعلق ببيان المثقفين فيكتفى بـ(الطليعة) .

الرابع :

من أجل أن يكون هذا الكتاب ليس وقتياً ينتهي نفعه بذهاب وقته ، وليكون مفيداً في المسائل المطروحة و (المحاربة) اليوم على مستوى العالم ؛ كالولاء والبراء والجهاد ونحو ذلك ، فقد فصّلت الكلام على هذه المسائل وما يتعلق بها ، و جعلت من البيان مدخلاً لها، فجاء نصف الكتاب أو أكثر على هذا ؛ كالفصل الأول ، والأدلة في الفصل الرابع ، والشبه في الفصل الخامس ، و الفصل السادس ، فلو حذفت ما جاء عن البيان في هذه الفصول ما انتفت فائدتها إن شاء الله ، بل وتصلح في الرد على كل (بيان) أو (مؤتمر) أو (حوار) من هذا الجنس .

الخامس :

قسمت هذا الكتاب إلى ستة فصول كما يلي :

الفصل الأول : مقدمات ضرورية : وتحته خمس عشرة مقدمة .

الفصل الثاني : مقارنات : وتحته خمسة مباحث.

الفصل الثالث : نقض بيان المثقفين عقلاً : وتحته خمسة مباحث .

الفصل الرابع : نقض بيان المثقفين شرعاً : وتحته مبحثان .

الفصل الخامس : شبهات وردود : وتحته ثلاث عشرة شبهة .

الفصل السادس : كسر طاغوت حجة المفلسين (المصلحة) : وتحته أربعة مباحث.

وتفصيلات المباحث تركتها اختصاراً ، وانظرها في الفهرس آخر الكتاب .

السادس :

مهدت قبل هذه الفصول بمقدمتين :

إحداهما : في التعليق على البيان التوضيحي .

والثانية : في بيان خطورة بيان المثقفين وما شاكله .

السابع :

جعلت في آخر هذا الكتاب ملحقين :

الأول : أصول الصحوة الجديدة : لفضيلة الشيخ علي الخضير حفظه الله .

والثاني : لسنا أغبياء بدرجة كافية (في الرد على البيان التوضيحي) : لأبي البراء .

الثامن :

اعلم – أخي الفاضل – أنه بعد صدور (طليعة التنكيل) رمتني سهام بعض الإخوة هداهم الله وعفا عنهم ، فمنهم من قال (يريد شق الصف) ، أو (هذا الكلام له خلفيات تاريخية) ، أو (الخلاف شخصي قديم) ، أو (متسلق على الأكتاف) ، أو (طالب شهرة) ، أو (من الصغار ويتكلم في الكبار) ، أو (متحامل) ، وغير هذه الاتهامات ، فأقول :

أما ما يتعلق بشخصي من جميع هذه الاتهامات – ما سمعتها وما لم أسمع منها – فهم في حل من ذلك كله ، وأسأل الله تعالى أن يغفر لكل من تكلم فيّ ، أو أساء إليّ ، أو اتهمني ، أو ظلمني ، ولن أطالبهم بشيء – إن شاء الله – في الدنيا ولا الآخرة (**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**) [1] .

وأما ما يتعلق بالبيان والرد عليه فالحكم في ذلك ليس لي ، ولا لهم ، ولا لغيرهم ، بل للحجج والبراهين ، ومن كانت لديه حجة فليدل بها ، والسب والشتم يجيده الجميع .

وأخيراً :

فأسأل الله سبحانه أن ينفع بهذا الكتاب من قرأه ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وذخراً لي يوم ألقاه ، وأن يغفر لنا الخطأ والزلل ، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، وأن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ،

---

[1] ومن تكلم فيّ – سامحهم الله – على قسمين :

الأول : من أخذتهم الحمية و (الحزبية) و (الهوى) بدون نظر إلى (الحق) أو (الباطل) ، فهؤلاء أنصحهم لأنفسهم أن يجعلوا الحق فوق كل أحد وأن لا يردوا الحق من أجل أن فلاناً قاله ، أو أن فلاناً رده .

و الثاني : من كان كلامه غيرة منه على الدين وحمية للإسلام وأهله ، فأسأل الله تعالى أن يثيبه على قصده ، وأن يغفر لنا وله وللمسلمين جميعاً .

وأختم كلامي في هذه المقدمة بما قاله ابن الوزير رحمه الله [1]:

"وقد قصدت وجه الله في الذب عن السنن النبوية ، والقواعد الدينية ، وليس يضرني وقوف أهل المعرفة على ما لي من التقصير ، ومعرفتهم أن باعي في هذا الميدان قصير ، لاعترافي بأني لست من نقاد هذا الشأن ، ولا من فرسان هذا الميدان ، لكني لم أجد من الأصحاب من تصدى لجواب هذا (البيان)[2] ، لما يجر ذلك من سوء القالة ، فتصديت لذلك من غير إحسان ولا إعجاب ، ومن عدم الماء تيمم بالتراب ، عالماً بأني لو كنت باري قوسها ونبالها ، وعنترة فوارسها ونزالها ، فلن يخلو كلامي من الخطأ عند الانتقاد ، ولا يصفو جوابي من الكدر عن النقاد ، فالكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو كلام الله الحكيم ، وكلام من شهد بعصمته القرآن الكريم ، وكل كلام بعد ذلك فله خطأ وصواب ، وقشر ولباب .

ولو أن العلماء رضي الله عنهم تركوا الذب عن الحق خوفاً من كلام الخلق ، لكانوا قد أضاعوا كثيراً ، وخافوا حقيراً ، وأكثر ما يخاف الخائف في ذلك : أن يكل حسامه في معترك المناظرة وينبو ، ويعثر جواده في مجال المحاجة ويكبو ، فالأمر في ذلك قريب : إن أخطأ فمن الذي عُصم ؟ وإن خُطِّيء فمن الذي ما وُصم ؟ والقاصد لوجه الله تعالى لا يخاف أن ينقد عليه خلل في كلامه ، ولا يهاب أن يدل على بطلان قوله ، بل يحب الحق من حيث أتاه ، ويقبل الهدى ممن أهداه ، بل المخاشنة بالحق والنصيحة ، أحب إليه من المداهنة على الأقوال القبيحة ، وصديقك من صَدَقَك ،لا من صدّقك ، وفي نوابغ الحكمة: عليك بمن ينذر الإبسال والإبلاس ، وإياك ومن يقول : لا باس ولا تاس " انتهى.

وصلى الله على نبينا محمد .

كتبه

ناصر بن حمد الفهد

الرياض – ربيع الآخر – 1423

---

[1] الروض الباسم : 9/1 ، 10 .

[2] في الروض : الرسالة ، وذكرت البيان لمناسبة المحل .

التعليق على البيان التوضيحي

ظهر بيان توضيحي من بعض الموقعين على بيان المثقفين وفقهم الله ، ولهذا البيان قصة سأذكر بعضها (وأعرض عن البعض الآخر !) :

1- أثناء انشغالي بـ(التنكيل) ، علمت من بعض المشايخ أن بعض الموقعين سيُصدرون تراجعاً ، فحمدت الله على ذلك ، وتوقفت عن الكتابة في (التنكيل) لأكثر من أسبوعين ، بل وشرعت في كتابة مسودة مقال بعنوان (وقفات مع بيان التراجع) ، تكلمت فيه على فضيلة الرجوع إلى الحق ، وبعض ما وقع للعلماء في ذلك ، وشكرت المشايخ على بيانهم ، واعتذرت لهم عن بعض ما جاء في (الطليعة) .

2- فلما صدر البيان وقرأت ما فيه لم أر فيه أي تراجع ، بل هو مجرد (كشف للبس حصل عند القراء) ؛ إذ جعلوا الخطأ من (فهم) القراء ، لا من (البيان) ، ثم سردوا عقيدتهم في البراء من الكفار وفي الجهاد في سبيل الله ، ولم يتعرضوا للأخطاء التي في البيان ، ولم يذكروا موقفهم منها ، ولم يذكروا حرفاً واحداً في الرجوع عنها.

3- وقد كنت أردت أن أناقش هذا البيان في مقدمة هذا الكتاب بعد أن انتهيت منه ، ولكنني وجدت مقالاً نشر في الشبكة بعنوان (لسنا أغبياء بدرجة كافية) في مناقشة هذا البيان فاكتفيت به ، وجعلته ملحقاً بهذا الكتاب .

4- ومع هذا ، فلو كان التراجع واضحاً صريحاً فإنه يبقى أمور توجب الرد على بيان المثقفين منها :

الأول : أن الباقين من طلبة العلم والدعاة الموقعين لم يبينوا موقفهم[1] .

---

[1] وهناك من بين موقفه جزاهم الله خيراً ، ومنهم المشايخ الفضلاء : الشيخ محمد المعيتق ، والشيخ محمد البراك ، والشيخ محمد الوهيبي ، والشيخ خالد المشيقح ، والشيخ إبراهيم الفايز ، حفظهم الله تعالى وسددهم ، ومن هؤلاء من لم يوقع أصلاً ، ومنهم من وقع عبر الهاتف ، ومنهم من كان في المستشفى أثناء التوقيع ، وهناك من تراجع أول الوقت شفوياً ، ثم تراجع عن التراجع !.

والثاني : أن هناك من أصدر ما يؤيد فيه بيان المثقفين أو يدافع عنه ونشره بين المسلمين.

والثالث : أن البيان لا يزال إلى ساعة كتابة هذا الأحرف (في آخر ربيع الأول) منشوراً في موقع (الإسلام اليوم) باللغة الإنجليزية ، ممهوراً بتواقيع من تراجعوا عن البيان وطلبوا حذف أسمائهم !.

والرابع : أن البيان التوضيحي لم ينتشر كبيان المثقفين ، ولم يترجم مثله.

والخامس : أن الصحف والمجلات لا تزال تتكلم عن بيان المثقفين دون نظر إلى غيره .

والسادس: أن هذا البيان سابقة (فكرية) و (تحول منهجي) و (لبنة في أول الطريق) كما يقول العلمانيون والعصرانيون ونحوهم ممن استبشر به حال صدوره بالنظر إلى حال الموقعين من الدعاة وطلبة العلم ونحوهم .

والسابع : أن هذا البيان جاء في وقت شنت فيه حملة (عالمية) يراد من خلالها هدم الولاء والبراء كما سيتضح في الصفحة القادمة إن شاء الله ، فهذا الكتاب الذي بين يديك في حقيقته رد على :

بيان المثقفين ، ومؤتمرات أو مؤامرات (حوار الحضارات) ، ورد على التقريبيين الذين يسعون للتقريب بين الأديان ، وعلى كثير من أطروحات العصرانيين فيما يتعلق بالولاء والبراء والجهاد في سبيل الله ، وغيرها ، أسأل الله تعالى أن ينفع به من كتبه وقرأه.

تمهيد في بيان خطورة هذا البيان وما شاكله

بعد انتهاء ما يسمى بالحرب الباردة وظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي يسيطر عليه العدو الأمريكي ظهر لها الخطر الإسلامي الأصولي كما تزعم ، فأكثروا من الكلام على (الإرهاب الإسلامي) ، و (التطرف) ، و (الجماعات المتشددة) ، ونحو ذلك ، في إشارة إلى المجاهدين المسلمين الذين يجاهدون في أفغانستان وفلسطين والشيشان وكشمير والفلبين وغيرها .

ثم بعد الضربات الموجعة التي تلقتها أمريكا في أحداث 11 سبتمبر زاد خطر (الإرهاب الإسلامي) عليهم ؛ إذ بلغهم في عقر دارهم ، فتبنوا لضرب هذا (الإرهاب) خطتين :

الخطة الأولى :

وهي (قصيرة المدى) : وهي ضرب (الإرهابيين) عسكرياً ، فضربوا الأفغان ، وأطلقوا عباد البقر على الكشميريين ، واليهود على الفلسطينيين ، وذكروا لحملتهم العسكرية الأولى سبعة وعشرين هدفاً كلها لمنظمات وحركات إسلامية وجهادية ، وحصلت اعتقالات (جماعية) في جميع دول العالم لمن يسمونهم بالإرهابيين .

والخطة الثانية :

وهي (طويلة المدى) : وهي إحداث تغيير نفسي وعقلي جذري عند المسلمين من أجل القضاء على عقيدة (كراهية الآخر) وتعني عقيدة (البراء من الكفار) ، والقضاء على عقيدة (الإرهاب) وتعني (الجهاد في سبيل الله) ، ولا يكون هذا إلا بنشر المؤتمرات والندوات والبيانات والمقالات والمحاضرات التي تنادي : بروح السلام ، و المودة ، والتسامح ، والتعايش ، وترك الصدام ومعاداة الآخرين ، والتي يراد من خلالها القضاء على (الولاء والبراء) و (الجهاد) ، ولا يعني هذا أن يأتي (مشايخ من الكونجرس) أو (دعاة من السي آي إيه) أو (وعاظ من الإف بي آي) فيتولون إدارة المحاضرات والندوات والمؤتمرات وكتابة الفتاوى والبيانات ، بل يكون عملهم هذا بتشجيع تيار من يسمونهم بالمنهج الوسطي الذي يقبل التعايش معهم ، وينبذ الجهاد وأهله ، وتمكينهم من (وسائل الإعلام) و (التعليم) ، مع شن

هجمة : إعلامية ، وفكرية ، وتعليمية ، وتربوية ، قوية ولكنها (هادئة) على معاقل التوحيد والكفر بالطاغوت والبراءة من الكفار ومعاداتهم والجهاد في سبيل الله .[1]

لذلك كثرت مؤتمرات (حوار الحضارات)[2] ، وبيانات الاستجداء ، وفتاوى منع الدعاء على اليهود والنصارى ، وندوات محاربة الإرهاب ، وإغلاق المعاهد الدينية ، والكلام على مناهج التعليم ، والجمعيات الإسلامية الخيرية ، هذا فضلاً عن هجمات الصحف والمجلات والقنوات على الجهاد والمجاهدين و (الوهابيين) ، وغير ذلك .

وقد صرّح نائب وزير الدفاع الأمريكي (بول وولفويتز) يوم الخميس 3/25 / 1423 لصحيفة واشنطن تايمز بنحو هذه الخطة حيث قال في معرض حديثه عن حربهم للإسلام السلفي: " إن من أكثر الدول التي يمكن أن تكون أمثلة للدول الإسلامية الحرة والديمقراطية هي : تركيا ، واندونيسيا ، والمغرب" .

وأضاف قائلا : " نروج لذلك النوع من النجاح كحل للإرهاب على المدى البعيد ؛ أما على المدى القريب فمن المهم اعتقال وأسر وقتل الإرهابيين "[3].

---

[1] ومثل هذه الخطط ليست جديدة ، بل هي قديمة تتجدد ، فقد ذكر محمد محمد حسين رحمه الله في (الإسلام والحضارة الغربية) ص 46 نقلاً عن (كرومر) البريطاني أنه لاحظ الاختلاف الشديد بين المسلمين في مصر والمستعمر الغربي في العقائد والقيم والعادات واللغة وغيرها ، وذكر أن هذه الخلافات أوجدت هوّة واسعة تفصل بين الفريقين ، ودعا إلى العمل بمختلف الوسائل على بناء قنطرة فوق هذه الهوة ، وقد اتخذت هذه الوسائل طريقين:

أحدهما : تربية جيل من المصريين العصريين الذين ينشّئون تنشئة خاصة تقرّبهم من الأوربيين ومن الإنجليز على وجه الخصوص ، فأنشئت (كلية فكتوريا) من أجل ذلك .

قال محمد محمد حسين رحمه الله ص 47 : "**أما الوسيلة الأخرى** التي اتخذها الاستعمار لإيجاد هذا التفاهم المفقود وعمل على تنفيذها فهي أبطأ ثماراً من الوسيلة الأولى ، ولكنها أبقى آثاراً ، كما لاحظ اللورد لويد ، وهي تتلخص في تطوير الإسلام نفسه وإعادة تفسيره بحيث يبدو متفقاً مع الحضارة الغربية ، أو قريباً منها وغير متعارض معها على الأقل ، بدل أن يبدو عدواً لها أو معارضاً لقيمها وأساليبها ".

[2] والمؤتمرات هذه في حقيقتها (للتقريب بين الأديان) ، وقد عقد مؤتمر لحوار الحضارات في الرياض في شهر محرم ، وعقد بعده بشهر مؤتمر آخر في البحرين ، وبعده بشهر مؤتمر في دمشق ، وقبله بشهر في قطر وتركيا ، ووضعت لجنة في شهر رمضان عام1422 تابعة للجامعة العربية لحوار الحضارات .

[3] عن موقع مفكرة الإسلام في الشبكة ، وقد ذكر فوكوياما – وهو أحد الموقعين على بيان الأمريكيين – نحو هذا الكلام في التعامل مع ما أسماه بـ(الفاشية الإسلامية) حيث قال في مقابلة مع محمد السطوحي كما نشرته مجلة (الهلال)

=

فـ(بيان المثقفين) ليس معزولاً عن هذه الأمور التي تجري على الساحة ، بل هو يصب – وإن كان بغير قصد – في خدمة الأهداف الأمريكية لضرب عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين .

والمقصود أن (التيار الإسلامي القادم) في العالم الإسلامي كله والمدعوم بـ(قوة) من (الحكومات) هو تيار (الإسلام الأمريكي) الذي يروج للتعايش والسلام والحوار والتسامح وترك (كراهية الآخرين) ، ونبذ الجهاد وأهله ، وسيمكن لهم في (القنوات) و (الصحافة) و (الإعلام) و (الفتاوى) و (المحاضرات) و (التعليم) و غيرها ، وسيروّج لما يسمى بـ(المنهج الوسطي المعتدل) ، في مقابل ضرب التيار السلفي المسمى بـ(الراديكالي) أو (الوهابي) والتضييق عليه في محاولة استئصاله ، والله سبحانه مظهر دينه ولو كره الكافرون.

على موقعها في الشبكة : "هناك أسلوبان للتعامل مع ظاهرة الفاشية الإسلامية : إما على المستوى الفكري ، أو العسكري ، وكلاهما مهم ".

الفصل الأول

مقدمات ضرورية

المقدمة الأولى : الكفر بالطاغوت – ومنه البراءة من الكفار – نصف التوحيد:

المقدمة الثانية : رضا الكفار لن يكون إلا باتباع ملتهم ، والزجر وقع على اتباع أهوائهم في قليل أو كثير:

المقدمة الثالثة : اللين والموعظة الحسنة لا يعني تغيير الشريعة بما يوافق هوى المدعو:

المقدمة الرابعة : أن الكلام بالباطل أعظم من السكوت عن الحق:

المقدمة الخامسة : أن الله سبحانه أكمل الدين وأتم النعمة:

المقدمة السادسة : في ما يجوز بذله للكفار وقت الضعف وما لا يجوز:

المقدمة السابعة : أن الجهاد شرع رحمة للعالمين:

المقدمة الثامنة : أن ترك الجهاد وقت الضعف لا يعني إلغاء التشريع:

المقدمة التاسعة : الصراع بين الحق والباطل واجب شرعاً دائم قدراً :

المقدمة العاشرة : أن الفترة المكية أشق من الفترة المدنية:

المقدمة الحادية عشرة : أن الرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة :

المقدمة الثانية عشرة : أن الحق يقبل ممن أتى به :

المقدمة الثالثة عشرة : أن السابقة والفضل لا يعني ترك الباطل :

المقدمة الرابعة عشرة : أن مسائل الخلاف ينكر فيها:

المقدمة الخامسة عشرة : ذكر اللازم لبيان فساد القول جادة مطروقة :

المقدمة الأولى

الكفر بالطاغوت – ومنه البراءة من الكفار – نصف التوحيد

اعلم أن الكفر بالطاغوت نصف التوحيد ؛ إذ نصفه الآخر الإيمان بالله ، فلا بد من الأمرين للمؤمن ، كما قال تعالى (**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**) ، وقال تعالى (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**) ، وقال تعالى (**والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى**) ، وكما جاء في صحيح مسلم مرفوعاً (**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه**) .

ومن الكفر بالطاغوت البراءة من الكفر وأهله وبغضهم ومعاداتهم ، كما قال تعالى (**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[1]:

" أمر المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم ومن معه حيث أبدوا العداوة والبغضاء لمن أشرك حتى يؤمنوا بالله وحده " .

وقال أيضاً [2]:

" فقد أمرنا الله أن نتأسى بإبراهيم والذين معه إذ تبرءوا من المشركين ومما يعبدونه من دون الله ، وقال الخليل : (**إنني براء مما تعبدون ، إلا الذي فطرني فإنه سيهدين**) ، والبراءة ضد الولاية ، وأصل البراءة البغض ، وأصل الولاية الحب ، وهذا لأن حقيقة التوحيد ألا يحب إلا الله ويحب ما يحبه الله لله فلا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله" .

وقال القرطبي رحمه الله [1]:

---

[1] الفتاوى : 8 / 262 .

[2] الفتاوى : 10 / 465 .

" قوله تعالى (**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم**) لما نهى عز وجل عن موالاة الكفار ذكر قصة إبراهيم عليه السلام وأن من سيرته التبرؤ من الكفار ، أي : فاقتدوا به وأتموا إلا في استغفاره لأبيه.. والآية نص في الأمر بالإقتداء بإبراهيم عليه السلام في فعله ، وذلك يصحح أن شرع من قبلنا شرع لنا فيما أخبر الله رسوله ، (**كفرنا بكم**) أي : بما آمنتم به من الأوثان ، وقيل : أي بأفعالكم وكذبناها وأنكرنا أن تكونوا على حق ، (**وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا**) : أي هذا دأبنا معكم مادمتم على كفركم ، (**حتى تؤمنوا بالله وحده**) فحينئذ تنقلب المعاداة موالاة " .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى :

" يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم (**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه**) أي : وأتباعه الذين آمنوا معه ، (**إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم**) أي : تبرأنا منكم ، (**ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم**) أي : بدينكم وطريقكم ، (**وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا**) يعني : وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا ما دمتم على كفركم فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم ، (**حتى تؤمنوا بالله وحده**) أي : إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد".

و قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [2] :

"أصل الدين وقاعدته أمران :

الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه .

الثاني : النهي عن الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله ".

وقال أيضاً [1]:

---

[1] تفسير القطبي 18 / 56 .

[2] الدرر السنية : 2 / 22 .

"إن الإنسان لا يستقيم له دين – ولو وحد الله وترك الشرك – إلا بعداوة المشركين ، والتصريح لهم بالعداوة والبغض " .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله [2]:

" وأجمع العلماء سلفاً وخلفاً ، من الصحابة ، والتابعين ، والأئمة ، وجميع أهل السنة :

أن المرء لا يكون مسلماً إلا بالتجرد من الشرك الأكبر ، والبراءة منه ، وممن فعله ، وبغضهم ، ومعاداتهم ، بحسب الطاقة والقدرة ، وإخلاص الأعمال كلها لله ".

وقال أيضاً رحمه الله [3]:

" ولهذا الأصل العظيم ، الذي هو ملة إبراهيم : شرع الله جهاد المشركين ، فقال : (**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين**) (التوبة: 36) ، وفي الحديث : " بعثت بالسيف ، بين يدي الساعة ، حتى يعبد الله وحده لا شريك له " ومع هذا حذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من الركون إليهم ، فقال : (**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً**) ، وقال تعالى : (**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار**) الآية ... ولا ريب أن الله تعالى أوجب على عباده المؤمنين ، البراءة من كل مشرك ، وإظهار العداوة لهم ، والبغضاء ، وحرم على المؤمنين موالاتهم ، والركون إليهم".

وقال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد رحمهما الله[4] :

" إن الإسلام لا يستقيم إلا بمعاداة أهل هذا الشرك ؛ فإن لم يعادهم ، فهو منهم ، وإن لم يفعله " .

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى في اجتناب الطاغوت [5]:

---

[1] الدرر السنية : 338/8.

[2] الدرر السنية : 545/11.

[3] الدرر السنية : 266/2 ، 267 .

[4] الدرر السنية : 432/1 .

[5] الدرر السنية : 10 / 502 .

" والمراد من اجتنابه هو : بغضه ، وعداوته بالقلب ، وسبه وتقبيحه باللسان ، وإزالته باليد عند القدرة ، ومفارقته ، فمن ادعى اجتناب الطاغوت ولم يفعل ذلك فما صدق".

وهنا مسألتان مهمتان لا بد من التنبيه عليهما :

المسألة الأولى :

وهي مسألة عداوة الكفار ، فلا بد من التفريق بين ثلاثة أمور :

الأمر الأول :

وجود العداوة :

فهذا لا بد منه للمسلم ، فوجود عداوة الكفر وأهله في قلبه من مقتضيات الإيمان ، فإذا زال وجود هذه العداوة في القلب[1] فلم يبق لها أثر مطلقاً فهذا من (التولي المكفر) وهو ناقض من نواقض الإيمان ، ولا يمكن انتفاء عداوة الكفر وأهله في القلب بالكلية ووجود الإيمان فيه.

الأمر الثاني :

إظهار العداوة :

فهذا من واجبات التوحيد ، وشروط استقامة الإسلام ، فإذا لم تظهر هذه العداوة على الجوارح مع وجود أصلها في القلب فقد تكون كفراً ، وقد تكون من الموالاة الصغرى غير المكفرة (من المعاصي) ، وقد تكون جائزة من باب (التقية) بشروطها ، وكل هذا بحسب حال صاحبها ، ومكانه ، وعذره .

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله [2]:

"ومسألة إظهار العداوة ، غير مسألة وجود العداوة ، فالأول يعذر به مع العجز والخوف ؛ لقوله تعالى (**إلا أن تتقوا منهم تقاة**) ، والثاني لا بد منه ، لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت ، وبينه وبين حب الله ورسوله تلازم كلي ، لا ينفك عنه المؤمن ، فمن عصى الله بترك إظهار العداوة ، فهو عاصٍ لله ، فإذا كان أصل العداوة في قلبه فله حكم أمثاله من العصاة ...وأما

---

[1] المقصود أصل العداوة ، وإلا فالعداوة قوة وضعفاً تتفاوت بين شخص وآخر ، بحسب الإيمان واليقين ومعرفة التوحيد .

[2] الدرر : 8 / 359 .

الثاني : الذي لا يوجد في قلبه شيء من العداوة فيصدق عليه قول السائل : لم يعاد المشركين ، فهذا هو الأمر العظيم ، والذنب الجسيم ، وأي خير يبقى مع عدم عداوة المشركين؟".

وقال أخوه الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن رحمه الله [1] :

"ولا يكفي بغضهم بالقلب ، بل لا بد من إظهار العداوة والبغضاء ، قال تعالى (**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**) ، فانظر إلى هذا البيان الذي ليس بعده بيان ، حيث قال : (**بدا بيننا**) أي ظهر، هذا هو إظهار الدين ، فلا بد من التصريح بالعداوة وتكفيرهم جهاراً والمفارقة بالبدن ، ومعنى العداوة : أن تكون في عَدْوَة ، والضدّ في عَدْوَة أخرى ، كان[2] أصل البراءة المقاطعة بالقلب واللسان والبدن ، وقلب المؤمن لا يخلو من عداوة الكافر ، وإنما النزاع في إظهار العداوة ؛ فإنها قد تخفى لسببٍ شرعي ، وهو الإكراه مع الاطمئنان ، وقد تخفى العداوة من مستضعف معذور عذره القرآن ، وقد تخفى لغرض دنيوي ، وهو الغالب على أكثر الخلق".

الأمر الثالث :

إلغاء العداوة :

والمقصود بهذا : تشريع (مودة الكفار) وتسويغها ، وإلغاء (عداوتهم) و (بغضهم) مطلقاً ، فهذا كفر وردة عن الإسلام ، بل هو أعظم من انتفاء أصل العداء والبغض في القلب ، لأن ذاك كفر لازم ، وهذا كفر متعدي ، مغير لشرع الله ، مناقض للنصوص المتواترة ، هادم للكفر بالطاغوت .

المسألة الثانية :

وهي في كيفية إظهار عداوة الكفار :

و يكون باتباع ما ورد في الكتاب والسنة في هذا ، ومن ذلك :

---

[1] الدرر : 8 / 305 .

[2] كذا في الأصل ، ولعل الصواب : كما أن .

ما إذا كان الكافر حربياً فإظهار عداوته بجهاده عند القدرة باللسان واليد والمال حتى يكون الدين كله لله ، فيدخل في الإسلام ، أو يلتزم بأحكام الإسلام والصغار ، أو يقتل غير مأسوف عليه .

وإن كان الكافر غير حربي : ذمي أو معاهد أو مستأمن : فإظهار عداوتهم باتباع ما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم في معاملتهم ، من عدم بدئهم بالسلام ، وترك تصديرهم في المجالس ، وترك التوسيع لهم في الطرق ، وعدم استعمالهم في أمور المسلمين ، وأن يلزموا بالصغار ، ومخالفة المسلمين في زيهم ، وركوبهم ، وغير هذا من الأمور المعروفة عند أهل العلم .

مع التزام المخالفة التامة للجميع في الهدي والزي ونحو ذلك مما سيأتي إن شاء الله في الفصل الرابع ، وفعل هذه الأمور كلها لا ينافي دعوتهم إلى الإسلام باللين والموعظة الحسنة ، فيدعوهم بذلك وقد أجرى عليهم أحكام الإسلام هذه ، كما أن قتال الكفار لا ينافي دعوتهم أيضاً ؛ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأمر قواده بعرض الإسلام على من يقاتلون من المشركين قبل بدئهم بالقتال .

المقدمة الثانية

رضا الكفار لن يحصل إلا باتباع ملتهم ، والزجر وقع في اتباع أهوائهم في قليل أو كثير

لقد ذكر الله سبحانه – ومن أصدق من الله قيلاً – أن اليهود والنصارى لن ترضى عن المسلمين إلا إذا اتبعوا ملتهم ودخلوا في دينهم ، وإن كانوا قد يفرحون بمداهنتهم واسترضائهم طمعاً فيما وراءه .

ومع ذلك : فقد رتب الله سبحانه الوعيد على مجرد اتباع أهوائهم فقط ولو لم يتبع ملتهم ، فقال تعالى (**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير**) ، وقال تعالى في الآية الأخرى (**ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين)** .

فهم لا يرضون إلا باتباع (الملة) ، والله سبحانه توعد على مجرد اتباع (الهوى) ، وكل هذا لتأكيد المفاصلة بين المسلمين والكفار :

يقول ابن جرير رحمه الله تعالى [1]:

"وليست اليهود – يا محمد – ولا النصارى براضية عنك أبداً ، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم ، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق ؛ فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم" .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى [2]:

" أخبر سبحانه أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا ، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغياً من بعضهم على بعض ، ثم جعل محمداً صلى الله عليه وسلم على شريعة شرعها

---

[1] تفسير ابن جرير : 565/1 .

[2] اقتضاء الصراط المستقيم : 85/1- 87 .

له ، وأمره باتباعها ، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون ، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته .

وأهواءهم : هو ما يهوونه ؛ وما عليه المشركون من هديهم الظاهر ، الذي هو من موجبات دينهم الباطل ، وتوابع ذلك فهم يهوونه ، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه ، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم ، ويسرون به ويودون أن لو بذلوا مالاً عظيماً ليحصل ذلك . ولو فرض أن ليس الفعل من اتباع أهوائهم فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم في أهوائهم وأعون على حصول مرضاة الله في تركها ، وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره ، فإن من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه ، وأي الأمرين كان حصل المقصود في الجملة وإن كان الأول أظهر... وقد قال : (**ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم**) ومتابعتهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم اتباع لأهوائهم ، بل يحصل اتباع أهوائهم بما هو دون ذلك. ومن هذا أيضا قوله تعالى (**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير**) .

فانظر كيف قال في الخبر (**ملتهم**) ، وفي النهي (**أهواءهم**) ؛ لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً ، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير ، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه أو مظنة لمتابعتهم فيما يهوونه كما تقدم" .

المقدمة الثالثة

اللين والموعظة الحسنة لا يعني تغيير الشريعة بما يوافق هوى المدعو

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فقال تعالى (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**) .

وتفسير هذه الآية ونحوها من الآيات إنما يعلم بطريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة ، فهو الذي أنزلت إليه ، وهو أحرص الناس على طاعة ربه ، وأحرصهم على هداية الخلق ، وهو الذي أمر المسلمون بالإقتداء به .

يقول ابن جرير رحمه الله تعالى[1]:

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (**ادع**) يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته ، (**إلى سبيل ربك**) يقول : إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه ، وهو الإسلام ، (**بالحكمة**) يقول : بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي ينزله عليك ، (**والموعظة الحسنة**) يقول : وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه ، وذكرهم بها في تنزيله ، كالتي عدّد عليهم في هذه السورة من حججه ، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه ، (**وجادلهم بالتي هي أحسن**) يقول : وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى ، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك".

وليس معنى الدعوة بالحسنى أن تحُرّف الشريعة أو تُغيّر على ما يوافق هوى المدعو ، فإن هذا من الكذب على الله تعالى ، بل المراد من ذلك تبليغ شريعة الله سبحانه كما جاءت وعرضها بالحكمة والرفق ، على درجات تبدأ بالحكمة وتنتهي بالسيف كما ذكرها أهل العلم ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يذهب إلى أندية المشركين ومجامعهم ويدعوهم إلى الإسلام كما شرع ، ويعرضه كما نزل ، ولا يغير شريعة الله ، ولا بعضها ، ولا يحرف شيئاً مما

---

[1] تفسير ابن جرير : 663/7 .

نزل إليه من أجل إرضاء أحد ممن يدعوهم ، بل هو مبلغ عن ربه ، يؤدي ما أمره الله تعالى به ، كما قال تعالى (**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**) ، وكما في قوله تعالى (**فاصدع بما تؤمر**) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى [1]:

"ومما جاء به الرسول أمر الله له بالبلاغ المبين كما قال تعالى (**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**) ، وقال تعالى (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**) ، وقال تعالى (**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**) ، ومعلوم أنه قد بلغ الرسالة كما أمر ، ولم يكتم منها شيئاً ، فإن كتمان ما أنزله الله إليه يناقض موجب الرسالة ، كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة ، ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة ، كما أنه معصوم من الكذب فيها ، والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله وبين ما أنزل إليه من ربه".

بل قد قال الله سبحانه عن نبيه صلى الله عليه وسلم (**ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين**) :

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى على هذه الآية [2]:

" ليبين سبحانه أنه ينتقم ممن يكذب في الرسالة كائناً من كان وأنه لو قُدّر أنه غير الرسالة لانتقم منه".

وكما أن الرسول صلى الله عليه وسلم مأمور بالتبليغ عن ربه ، فإن المسلم مأمور بالتبليغ عن الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً كما قال صلى الله عليه وسلم (**بلغوا عني ولو آية**) ، وقال (**رحم الله من سمع مني حديثا فأداه كما سمعه**) .

ومن الدعوة باللين ما جاء في قوله تعالى عن موسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون (**فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى**) ، وهذا القول اللين هو دعوتهما لفرعون إلى التوحيد وترك الكفر ؛ باللين والرفق ، وليس معناه قول بعض ما يهوى فرعون !! ، وقد قص الله

---

[1] الفتاوى : 5 / 155 .

[2] الاستغاثة 2/ 464 .

سبحانه دعوة موسى لفرعون ومجادلته إياه في القرآن في مواضع كثيرة ، وبالنظر إليها نعرف المقصود من (اللين) المطلوب في الدعوة ؛ فانظر مثلاً إلى الآيات التي في سورة طه – بعد أمر الله سبحانه لهم بأن يقولا له قولاً ليناً – :

قال تعالى (**فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ، إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ، قال من ربكما يا موسى ، قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، قال فما بال القرون الأولى**) الآيات .

فلم يكن ثمّ تنازل أو إرضاء لفرعون في دعوته بـ(اللين) ، بل هي دعوة إلى التوحيد ، وتحذير من الشرك ، وبيان ما أعده الله سبحانه للمشركين من عذاب ، كما أوحى الله إليهم ، بلا تغيير أو تبديل.

المقدمة الرابعة

أن الكلام بالباطل أعظم من السكوت عن الحق

اعلم أن السكوت عن بيان بعض الحق ، أو كتمانه بدون إظهار الباطل ، أو مع إظهار الباطل ، على أربع مراتب :

المرتبة الأولى :

أن يكون ترك بيان بعض الحق بقصد التدرج في الدعوة أو التعليم ، لا بقصد الكتمان ، فهذا جائز ، بل هو الذي عليه العمل ولا يمكن غيره ؛ إذ لا يمكن أن يتعلم أحد جميع أمور الدين مرة واحدة ، بل لا بد من التدريج ، فيعلم أصول الإسلام شيئاً فشيئاً ، سواء كان المتعلم من الكفار الذين يدعون إلى الإسلام ، أو من المسلمين الذين يتعلمون أمور الدين ، ويدل عليه ما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال : (إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم) .

ويدل عليه أيضاً سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم أصحابه ، وتلقين من أسلم أصول الإسلام ، وتدرجه معهم في ذلك ، ويدل عليه تواتر عمل أهل العلم على ذلك إلى هذا الوقت .

المرتبة الثانية :

أن يكون ترك بيان بعض الحق على سبيل الكتمان للمصلحة وخوف الفتنة ، فهذا يجوز إذا كان العلم به مما لا يتوقف عليه عمل ولا يحتاجه الناس في عباداتهم وأعمالهم ، كأخبار الفتن أو فضائل الأعمال ونحوها مما لا يترتب على الجهل بها فساد في الدين .

ويدل عليه ما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : (حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى [1]:

"وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه ولا يصرح به خوفاً على نفسه منهم ، كقوله (أعوذ بالله من رأس الستين) يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية ؛ لأنها كانت سنة ستين من الهجرة ، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها".

وقال مكحول رحمه الله : كان أبو هريرة يقول : رب كيس عند أبي هريرة لم يفتحه ، قال الذهبي رحمه الله تعالى في الكلام على هذا [2]:

" قلت : هذا دال على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنة في الأصول أو الفروع ، أو المدح والذم ، أما حديث يتعلق بحل أو حرام فلا يحل كتمانه بوجه ؛ فإنه من البينات والهدى ، وفي صحيح البخاري قول الإمام علي رضي الله عنه : (حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله) ، وكذا لو بث أبو هريرة ذلك الوعاء لأوذي بل لقتل".

وكما قال تعالى (**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يعلنهم الله ويلعنهم اللاعنون**) .

فمفهوم هذه الآية يدل على أن ما كان من العلم ليس كذلك – أي ليس من البينات والهدى – فإنه يجوز كتمانه بحسب المصلحة .

يقول القرطبي رحمه الله تعالى على هذه الآية [3]:

"لما قال (**من البينات والهدى**) دل على أن ما كان من غير ذلك جائز كتمه ، لاسيما إن كان مع ذلك خوف فإن ذلك آكد في الكتمان ، وقد ترك أبو هريرة ذلك حين خاف فقال : (حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم) أخرجه البخاري ، قال أبو عبد الله : البلعوم مجرى الطعام ، قال

---

[1] الفتح : 1 / 216 .

[2] السير : 597/2 .

[3] تفسير القرطبي : 2 / 184-186 .

علماؤنا : وهذا الذي لم يبثه أبو هريرة وخاف على نفسه فيه الفتنة أو القتل إنما هو مما يتعلق بأمر الفتن ، والنص على أعيان المرتدين والمنافقين ، ونحو هذا مما لا يتعلق بالبينات والهدى والله تعالى أعلم".

ويقول الشاطبي رحمه الله تعالى [1]:

" ومن هذا يعلم أنه ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره وإن كان من علم الشريعة ومما يفيد علماً بالأحكام ، بل ذلك ينقسم ؛ فمنه ما هو مطلوب النشر : وهو غالب علم الشريعة ، ومنه ما لا يطلب نشره بإطلاق ، أو لا يطلب نشره بالنسبة إلى حالٍ أو وقتٍ أو شخصٍ- ثم ذكر أمثلة مع الأدلة وقال – إلى غير ذلك مما يدل على أنه ليس كل علم يبث وينشر وإن كان حقاً ، وقد أخبر مالك عن نفسه أن عنده أحاديث وعلماً ما تكلم فيها ولا حدث بها ، وكان يكره الكلام فيما ليس تحته عمل ، وأخبر عمن تقدمه أنهم كانوا يكرهون ذلك ، فتنبه لهذا المعنى" .

المرتبة الثالثة :

أن يكتم الحق الواجب إظهاره وبيانه ، ولكنه لا يظهر بدلاً منه الباطل ، فهذا محرم ، ومتوعد عليه ، وقد يكون كفراً في حالات ، وكبيرة من كبائر الذنوب في حالات أخرى ، و توعد الله من كتمه أشد الوعيد ، كما في الحديث (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة) .

وكما قال تعالى (**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يعلنهم الله ويلعنهم اللاعنون**) .

وفي هذه الآية دليل على ما لا يجوز كتمانه من العلم ، وما يجوز ، من جهة المنطوق والمفهوم :

فترتيبه سبحانه الوعيد على الذين (**يكتمون ما أنزل من البينات والهدى**) يدل على أن أصول الدين وما أنزله الله من الهدى وما يحتاجه الناس لا يجوز كتمانه بحال من الأحوال وهو المتوعد عليه .

---

[1] الموافقات : 5 / 167 – 172 .

ويدل مفهوم هذه الآية على أن ما كان من العلم ليس كذلك فإنه يجوز كتمانه بحسب المصلحة كما سبق في المرتبة الثانية.

يقول القرطبي رحمه الله [1]:

" فهي عامة في كل من كتم علماً من دين الله يحتاج إلى بثه وذلك مفسر في قوله صلى الله عليه وسلم (من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) ".

ويستثنى في مثل هذا حالة الاستضعاف التي يعذر فيها ، فلا يقدر على إظهار الحق ، كأن يكون بين ظهراني الكفار ، ولا يقدر على بيان الحق ، ولا على الهجرة ، فهو من المستضعفين الذين عذرهم الله سبحانه ، كمؤمن آل فرعون في قوله تعالى (**وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه**) ، وكامرأة فرعون ، والنجاشي ، والمستضعفين من المسلمين الذين لم يهاجروا كما في قوله تعالى (**إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا**) .

المرتبة الرابعة :

أن يضيف إلى كتمان الحق إظهار الباطل ، فهذا أشد من الذي قبله ، لأن الذي قبله كتم للحق بدون إظهار باطل ، وهذا جمع بين الأمرين ، وإذا كانت المسألة في أصول الدين فإنها تؤدي إلى الردة ، ولا يباح مثل هذا الشيء إلا في الحالة التي يباح فيها الكفر كالإكراه .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى [2]:

"فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه ، ولكن إن أمكنه بلسانه ، وإلا فبقلبه ، مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه ؛ إما أن يظهر دينه ، وإما أن يكتمه ، وهو مع هذا لا يوافقهم على دينهم كله ، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون وامرأة فرعون ، وهو لم يكن موافقا لهم على جميع دينهم ، ولا كان يكذب ، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، بل كان يكتم إيمانه ، وكتمان الدين شيء ،

---

[1] تفسير القرطبي : 2 / 184- 186 .

[2] منهاج السنة : 6 / 424 – 425 .

وإظهار الدين الباطل شيء آخر ، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره ؛ بحيث أبيح له النطق بكلمة الكفر ، والله تعالى قد فرق بين المنافق والمكره ، والرافضة حالهم من جنس حال المنافقين لا من جنس حال المكره الذي أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ؛ فإن هذا الإكراه لا يكون عاما من جمهور بني آدم ، بل المسلم يكون أسيرا أو منفردا في بلاد الكفر ولا أحد يكرهه على كلمه الكفر ، ولا يقولها ، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، وقد يحتاج إلى أن يلين لناس من الكفار ليظنوه منهم ، وهو مع هذا لا يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، بل يكتم ما في قلبه ، وفرق بين الكذب ، وبين الكتمان ، فكتمان ما في النفس يستعمله المؤمن حيث يعذره الله في الإظهار كمؤمن آل فرعون ، وأما الذي يتكلم بالكفر فلا يعذره إلا إذا أكره " .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى [1]:

" إن المحرمات قسمان :

أحدهما : ما يقطع بأن الشرع لم يبح منه شيئاً ؛ لا لضرورة ولا لغير ضرورة : كالشرك ، والفواحش ، والقول على الله بغير علم ، والظلم المحض : وهي الأربعة المذكورة في قوله تعالى : (**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**) .

فهذه الأشياء محرمة في جميع الشرائع ، وبتحريمها بعث الله جميع الرسل ، ولم يبح منها شيئاً قط ، ولا في حال من الأحوال ؛ ولهذا أنزلت في هذه السورة المكية ونفي التحريم عما سواها" .

---

[1] الفتاوى : 14 / 471 .

المقدمة الخامسة

أن الله سبحانه أكمل الدين وأتم النعمة

فإن الله سبحانه وتعالى قال : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) .

قال ابن كثير رحمه الله [1]:

"هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة ، حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ؛ ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف ، كما قال تعالى (**وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا**) أي : صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الأوامر والنواهي ، فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ؛ ولهذا قال تعالى (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) أي : فارضوه أنتم لأنفسكم ؛ فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه ، وبعث به أفضل الرسل الكرام ، وأنزل به أشرف كتبه ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : قوله (**اليوم أكملت لكم دينكم**) وهو الإسلام أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً ، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً ، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً" .

فالدين هو ما توفي عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقد كمل ، وسار عليه أصحابه رضوان الله عليهم ، لا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا شرع إلا ما جاء به ، فمن زاد فيه أو نقص أو حرّف فقد افترى على الله الكذب .

والمقصود :

أن هناك طائفة خرجت في هذا الزمان ابتليت بهزيمة نفسية أمام الكفار ، فصارت تحرف النصوص وتزيد في الشرع أو تنقص منه أو تغير فيه بحجة (تحسين صورة الإسلام في عيون

---

[1] تفسير ابن كثير : 2 / 13 .

الكفار) ، كإنكار الجهاد ، أو أحكام أهل الذمة ، أو معاداة وبغض الكفار وأحكام الردة ، أو بعض أحكام النساء ، أو يزعمون أن (الاشتراكية) أو (الديمقراطية) و نحوها جاء بها الإسلام ، ونحو هذه الأمور ، وهذا باطل ، بل قد يؤدي إلى الكفر من جهتين :

الجهة الأولى : من جهة التشريع في الدين ما لم يأذن به الله[1] ، والكذب على الله تعالى إن كان من باب الزيادة ، أو جحد المعلوم من الدين بالضرورة إن كان من باب النقص.

والجهة الثانية : من جهة القدح بالله سبحانه وتعالى ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لم يكمل الدين ، ولم يتم النعمة ، حتى احتاج إلى (زيادة في التحسين) !.

قال الإمام مالك رحمه الله : " من ابتدع بدعة في الدين يراها حسنة ، فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ؛ لأن الله يقول (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) ، وما لم يكن يومئذ دينا فليس اليوم دينا".

و(تحسين صورة الإسلام) قد يراد بها أحد أمرين :

الأول : عرض دين الإسلام كما جاء ، من غير تحريف ، ولا زيادة ، ولا نقصان ، بصورة قد يراها أحسن عند المدعو ؛ كأن يفيض في الدعوة بذكر صلة العبد بربه في الصلاة والذكر والدعاء ، أو يذكر بعض الجوانب الاجتماعية من دين الإسلام كبر الوالدين وصلة الأقارب والقيام بحقوق الجيران وتواد المسلمين وتراحمهم ونحو ذلك ، بحيث يتكلم بحق ، ولكنه لا يأتي بباطل ، كإنكار قتال الكفار مثلاً ، أو أحكام أهل الذمة ، أو عقيدة الولاء والبراء ، ونحو ذلك ، ومنه أيضاً أن يقول عن الجهاد: إنه شرع رحمة للعالمين ورغبة في هدايتهم لينقذهم من الكفر وينقلهم إلى سعادة الدنيا والآخرة ، فمثل هذا يجوز وهو الذي يستدل عليه بقوله تعالى (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**) ، فإن من الكفار من تستهويه الروحانيات ، ومنهم من تستهويه الجوانب الاجتماعية ، ونحو

---

[1] وهنا فرق بين المبتدع وبين من يريد (تحسين صورة الإسلام) ؛ فإن المبتدع له شبه من الكتاب أو السنة يحتج بها ، ولا يريد من وراء ذلك إكمال الدين ، أما أصحاب (تحسين صورة الإسلام) فإنهم يقرون بأن هذا جاء به الإسلام ، ولكن (ضرورة تحسين صورة الإسلام) تجعلهم إما ينكرونها أو يعدلون فيها فيزيدون أو ينقصون!!.

هذا ، فيدعى كل بحسبه ، بصورة تحببه إلى دين الإسلام ، من غير تغيير في الشرع أو زيادة أو نقصان .

الثاني : أن يغيّر في الشرع ، فيزاد فيه كالديمقراطية أو الاشتراكية ، أو ينقص كالبراء من الكفار أو أحكام أهل الذمة أو أحكام النساء أو الحدود ، بحجة تحبيب الكفار في دين الإسلام ، فهذا هو الباطل الذي تكلمنا عليه آنفاً .

واعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده أصحابه هدى الله على أيديهم أمماً لا يحصيهم إلا هو من الفرس والروم والقبط وغيرهم بدون تحريف للشرع أو افتراء على الله ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

وهنا مسألة قد ترد :

وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ورد عنه أنه قبل إسلام بعض الكفار على شرط ترك بعض الشرائع .

والجواب عن ذلك : أن قبول الشرط الفاسد إذا اشترطه الكافر ليسلم شيء ، وعرض الإسلام على ذلك الشرع الفاسد شيء آخر ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما عرض الإسلام كما نزل عليه ، ولم ينقص منه ، ولم يغير فيه من أجل أن يقبل به المشركون ، ولأن المشركين عرفوا الإسلام كما جاء اشترطوا هذا الشرط ، وأما قبوله لإيمان بعضهم على شرط فاسد فهو من باب آخر غير ما نحن فيه ، قال ابن رجب رحمه الله [1]:

" قد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل من قوم الإسلام واشترطوا أن لا يزكوا ، ففي مسند الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال : اشترطت ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (سيصّدقون ويجاهدون) ، وفيه أيضاً عن نصر بن عاصم الليثي عن رجل منهم أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم على أن لا يصلي إلا صلاتين ، فقبل منه .

---

[1] جامع العلوم والحكم : 1 / 228 ، 229 ، وقد بوّب المجد ابن تيمية على ذلك في منتقى الأخبار فقال : باب صحة الإسلام مع الشرط الفاسد ، وروى فيه عدداً من الأحاديث منها الأحاديث التي ذكرها ابن رجب رحمه الله ، وانظر كلام الشوكاني رحمه الله فيها (نيل الأوطار) 8 / 12 وما بعدها .

وأخذ الإمام أحمد بهذه الأحاديث ، وقال : يصح الإسلام على الشرط الفاسد ، ثم يلزم بشرائع الإسلام كلها . واستدل أيضاً بأن حكيم بن حزام قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا أخر إلا قائماً ، قال أحمد : معناه أن يسجد من غير ركوع".

والمقصود هنا أن هذا باب آخر غير الذي نحن فيه ، فمسألتنا في عرض الإسلام كما جاء من غير تحريف فيه ولا تغيير ، وهذه مسألة قبول إسلام الكافر على شرط فاسد .

المقدمة السادسة

في ما يجوز بذله للكفار في وقت الضعف وما لا يجوز

اعلم أنه يجوز للمسلمين[1] حال ضعفهم من التصرف مع الكفار إذا تسلطوا عليهم لكف شرهم ما لا يجوز لهم حال قوتهم ، والمقصود هنا حال الضعف لا حال الإكراه[2] ، إلا أن هذا التصرف مضبوط بالشرع وليس تصرفاً مطلقاً .

فينقسم هذا التصرف إلى قسمين :

القسم الأول :

ما لا يجوز بذله للكفار مطلقاً :

وهو كل ما يتعلق بأمور الشريعة وأصول الدين مما يكون حكم فعله أو حكم تركه كفراً ، كالذي يتعلق بأصول الدين من توحيد ، أو كفر بالطاغوت ، أو براءة من الكفار ، أو ما

---

[1] وكلامنا هنا على المسلمين المتميزين عن الكفار ببلادهم ، أما المسلمون الذين يقيمون بين ظهراني الكفار ولا يقدرون على الهجرة ولا على إظهار دينهم فلهم حكم آخر من جواز التقية بكتمان دينهم عند الخوف من الكافرين ، ولكن لا يجوز لهم إظهار الباطل من موافقة الكفار على كفرهم إلا في حالة الإكراه ، وقد تقدم الكلام على هذا في المقدمة الرابعة .

[2] ومسألة الإكراه مسألة طويلة لها ذيول ، فهناك مسائل تحتاج إلى بحث موسع وتأصيل ، منها :

الفرق بين حالة الإكراه الفردي ، والإكراه الجماعي : كإكراه أهل بلد مثلاً على الكفر ، فإن هؤلاء ليس لهم رخصة في الامتثال ؛ للإجماع المنعقد بأن العدو إذا داهم بلداً فإنه يجب عليهم مدافعته ولا يكون ذلك إلا بقتالهم له ، وأشد حالات الإكراه هو القتل ، فإذا كانت مدافعة الكفار عن البلد تجب بالإجماع ، فوجوب مدافعته عن الدين من باب أولى ، ولأن الرخصة في مثل هذا يؤدي إلى الردة الجماعية وتغيير الدين ؛ وقد قال تعالى (**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**) ، ولم يرخص في الكفر لاجتناب القتال من ذوي الشوكة .

وكذلك الفرق بين حالة الإكراه الآني الوقتي الذي يزول ، والإكراه الدائم : فإن الإكراه الدائم يؤدي إلى زوال الدين بالكلية ، ولا شك أن عدم الرخصة في ذلك متجه، وقد أفتى بعض أهل العلم كالإمام أحمد بأن الأسير الذي في يد العدو لا يرخص له بالكفر إذا أكره لهذا الملحظ .

وكذلك مسألة ما يقع به الإكراه المبيح للكفر ، وما لا يقع .

وهذه المسائل تحتاج إلى مزيد بحث وتحرير .

يتعلق بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة أو الجهاد ونحو ذلك[1] ، فلا يجوز بذل شيء من هذا إلا في حال الإكراه[2] .

والقاعدة في هذا : أن ما لا يبيحه إلا الإكراه فلا يجوز بذله في وقت الضعف مطلقاً .

لأن هذه الأمور كفر وردة عن دين الإسلام ، وما كان كذلك فلا مبيح له إلا في الحالة التي يجوز فيها الكفر ، وهو الإكراه.

والدليل على هذا سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه في (مكة) فإنهم كانوا في حالة ضعف شديد ، وقد تسلط عليهم الكفار ، فأرهقوهم بالقتل والحبس والتشريد والتعذيب وغير ذلك مما هو معلوم مشهور ، ومع هذا كله لم يتنازل المسلمون عن شيء من عقائدهم وشرائعهم ، ولم يبح لهم ذلك ، ولو فعلوا لكفوا شر كفار مكة عنهم ، بل نزل قوله تعالى (**فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون**) في تلك الفترة ، فنهاه عن مجرد الادهان ومصانعة الكفار – وهو بالكلام في الغالب – ، وسيأتي مزيد تفصيل من هذا في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى.

القسم الثاني :

ما يجوز بذله :

وهو ما دون ذلك من أمور الدنيا ونحوها ، كبذل مالٍ أو ثمرٍ ونحوه للكفار لكف شرهم عن المسلمين ، كما ورد في السيرة في قصة الخندق لما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن و إلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهم ، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك ، فلما

---

[1] ومن ذلك التزام تشريع طاغوتي : يحرم ما أحل الله ، أو يحل ما حرم الله ، أو يبدل شرع الله ، ولو كان فعله مجرداً عن التزام التشريع ليس كفراً ، ومنه الامتناع عن شيء من شرائع الإسلام الظاهرة ، وهو المقصود بقولي : ما يتعلق بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والجهاد ، ولذا يجب التفريق بين ترك الجهاد في وقت الضعف لعدم القدرة مع الإقرار بمشروعيته فهذا جائز ، وبين إلغائه أو التزام تشريع يحرمه فهذا كفر ، ويجب التفريق بين ترك الزكاة بخلاً بها فهذه كبيرة عند الجمهور ، وبين تركها التزاماً بتشريع طاغوتي فهذا كفر .

[2] وهذا الإكراه بالنسبة للفرد ، أما الأمة فلا ، كما سبق في الحاشية الثانية من الصفحة السابقة.

أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر لهما واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله ، أمراً تحبه فنصنعه؟ ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به؟ ، أم شيئاً تصنعه لنا؟ ، قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم ، فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، أ فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟! والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك ، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا[1] .

قال أبو عبيد رحمه الله [2]:

"لو خاف من العدو استعلاء فاحتاج إلى أن يتقيهم بمالٍ يدرؤهم به عن المسلمين فعل ذلك ،كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب".

ويدخل في هذا أيضاً :

ما كان من أمور الدين إلا أن تركه لا يحتوي على مفسدة ، مثل ما ورد في الصحيحين من قصة الحديبية وفيه أن سهيل بن عمرو جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : هات ، أكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم . قال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم . ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك

---

[1] على أن من الفقهاء من لا يجيز الصلح ببذل مال للكفار !! ولعلهم لا يصححون هذه القصة لورودها بسند مرسل ، قال في المغني 9 / 239 : " وأما إن صالحهم على مال نبذله لهم , فقد أطلق أحمد القول بالمنع منه , وهو مذهب الشافعي ; لأن فيه صغاراً للمسلمين " .

[2] الأموال : ص 176.

عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : والله إني لرسول الله وإن كذبتموني ، اكتب محمد بن عبد الله .

فإن ترك الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض البسملة ، ووصف الرسالة ، ليس فيه مفسدة شرعاً ، وليس هناك دليل على وجوب كتابة هذه الأمور ، أو تحريم تركها ، وكذلك فهو لم يضع بدلاً منها باطلاً ، قال النووي رحمه الله تعالى على هذا الحديث [1]:

" قال العلماء : وافقهم النبي صلى الله عليه وسلم في ترك كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) وأنه كتب (باسمك اللهم) ، وكذا وافقهم في (محمد بن عبد الله) وترك كتابة (رسول الله) صلى الله عليه وسلم ، وكذا وافقهم في رد من جاء منهم إلينا دون من ذهب منا إليهم ، وإنما وافقهم في هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح ، مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور ، أما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد ، وكذا قوله : محمد بن عبد الله هو أيضا : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس في ترك وصف الله سبحانه وتعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك ، ولا في ترك وصفه أيضاً صلى الله عليه وسلم هنا بالرسالة ما ينفيها ، فلا مفسدة فيما طلبوه .

وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك ، وأما شرط رد من جاء منهم ومنع من ذهب إليهم فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الحكمة فيهم في هذا الحديث بقوله (من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا)[2] ، ثم كان كما قال صلى الله عليه وسلم ؛ فجعل الله للذين جاءونا منهم وردهم إليهم فرجا ومخرجا ولله الحمد ، وهذا من المعجزات ".

---

[1] شرح النووي لصحيح مسلم : 12 / 139 ، 140 .

[2] انظر الكلام على هذا الشرط بالتفصيل – إن شئت – في الجواب على الشبهة الثانية من الفصل الثالث من كتاب (التبيان في كفر من أعان الأمريكان).

المقدمة السابعة

أن الجهاد شرع رحمة للعالمين

اعلم أن الله سبحانه فرض الجهاد في سبيله على هذه الأمة ، فورد في القرآن أكثر من مائة آية عن هذا الأمر ، وتواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، بالإضافة إلى ما اشتهر من سيرته ومغازيه وسراياه ، وسيرة أصحابه من بعده ، وتواتر عليه عمل المسلمين في تاريخهم ، وتناقله العلماء في كتبهم .

قال الشوكاني رحمه الله [1]:

"أما غزو الكفار ، ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام ، أو تسليم الجزية ، أو القتل ، فهو معلوم من الضرورة الدينية ، ولأجله بعث الله رسله ، وأنزل كتبه ، وما زال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ بعثه الله سبحانه إلى أن قبضه إليه جاعلاً لهذا الأمر من أعظم مقاصده ، ومن أهم شئونه ، وأدلة الكتاب والسنة في هذا لا يتسع لها المقام ، ولا لبعضها ، وما ورد في موادعتهم أو تركهم إذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ بإجماع المسلمين".

وليس المقصود هنا استقصاء الأدلة على هذا ، ولا ذكر شيء منها ، بل المقصود منها بيان أن الجهاد إنما شرع رحمة للعالمين ؛ فإن الله سبحانه من رحمته بخلقه شرع الجهاد ليخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، فيحصل لهم بهذا خير الدنيا والآخرة ، كما ورد في المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل) ، وفيه عن أبي هريرة في قوله تعالى (**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) قال : (خير الناس للناس ، يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام) .

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة في مكة بدون قتال ، فما آمن معه إلا قليل ، فلما هاجر إلى المدينة وشرع الجهاد لم يمض عشر سنوات إلا وقد دخل الناس في دين الله أفواجاً ، وفي هذا يقول الشاعر :

---

[1] السيل الجرار : 518/4 ، 519.

دعا المصطفى دهراً بمكة لم يجب *** وقد لان منه جانب وخطاب

فلما دعا والسيف صلت بكفه *** له أسلموا واستسلموا وأنابوا

ثم حمل الراية من بعده أصحابه رضوان الله عليهم فجاهدوا في الله حق جهاده ، ولم يمض القرن الأول – ولا يزال جيل الصحابة لما ينقرض – إلا وراية الإسلام ترفرف على مشارق الأرض ومغاربها ، من الأندلس غرباً ، حتى حدود الصين شرقاً ، ودخلت (بالسيف) أمم لا يحصيهم إلا الله سبحانه في دين الإسلام من : الروم ، والفرس ، والقبط ، والبربر ، والفرنجة ، والسند ، والهند ، والزنج ، والنوبة ، وغيرهم ، فأنقذ الله سبحانه هذه الأمم من ظلمة الكفر في الدنيا ، ومن عذاب جهنم في الآخرة ، بسبب الجهاد في سبيله .

بل وحمل العلم بعد جيل الصحابة كثير من أبناء هذه الأمم ، فكان كثير من كبار التابعين وتابعيهم منهم ، فانظر كيف أعزهم الله بالجهاد في الدنيا قبل الآخرة ؟! [1] .

[1] وقد كنت أظن أن نشر الإسلام إنما يكون بجهاد الطلب فقط ، ولكنني بعد أن رأيت آثار ضرب أمريكا أو ما يسمى بـ(غزوة سبتمبر) – وهو من جهاد الدفع لأنه دفع للظالم المعتدي – تغير هذا الظن ؛ فقد تضاعف عدد الداخلين في الإسلام في أمريكا بعد هذه الغزوة –كما صرحت به مجلة نيوزويك– وتضاعف عدد الداخلين في الإسلام في غيرها من الدول ، ونفدت نسخ ترجمة القرآن في فرنسا وبريطانيا ، وزاد عدد المقبلين على المراكز الإسلامية في أوربا وأمريكا واليابان وغيرها من الدول حسب ما صرح به عدد من القائمين على هذه المراكز ، وأخبرني بعض الدعاة في أفريقيا أن الإسلام قد انتشر فيها بعد هذه الغزوة بشكل عجيب ، وخصوصا بين القساوسة !!.

المقدمة الثامنة

أن ترك الجهاد وقت الضعف لا يعني إلغاء التشريع

اعلم أن ترك الجهاد على ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

أن يكون تركه لعدم القدرة عليه ، فهذا مسقط للفرض ، ولكن يجب الانتقال إلى البدل وهو الإعداد للجهاد ، قال شيخ الإسلام رحمه الله [1]:

"يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

وهنا لابد من التنبيه على ثلاث مسائل :

المسألة الأولى :

أن ترك الجهاد وقت الضعف إنما هو لعدم الاستطاعة ، كباقي الواجبات تماماً[2] ، وذلك لأن الله تعالى يقول (**فاتقوا الله ما استطعتم**) ، وكما في المتفق عليه مرفوعا (**إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**) ، فجاء سقوط الجهاد مع عدم القدرة على وفق قاعدة الشريعة (**لا واجب مع العجز ولا محرم مع الضرورة**[3]) ، وليس هذا لأننا في (فترة مكية)

---

[1] الفتاوى 28 / 259 .

[2] فالصلاة مثلاً : من لم يقدر فيها على القيام سقط إلى الجلوس ، ومن لم يقدر على ذلك سقط إلى الاضطجاع ، ومن لم يقدر على ذلك سقط إلى الإيماء ، ومن لم يقدر على الإيماء فعلى قولين لأهل العلم ، ورجح شيخ الإسلام سقوطها مطلقاً لأنها آخر القدرة .

والزكاة لا تجب إلا على المقتدر ، والحج كذلك ، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : يجب باليد مع القدرة –كما في حديث أبي سعيد – فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه .

وهكذا في بقية الواجبات ، ولم يحل أحد هذه الواجبات عند عدم القدرة عليها إلى ما قبل مشروعيتها !!، والجهاد من جنس هذه الواجبات ، وهو داخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً ، فليس لأحد أن يلغي مشروعيته.

[3] المحرم تبيحه الضرورة في الجملة ، ولكن هناك من المحرمات ما لا تبيحه الضرورة ، ولا يبيحه إلا الإكراه كالشرك ، والقول على الله بلا علم ، وقد سبق ذكر كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في هذا في آخر المرتبة الرابعة من المقدمة الرابعة (الكلام بالباطل أعظم من السكوت عن الحق) فراجعه إن شئت.

كما يزعم البعض ! ؛ فإن التشريع قد اكتمل والنعمة قد أتمها الله سبحانه ، ولم يمت النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد بين كل شيء نحتاجه في أمور ديننا ، ويلزم من قولهم إننا في (الفترة المكية) لوازم منها :

أولاً : أن يزعم أننا أمرنا بكف الأيدي مطلقاً ، حتى عن جهاد الدفع ، و دفع الصائل ، لأن الصحابة في (الفترة المكية) أمروا بكف الأيدي ، وجهادهم في مكة – لو كان – إنما هو عن أنفسهم ، وهذا لم يقله أحد — على حسب علمي — ، ولا أظن أحداً ممن يقول إننا في فترة مكية يقول بهذا! .

ثانياً : أن يزعم أن جميع المسلمين في جميع البلدان مأمورون بكف الأيدي أيضاً ، بما فيهم من في (فلسطين) و (الشيشان) و (كشمير) وغيرها من بلاد الإسلام التي يجاهد فيها المسلمون المعتدين ؛ لأن الضعف عام في المسلمين ، ولا أظن أحداً يقول بهذا[1] ! .

ثالثاً : أن يجوز لنا أن نلغي تشريع الجهاد وننكره !! لأنه لم يشرع في مكة ونحن في فترة مكية ، وهذا باطل .

رابعاً : أن تكون أحكامنا (مكية) فلا صلاة أو زكاة أو صوم أو حج ، ولا تحريم خمر ، ولا وجوب حجاب على النساء ، وغيرها من الأحكام التي فرضت في المدينة .

المسألة الثانية :

---

[1] يقول أحدهم : إن الجهاد في (فلسطين) من أعظم أنواع الجهاد ، والجهاد في (الشيشان) سذاجة !! .

فيقال له : ما الفرق بين الجهادين ؟ .

فأي كلام يستدل به على جهاد فلسطين فإنه يلزمه في الشيشان ، وأي كلام يقدح به في جهاد الشيشان فإنه يلزمه في فلسطين .

فالبلدان مسلمان ، واعتدي عليهما من اليهود والنصارى ، ويجاهد فيهما مسلمون ، وجهادهم جهاد دفع ، والمسلمون في البلدين مستضعفون ، والكفار ظاهرون ، ومعهم آلات الدمار ، بل وتزيد الشيشان على فلسطين بأمرين وهما : إن الراية فيها إسلامية واضحة بخلاف فلسطين فقد اختلطت فيها الرايات ، وتسليح الشيشان أفضل من تسليح الفلسطينيين المحاصرين من كل الجهات !! .

أن الذي يسقط لعدم القدرة عليه زمن الاستضعاف هو (جهاد اليد) ، أما (جهاد اللسان) فإنه باق لا يسقط ، وقد كان هو جهاد النبي صلى الله عليه وسلم في مكة وغيرها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [1]:

" فكان النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر مأموراً أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده ؛ فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي أحسن ويجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً ، قال تعالى في سورة الفرقان – وهي مكية – (**فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً**) ، وكان مأموراً بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك ، ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أذن له في الجهاد ، ثم لما قووا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم ؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار ، فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ، ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت وأمره بنبذ العهود المطلقة فكان الذي رفعه ونسخه ترك القتال ، وأما مجاهدة الكفار باللسان فما زال مشروعاً من أول الأمر إلى آخره".

المسألة الثالثة :

أن وجود الفعل المطلوب من العبد لا بد له من أمرين : أن يكون قادراً عليه ، و مريداً له ، فإذا وجدت القدرة التامة ، والإرادة الكاملة ، فلا بد أن يوجد الفعل ، وإذا تخلف الفعل فلتخلف أحد هذين الأمرين : إما القدرة ، وإما الإرادة .

وتخلف القدرة مع وجود الإرادة هو ما يسمى بـ(العجز) ، وتخلف الإرادة مع وجود القدرة هو ما يسمى بـ(الكسل) ، وقد تعوذ الرسول صلى الله عليه وسلم منهما في دعائه المشهور (وأعوذ بك من العجز والكسل) ، و العذر الشرعي هو في (عدم القدرة) لا في (عدم الإرادة) .

والمقصود هنا التنبيه إلى أن بعضهم قد توجد عنده (القدرة) و لكن تنقصه (الإرادة) فيعتذر بالعجز ، وعذره في الحقيقة الكسل ، وهو المراد في :

---

[1] الجواب الصحيح : 1 / 237 .

القسم الثاني :

وهو من ترك الجهاد كسلاً وركوناً إلى الدنيا ونحو ذلك مع قدرته عليه ، فهذا محرم ، ومتوعد عليه :

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله [1] :

" الكبيرة التسعون ، والحادية والتسعون ، والثانية والتسعون بعد الثلاثمائة :

" تركُ الجهاد عند تعيُّنه بأن دخل الحربيون دار الإسلام أو أخَذَ مسلماً وأمكن تخليصه منهم ، ترْك الناس الجهاد من أصله ، ترك أهل الإقليم تحصينَ ثغورهم بحيث يُخاف عليها من استيلاء الكفار بسبب ترك ذلك التحصين " .

و قال :

" عدُّ هذه الثلاثة ظاهرٌ ؛ لأن كل واحد منها يحصل به من الفساد العائد على الإسلام وأهله ما لا يُتَدارك خَرْقُهُ ، وعليها يُحمل ما في هذه الآية والأحاديث من الوعيد الشديد فتأمَّلْ ذلك فإني لم أر أحداً تَعرّض لعد ذلك مع ظهوره".

بل ذهب بعض أهل العلم إلى أن ترك الجهاد دائماً مع القدرة عليه خروج من الدين استدلالاً بنحو قوله صلى الله عليه وسلم : (إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) .

قال الكتاني رحمه الله – بعد أن ساق بعض أحاديث الوعيد على ترك الجهاد – [2]: "وذكر الدمياطي وابن النحاس وغيرهما أن ترك الجهاد في جميع السنين ، والركون إلى الدنيا : خروج من الدين ، واحتجوا له بالأحاديث المتقدمة ".

والصحيح أنه لا يكفر ما دام مقراً بوجوب الجهاد وما حمله على تركه إلا الكسل وطلب الراحة ونحوه .

القسم الثالث :

---

[1] الزواجر : 163/2 .

[2] أحكام أهل الذمة : للكتاني : ص 132 .

من ترك الجهاد اتباعاً لتشريع جاهلي يحرم الجهاد ويمنعه فهذا كفر وردة عن الإسلام ، والأدلة على هذا القسم كثيرة ليس هذا موضعها .

والمقصود من هذا كله :

أن الجهاد باقٍ إلى قيام الساعة ، والأدلة على مشروعيته متواترة ، تفيد العلم الضروري ، فإذا لم يقدر المسلمون على الجهاد في وقت ما ؛ فإن هذا لا يعني أن تلغى مشروعيته ، وأن ينكر وجوده !! .

المقدمة التاسعة

أن الصراع بين الحق والباطل واجب شرعاً دائم قدراً

اعلم أن الله سبحانه أوجب جهاد الكفار في آيات كثيرة ، فقال تعالى (**وقاتلوا المشركين كافَّة كما يُقاتلُونكم كافَّة**) ، وقال تعالى : (**فقاتلوا أئمةَ الكفرِ إنهم لا أيمانَ لهم لعلَّهم ينتهون**) ، وقال تعالى (**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم**) ، وقال تعالى (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) ، وقال تعالى : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قُوَّةٍ ومن رِباطِ الخيلِ تُرهِبون به عدُوَّ الله وعدوكم ...الآية**) ، وقال تعالى (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**) ، وغيرها من الآيات .

وورد بهذا أحاديث كثيرة متواترة منها : ما في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من مات ولم يَغْزُ ، ولمُ يحَدِّث نفسه بالغزو ، مات على شُعبة من النفاق) ، وما رواه أحمد وغيره عن أنس رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : (جاهدوا المشركين بأموالِكم ، وأنفسِكم ، وألْسِنتِكم) ، وما في المسند وسنن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً (بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي) ، وغيرها من الأحاديث .

وعلى ذلك مضت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والأئمة من بعدهم .

وكما أوجب الله سبحانه هذا الجهاد شرعاً ، فقد كتب بقاءه قدراً :

حيث جاءت نصوص تدل على بقاء الجهاد في الناس إلى آخر الزمان ، فمن ذلك ما في الصحيحين عن عروة البارقي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم " .

قال القرطبي رحمه الله [1]:

---

[1] تفسير القرطبي : 350/2.

" فلما فتح الله مكة كان القتال لمن يلي ممن كان يؤذي حتى تعم الدعوة وتبلغ الكلمة جميع الآفاق ولا يبقى أحد من الكفرة وذلك باق متماد إلى يوم القيامة ممتد إلى غايةٍ هي قوله عليه السلام : (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم) ، وقيل : غايته نزول عيسى بن مريم عليه السلام " .

وقال ابن حجر رحمه الله عن هذا الحديث [1]:

" وفيه أيضاً بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة ؛ لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين – وهم المسلمون – وهو مثل الحديث الآخر : (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق) الحديث "اهـ .

وقد تواتر عنه صلى الله عليه وسلم في الصحاح وغيرها أنه قال " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة" ووردت روايات صحيحة تصف هذه الطائفة بالقتال في سبيله.

قال النووي رحمه الله [2]:

" وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة فان هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث ".[3]

---

[1] فتح الباري : 6 / 56 .

[2] شرح مسلم : 67/13 .

[3] بالإضافة إلى الآيات التي تدل على أن المدافعة سنة كونية ، كقوله تعالى (**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**) ، وغيرها ، وكثير من الكفار يؤمن بحتمية هذا الصراع ، وقد ذكرت شيئاً من كلامهم في (التبيين لمخاطر التطبيع على المسلمين) في آخر مبحث منه .

ويقول محمد محمد حسين رحمه الله (الإسلام والحضارة الغربية) ص 61 بعد ذكر تيارات (النصارى والعلمانيين والعصرانيين) : "كانت هذه التيارات الثلاثة متعاونة في السيطرة على المجتمع ، وفي مصارعة الاتجاه الإسلامي المحافظ ، الذي كان يتخلى يوماً بعد يوم عن مكانه وعن وظيفته ، وليس الخطر الذي يهدد المجتمع الإسلامي ناشئاً عن هذا الصراع ، فالصراع بين الأصيل والدخيل سنة من سنن الله العليم الحكيم ، يضرب فيها الحق والباطل ، (**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**) ، ليس هذا الصراع إذن مصدر خطر :

=

المقدمة العاشرة

أن الفترة المكية أشق من الفترة المدنية

جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟.

فقال : (لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . قال : فناداني ملك الجبال وسلم علي ، ثم قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني

بل إنه – في تقديري – يدعو إلى التفاؤل والاطمئنان ، ولكن مصدر الخطر وعلامته هو أن يزول هذا الصراع ، وأن يفقد الناس الإحساس بالفرق بين ما هو (إسلامي) وما هو (غربي) ، إن فقدان هذا الإحساس هو النذير بالخطر ، لأنه يعني فقدان الإحساس بالذات ، فالجماعات البشرية إنما تدرك ذاتها من طريقين معاً :

1–من طريق وحدتها التي تكوّنها المفاهيم والتقاليد المشتركة .[**قلت** : وهو موالاة المؤمنين] .

2–ومن طريق مخالفتها للآخرين التي تنشأ عن المغايرة والمفارقات .[**قلت** : وهو البراء من الكافرين]

ولذلك كان الخطر الذي يتهدد هذه الوحدة يأتيها من طريقين :

1–الشعوبية : التي تفتتها . [**قلت** : ومثل ذلك : القومية ، والوطنية]

2–والعالمية : التي تميعها . [**قلت** : ومثل ذلك : السلام العالمي ، والتعايش ، حوار الحضارات]

فزوال الإحساس بالمغايرة والمفارقة هو هدم لأحد الركنين اللذين تقوم عليهما الشخصية ، وهذا ما لا نريد أن يكون ، نريد أن يظل هذا التمييز بين ما هو إسلامي ، وبين ما هو طارىء مستجلب – شرقياً كان أو غربياً – حياً في نفوس الأجيال الصاعدة والتالية .

وهي أمانة تلقاها جيلنا عمن قبله ، ولا بد أن يحملها إلى من يجيء بعده ، والله سبحانه هو المستعان ".

ربك إليك لتأمرني بأمرك ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً) .

ومن المعلوم أن ما حصل يوم أحد كان شديداً ، بل لعله أشد ما وقع على الرسول صلوات الله عليه وعلى أصحابه من البلاء في المدينة ، فقد قتل سبعون من خيرة أصحابه رضوان الله عليهم ، وقتل عمه حمزة رضي الله عنه ، وشج وجهه ، وكسرت رباعيته ، وحصل عليه وعلى أصحابه قرح شديد .

ومع هذا كله :

فقد كان ما لقيه صلى الله عليه وسلم في مكة أشق وأشد من ذلك .

وروى البخاري عن عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم ، قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (**أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله الآية**) .

والناظر في السيرة يعلم هذا جيداً ، فقد أوذي أذى شديداً من الكفار :

فكان المشركون يضعون الشوك في طريقه ، و الأذى عليه وهو ساجد ، وحاولوا قتله ، ورموه بالنقائص كالجنون والسحر ، وفعل به صلى الله عليه وسلم سفهاء الطائف لما خرج إليه ما هو معروف حتى إنه لم يتمكن من الدخول في مكة إلا بجوار المطعم بن عدي ، وكان من آخر أمره في مكة أن حوصر ثلاث سنين في شعب أبي طالب ، فبلغ فيهم الجهد مبلغه .

هذا غير ما وقع لأصحابه رضوان الله عليهم من العذاب والحبس والقتل والتشريد ، حتى هاجر مجموعة منهم إلى ديار الحبشة (البعداء البغضاء)[1] هرباً بدينهم من الكفار وبقوا هناك أربع عشرة سنة ، وأمرهم في هذا كله معروف مشهور في كتب السيرة والتراجم .

---

[1] كما وصفتها أسماء بنت عميس رضي الله عنها إحدى المهاجرات .

والمقصود:

أن الفترة المكية لم تكن فترة (راحة) و (دعة) و (خلود إلى الأرض) و(ركون إلى الكافرين) و (مداهنة لهم) بسبب ضعف قوتهم ، وقلة عددهم ، وتسلط الكافرين عليهم ، بل كانت فترة صدع بالدين ، وإقامة للتوحيد ، وكفر بالطاغوت ، وبراءة من الكفار ، وصبر على الابتلاء [1].

[1] يحلو لكثير من الدعاة – هداهم الله – أن يحيلوا الناس – إذا أرادوا أن يحاجوهم – إلى الفترة المكية ، والفترة المكية كما ترى أشق على المسلمين من الفترة المدنية ، فلو سلمنا ترك الجهاد ، أ فيترك الصدع بالحق و الكفر بالطاغوت أيضاً؟! فإذا أراد أحد أن يترك هذا فليحل الناس إلى (ما قبل البعثة) !!.

المقدمة الحادية عشرة

أن الرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة[1]

فقد جاءت النصوص الشرعية بوجوب رد التنازع إلى الكتاب والسنة ، فما وافقهما قبلناه ، وما عارضهما رددناه ، ولو كان المنازع من العلماء الكبار ، فإن أقوال الرجال يحتج لها ولا يحتج بها ، وقد قال الله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**) والرد إلى الله : الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول : الرد إلى سنته ، كما ذكر غير واحدٍ من المفسرين ، وكما قال تعالى : (**وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**) وقال تعالى : (**اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء**) ، وقال تعالى (**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه**) ، وكانت هذه وصية الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر أيامه ، ففي صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يا أيها الناس إنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ثم حضّ على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته) ، وروى أحمد والترمذي وأبو داود من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها الدموع فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ،فقال : (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) .

فالرد عند التنازع يكون إلى (الكتاب) و (السنة) ، وليس إلى (رأي) أو (استحسان) أو (مصلحة) أو (وجهة نظر) .

---

[1] كثير من الناس يوافقك – نظراً – على هذا الأصل ، وأن الرد عند التنازع يكون إلى الكتاب والسنة ، ولكن الشأن في (العمل) !! .

وهنا مسألة هامة وهي:

أن الله سبحانه لم يحلنا عند التنازع إلى الكتاب والسنة إلا وفيهما الفصل في النزاع ، وإلا فلا فائدة من هذه الإحالة ، خصوصاً في مسائل أصول الدين كالتوحيد والكفر بالطاغوت والبراءة من الكفار ونحو ذلك ، قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد أن ذكر قوله تعالى (**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**) [1]:

" فأمر الله تعالى المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول ، وهذا يوجب تقديم السمع ، وهذا هو الواجب ؛ إذ لو ردوا إلى غير ذلك من : عقول الرجال ، وآرائهم ، ومقاييسهم ، وبراهينهم ، لم يزدهم هذا الرد إلا اختلافاً واضطراباً وشكاً وارتياباً ؛ ولذلك قال تعالى (**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه**) فأنزل الله الكتاب حاكما بين الناس فيما اختلفوا فيه ؛ إذ لا يمكن الحكم بين الناس في موارد النزاع والاختلاف على الإطلاق إلا بكتاب منزل من السماء".

وقال القرطبي رحمه الله [2]:

" (**في شيء**) أي : من أمر دينكم ، (**فردوه إلى الله والرسول**) أي : ردوا ذلك الحكم إلى كتاب الله ، أو إلى رسوله بالسؤال في حياته ، وبالبحث في سنته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، هذا قول مجاهد والأعمش وقتادة ، وهو الصحيح ، ومن لم ير هذا اختل إيمانه لقوله تعالى (**إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**) ".

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى [3]:

" إن قوله (**فإن تنازعتم في شيء**) : نكرة في سياق الشرط ، فتعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين : دقه وجله ، جليه وخفيه ، ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله

---

[1] درء التعارض : 1/ 146 ، 147 .

[2] تفسير القرطبي : 5 / 261 .

[3] إعلام الموقعين : 49/1 .

بيان حكم ما تنازعوا فيه ، ولم يكن كافيا ، لم يأمر بالرد إليه ؛ إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع " .

المقدمة الثانية عشرة

أن الحق يقبل ممن أتى به

إن سبيل المسلمين قبول الحق حيثما كان ، وممن أتى به ، والحق هو موافقة الكتاب والسنة ، فمن جاء به قُبِل منه ، ولا ينظر إلى القائل في هذه الحالة ؛ فيرد ما معه من الحق من أجل أن (فلاناً) هو المتكلم !.

ويدل عليه فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قبل الحق من اليهود :

كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول : أنا الملك ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ (**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة**)) فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحق الذي قاله هذا اليهودي من أجل كونه يهودياً ! بل قبله .

وفي النسائي من حديث قُتيلة بنت صيفى رضي الله عنها : (أن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم تشركون ؛ تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت) ، فقد غير النبي صلى الله عليه وسلم منكراً بسبب تنبيه يهودي عليه .

بل وأبلغ من ذلك ما في الصحيح معلقاً ووصله النسائي بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل عندما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ الزكاة ، فكان يأتيه رجل في كل ليلة فيحثو من الطعام ، فيمسكه أبو هريرة في كل مرةٍ ثم يطلقه ، فلما كانت الأخيرة أطلقه بعد أن علمه كلمات فقال له : (إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ؛ فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح) وفيه قول

الرسول صلى الله عليه وسلم : (أما إنه صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب يا أبا هريرة منذ ثلاث) فقال : لا ، قال : (ذلك شيطان) . فقُبِل كلام الشيطان هنا لأنه موافق للحق . وهكذا :

على المسلم أن يعرض القول على الكتاب والسنة ، فما وافقه قبله ، وما خالفه رده ، فإن هذا أمن من الزيغ بإذن الله ، واعتصام بما ينجي من الهلكة .

المقدمة الثالثة عشرة

أن السابقة والفضل لا يعني ترك الباطل

إن فضل العبد ، وعلمه ، و سابقته في الدين ، لا تعني أن يقبل ما يقوله من باطل ، أو أن يترك فلا يرد عليه ؛ فإن هذا هو أصل عبادة الأحبار والرهبان ، كما قال تعالى (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**) قال أبو البختري : أما إنهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله تعالى ما أطاعوهم ، ولكن أمروهم : فجعلوا حلال الله تعالى حرامه ، وحرامه حلاله ، فأطاعوهم .

ولهذا كثر التحذير من زلة العالم ، لأن العالم مظنة الإتباع ، فإذا زل ؛ زلت أمم معه ، قال عمر رضي الله عنه : (ثلاث يهدمن الدين : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون) ، وروي نحوه عن أبي الدرداء وسلمان رضي الله عنهما ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (ويل للأتباع من عثرات العالم ، قيل وكيف ذلك؟ قال: يقول العالم برأيه ثم يجد من هو أعلم منه برسول الله صلى الله عليه وسلم فيترك قوله ذلك ثم تمضي الأتباع) ، وقال الإمام مالك : ليس كل ما قال رجل قولا – وإن كان له فضل – يتبع عليه ، يقول الله عز وجل : (**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم لله وأولئك هم أولو لألباب**) .

ومن هذا :

قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه يوم كاتب الكفار في فتح مكة ، وحصل معه ما هو معروف ، فإن في قصته فوائد من هذا الباب ، منها :

أولاً : أن حاطباً رضي الله عنه كانت له سابقة وفضل ودين وجهاد وهجرة ، فهو من السابقين الأولين ، ومن أهل بدر والحديبية ، وشهد المغازي ، ومع هذا كله : فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما علم بزلته لم يتركها ، ولم يقم بنصيحته سراً ، بل أتى به أمام الصحابة وقرره بما فعل ، وعرّفه هذا الخطأ ، فتناقلت الكتب اسمه رضي الله عنه إلى هذا اليوم ، ونزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ...الآيات**) .

ثانياً : أن حاطباً رضي الله عنه تاب من هذه الزلة ، وهكذا أهل الفضل .

ثالثاً : أن عمر رضي الله عنه قال للرسول صلى الله عليه وسلم : (دعني أضرب عنقه فإنه قد نافق) ، ومع هذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعنف عمر على قوله ، لأنه قال هذا غيرة للدين ، ولمنكر عظيم رآه .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في فوائد هذا الحديث [1]:

" وفيها أن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر متأولاً وغضباً لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه ، فإنه لا يكفر بذلك ، بل لا يأثم به ، بل يثاب على نيته وقصده ، وهذا بخلاف أهل الأهواء والبدع فإنهم يكفرون ويبدعون لمخالفة أهوائهم ونحلهم ، وهم أولى بذلك ممن كفروه وبدعوه " .

رابعاً : إن التصرف مع حاطب رضي الله عنه في هذه الأقضية كان على وجهين :

الوجه الأول : الإنكار عليه في فعله ، ورد زلته ، وتحذير المسلمين من ذلك :

فهذا ما حصل ، حتى حفظت لنا كتب الحديث هذه النازلة ، وحفظت لنا قول عمر رضي الله عنه فيه ، ونزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة في التحذير من فعله ، وصار حديثه هذا أصلاً في أبواب من التوحيد و الفقه.

الوجه الثاني : عقابه على فعله :

فهذا ما شفعت له فيه سابقته رضي الله عنه ؛ حيث قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لما طلب منه عقابه (إنه من أهل بدر ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) . [2]

---

[1] زاد المعاد : 3 / 423 .

[2] إذا تقرّر هذا : فاعلم أن هناك من يريد السكوت عن أهل الفضل إذا أخطأوا بحجة حديث حاطب الذي شفعت له سابقته ، وأين هذا من هذا ؟ فإن سابقته لم تشفع له في عدم الرد والإنكار عليه ونزول القرآن محذرا من فعله وتقريره أمام الصحابة بهذا الفعل ، وإنما شفعت له سابقته بترك عقوبته رضي الله عنه ، ونحن هنا في مقام الرد لا في مقام العقوبة !!.

المقدمة الرابعة عشرة
أن مسائل الخلاف ينكر فيها

اعلم أن المسائل التي يتنازع فيها الناس قسمان — من حيث الجملة — :

القسم الأول :

مسائل ليس فيها نصوص صريحة ولا إجماع ظاهر ، وللاجتهاد فيها مساغ ، إما لكونها مبنية على الفهم والقياس ، أو لوجود أدلة قوية من الجانبين كنقض الوضوء من مس الذكر ، ونحو هذا ، فهذه المسائل محل اجتهاد ونظر ، و لا إنكار فيها وقد تسمى (مسائل الاجتهاد).

القسم الثاني :

مسائل فيها نصوص صريحة ، أو إجماعات ظاهرة ، وقد تقسم إلى قسمين :

الأول : أن يوجد فيها خلاف شاذ أو ضعيف ، مع وجود النص الصريح الصحيح في المسألة ، نحو قتل المسلم بالكافر ؛ فإنه وإن قال به بعض أهل العلم فإنه قول ضعيف مخالف للدليل الصحيح في ذلك .

والثاني : أن لا يوجد فيها خلاف أصلاً ، بل عليها إجماعات معلومة متواترة ، مثل الولاء والبراء ، والجهاد ، وأحكام أهل الذمة ، ونحو ذلك .

فهذه المسائل ينكر فيها على المخالف ولو كان الخلاف في الفروع ، وقد تسمى هذه (مسائل الخلاف) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى [1]:

"وقولهم : (**إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها**) : ليس بصحيح ؛ فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى ، أو العمل . أما الأول : فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً شائعاً وجب إنكاره اتفاقاً ، وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله . وأما العمل : فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار ،

---

[1] إعلام الموقعين : 3 / 288 .

وكيف يقول فقيه : لا إنكار في المسائل المختلف فيها والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقض حكم الحاكم إذا خالف كتاباً أو سنة وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء؟!.

وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ لم تنكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً ، وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن (مسائل الخلاف) هي (مسائل الاجتهاد) كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم.

والصواب : ما عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد : ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوباً ظاهراً مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه فيسوغ فيها – إذا عدم فيها الدليل الظاهر الذي يجب العمل به – الاجتهاد لتعارض الأدلة أو لخفاء الأدلة فيها ، وليس في قول العالم : إن هذه المسألة قطعية أو يقينية ولا يسوغ فيها الاجتهاد طعن على من خالفها ولا نسبة له إلى تعمد خلاف الصواب ، والمسائل التي اختلف فيها السلف والخلف وقد تيقنا صحة أحد القولين فيها كثير... وعلى كل حال : فلا عذر عند الله يوم القيامة لمن بلغه ما في المسألة من هذا الباب وغيره من الأحاديث والآثار التي لا معارض لها إذا نبذها وراء ظهره وقلد من نهاه عن تقليده ، وقال له : لا يحل لك أن تقول بقولي إذا خالف السنة ، وإذا صح الحديث فلا تعبأ بقولي ، وحتى لو لم يقل له ذلك ؛ كان هذا هو الواجب عليه وجوباً لا فسحة له فيه ، وحتى لو قال له خلاف ذلك ؛ لم يسعه إلا اتباع الحجة "[1] .

---

[1] وانظر كلام شيخ الإسلام رحمه الله في هذا : الفتاوى : 19 /122 .

المقدمة الخامسة عشرة

أن ذكر اللازم لبيان فساد القول جادة مطروقة

اعلم أنه إذا ذكر أحدهم قولاً أو مذهباً له لوازم فاسدة ، فإن ذكر هذه اللوازم في الرد عليه تأتي على أحد وجهين :

الوجه الأول :

أن يكون ذكر لازم قوله من أجل ترتيب الحكم على القائل من : تكفير ، أو تبديع ، أو تفسيق ، ونحو ذلك ، فهذا باطل ، ولا يحكم على أحد بناء على لازم قوله ؛ لأن الصحيح – كما ذهب إليه الأئمة – أن (لازم المذهب ليس بمذهب) ، و (لازم القول ليس بقول) ، ولا يؤاخذ أحد إلا بما قال ، لا بما يلزم على قوله ، لأنه قد لا يلتزم بهذا اللازم إذا عرفه ، وقد ينكره ، وقد يغفل عنه ، وقد يكون متأولاً فيه ، ونحو هذا .

قال شيخ الإسلام رحمه الله [1]:

" و لازم المذهب لا يجب أن يكون مذهباً ، بل أكثر الناس يقولون أقوالاً و لا يلتزمون لوازمها ، فلا يلزم إذا قال القائل ما يستلزم التعطيل أن يكون معتقداً للتعطيل ، بل يكون معتقداً للإثبات و لكن لا يعرف ذلك اللزوم " .

وقال أيضاً جواباً على سؤال : هل لازم المذهب مذهب أم لا؟ [2]:

" وأما قول السائل : هل لازم المذهب مذهب أم ليس بمذهب ، فالصواب : أن لازم مذهب الإنسان ليس بمذهب له إذا لم يلتزمه ، فإنه إذا كان قد أنكره ونفاه كانت إضافته إليه كذباً عليه ، بل ذلك يدل على فساد قوله وتناقضه في المقال ".

وقال ابن حزم رحمه الله [3]:

---

[1] الفتاوى : 16 / 461 .

[2] الفتاوى : 20 / 217 .

[3] الفصل : 3 / 294 .

" وأما من كفّر الناس بما تؤول إليه أقوالهم فخطأ ؛ لأنه كذب على الخصم وتقويل له ما لم يقل به وإن لزمه ؛ فلم يحصل على غير التناقض فقط" .

الوجه الثاني :

أن يكون ذكر اللازم لبيان فساد القول وما يفضي إليه من المنكرات ، فهذه جادة مطروقة ، وعليها العمل ، وردود أهل العلم منذ القدم تقوم على هذا الأمر ، فيذكرون في ردودهم على من قال كلاماً باطلاً ما ينبني على هذا القول وما يؤدي إليه من اللوازم الفاسدة ؛ لأنه إذا فسد اللازم فسد الملزوم ، وقد يكون ذكر اللازم وفساده أوضح من إفساد الملزوم بمجرده [1].

---

[1] إذا تبين هذا فاعلم أنه قد اتهمني بعض الفضلاء – عفا الله عنهم – بأنني قد كفرت وبدعت وفسقت في (الطليعة) الدعاة الذين رددت عليهم ، وقد أخطأوا هداهم الله في كلامهم هذا عليّ خطأ مركباً من وجهين :

الوجه الأول : أنني لم أذكر حرفاً واحداً في (الطليعة) في تكفير أحد ، بل ذكرت فيه ما تؤدي إليه تلك الأقوال الموجودة في (بيان المثقفين) من هدم للولاء والبراء ، وإنكار للجهاد ، وموالاة للكفار ، ونحو ذلك ، فمن أين أتوا بهذا التكفير ؟ وكلامي في الكفر والردة إنما هو حكم على اللازم ، لا على من تكلم بالملزوم ، وإنما ذكرت هذه الأشياء لأبين بها فساد بيانهم .

الوجه الثاني : أنهم وقعوا فيما عابوه عليّ ، بل أشد ، لأنني لم أذكر اللازم في (الطليعة) لأرتب الحكم على أصحابه ، بل ذكرته للتحذير منه ولبيان فساده ، أما هؤلاء فقد حكموا عليّ باللازم ، فإنهم يقولون : يلزم على قولك أنك تكفرهم ، ثم نشروا عني أنني كفّرت وبدّعت وفسّقت ، فإن كانوا سيؤاخذون باللازم : ويجعلون لازم قولي قولاً لي ، فليطردوا مذهبهم ، وليجعلوا لازم ما في (بيان المثقفين) قولاً لأصحابه ، ولا أظنهم يفعلون ذلك .

والمقصود : أن من نسب إليّ تكفير أحد من هؤلاء الدعاة وأهل العلم الموقعين على البيان فقد كذب عليّ سامحه الله.

الفصل الثاني

مقارنات

المبحث الأول : مقارنة بين (جهاد الأمس) و (تعايش اليوم) :

المبحث الثاني : مقارنة بين (بيان المثقفين) و (بيان الأمريكيين) :

المبحث الثالث : مقارنة بين (بيان المثقفين) و(بيان الليبراليين) :

المبحث الرابع : مقارنة بين (بيان المثقفين) و بعض ما جاء في مؤتمرات التقريب بين الأديان :

المبحث الخامس : مقارنة بين (بيان المثقفين) و رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ملك قبرص :

المبحث الأول

مقارنة بين (جهاد الأمس) و (تعايش اليوم)[1]

....

....

[1] هذا المبحث كان مقارنة بين أقوال بعض الموقعين على البيان – هداهم الله – وتقريراتهم قديماً ، وبين ما ذكر في هذا البيان بدون تعليق مني ، بل أكتفي بنقل من (الجهاد القديم) وما يقابله من (تعايش اليوم) بحيث يعلم الناظر إلى القولين بأن أحدهما رد على الآخر ، ومع أنني لم أعلق بشيء مطلقاً على هذه النقول إلا أنني رأيت ترك هذا المبحث في هذا الوقت رغم اكتماله ! .

المبحث الثاني

مقارنة بين بيان المثقفين وبيان الأمريكيين

إن الله سبحانه قد جعل العزة له ولرسوله وللمؤمنين كما قال تعالى (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) ، والمؤمن ولو كان عبداً مملوكاً فإنه يظل أعز من ملء الأرض من أحرار الكفار ؛ قال تعالى (**ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم**) .

وفي المقابل فإن الله سبحانه كتب الذلة والصغار على الكفار – ولو كانت صروحهم من ذهب – كما قال تعالى (**ومن يهن الله فما له من مكرم**) ، وقال تعالى (**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**) ، وقال تعالى عنهم (**أولئك كالأنعام بل هم أضل**) ، وقال تعالى عنهم (**إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا**) ، وقال تعالى (**والذين كفروا يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام**) ، وقال تعالى عنهم (**ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي**) ، وفي الحديث الذي رواه أحمد وغيره مرفوعاً (وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري) .

والناظر في حال بيان المثقفين – الذين يفترض فيهم الاعتزاز بدينهم وأنهم يتكلمون باسم الإسلام – يرى أنهم يتكلمون بانهزامية ولغة دونية ظاهرة ، بخلاف كفار الأمريكان الذين يتكلمون بتعالٍ وفوقية ، وهذه مقارنة سريعة بين البيانين :

أولاً : في نشر البيانين :

فإن بيان الأمريكيين لم ينشر في أمريكا إلا على نطاق محدود [1].

أما بيان المثقفين فنشر على نطاق واسع ، فقد تبناه موقع الإسلام اليوم ، وحاولوا أن يجمعوا (مليون توقيع) لتأييده ، ونشر في الصحف والمجلات ، ووضعت له الملاحق ، وعقدت له اللقاءات والندوات في الفضائيات ، وغير ذلك .

---

[1] كما جاء في (الحياة) 7 / 3 / 2002 م ، وفي هذا يقول إدوارد سعيد إنه لو نشر على نطاق واسع لأصبح فضيحة لأن الذين وقعوه يمثلون أسوأ ما في أمريكا : جريدة (الوطن) 3/1 عدد 597 .

ولا شك أن تصرف كفار الأمريكان في هذا أحكم ؛ فإنه إن كان صواباً آتى ثماره لمن كتب إليه ، وينشر بعد التأكد من ذلك ، وإن كان خطأ ظل الأمر مستوراً**!!** .

ثانياً : في عنوان البيانين :

عنوان بيان الأمريكيين (**على أي أساس نقاتل؟**) .

وهم بهذا العنوان قد صدقوا مع أنفسهم ، وهو الذي يشهد له واقعهم .

وأما عنوان بيان المثقفين فهو : (**على أي أساس نتعايش؟**) .

ولا شك أن في هذا العنوان انهزامية ظاهرة ممن ينتمون إلى أمة من أعظم شعائرها الجهاد [1] ، ولم يعد الكفار يخشون من هذه الأمة شيئاً إلا هذه الشعيرة ، بل حتى لو لم يكن الجهاد مشروعاً ؛ فإن مقاومة المعتدين فطرة في نفس كل كائن حي ، والأمة الإسلامية قد تعرضت في هذا الزمن لأعظم الحملات في كل مكان من طواغيت الأمريكان .

فهلاّ إذ لم يذكروا الجهاد جعلوا العنوان بدلاً من ذلك : (**على أي أساس نقاوم؟**) .

ثالثاً : في أسس البيانين :

ذكر الأمريكان (الحقائق الخمس الأساسية) التي يرونها متعلقة بجميع البشر ، ثم ذكروا (القيم الأمريكية) التي يريدون فرضها على الناس بغض النظر : هل يرضى المسلمون بهذه القيم أو لا ؟ ، لذلك رأوا وجوب فصل الدين عن الدولة ، وكانوا صادقين مع أنفسهم فيما ذكروه من أسس لهم ولمجتمعهم.

وأما في (بيان المثقفين) فإنهم إنما ذكروا فيه – من ما أسموه بـ(الأسس والقيم التي يؤمنون بها) – ما حاولوا به استرضاء أولئك بنوع تحريف – سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى – ، ولم

---

[1] وقد كان العرب في الجاهلية يأنفون من الخضوع – حتى بالقول – للعدو و لو كان أقوى منهم ، كما سبق في المقدمة ، وقد حفظت أشعار العرب وتواريخهم كثيراً من أخبارهم في هذا ، ومن ذلك أن كسرى – وهو في ذلك الوقت في مقام بوش في هذا الوقت – أرسل رسولاً إلى ثعلبة بن سيار العجلي وهو أعرابي من بني بكر بن وائل لما نزلوا بقربه يخيرهم بين ثلاثة أمور : إما أن يعطوا بأيديهم إليه فيحكم فيهم بما شاء ، وإما أن يعروا الديار ، وإما أن يأذنوا بالحرب ، فقال ثعلبة لقومه : إني لا أرى إلا القتال ، فلأن يموت الرجل كريماً ، خير له من أن يحيى مذموماً!!.

يذكروا الحقائق الأساسية لدين الإسلام ، بل ولدين جميع الأنبياء ؛ من التوحيد والنهي عن الشرك ، فضلاً عن الولاء والبراء أو الجهاد !!.

رابعاً : في لهجة البيانين :

تجد في بيان الأمريكيين نبرة التعالي – كما سبق – ومن ذلك قولهم :

(نحن متحدون في اعتقادنا الجازم أن الاحتجاج بأية سياسة خارجية[1] محددة لن تبرر أو حتى تفسر التذبيح الجماعي للأبرياء) ، (وفي نفس الوقت ثمة قيم أمريكية أخرى مختلفة تماما عن تلك وهي أجمل بكثير ليس للأمريكيين فحسب، بل لجميع الناس في أي مكان من العالم ونعتقد أن هذه القيم هي مبادئنا الأساسية وهي التي تحدد طريقة حياتنا) ، ومن ذلك الاستشهاد كثيراً بمؤسسي أمريكا وقوانينها ، و (بالنسبة لنا فإن ميزة هذه القيم أنها تطبق على جميع الناس بدون تمييز) ، (ولم يسبق في التاريخ أن أمة من الأمم أقامت شخصيتها – من دستورها ووثائقها الأساسية وفهمها الذاتي – بهذه الصراحة على أساس القيم البشرية العالمية ، وعندنا لا توجد حقيقة عن دولتنا أهم من ذلك) ، (نعترف بإنجازات حضارتنا) ، (نقترح أيضا أن القيم التي نسميها عرضا بـ"القيم الأمريكية" لا تمتلكها أمريكا فقط ، لكنها في الحقيقة ميراث مشترك للبشرية) ، (لكننا أكثر تمسكا بالدين من سائر مجتمعات الغرب) ، (لكننا أمة يقوم أفرادها قائلين في عهد الولاء: "أمة واحدة تحت رعاية الله" ونحن أمة تعلن في كثير من محاكمها وتنقش في كل نقد من نقودها العبارة: "نتوكل على الله) .

وهكذا في سلسلة كثيرة من قولهم (ونحن) و (أمتنا) و (نوافق) و (نخالف) ، ولم يسألوا أحداً أن يعترف بقيمهم ، بل رأوا فرضها على الناس.

وأما (بيان المثقفين) فقد كان مبيناً وللأسف على اللغة الاسترضائية لهم ، فلا يذكر من مباديء الإسلام – كما يزعمون – إلا ما يكون مرضياً لهم ، كما أنهم سألوهم الاعتراف بهم وبدينهم ، كقولهم :

---

[1] قولهم هذا بعد أن اعترفوا بأن حكومتهم قد تعامل الناس بازدواجية !.

(و تعاليم الإسلام تصف النصارى بأنهم أقرب للمسلمين من غيرهم) ، (إن المسلمين من حقهم أن يكونوا متمسكين بدينهم وقيمه وتعليماته ، هذا خيار من الصعب محاولة تعويقه ؛ لكننا نقدم المفهوم الوسطي المعتدل) ، (وسيجد العالم الغربي فيه فرقاً كبيراً عن المفاهيم والتصورات التي يحملها عن الإسلام، هذا إذا كان جاداً في الاعتراف بنا وبديننا ومقدراتنا)[1] ، (إننا ندعو إلى انفتاح جاد من الغرب على الإسلام ، وقراءة مشاريعه ، والتعامل بهدوء مع الواقع الإسلامي) ، (فمن الممكن أن نشاركه الشعور وحتى الموقف في رفض ضرب الأمن المدني في العالم) .

خامساً : في الموقعين على البيانين :

اعترف الأمريكيون في بيانهم أنهم طوائف لا تتكلم كلها باسم الدين فقالوا :

(موقعو هذه الرسالة ينتسبون إلى فئات دينية وأخلاقية مختلفة بما فيها الفئات العلمانية) .

أما (بيان المثقفين) فذكروا أن بيانهم باسم التعريف بالقيم الإسلامية ، وتبناه موقع إسلامي ، ودعاة إسلاميون ، وهذا غير صحيح لأمرين :

الأول : أن ما ذكروه في بيانهم لا يصح نسبته إلى الإسلام إلا بنوع تحريف.

الثاني : أن من الموقعين من لا يحسبون على الإسلاميين ، بل من أضدادهم من العلمانيين ، أو أذنابهم من العصرانيين[2] .

---

[1] من البواعث على التقريب بين الأديان عند العصرانيين (باعث الرغبة في الحصول على الاعتراف من أهل الكتاب) انظر نقولاً قريبة من هذا الكلام في (دعوة التقريب بين الأديان) للقاضي : 828/2 وما بعدها .

[2] ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ونقلاه عن شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري – رحم الله الجميع – أن الأشعرية (**مخانيث المعتزلة**) وذلك أنهم تأثروا بأصول المعتزلة وأرادوا نصرة السنة فصاروا كالمخنث – وهو من ليس برجل ولا امرأة – لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وإذا طبقت هذه القاعدة على (العصرانيين) فإن أصدق وصف لهم هو أنهم (**مخانيث العلمانية**) ؛ لأنهم أخذوا أصول العلمانية وأرادوا بها نصر الإسلام ، والصلة بين العلمانيين وبينهم وثيقة جداً ، تعود إلى تاريخ (شيخيهم) محمد عبده والأفغاني ، فقد قال محمد محمد حسين رحمه الله (الإسلام والحضارة الغربية) ص 85 : " ولمن شاء أن يعرف المكان الصحيح والقيمة الحقيقية لمحمد عبده وللأفغاني أن ينظر في الصحف اليومية والمجلات الدورية وفي كتب الكتاب الليراليين الذي لا يسمحون بأن يُمس أي منهما ، والذين يهاجمون بفظاظة وشراسة كل من يمسهما من قريب أو بعيد ، مع أن هذه الصحف والمجلات والكتّاب لا يُعرف عنهم غيرة على

=

ولا يشغّب أحد فيقول : إن توقيع العلماني على هذا الخطاب الإسلامي مكسب!! .

فإنهم – هداهم الله – لم يرفعوا هؤلاء العلمانيين إلى مستوى الإسلام ، بل وضعوا الإسلام إلى مستوى يرضى به العلمانيون[1] ، بل ويرضى به الزنادقة[2] واليهود والنصارى[3] ، ولو عرض هذا البيان على الروافض والقبوريين والحداثيين وغيرهم لوقعوا عليه !!.

سادساً : في موقف أصحاب البيانين من المتقاتلين :

في بيان الأمريكيين أيدوا (بوش) في حملته على المجاهدين ؛ حيث قالوا ما نصه :

(نحن نقاتل للدفاع عن أنفسنا وعن هذه المبادئ العالمية) ، (باسم المبادئ الأخلاقية الإنسانية العامة ، وبوعي كامل لقيود ومتطلبات الحرب العادلة نؤيد قرار حكومتنا ومجتمعنا باستخدام حد السلاح) ، (نرفع صوتا واحداً للقول إن انتصار أمتنا وحلفائها في هذه الحرب حاسم ، إننا نقاتل للدفاع عن أنفسنا ، ولأننا نؤمن أيضاً

الإسلام في غير هذا الموضع ، بل إنهم لا يثورون حين يمُس رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويرون أن ذلك مما تسعه حرية الفكر واختلاف الرأي ، بل إنهم يلتزمون التزاماً دقيقاً أن لا يذكر اسم محمد عبده إلا مقروناً بلقب (الإمام) ، ويذكرون اسم الرسول صلى الله عليه وسلم مجرداً !".

قلت : وانظر إلى (العصرانيين) اليوم أين يستكتبون ؟ ومن يحتضنهم ؟.

[1] حتى كلامهم في العلمانية وأنها لا تصلح في بلاد الإسلام فإنهم ذكروه بأدلة علمانية (رأي الأكثرية ، وحفظ حقوق الأقلية) لا بأدلة شرعية ، وهي تنقلب عليهم بسهولة ، ويقرها العلماني وقد أيدهم عليها كبار العلمانيين والحداثيين والروافض والزيود وغيرهم ؛ فإنهم لم يذكروا أن رفضهم العلمانية في بيانهم هذا لأن الله سبحانه أمرهم بإقامة الدين ، بل قالوا إن هذا هو رأي الأكثرية في بلاد المسلمين، والعلماني لا يرفض هذا ، بل هو يطالب بالانتخابات وتحقيق آراء الأكثرية ، فلو صار رأي الأكثرية ضد الإسلام فإنه يلزمهم على هذا التقرير قبول رأيهم!! وسيأتي إن شاء الله .

[2] ومن أوضح الأدلة على هذا ثناء تركي الحمد – وهو المعروف بانحرافه – على هذا البيان بل قوله عنه بأنه (**باقة من الأفكار الجميلة!!**) كما سيأتي إن شاء الله في الفصل الثالث ، وسيأتي الكلام على هذا المنحرف بالتفصيل ، وذكر من أفتى من أهل العلم بردته ، والأدلة على ذلك ، فانظر هذا في ص 115.

[3] كما اعترف به الذين قاموا على هذا البيان ، فقد نشروا ثناء بعض النصارى على هذا البيان ، وهذا من القرائن على بطلانه فإن الله يقول (**ولن ترضى عنك اليهود و لا النصارى حتى تتبع ملتهم**) .

، **أننا نقاتل من أجل حماية تلك المبادئ العامة المتعلقة بحقوق الإنسان والكرامة الإنسانية والتي تشكل الأمل الأفضل للنوع الإنساني)** .

وأما في بيان المثقفين فقد تبرؤوا فيه من المجاهدين وأعمالهم ، ووصفوهم بأنهم أفراد ، وأنهم لا يتحملون مسئولية أعمالهم ، وأن كثيراً من المسلمين ساءهم فعلهم ، بل وإنهم معنيون في الحملة عليهم ، وأنهم شاركوا الأمريكان شعورهم في أحداث سبتمبر ، في لمز ظاهر وخفي للمجاهدين في مواضع من بيانهم .

والمجاهدون حتى لو أخطأوا خطأً قطعياً فإن لهم حق النصرة والإخوة خصوصاً في الوقت الذي يقاتلهم فيه الكفار ، والله المستعان .

سابعاً : في موقف البيانين من إلزام الآخرين بالقيم والمفاهيم :

طالب الأمريكيون بفرض ما يسمونه بـ(**القيم الأمريكية**) و (**المباديء الأساسية**) التي رأوها على المجتمع المسلم ولو بالقوة ! .

وأما في بيان المثقفين فإنهم يقولون ما نصه (**وليس من شريعتنا أن نلزم الآخرين بمفاهيمنا الخاصة، هذا هو خيارنا الشرعي**) ، وكرروا ما يفهم منه هذا الأمر في مواضع.

وهذا باطل ، فإن الله سبحانه يقول (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) ويقول (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ..الآية**) ، وغيرها من آيات السيف ، مع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في الجهاد ، وسيرته ، وسيرة الصحابة ، وعلى ذلك أجمع العلماء إجماعاً قطعياً ، وهذا هو الإلزام بالمفاهيم ؛ فإما الإسلام ، وإما أن يؤدي الجزية وهو صاغر ، وإما السيف ولا كرامة له.

ثامناً : في موقف البيانين من الآخرين :

في بيان الأمريكيين يطالبون فيه أن يضرب (الإسلام الإرهابي) يعني الحقيقي القائم على (الولاء والبراء) و (الجهاد في سبيل الله) ، ويدعون فيه إلى فصل الدين عن الدولة .

وأما في بيان المثقفين فإنهم يدعون الكفار و (المفكرين الأحرار) إلى (التعقل) وفتح (باب الحوار) من أجل (التعايش) و (السلام العادل) و (التعاون) لما فيه (خير البشرية)!! .

المبحث الثالث

مقارنة بين بيان المثقفين وبيان الليبراليين

أصدر في أول شهر صفر – قبل صدور بيان المثقفين – 113 من الحداثيين والعلمانيين والروافض وغيرهم ممن لا يحسب عليهم – ولكنه لا يحسب على الإسلاميين[1] – بياناً ضد أمريكا .

ويهمنا هنا في مقارنة هذين البيانين ذكر أمرين :

الأمر الأول :

أن أولئك لم يحاولوا أن يتكثروا بالإسلاميين حتى لو كانوا من العصرانيين في بيانهم ، كما فعل أصحاب (بيان المثقفين) – هداهم الله – الذين تكثروا بالعلمانيين[2].

الأمر الثاني :

أن أولئك كان خطابهم الموجه إلى أمريكا شديداً ، فقد طالبوا الدول العربية بالتنديد بالدعم الأمريكي لإسرائيل ، وجاء في البيان أن (الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني يمثلان محور الشر في العالم!!) ، كما طالبوا بضرورة اتخاذ مواقف جادة من الحكومات العربية إزاء الاختراق الأمريكي والإسرائيلي للمنطقة العربية الإسلامية ، وأشاروا إلى ضرورة ممارسة مختلف وسائل الضغط على الولايات المتحدة لإشعارها بأن مصالحها

---

[1] حيث إن هناك من الموقعين على بيان الليبراليين ممن ليس منهم ولا من الروافض والحداثيين ولا يحسب عليهم ، ولكنه أيضاً ليس من الإسلاميين .

وهنا مسألة أثارها بعض الإخوة : وهو لماذا الركان على بيان المثقفين دون الليبراليين ، والجواب ظاهر ؛ وهو أن الليبراليين لا يتكلمون باسم الإسلام والشريعة ، بل هم في جانب ، والشريعة في الجانب الآخر ، ولا يوجد من المسلمين من يأخذ كلامهم على أنه (كلام شرعي) ؛ فليس منه خطر ولو أصدروا عشرات البيانات !.

[2] وكما سبق أن قلت : لا يشغب أحد بأن هذا الخطاب إسلامي ، فإنه قد صيغ بلغة ترضي جميع الأطراف ولا أدل من موافقة تركي الحمد عليه!!.

مهددة في المنطقة العربية ، ودعوا إلى قطع كل العلاقات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية مـع إسـرائيل، وشـددوا علـى تطبيـق إجـراءات المقاطعـة العربيـة ضـدها ، ومقاطعـة السـلع والمنتجات الأمريكية .

ولا شك أنك إذا قرنت هذه اللغة بلغة (بيان المثقفين) فستجد أن البون كبير ، فإن لغة خطاب (بيان المثقفين) في غاية (السماحة) و (اللطف) !!.

مع أن بعض الموقعين على بيان المثقفين – هداهم الله – كانوا إذا أرادوا وصف كثير من أصحاب البيان السابق فإنهم يذكرون عنهم أنهم (دسائس غربية) و (طابور خامس لهم) و (تغريبيون) !!.

فصار (دسائس الغرب) أقوى لهجة من الذين يعيرونهم بهذا لما حصلت المواجهة[1] ، والله المستعان.

---

[1] لا يقول أحد – ممن يسيئون الظن – إنني أفضل أولئك الحداثيين ونحوهم على الدعاة وأهل العلم والدين من الموقعين على بيان المثقفين ، بل ولا مقارنة بين الفريقين ، ولكن الكلام هنا على صيغة البيانين ، وقد ذكرت هذه المقارنة ليعلم الفرق في لغة هذا الخطاب.

المبحث الرابع

مقارنة بين بيان المثقفين و بعض ما جاء في مؤتمرات التقريب بين الأديان

والكلام هنا ليس على تفصيل هذا الأمر وذكر الأسس التي قام عليها البيان مما يوافق فيه مؤتمرات التقريب بين الأديان وإبطال ذلك ، بل هذا موضعه في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى ، وإنما الكلام هنا على المقارنة المجردة بين هذا البيان ، وبين بعض ما جاء في مؤتمرات التقريب بين الأديان ، وهو على قسمين :

القسم الأول :

ذكر أسماء بعض مؤتمرات التقريب بين الأديان و التي كانت بعناوين مشابهة[1] لعنوان (بيان المثقفين) :

1- (**مؤتمر : التعايش بين الأديان : الواقع والآفاق**) :

عقد في (لافلتا) في مالطا في الفترة : 4-5 جمادى الأولى من عام 1411 .

2-(**مؤتمر : التعايش الإسلامي المسيحي**) :

عقد في (شامبيزي) في سويسرا في الفترة : 13 – 15 ربيع الثاني من عام 1399 ، وشارك فيه خمسة من المسلمين ، وعشرة من النصارى .

3- (**المسيحيون والمسلمون العائشون العاملون معاً : المباديء الأخلاقية والممارسات في حقل البرامج الإنسانية والتنموية**) :

عقد في كولمبو في سيرلانكا في الفترة : 3 – 5 جمادى الثانية .

4-(مؤتمر : **لنعش فوارقنا معاً**) :

عقد في موفو في فرنسا في الفترة : 22-23 جمادى الثانية من عام 1409 ، وشارك فيه مائة وخمسون شخصاً .

---

[1] ليس هذا الأمر مجرد مشابهة في العنوان ، بل في المضمون كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

5- (**مؤتمر : التعايش**) :

عقد في مرسيليا في فرنسا يوم 27 شعبان من عام 1412 ، وحضره مائة وثلاثون شخصاً من المسلمين واليهود والنصارى .

6- (**مؤتمر : نصارى ومسلمون : العيش مع بعضهم بعضاً ، والاستماع من بعضهم بعضاً**) :

عقد في (فيتان) في ألمانيا الاتحادية في الفترة : 10 – 13 : مايو من عام 1984م .

7- (**مؤتمر : التعايش الأفضل**) :

عقد في مدينة (أليغاره) في الهند في الفترة : 8-10 شوال من عام 1394 ، وشارك فيه ثلاثة عشر مسلماً ، وعشرون نصرانياً .

8- (**مؤتمر : التعايش الإسلامي المسيحي في لبنان**) :

عقد في بيروت في لبنان يوم 2 جمادى الأولى من عام 1404 .

9- (**مؤتمر : التعايش الإسلامي المسيحي والقيم الإنسانية المشتركة**) :

عقد في عمان في الأردن في الفترة : 29 ربيع الأول – 2 ربيع الآخر من عام 1408 ، بحضور ثمانين مشاركاً .

10- (**مؤتمر : حوار وتعايش**) :

عقد في القدس في الفترة : 1 – 3 ذي الحجة من عام 1403 ، وحضره أربعون مشاركاً.[1]

---

[1] انظر : دعوة التقريب بين الأديان : للقاضي : 3 / 1126 ، 1164 ، 1168 ، 1256 ، 1284 ، 1320 ، 1323 ، 4/ 1354 ، 1377 ، 1385 ، 1540 .

وقد عقد خلال أربعين سنة تقريبا ما يزيد على ثلاثمائة مؤتمر للتقريب بين الأديان ، وكانت أكثر عناوينها كما يلي: **الحوار** : 32 مرة ، **السلام** : 18 مرة ، **التعايش** : 16 مرة ، **التعاون** : 14 مرة ، **التفاهم** : 7 مرات . دعوة التقريب بين الأديان : 336/1 .

قلت : وقارن هذه العبارات مع ما ورد في (بيان التعايش) تجد الصلة وثيقة !!.

11- وفي أثناء كتابة هذه الأحرف عقد مؤتمر في دمشق بعنوان (**الحوار بين الحضارات من أجل التعايش**) (!) تحت رعاية رئيس سوريا النصيري ، وهذا نص ما جاء في موقع الجزيرة عن هذا المؤتمر بتاريخ 4 / 3 / 1423 :

" تعقد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو" ندوة دولية في دمشق الأسبوع القادم تحت عنوان (**الحوار بين الحضارات من أجل التعايش**) ، وذلك تحت رعاية الرئيس السوري بشار الأسد الذي سيفتتح أعمالها ، ويشارك في الندوة مجموعة من المفكرين والأكاديميين من العالم العربي الإسلامي ومن بعض البلدان الغربية ومن اليابان والهند .

وستبحث الندوة أربعة محاور تشمل : أسس الحوار بين الحضارات ومنطلقاته ، والحوار بين الحضارات والتنوع الثقافي ، والصور النمطية المشوهة عن الحضارات وسبل تصحيحها ، ومن الحوار إلى التعايش".

القسم الثاني :

مقارنة بين بعض ما جاء عن دعاة التقارب و(بيان المثقفين) [1]:

أولاً : من كلام النصراني موريس بورمانس :

يقول في كتاب له بعنوان (**توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين**) [2]:

(إن الذين يدينون بالإسلام ، والذين يتبعون يسوع يتساءلون اليوم عما كان لمسيرتهم معاً على الطريق من الأشكال المتنوعة طوال أربعة عشر قرناً من التاريخ المضطرب ، إن الله يدعوهم إلى استخلاص العبر من ذلك ليعرفوا على وجهٍ أفضل بلا ريب أن سبل الحوار قد

---

[1] سأقوم بذكر ما في بيان المثقفين مما يقابل كلام دعاة التقارب في الحاشية بدون تعليق !!.

[2] وهو إصدار من الكنيسة الكاثوليكية في سبيل التقريب بين الأديان ، وحظي بمراجعة لفيف من كبار النصارى – وليس فيهم كبير – وطبع في طبعته الثانية عام 1980م ، وتبنته ونشرته أمانة السر للعلاقات بغير النصارى ، انظر : دعوة التقريب : 420/1 .

تصل بهم غداً إلى شهادة أنصع ، وتعاون أخلص ، في خدمة الله لمصلحة الناس وخير العالم)
.[1]

ثم إن هذا النصراني حدّد أربعة استعدادات أساسية ضرورية في أشخاص المتحاورين لبلوغ حوار حقيقي وهي – باختصار – [2]:

1- **قبول الواحد للآخر** : يفترض استقبال المسيحيين والمسلمين بعضهم للبعض الآخر على ما بينهم من اختلاف عظيم واحترام بعضهم بعضاً في تنوع تراثهم الديني .[3]

2- **التفاهم** : والمطلوب هو التلاقي في سبيل التفاهم ، ومعرفة كل واحد للآخر [4].

3- **التعايش والمشاركة**[5] : على المسيحيين والمسلمين المدعوين إلى أن يعترف بعضهم ببعض في أصالتهم[6] ،

---

[1] في بيان المثقفين : (وفي مثل هذا المفصل المهم من التاريخ فإننا ندعو المفكرين الأحرار إلى حوار جاد يحقق الفهم الأفضل للفريقين ، وينأى بشعوبنا عن دائرة التطاحن والصراع ، ويمهّد لمستقبل أفضل لأجيالنا التي تنتظر منا الكثير ، يفترض أن ندعو جميعاً لمشروع حوار نقدمه لعالمنا تحت مظلة العدل والأخلاق والحقوق، مبشرين العالم بمشروع يصنع الخير والأمن له).

[2] دعوة التقريب : 1 / 423 ، 424 .

[3] في بيان المثقفين : (وبقدر ما إن الحوار ضروري ومؤثر فإن **الاحترام** والوضوح والصراحة والموضوعية من ضروريات نجاحه، فالحوار إنما يتأسس على **الاحترام** والوضوح والمصارحة وأن يكون لدى أطرافه القابلية للنقد والمراجعة والبعد عن التشنج) و (ندعوه كذلك إلى فتح قنوات حوار بين النخب المثقفة الممثلة لتيار الإسلام العريض وبين المفكرين وصناع القرار في الغرب) .

[4] وهذا ما يدعو له بيان المثقفين مراراً كقولهم (وفي مثل هذا المفصل المهم من التاريخ فإننا ندعو المفكرين الأحرار إلى حوار جاد **يحقق الفهم الأفضل للفريقين**) ، و (نرى أن من حقنا –كما هو من حق أي شعب– أن نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من أجل **تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض**) ، و (ولذا فإن إيجاد مساحة أوسع للحوار، **وتبادل الرأي** يلتقي فيها أهل الفكر والعلم والثقافة هي – من وجهة نظرنا – البديل للغة العنف والتدمير، وهذا هو دافعنا لكتابة هذه الورقة وإدارة هذا الحوار).

[5] وعنوان بيان المثقفين (**على أي أساس نتعايش؟**) يدل على هذا الأمر .

[6] في بيان المثقفين طلبوا من الأمريكان الاعتراف بهم حيث قالوا (وسيجد العالم الغربي فيه فرقاً كبيراً عن المفاهيم والتصورات التي يحملها عن الإسلام، هذا إذا كان جاداً **في الاعتراف بنا وبديننا ومقدراتنا**) و (إننا ندعو إلى **انفتاح جاد من الغرب على الإسلام** ، وقراءة مشاريعه ، والتعامل بهدوء مع الواقع الإسلامي، وأن يُجري الغرب مراجعة جادة

=

وأن يتعاونوا حيثما يشعرون بأنهم ملتزمون القيم نفسها[1] .

4-**الجرأة والمخاطرة**[2] : والحوار دوماً مغامرة لا يعرف فيها المتحاورون إلى أين ينتهون ، وبحسبهم أن تقوم بينهم الثقة ، وأن يشرعوا في التخاطب والتعايش[3].

ثانياً : مجلس الكنائس العالمي :

عقد هذا المجلس ندوة في يونيو من عام 1966م في (برمانا) في لبنان لبحث العلاقة مع الإسلام ، أعقبها في مارس من العام التالي دعوة بعض المسلمين إلى جنيف للتمهيد للقاء أشمل تم في (كرتينيه) قرب جنيف بين 2 – 6 مارس 1969م جاء في نتائجه ما يلي [4]:

(يرى المشتركون في المؤتمر أن الحوار بين المسيحيين والمسلمين ضروري [5]، وأنه ينبغي التوسع فيه على أصعدة مختلفة[6] ، وهذه الضرورة تأتي :

أ – من القرابة الخاصة والتاريخية بين الدينين [7].

في الموقف من الإسلام، وندعوه كذلك إلى فتح قنوات حوار بين النخب المثقفة الممثلة لتيار الإسلام العريض وبين المفكرين وصناع القرار في الغرب).

[1] في بيان المثقفين (مدركين أن مجموعة من المفاهيم في الأخلاق والحقوق والقضايا المعرفية **هي قاسم مشترك مع الغرب ومؤهلة للتطوير** الذي يصنع الأفضل لنا جميعاً وهذا يعني أننا نملك أهدافاً مشتركة) ، و (هذه الأسس هي ما نؤمن به، وأمرنا به ديننا، وتعلمناه من نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، **وهي تتفق – بقدر مشترك – مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأمريكيون في بيانهم،** ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية) .

[2] قال موقع الإسلام اليوم في مقدمة هذا البيان : (قام موقع "الإسلام اليوم " **بخطوة جريئة** في هذا المجال من خلال طرح ورقة جوابية يخاطب بها الطبقة المثقفة في المجتمع الغربي) .

[3] والبيان كله شروع في الدعوة إلى التخاطب والتعايش**!!!**.

[4] دعوة التقريب : 2 / 466 .

[5] في بيان المثقفين بعد طلبهم للحوار (وبقدر ما إن الحوار **ضروري** ومؤثر) .

[6] في بيان المثقفين (فكذلك ينبغي أن نقدر أن ثمة **مجموعة من المشاكل يواجهها العالم** في: الحقوق، والحريات، والأوليات الإنسانية (التعليمية، والصحية، والغذائية، والأخلاقية) يفترض أن تحظى باهتمامنا).

[7] في بيان المثقفين (و تعاليم الإسلام تصف **النصارى بأنهم أقرب للمسلمين** من غيرهم، والتاريخ يذكر أن نبي الإسلام محمد – صلى الله عليه وسلم – أرسل مجموعة من أصحابه في سنوات الإسلام الأولى إلى أحد الملوك

=

ب- من النقد الذاتي الذي تمتاز به الديانتان [1] .

ج – من الوضع الناتج عن اختلاط السكان .

د – من الوضع التاريخي الحالي الخاص [2].

غاية الحوار الأولى هي : حمل الديانتين على تأمين الاحترام المتبادل [3]، وتعزيز التفاهم[4] . فعلاقتهما قد أثقلتها عصور مشحونة بكثير من سوء التفاهم[5]) .

ثالثاً : من كلام النصراني جورج ليونارد كاري رئيس أساقفة كانتربري في بريطانيا:

ألقى محاضرة في جامعة الأزهر بعنوان (تحديات العلاقات بين الأديان الكبرى) عام 1995م ومما جاء فيها [6]:

(بدون سلام بين الأديان ستكون هناك حرب بين الحضارات ، لا سلام بين الأديان بدون حوار بينها ،

المسيحيين في الحبشة ؛ لأنه يتميز برعاية الحقوق الخاصة، وأن النبي محمداً –صلى الله عليه وسلم– كتب كتاباً لملك المسيحيين الرومان، ولملك المسيحيين الأقباط ولقي الكتابان حفاوة بالغة. وقد أخبر القرآن الكريم بأن المسيحيين هم الأفضل في أخلاقيات التعامل من بين كل المجموعات الدينية..) .

[1] في بيان المثقفين (ونحن نرحب بالحوار **والمراجعة** فالحوار – من حيث المبدأ – خطوة نبيلة **لإعادة** طرح الأسس الأخلاقية، **والتداول** حولها؛ من أجل إقامة علاقات أكثر عدلاً وإنصافاً بين الأمم والشعوب) ، و (وأن يكون لدى أطرافه القابلية **للنقد والمراجعة** والبعد عن التشنج) ، (وإن كنا **نعترف** بأشكال متطرفة مرتبطة ببعض المسلمين كغيرهم) .

[2] في بيان المثقفين (**وفي مثل هذا المفصل المهم من التاريخ** فإننا ندعو المفكرين الأحرار إلى حوار جاد يحقق الفهم الأفضل للفريقين).

[3] في بيان المثقفين (وبقدر ما إن الحوار ضروري ومؤثر فإن **الاحترام** والوضوح والصراحة والموضوعية من ضروريات نجاحه، فالحوار إنما يتأسس على **الاحترام** والوضوح والمصارحة وأن يكون لدى أطرافه القابلية للنقد والمراجعة والبعد عن التشنج) .

[4] في بيان المثقفين دعوة إلى (حوار جاد **يحقق الفهم الأفضل للفريقين**) ، (نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من أجل **تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض**) .

[5] وهو ما امتلأ به بيان المثقفين من الكلام على البعد عن (التطاحن) و (الصدام) و (الصراع) و (الإرهاب) .

[6] دعوة التقريب : 2 / 489 – 493 .

ولا حوار بين الأديان بدون البحث في الأسس) [1].

ثم حدّد أربعة أسس لبناء علاقة جديدة بين الديانتين :

(1- **الصداقة لا العداء** : الصداقة هي الإطار الذي يحتوي كل الاختلافات في تواصل ، والذي يحتضن المعتقدات المخالفة بدون الانزلاق إلى العداوة والبغضاء[2] .

2-**التفهم لا الجهل** : إن جهل بعضنا بالبعض الآخر هو أمر مريع ، فالجهل هو أخطر أمراض الحضارة [3].

3- **الانفتاح لا الانغلاق** : وإذا كان للحوار أن يستمر من خلال الصداقة فلا مناص من أن نتناول مسألة الانفتاح التي تطرح نفسها بإلحاح [4].

4- **التعاون لا المجابهة**[5] : نحن لا نستطيع أن نستحمل الانزلاق إلى العداء والمجابهة فنحن في حاجة إلى رسم طرقٍ جديدةٍ للتعاون والسلام المبنيين على الفهم والنوايا الصادقة ، فقد ذكرت حتى الآن الاختلافات بين الأديان ، فهذه الاختلافات حقيقة ولا يجب إنكارها ، كما لا يجب أيضاً أن يفهم منها أنه ليس هناك شيء مشترك بينها ، فهناك تفاهم واتفاق أكبر مما نعتقد في بعض الأحيان[6] ...اسمحوا لي أن ألخص الطرق التي يمكن من خلالها تقوية أواصر التعاون :

---

[1] وهذا تلخيص لما جاء في بيان المثقفين !! .

[2] في بيان المثقفين (وبقدر ما إن الحوار ضروري ومؤثر فإن **الاحترام** والوضوح والصراحة والموضوعية من ضروريات نجاحه، فالحوار إنما **يتأسس على الاحترام** والوضوح والمصارحة وأن يكون لدى أطرافه القابلية للنقد والمراجعة **والبعد عن التشنج**) .

[3] في بيان المثقفين (حوار جاد **يحقق الفهم الأفضل للفريقين**) ، (نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من أجل **تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض**) .

[4] في بيان المثقفين (إننا **ندعو إلى انفتاح جاد من الغرب على الإسلام**) ، و (**وندعوه كذلك إلى فتح قنوات حوار** بين النخب المثقفة الممثلة لتيار الإسلام العريض وبين المفكرين وصناع القرار في الغرب) .

[5] وهو ما قام عليه بيان المثقفين من الدعوة للحوار من أجل التعاون والتعايش وترك الصراع .

[6] في بيان المثقفين (مدركين أن مجموعة من المفاهيم في الأخلاق والحقوق والقضايا المعرفية **هي قاسم مشترك مع الغرب ومؤهلة للتطوير** الذي يصنع الأفضل لنا جميعاً) ، (**وهي تتفق – بقدر مشترك – مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأمريكيون في بيانهم**، ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية) .

1- التعاون في محاربة الفقر والشقاء الإنساني [1] .

2-السلام والتآلف بين الشعوب[2] .

3-التسامح والتفهم [3] .

...نحن مطالبون بوضع أسس الحوار بين الأديان والعمل المشترك[4] من أجل الأجيال التي لم تولد بعد لكي تعيش يوماً ما في عالم يسوده السلام[5]) .

والحقيقة أن بين يدي ما لا يقل عن عشرين ورقة إضافية في المقارنة بين ما جاء في مؤتمرات التقريب بين الأديان وبين (بيان المثقفين)[6] ، ولكني سأكتفي بما ذكرت طلباً للاختصار ، ولأنه يكفي للدلالة على ما وراءه ، ومن لم يكفه هذا فلا حيلة فيه .

---

[1] في بيان المثقفين (فكذلك ينبغي أن نقدر أن ثمة **مجموعة من المشاكل يواجهها العالم** في: الحقوق، والحريات، والأوليات الإنسانية (التعليمية، والصحية، والغذائية، والأخلاقية) يفترض أن تحظى باهتمامنا) .

[2] في بيان المثقفين (نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من أجل تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض، **تحقيقاً للسلام العالمي**، وخلق فرص استفادة للباحثين عن الحقيقة والخير).

[3] في بيان المثقفين (حوار جاد **يحقق الفهم الأفضل للفريقين**) ، (نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من **أجل تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض**) .

[4] في بيان المثقفين بعد أن ذكروا ثمانية أسس زعموا أنها أسس علاقة المسلمين بغيرهم : (هذه الأسس هي ما نؤمن به، وأمرنا به ديننا، وتعلمناه من نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهي تتفق – بقدر مشترك – مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأمريكيون في بيانهم، **ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية)** .

[5] في بيان المثقفين (**حوار جاد يحقق الفهم الأفضل للفريقين، وينأى بشعوبنا عن دائرة التطاحن والصراع، ويمهّد لمستقبل أفضل لأجيالنا التي تنتظر منا الكثير** ، يفترض أن ندعو جميعاً لمشروع حوار نقدمه لعالمنا تحت مظلة العدل والأخلاق والحقوق، **مبشرين العالم بمشروع يصنع الخير والأمن له)**.

[6] هذا بالإضافة إلى مقارنة بين ما ورد في بيان المثقفين وما جاء عن العقلانيين من دعاة التقارب مثل : محمد عبده ، والترابي ، والقرضاوي ، وهويدي ، وعمارة ، وغيرهم ، وسيأتي في الفصل القادم إن شاء الله ثناء أحد دعاة التقارب بين الأديان وهو الصحفي الذي صار مفكرا إسلاميا (فهمي هويدي) على هذا البيان ! ، وسيأتي في الفصل الرابع أيضاً عند الكلام على التقريب مرة أخرى مقارنات سريعة مع التقريبيين العصرانيين إن شاء الله .

المبحث الخامس

مقارنة بين بيان المثقفين ورسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى سراجون ملك قبرص

يذكر بعض الموقعين – هداهم الله – على بيان المثقفين إذا نوقشوا أنهم فعلوا قريباً من فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رسالته إلى ملك قبرص !! .

ورسالة شيخ الإسلام هذه محفوظة ولله الحمد في فتاواه (28/ 602-630) ، وفيما يلي مقارنة سريعة بين رسالة الشيخ وبيان المثقفين لبيان الفرق بينهما :

أولاً : في استهلال الخطابين :

استهل شيخ الإسلام رحمه الله تعالى رسالته بالصلاة على الأنبياء وخص محمدا صلى الله عليه وسلم بمزيد صلاة وثناء وبيان ختمه للرسالات فقال : (أما بعد فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو إله إبراهيم وآل عمران . ونسأله أن يصلي على عباده المصطفين وأنبيائه المرسلين ، ويخص بصلاته وسلامه أولي العزم الذين هم سادة الخلق وقادة الأمم ، الذين خصوا بأخذ الميثاق وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ... ونسأله أن يخص بشرائف صلاته وسلامه خاتم المرسلين وخطيبهم إذا وفدوا على ربهم وإمامهم إذا اجتمعوا شفيع الخلائق يوم القيامة نبي الرحمة ونبي الملحمة الجامع محاسن الأنبياء الذي بشر به عبد الله وروحه وكلمته التي ألقاها إلى الصديقة الطاهرة البتول التي لم يمسها بشر قط " مريم ابنة عمران " ذلك مسيح الهدى عيسى ابن مريم الوجيه في الدنيا والآخرة المقرب عند الله المنعوت بنعوت الجمال والرحمة لما أنجر بنو إسرائيل فيما بعث به موسى من نعت الجلال والشدة – وبعث الخاتم الجامع بنعت الكمال ; المشتمل على الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين . والمحتوي على محاسن الشرائع والمناهج التي كانت قبله صلى الله عليهم وسلم أجمعين . وعلى من تبعهم إلى يوم القيامة) .

أما استهلال (بيان المثقفين) :

(ونحن نرحب بالحوار والمراجعة فالحوار – من حيث المبدأ – خطوة نبيلة لإعادة طرح الأسس الأخلاقية، والتداول حولها؛ من أجل إقامة علاقات أكثر عدلاً وإنصافاً بين الأمم والشعوب، ومن هذا المنطلق نقدم نحن الموقعين هذه الورقة من أرض الحرمين ومهد الإسلام

(المملكة العربية السعودية) وجهة نظر بديلة متطلعين لتأسيس أجواء تفاهم مشترك تتبناها الحكومات والمؤسسات) .

ولا شك أن الفرق بين الاستهلالين من ناحية القوة والعزة والاعتناء بالشرع والأدلة كالفرق بين السماء والأرض!!.

ثانياً : في الكلام على التوحيد :

تكلم شيخ الإسلام رحمه الله على أصل دعوة الأنبياء : التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له مرارا في رسالته ، فمن ذلك :

قوله : (فمن هداه الله صراطه المستقيم ...لا يعبد إلا إياه رغبة ورهبة ومحبة وأخلص دينه لمن الدنيا والآخرة له رب الأولين والآخرين ، مالك يوم الدين ، خالق ما تبصرون وما لا تبصرون عالم الغيب والشهادة الذي أمره إذا أراد شيئا أن يقول له : كن فيكون ، لم يتخذ من دونه أندادا كالذين اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولم يشرك بربه أحدا ولم يتخذ من دونه وليا ولا شفيعا ; لا ملكا ولا نبيا ولا صديقا ; فإن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) .

وقوله (ذلك أن الناس كانوا بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص كما كان عليه أبوهم آدم أبو البشر – عليه السلام – حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان – بدعة من تلقاء أنفسهم – لم ينزل الله بها كتابا ولا أرسل بها رسولا ; بشبهات زينها الشيطان...) .

وقوله (فابتعث الله نبيه نوحا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهاهم عن عبادة ما سواه ; وإن زعموا أنهم يعبدونهم ليتقربوا بهم إلى الله زلفى ويتخذوهم شفعاء..) .

وقوله (بعث الله تعالى إمام الحنفاء وأساس الملة الخالصة والكلمة الباقية : إبراهيم خليل الرحمن . فدعا الخلق من الشرك إلى الإخلاص . ونهاهم عن عبادة الكواكب والأصنام..)

وقوله (الأحزاب من بينهم هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فبعث النبي الذي بشر به المسيح ومن قبله من الأنبياء داعيا إلى ملة إبراهيم ودين المرسلين قبله وبعده وهو عبادة الله وحده لا شريك له وإخلاص الدين كله لله وطهر الأرض من عبادة الأوثان ونزه الدين عن الشرك : دقه وجله..) .

وأما في (بيان المثقفين) فلا يوجد شيء من ذلك مطلقاً !!.

ثالثاً : في إبطال دين النصارى :

بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بطلان دين النصارى في أكثر من موضع ، ومن ذلك:

قوله (فتفرق الناس في المسيح عليه السلام ومن اتبعه من الحواريين ثلاثة أحزاب : قوم كذبوه وكفروا به وزعموا أنه ابن بغي ورموا أمه بالفرية ونسبوه إلى يوسف النجار وزعموا أن شريعة التوراة لم ينسخ منها شيء وأن الله لم ينسخ ما شرعه بعد ما فعلوه بالأنبياء وما كان عليهم من الآصار في النجاسات والمطاعم . وقوم غلوا فيه وزعموا أنه الله أو ابن الله وأن اللاهوت تدرع الناسوت وأن رب العالمين نزل وأنزل ابنه ليصلب ويقتل ; فداء لخطيئة آدم عليه السلام وجعلوا الإله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . قد ولد واتخذ ولدا ; وأنه إله حي عليم قدير جوهر واحد ثلاثة أقانيم وأن الواحد منها أقنوم الكلمة وهي العلم و هي تدرعت الناسوت البشري مع العلم بأن أحدهما لا يمكن انفصاله عن الآخرين ; إلا إذا جعلوه ثلاثة إلهات متباينة . وذلك ما لا يقولونه . وتفرقوا في التثليث والاتحاد تفرقا وتشتتوا تشتتا ; لا يقر به عاقل . ولم يجئ نقل إلا كلمات متشابهات في الإنجيل وما قبله من الكتب قد بينتها كلمات محكمات في الإنجيل وما قبله كلها تنطق بعبودية المسيح وعبادته لله وحده ودعائه وتضرعه).

وقوله (أرباب التثليث في الوحدانية والاتحاد في الرسالة قد دخل في أصل دينهم من الفساد ما هو بين بفطرة الله التي فطر الناس عليها وبكتب الله التي أنزلها) .

وقوله (هذا يقول : إن جوهر اللاهوت والناسوت صارا جوهرا واحدا وطبيعة واحدة وأقنوما واحدا . وهم اليعقوبية . وهذا يقول : بل هما جوهران وطبيعتان وأقنومان . وهم النسطورية . وهذا يقول بالاتحاد من وجه دون وجه وهم الملكانية) .

وقوله (فمن كان لا يؤمن بالله بل يسب الله ويقول : إنه ثالث ثلاثة وأنه صلب . ولا يؤمن برسله ; بل يزعم أن الذي حمل وولد وكان يأكل ويشرب ويتغوط وينام : هو الله وابن الله . وأن الله أو ابنه حل فيه وتدرعه ويجحد ما جاء به محمد خاتم المرسلين ويحرف نصوص التوراة والإنجيل ; فإن في الأناجيل الأربعة من التناقض والاختلاف بين ما أمر الله به وأوجبه ما فيها ولا يدين الحق) .

أما في بيان المثقفين فلم يذكروا شيئاً من ذلك ، بل مدحوا النصارى بأنهم أقرب الأديان إلى الإسلام !!.

رابعاً : في ذكر فساد النصارى :

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى فساد النصارى في مواضع ، ومن ذلك :

قوله (ولهذا كان عامة رؤسائهم – من القسيسين والرهبان وما يدخل فيهم من البطارقة والمطارنة والأساقفة – إذا صار الرجل منهم فاضلا مميزا فإنه ينحل عن دينه ويصير منافقا لملوك أهل دينه وعامتهم) .

وأما في بيان المثقفين فلم يذكروا شيئا من ذلك .

خامساً : في ذكر تبشير عيسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام :

بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن عيسى قد بشر بمحمد عليهما الصلاة والسلام ، ومن ذلك :

قوله (وقد أخبر الحواريون عن خاتم المرسلين أنه يبعث من أرض اليمن وأنه يبعث بقضيب الأدب وهو السيف . وأخبر المسيح أنه يجيء بالبينات والتأويل) .

وأما في بيان المثقفين فلم يذكروا شيئا من ذلك .

سادساً :في ذكر تناقضاتهم :

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى تناقضات اليهود والنصارى :

كقوله (إن هؤلاء عمدوا إلى الشريعة التي يعبدون الله بها فناقضوا الأولين من اليهود فيها ; مع أنهم يأمرون بالتمسك بالتوراة ; إلا ما نسخه المسيح . قصر هؤلاء في الأنبياء حتى قتلوهم . وغلا هؤلاء فيهم حتى عبدوهم وعبدوا تماثيلهم ...ثم ذكر جملة من ذلك)

وأما في بيان المثقفين فلم يذكروا شيئا من ذلك .

سابعاً : في ذكر بدعهم :

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بدع النصارى وأبطلها ، ومن ذلك :

قوله (إن الصلاة إلى المشرق لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون ; وإنما ابتدعها قسطنطين أو غيره ، وكذلك الصليب إنما ابتدعه قسطنطين برأيه وبمنام زعم أنه رآه ، وأما المسيح والحواريون فلم يأمروا بشيء من ذلك ، والدين الذي يتقرب العباد به إلى الله لا بد أن يكون الله أمر به وشرعه على ألسنة رسله وأنبيائه ; وإلا فالبدع كلها ضلالة وما عبدت الأوثان إلا بالبدع . وكذلك إدخال الألحان في الصلوات لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون ، وبالجملة فعامة أنواع العبادات والأعياد التي هم عليها لم ينزل بها الله كتابا ولا بعث بها رسولا) .

وفي بيان المثقفين لم يذكروا شيئا من ذلك .

ثامناً :في ذكر الجهاد في سبيل الله :

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن قتال الكفار شرعه الله سبحانه ، ومن ذلك :

قوله (إن أصل الدين هو الإيمان بالله ورسوله كما قال خاتم النبيين والمرسلين : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)) .

وقوله (من لم يؤمن به من الأمم فإن الله أمر بقتاله كما قال في كتابه : (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**)) .

وقوله (فمن هذا حاله فقد أمر الله رسوله بجهاده حتى يدخل في دين الله أو يؤدي الجزية وهذا دين محمد صلى الله عليه وسلم)

وأما في بيان المثقفين فأبعد ما يكون عن هذا الأمر ، بل هو قائم على البراءة من الجهاد في سبيل الله وأهله كما سيأتي إن شاء الله تعالى ! .

تاسعاً : في العناية بأسرى المسلمين والسؤال عنهم :

أن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ذكر الأسرى المسلمين وأمر بحسن معاملتهم وهدد الملك وقومه في مواضع ، ومن ذلك :

قوله (ليس الأسرى في رعية الملك أليست عهود المسيح وسائر الأنبياء توصي بالبر والإحسان . فأين ذلك . ثم إن كثيرا منهم إنما أخذوا غدرا والغدر حرام في جميع الملل والشرائع والسياسات فكيف تستحلون أن تستولوا على من أخذ غدرا أفتأمنون مع هذا أن يقابلكم المسلمون ببعض هذا وتكونون مغدورين والله ناصرهم ومعينهم ; لاسيما في هذه الأوقات والأمة قد امتدت للجهاد) .

وقوله (ثم عند المسلمين من الرجال الفداوية الذين يغتالون الملوك في فرشها وعلى أفراسها : من قد بلغ الملك خبرهم ; قديما وحديثا).

وقوله (كيف يحسن أيها الملك بقوم يجاورون المسلمين من أكثر الجهات أن يعاملوهم هذه المعاملة التي لا يرضاها عاقل ; لا مسلم ولا معاهد) .

وقوله (ما يؤمن الملك أن هؤلاء الأسرى المظلومين ببلدته ينتقم لهم رب العباد والبلاد كما ينتقم لغيرهم وما يؤمنه أن تأخذ المسلمين حمية إسلامهم فينالوا منها ما نالوا من غيرها ونحن إذا رأينا من الملك وأصحابه ما يصلح عاملناهم بالحسنى وإلا فمن بغي عليه لينصرنه الله) .

وقوله (هو مساعدته للأسرى الذين في بلاده وإحسانه إليهم وأمر رعيته بالإحسان إليهم والمعاونة لنا على خلاصهم ; فإن في الإساءة إليهم دركا على الملك في دينه ودين الله تعالى ودركا من جهة المسلمين ، وفي المعاونة على خلاصهم حسنة له في دينه ودين الله تعالى وعند المسلمين ; وكان المسيح أعظم الناس توصية بذلك) .

وقوله (كيف يمكن السكوت على أسرى المسلمين في قبرص سيما وعامة هؤلاء الأسرى قوم فقراء وضعفاء ليس لهم من يسعى فيهم).

وأما في بيان المثقفين فلم يذكروا (أسرى المسلمين في كوبا) بحرفٍ واحدٍ ، وهم الذين ذكرهم الكفار ، واحتجت على سوء معاملتهم المنظمات الكافرة كالصليب الأحمر وحقوق الإنسان وغيرها!! .

عاشراً : في الدفاع عن المجاهدين :

أن شيخ الإسلام رحمه الله دافع عن المجاهدين الذين قاتلوا ملك قبرص:

فقال : (إن قال قائل : هم قاتلونا أول مرة . قيل : هذا باطل فيمن غدرتم به ومن بدأتموه بالقتال . وأما من بدأكم منهم فهو معذور لأن الله تعالى أمره بذلك ورسوله بل المسيح والحواريون أخذ عليهم المواثيق بذلك ولا يستوي من عمل بطاعة الله ورسله ودعا إلى عبادته ودينه وأقر بجميع الكتب والرسل وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وليكون الدين كله لله ومن قاتل في هوى نفسه وطاعة شيطانه على خلاف أمر الله ورسله) .

وأين هذا الكلام مما في (بيان المثقفين) من مشاركة الكفار شعورهم في حوادثهم ، والبراءة من المجاهدين وتسميتهم بالإرهابيين ، ومشاركة الكفار وموافقتهم على حربهم !! . [1]

---

[1] أما تلطف شيخ الإسلام مع الملك وذكره ببعض الأوصاف الحسنة فهذا لا بأس فيه إذا كان لمصلحة شرعية وكان الكلام صدقاً ، وانظر إلى كلامه السابق فإنه لم يداهن الملك مطلقاً في دعوته للتوحيد وإبطال دينه وبيان فساده ودفاعه عن المجاهدين والأسرى . والمقصود هنا أن احتجاج من احتج لبيان المثقفين بمثل هذه الرسالة من أبعد ما يكون عن الصحة كما ظهر لك في هذه المقارنة ، ولا نقصد أن يقال كقول شيخ الإسلام رحمه الله هنا ، بل نريد أن نبين فساد احتجاجهم برسالته .

الفصل الثالث
نقض بيان المثقفين عقلا

المبحث الأول : بالنظر إلى الأمريكان :

المبحث الثاني : بالنظر إلى التاريخ :

المبحث الثالث : بالنظر إلى الواقع :

المبحث الرابع : بالنظر إلى طبيعة البيان :

المبحث الخامس : بالنظر إلى مؤيدي البيان :

تمهيد

إن كثيراً من الموقعين أو المؤيدين للبيان يندر أن يذكروا في تأييدهم له أدلة شرعية ، و إنما يؤيدونه من باب (المصلحة) ، و (العقلانية) ، و (الواقعية) ، و (بعد النظر) ، و (رجاحة العقل) ، و (الحكمة) ، و (موازنة الأمور) ، و نحو هذه العبارات .

فأردت من خلال هذا الفصل أن أبين أن (الواقعية) و (العقلانية) و (بعد النظر) و (رجاحة العقل) و (الحكمة) كلها تدل على فساد هذا البيان ، من دون نظر إلى الشرع.

وهذا كله يعود إلى أصل عظيم وهو :

إن كل معقول يؤدي إلى خلاف الشرع فهو معقول فاسد ، وقد فصل الكلام على هذا الأصل شيخ الإسلام رحمه الله في الدرء ، وابن القيم رحمه الله في الصواعق .

وبقراءة هذا الفصل سيتبين لك الأمر جلياً في مسألتنا إن شاء الله تعالى .

المبحث الأول

بالنظر إلى الأمريكان

إن (بيـان المثقفـين) كمـا يقـول أصـحابه موجـه لشـريحة معينـة ممـن يسـمون بـ(المثقفين) الأمريكان ، وسؤالنا هنا :

هل هؤلاء الذين وجّه هذا البيان إليهم يجهلون دين الإسلام حقاً حتى ينفع معهم مثل هذا الخطاب في تغيير صورة الإسلام في أذهانهم؟! .

أو بمعنى آخر :

هل سينجح هذا الخطاب في تغيير فكرة هؤلاء عن الإسلام القائم عندهم على الجهاد في سبيل الله وهو ما يسمونه (إرهاباً) ، وعلى تقسيم العالم إلى (مسلمين) و (كفار) من حيث الموالاة والمعاداة وهو ما يسمونه (عنصرية) و (كراهية الآخرين) ، وغير هذا مما حاول البيان تقديمه ؟!.

وهل سيقتنعون بأن الإسلام ضد (الصدام) و (الصراع) و (العنف) ، وأنه مع (الحوار) و (التعايش) و (السلام) ، وأنه يمهد لاستقرار المؤمنين وغير المؤمنين ، ونحو هذا ؟![1].

من الممكن أن نقسم (تصور) هؤلاء الأمريكان للإسلام إلى قسمين كالتالي :

القسم الأول :

الإسلام الحقيقي : وأعني به الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاء به القرآن ، وحكم به المسلمون ، وفتحت به الأمصار ، وبقي أربعة عشر قرناً محفوظاً من التحريف ، من الدين القائم على التوحيد ، والولاء والبراء ، والجهاد في سبيل الله ، ونحو هذا .

القسم الثاني :

الإسلام الإضافي : وأعني به الذي يختلف باختلاف الناس المضاف إليهم ؛ كإسلام المعتدلين (!) ، والإسلام الأمريكي (!) ، وإسلام الصوفية ، وإسلام الروافض ، ونحو هذا.

[1] ولو قام أحد المثقفين هؤلاء بقراءة (ترجمة لمعاني القرآن) فقط لرأى أكثر آياته ترد هذا القول .

فبالنسبة إلى القسم الأول :

فالناظر في التاريخ المعاصر يعلم أن (المتخصصين) من كفار أمريكا والغرب المهتمين بـ(الدراسات الإسلامية) يعلمون الإسلام جيداً ، ويعرفون أصوله ، ويوجد عندهم من (المراكز) ، و (كليات الجامعات) ، و (المعاهد) المتخصصة في هذا الشيء الكثير ، بل ويقومون بترجمة أهم الكتب الإسلامية القديمة والحديثة ودراستها[1] .

بل إن الدول الغربية عموماً منذ سقوط الاتحاد السوفيتي وانتهاء ما يسمى بالحرب الباردة قد جعلوا (الإسلام) هو العدو الرئيس لهم ، وقد صرح بذلك عدد من زعمائهم ، وما ذلك إلا لمعرفتهم بحقيقته ، وألفت في ذلك كتب كثيرة ، منها كتاب (أمريكا والإسلام السياسي صراع حضارات أم تضارب مصالح) ومؤلفه فواز جرجس ، وكما في كتاب (صدام الحضارات) لصمويل هنتغتون – وسيأتي الكلام عليه بالتفصيل إن شاء الله – ، وكما في كتاب نيكسون (نصر بلا حرب) ، وفيه قوله : "وفي العالم الإسلامي من المغرب إلى إندونيسيا تخلف الأصولية الإسلامية محل الشيوعية باعتبارها الأداة الأساسية للتغيير العنيف" .

و قال (خفير سولانا) أمين عام حلف شمال الأطلسي سابقاً في اجتماع للحلف عام 1412 بعد سقوط الاتحاد السوفييتي " بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط العدو الأحمر يجب على دول حلف شمال الأطلسي ودول أوربا جميعاً أن تتناسى خلافاتها فيما بينها وترفع أنظارها من على أقدامها لتنظر إلى الأمام لتبصر عدواً متربصاً بها يجب أن تتحد لمواجهته وهو الأصولية الإسلامية" .

---

[1] بل إن (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) و (لألفاظ الحديث) و (مفتاح كنوز السنة) وغيرها من المعاجم والكتب المتخصصة الإسلامية إنما هي من وضع المستشرقين الغربيين !! ، وليست معرفة أصول دين الإسلام بالشيء الصعب ، بل يكفي أن يقرأ أحدهم ترجمة لمعاني القرآن الكريم ليعرف أن من أهم أصول الإسلام (الولاء والبراء) ومن أعظم تشريعاته (الجهاد في سبيل الله) !، ومن المعلوم أن السياسات الغربية تجاه الإسلام تقوم على دراسات المتخصصين من أصحاب الخبرة بدين الإسلام ، ولا تقوم على دراسات يقوم بها (عوام في هذا الباب) من الممكن تغيير فكرهم بعشر ورقات !!.

وفي صحيفة (صنداي تلغراف) 23 سبتمبر 2001 كتب الصحفي (ستيفن سكوارت) مقالاً بعنوان (المسألة كلها بدأت من العربية السعودية) ، وكان مما قاله فيه :

"وعليه فإننا يجب أن نسأل أنفسنا ما الذي جعل من هؤلاء الأفراد وحوشا؟ ما الذي يُحفّز نزعات العنف في ثاني أكبر أديان العالم (وأسرع الأديان نمواً في أمريكا) ؟" .

ثم قال : " إن الكثير منهم سوف يجيبونك بكلمة واحدة: إنها "الوهابية". إنه صنف متوتر من الإسلام ، انبثق أو ظهر ، ليس خلال الحملات الصليبية ، ولا حتى خلال حروب مقاومة الأتراك في القرن السابع عشر ، وإنما منذ أقل من قرنين فقط . إنها حركة عنيفة ، إنها قليلة الاحتمال ، إنها شديدة التعصب للنموذج ".

وقال : " الوهابية هي المقابل الإسلامي للطائفة البروتستانتية الأكثر تطرفاً. إنها حركة متقشفة وتطالب بالعقاب لأولئك الذين يستمتعون بأي نوع من الموسيقى ما عدا الدف ، وبالعقاب الصارم حتى الموت لممارسة السكر أو المحرمات الجنسية ، وهي تدين من لا يصلون بوصفهم كفاراً ، في رؤية لم يحدث أن وُجدت في السابق ، في السياق الرئيس للإسلام . إنها دعوة إلى الإسلام المجرد : صلوات وجيزة ، ومساجد غير مزخرفة ، وهدم للأضرحة (نظراً لأن المساجد المزخرفة والمقابر ، تعرض أنفسها أماكنَ للتقديس ، وهو ما يحمل معنى الوثنية في العقل الوهابي) ، والوهابيون لا يسمحون حتى لاسم النبي محمد بأن يكون منقوشاً على المساجد ، كما لا يسمحون بأن يُحتفل بعيد ميلاده[1] ".

ونشرت صحيفة (نيويورك تايمز) مقالاً في عددها الصادر يوم الجمعة 1422/8/3 الموافق 2001/10/19 اتهمت فيه مدارس السعودية بأنها تصنع الإرهاب من خلال بثّ الأفكار المتطرفة والمعادية للغرب في عقول أبنائها ، وزعمت تلك الصحيفة الأمريكية أن كتب الدين الدراسية في مدارس السعودية تحتوي على تحذيرات للمسلمين من تكوين أي صداقات مع

---

[1] انظر إلى معرفته لمسألة تكفير تارك الصلاة ، وزخرفة المساجد ، وهدم الأضرحة ، والاحتفال بالمولد النبوي ، بل والتفريق بين الموسيقى والدف !! وأعتقد أن هذه الأمور قد يجهلها بعض من وقع على بيان المثقفين ، هذا وهو صحفي ، فكيف بالمتخصصين ؟!.

اليهود والمسيحيين ؛ لأنهم كفرة وأعداء لهم ، وذكرت في هذا (كتاب التوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى !! .

وفي دورية (الفورين أفريز) التابعة للشؤون الخارجية الأمريكية[1] – خريف 1997م – يقول ليزلي جيلب :

" **الإسلام لا يعترف بالتعايش مبدأ ، فالتعايش يتنافى مع مفهوم الإسلام للنظام العالمي**"[2].

وتقول جوديث ميللر – في نفس الدورية – :

" تقريباً كل الإسلاميين أنصار للعنف ، ويعارضون الديمقراطية والتعددية ، وكلهم سيظلون معادين للغرب ولأمريكا ولإسرائيل ، إن فكرة الدولة الإسلامية كما يعتنقها معظم مؤيديها لا تنسجم مع القيم والحقائق التي يعتبرها الأمريكان وعظم الغربيين حقائق مسلمة ولا تحتاج لإثبات لأنها واضحة بذاتها ، **إن أي حوار أمريكي مع تلك القوى الإسلامية يعتبر مضيعة للوقت** " .

وصرّح (بول وولفويتز) نائب وزير الدفاع الأمريكي يوم الأربعاء 24 / 3 / 1423 أمام مؤتمر أكاديمي – كما ذكرته صحيفة واشنطن تايمز يوم الخميس 3/25[3] – بأن : معركتهم ليست مع القاعدة فحسب ، بل هي مع الفكر السلفي (الوهابي) المنتشر في العالم الإسلامي ! ، وكان مما قاله : إن هدف الإرهابيين الإسلاميين هو جر العالم الإسلامي إلى العودة إلى أفكار القرون الوسطي ؛ حيث اضطهاد النساء – كما يزعم وولفويتز – والترويج للتعصب والتطرف الديني ؛ وتلقين الأطفال الكراهية [4].

---

[1] مجلة البيان : عدد 144 – شعبان – 1420 – ص 131 .

[2] وقد صدق في هذا !!.

[3] نقلاً عن موقع مفكرة الإسلام .

[4] وما قاله صحيح على كفره ، فالصادقون من المسلمين يريدون أن يعودوا بالأمة إلى ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في القرون المفضلة التي سماها (أفكار القرون الوسطى) ، وأن يكرموا المرأة بإلزامها بالحجاب والحشمة والعفة والستر والصيانة – والتي سماها هذا الكافر اضطهادا! – ، وأن يقوم دينهم على الولاء والبراء (الذي =

ولن أستطرد في ذكر النقول عنهم في هذا الباب التي تدل على فهم جيد لدين الإسلام وموقفه من الكفار والديمقراطية ونحوها – وكلامهم كثير جداً – ، ولكني سأكتفي ببعض النقول عن أحد أشهر الموقعين على (بيان المثقفين الأمريكان) وهو :

صمويل هنتنغتون[1] :

وقد اشتهر هذا الرجل بكتابه (صدام الحضارات) [2] ، وقد ذكر فيه ما يدل على معرفته بدين الإسلام [3]، ومن ذلك :

قوله تحت عنوان (**الإسلام والغرب**) [4]:

" بعض الغربيين – من ضمنهم بيل كلنتون – يطرحون أن الغرب ليس لديه مشاكل مع الإسلام ، ولكن مع المتشددين الإسلاميين الذين يدعون للعنف " .

ويعقب هنتنغتون على هذا بقوله :

" أربعة عشر قرناً أثبتت عكس ذلك[5] ، العلاقات بين الإسلام والمسيحية كانت غالباً عاصفة ، كل واحد كان آخراً للآخر [6] ، صراع القرن العشرين بين الليبراليين والديمقراطيين والماركسيين اللينيين ظاهرة سطحية زائلة مقارنة بالعلاقة التصارعية العميقة والمستمرة بين

سماه تعصبا وتطرفاً دينياً) ، وأن يلقنوا أولادهم ملة إبراهيم القائمة على البراءة من الكفار وبغضهم وعداوتهم التي سماها (الكراهية)!!.

[1] أحد كفرة أمريكا ، أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفرد ، وسنتوسع في النقل عنه لأمرين :

الأول : أنه يعد من أشهر المفكرين الاستراتيجيين في أمريكا ، ومدير أكاديمية هارفارد للدراسات الدولية والإقليمية ، وكان مسئولا في مجلس الأمن القومي الأمريكي.

الثاني : أنه من أبرز الموقعين على بيان المثقفين الأمريكان .

[2] وقد قسم في كتابه هذا الحضارات في العالم إلى (ثمان حضارات) ، وذكر أن أخطرها على الحضارة الغربية هي : الحضارة الإسلامية ، والحضارة الكنفوشيوسية (الصينية) .

[3] والمقصود من معرفته هنا بدين الإسلام أن دراسته له قائمة على الاستقراء التاريخي ، بالإضافة إلى معرفة بأصوله ، ومعرفة واقع المسلمين اليوم كما يظهر جلياً في كتابته عنه .

[4] صدام الحضارات : ترجمة : مالك أبو شهيوة ، ومحمود خلف – الدر الجماهيرية للنشر – ط1 – 1419 : ص 370 ، 371.

[5] هنا يرد بالاستقراء التاريخي ، لا بمجرد دراسات عابرة ، فقد ذكر بعد ذلك حركة الفتوحات الإسلامية !!.

[6] كذا في الترجمة ، ولعله : كان نداً للآخر .

الإسلام والمسيحية . في أوقات التعايش السلمي كان ظاهرة [كذا] وغالباً العلاقة كانت صراعاً حاداً أو درجات من الحرب الساخنة (ديناميكيتها التاريخية) ...حسب أربعة عشر قرناً سقط الدينان في سلسلة خطيرة من الاندفاعات ومعارضة هذه الاندفاعات .

مبدءا العرب المسلمون حققوا توسعاً خارجياً من أوائل القرن السابع إلى منتصف القرن الثامن ، وبنوا حكماً إسلامياً في الشمال الأفريقي ، وفي إيبيريا[1] ، والشرق الأوسط ، وبلد الفرس ، والشمال الهندي . ولمدة قرنين أو أكثر استقرت خطوط التقسيم بين الإسلام والمسيحية ، ثم في أواخر القرن الحادي عشر أكد المسيحيون السيطرة على غرب البحر المتوسط ، وأخضعوا صقلية ، واستولوا على طليطلة ، في عام 1095 م بدأ المسيحيون الحروب الصليبية ، ولمدة قرن ونصف القرن ، الملوك المسيحيون حاولوا بنجاح محدود إقامة حكم مسيحي في الأراضي المقدسة والأراضي المحيطة بها في الشرق الأقصى . وفقد المسلمون قرطبة موقع أقدامهم الأخير[2] في 1291م . وفي نفس الوقت ظهر العثمانيون إلى الوجود ، أولا أضعفوا بيزنطة ، ثم أخضعوا البلقان ، وكذلك شمال أفريقيا ، واستولوا على القسطنطينية في 1453م ، وحاصروا فيينا في عام 1529 م ، في حدود ألف سنة تقريباً – لاحظ برنارد لويس – بأنه منذ الوهلة الأولى التي حط فيها المغاربة في أسبانيا ، إلى الحصار التركي الثاني لفيينا ، كانت أوربا تحت تهديد مستمر من الإسلام .

الإسلام الحضارة التي وضعت استمرار الغرب في شك ، ولقد فعلت ذلك مرتين على الأقل ".

ثم قال بعد كلام على الاستعمار الأخير [3]:

---

[1] يعني : الأندلس .

[2] آخر معقل للمسلمين في الأندلس كانت (غرناطة) ، وسقوطها كان عام 897(1492م) ، ولكن لعل المراد هنا سقوط (أكبر) معاقل المسلمين (قرطبة) ، لا (آخر) معاقلهم ، وكان هذا عام 633 ، وبقراءة مسلسل سقوط معاقل المسلمين في الأندلس تظهر لك مصائب عظيمة من تولي ملوك الطوائف للكفار وإعانتهم لهم على باقي المسلمين ، ويكفي أن تعرف أن ملك غرناطة ابن الأحمر أرسل كتيبة لإعانة ملك قشتالة النصراني ضد أهل أشبيلية المسلمين لما رفضوا معاهدات الذل معهم إلى أن سقطت بأيدي الكفار عام 646 ، والله المستعان .

[3] صدام الحضارات : ص 372 -375.

"أسباب هذا النمط من الصراع يكمن ليس في ظاهرة التحولات المسيحية في القرن الثاني عشر ، أو أصولية القرن العشرين الإسلامية . **إنها تنبع من طبيعة الدينين ، والحضارات المؤسسة على مبادئهما** .

الصراع كان من جهة نتاج خلافات ، وخاصة مفهوم المسلم بأن الإسلام منهج الحياة ، يوحد الدين والسياسة ، ضد المفهوم الغربي المسيحي الذي يفصل الدين عن السياسة . ولكن الصراع أيضاً ينشأ من التشابه بينهما ، كل منهما يؤمن بالله الواحد [1] وفي ذلك يختلفان عن الأديان الأخرى التي تشرك بالله . كل منهما يرى العالم بطريقة مزدوجة (نحن) و (هم)[2] . كل منهما عالمياً يدعي بأنه الإيمان الحقيقي والذي يجب أن تعتنقه كل الإنسانية . كل منهما صاحب رسالة دينية يعتقد بأن معتقديه ملتزمين [كذا] بتحويل غير المؤمنين إلى ذلك الإيمان الحقيقي الواحد [3] .

الإسلام من بدايته انتشر بحد السيف ، وعندما سنحت الفرصة للمسيحية فعلت كذلك . تماثل مفهوم (الجهاد) و (الصليب) لا يجعل الدينين متشابهين فقط ، ولكن تميزهما عن الأديان الكبرى الأخرى ...

وحيث إن الإسلام يبقى إسلاماً (وسيبقى) والغرب سيبقى غرباً (مشكوك فيه) هذا الصراع الأساسي بين حضارتين عظيمتين سيستمر لتحديد علاقتهما في المستقبل مثلما حددها في السابق خلال الأربعة عشر قرناً ...

وفي أعقاب الحرب الباردة تزايدت شدة العداوة التاريخية ، وقد اعترف بها أعضاء من المجتمعين " .

ويقول [4]:

---

[1] أي توحيد للنصرانية المثلثة ؟!! .

[2] يعني تقسيم العالم إلى (مؤمن) و (كافر) .

[3] وقوله هذا بالنسبة للمسلمين هو الموافق للأدلة الشرعية كما سيأتي إن شاء الله ، و قارن قوله مع قولهم في بيان المثقفين (وليس من شريعتنا أن نلزم الآخرين بمفاهيمنا الخاصة، هذا هو خيارنا الشرعي)!!.

[4] صدام الحضارات : 376 .

"هم يؤكدون الاختلاف بين حضارتهم والحضارة الغربية ، وتفوق ثقافتهم ، ويؤكدون على الحاجة إلى المحافظة على سلامة وكمال هذه الثقافة ضد الهجوم الغربي . المسلمون يخافون ويزدرون القوة الغربية والتهديد الذي تشكله هذه القوة الغربية على المجتمع الإسلامي ومعتقداته . المسلمون يرون الثقافة الغربية ثقافة مادية ، فاسدة ، ولا أخلاقية ، وينظرون إليها بأنها مغرية ، ولذلك يؤكدون مقاومة تأثيرها على طريقة حياتهم . المسلمون يهاجمون بشكل متزايد الغرب ، ليس لارتباط الغرب بالدين غير الصحيح والذي هو (دين الكتاب) ، ولكن لعدم ارتباط الغرب بأي دين على الإطلاق ".

وختم كلامه هذا بقوله [1]:

"**المشكلة في الغرب ليست الأصولية الإسلاموية ، المشكلة الإسلام** . حضارة مختلفة ، وشعوبها مقتنعة بتفوقها الثقافي ، وواعية بدونية موقفها .

المشكلة بالنسبة للإسلام ليس المخابرات الأمريكية أو وزارة الدفاع ، المشكلة الغرب ، حضارة مختلفة ، شعوبها مقتنعة بعالمية ثقافتها ، واعتقاد هذه الشعوب بتفوقها ، القوة تجبرهم بالالتزام لتوسيع تلك الثقافة خلال العالم .

هذه هي المكونات الأساسية ، والتي تشغل الصراع بين الإسلام والغرب" .

ومما يدل على متابعة هنتغتون لديننا وفكرنا و ما يصدر عن المسلمين ما ذكره في كتابه هذا - (صدام الحضارات) – عن موقف أحد الموقعين على (بيان المثقفين) وفقه الله أثناء أزمة الخليج فقال [2]:

" وفي خريف 1990م عميد الكلية الإسلامية في (مكة) الدكتور سفر الحوالي أعلن في شريط مسجل وزع في السعودية العربية بأن تلك الحرب ليست هي : العالم ضد العراق ، إنها الغرب ضد الإسلام".

---

[1] صدام الحضارات : 383 .

[2] صدام الحضارات : 429 .

وفي مقابلة لصمويل هنتغتون أيضاً في مجلة المجلة جاء فيها [1]:

"**س** : قلت إن المشكلة بالنسبة للغرب ليست الإسلاميين المتطرفين ، إنما الإسلام كله؟

ج : نعم ، قلت ذلك ، الإسلام بكل طوائفه وأقسامه في مختلف الدول ، عبارة عن حضارة كاملة ، تشمل الدين والدنيا ، وكل مظاهر الحياة اليومية ؛ ولهذا قلت : **إن الإسلام ونظام الدول الغربية لن يلتقيا** "

" **س** : لماذا أنت متشائم حول مستقبل العلاقات بين الغرب والإسلام ؟.

ج : ما دام الإسلام سيبقى إسلاماً ، وليس هناك أي شك في ذلك ، وما دام الغرب سيبقى غرباً ، ولا يتوقع أحد أن يصبح الغرب شرقاً ، سيظل الصراع قائماً بينهما كما ظل قائماً لأربعة عشر قرناً". [2]

فعند التأمل في هذه الأقوال والنقول :

نعلم أن القوم يعرفون أصول دين الإسلام جيداً ، ولهم في ذلك : مراكز ، ودراسات ، وأبحاث ، ورسائل ، وتقارير ، ومؤتمرات ، واستقراء للتاريخ ، ولكتب المسلمين ، وغير ذلك ، وأنه من السذاجة[3] بمكان أن نعتقد أننا نستطيع تغيير فكرتهم عن (حقيقة الإسلام) بورقات معدودة ، أو حتى بمجموعة من الكتب ، أو الحوارات .

هذا إذا كان المطلوب هو تعديل تصورهم لـ(الإسلام الحقيقي) .

أما إذا كان المطلوب هو تعديل تصورهم لـ(إسلام الموقعين) على هذا البيان ، وأنهم من أصحاب (الإسلام المعتدل) لا (الإرهابي) أو (الراديكالي) كما نصوا عليه في قولهم (**لكننا نقدم المفهوم الوسطي المعتدل ، ونسعى لإشاعته**) ، فهذا البيان قد ينجح في ذلك ، إلا أن الواجب أن لا ينسبوا هذه الأمور إلى (دين الإسلام) و (الشريعة) و (تعاليم محمد صلى

---

[1] المجلة : عدد 896 – 13 / 4 / 1997 م.

[2] هناك نقول أخرى عن رجل آخر من مشاهير الموقعين على بيان المثقفين الأمريكان وهو (فوكوياما) صاحب كتاب (نهاية التاريخ) تكلم فيها عن (الفاشية الإسلامية) و (الوهابية) تركتها اختصاراً .

[3] وهذه السذاجة يصفها بعض العباقرة بقوله : (نظرة عميقة لا يفهمها السطحيون) !!.

الله عليه وسلم) ، بل عليهم أن ينسبوها إلى (أنفسهم) و (آرائهم الخاصة) و (اجتهاداتهم)!!

.

المبحث الثاني
بالنظر إلى التاريخ

وسيكون الكلام في هذا المبحث على قسمين :

القسم الأول : بالنظر إلى تاريخ الإسلام :

والقسم الثاني : بالنظر إلى تاريخ بعض الموقعين على البيان :

أما القسم الأول :

فالذي يقرأ (بيان المثقفين) يخرج بنتيجة مؤداها : أن الإسلام دين ينبذ (الصدام) و (الصراع) و (العنف) و (منازعة الشعوب في ثرواتها) وأنه أتى (لاستقرار المؤمنين وغير المؤمنين) و أنه (لا يلزم الناس بشريعته) و (لا يكره أحداً على اعتناق دينه) وغير هذا مما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وبالنظر إلى تاريخ الإسلام في القرن الأول فقط وهو أفضل القرون نرى خلاف هذا :

فالنبي صلى الله عليه وسلم مكث بعد هجرته إلى المدينة عشر سنوات غزى بنفسه خلالها خمساً و عشرين غزوة تقريباً ، وكانت سراياه وبعوثه التي يرسلها أكثر من ستين سرية حتى لم يمت صلى الله عليه وسلم إلا وقد دخل الناس في جزيرة العرب في دين الإسلام ، وهذا كله يدل على أن الإسلام دين (صراع) و (تصادم) و (إلزام للغير بشريعته) ، ويدل على أنه لم يستقر غير المؤمنين بوجود الإسلام ، بل على العكس فقد أرهقهم القتال مع وجود الإسلام !.

ثم بعد أن مات النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما صنع الصحابة رضوان الله عليهم مقاتلة المرتدين الذين خرجوا من دين الإسلام !، وعرفت هذه الحروب فيما بعد بـ(حروب الردة) ، فجمع أهل الإسلام في هذا بين : (الصراع) و (الإكراه على الدين) ، وهذان الأمران أنكرهما (بيان المثقفين) !.

ثم بعد أن انتهت حروب الردة توجهت جيوش المسلمين إلى (فارس) و (الروم) و (مصر) ففتحوها ، وحكموا أرضهم ، وغنموا كنوزهم ، وأخذوا أموالهم ، وامتلأت خزائن بيت مال المسلمين من ذلك ، قال الذهبي رحمه الله [1] :

"واستولى المسلمون في ثلاثة أعوام على كرسي مملكة كسرى ، وعلى كرسي مملكة قيصر ، وعلى أمي بلادهما ، وغنم المسلمون غنائم لم يسمع بمثلها قط من : الذهب ، والجوهر ، والحرير ، والرقيق ، والمدائن ، والقصور . فسبحان الله العظيم الفتاح".

ثم استمروا في جهادهم حتى وصلوا جبال البرانس شمال الأندلس غرباً ، وسور الصين شرقاً في أقل من قرن من الزمان ، وفتحوا ما بينها من البلدان ، وحكموها بالإسلام!.

وهذا كله يدل على أن دين الإسلام دين (صراع) و (منازعة للشعوب في ثرواتهم) و (إلزام للغير بالشريعة) و أنه لم يأت لاستقرار غير المؤمنين به !.

هذا فقط في (القرن الأول) من (الإسلام) وهو قرن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم ، وهو مليء بالصراعات كما سبق .

فهنا تبرز عدد من الاحتمالات وهي :

إما أن يكون أولئك على الحق ، وما في بيان المثقفين باطل !! . [2]

وإما أن يكون أولئك لم يفهموا الإسلام جيداً كما فهمه أصحاب بيان المثقفين !!. [3]

وإما أن يكون ذلك هو الإسلام الحق ، وهؤلاء يريدون تقديم إسلام آخر (معتدل) مناسب للعصر !! . [4]

---

[1] تاريخ الإسلام : عهد الخلفاء الراشدين : ص 159 .

[2] وهذا هو الصواب .

[3] ومن قال هذا فهو كافر مرتد !!.

[4] وهذا باطل ، فإن الدين قد اكتمل بحمد الله ،كما قال تعالى (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت لكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) ، قال الإمام مالك رحمه الله : من ابتدع بدعة في الدين يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأن الله سبحانه يقول (**اليوم أكملت لكم دينكم**) وما لم يكن يومئذ دينا ، فليس اليوم دينا) .

وأما القسم الثاني :

وهو بالنظر إلى تاريخ بعض الموقعين على البيان :

فقد سبق في المبحث الأول من الفصل الثاني أن ذكرت بعضاً من أقوال بعض الموقعين على البيان – هداهم الله – والذي يناقض تمام المناقضة ما كتب في (بيان المثقفين) من دعوة للتعايش ، والاحترام المتبادل ، والحوار ، ونبذ للصراع ، وبراءة من الإرهابيين ونحو ذلك.

والمقصود هنا أن أحد هذين القولين حق والآخر باطل[1] :

فإما أن يكون قولهم الأول حقاً ، وما في هذا البيان باطل .

وإما أن يكون قولهم الأول باطلاً ، وما في هذا البيان حق .

فإن كان الأول فظاهر .

وإن كان الثاني فهنا أمران :

الأول : إن كانت تقريراتهم السابقة في الخطب والمحاضرات والكتب والرسائل المؤيدة بالأدلة والمناقشات العلمية باطلة ، فهذا يدل على أنهم قد يبقون سنين يقررون الباطل وينشرونه بقوة باعترافهم ، فما الذي يضمن في هذا الوقت أن هذا البيان والذي نشر بقوة أيضاً لن يأتي بعده زمن ويقررون فيه خلافه ويقولون ببطلانه ؟! فأقل ما يحدث في النفس بسبب هذا (التوقف)! .

الثاني : أنهم إذا قالوا بأن ما ينادون به في السابق باطل ، فإنه يلزمهم البراءة مما فيه ، وتحذير الناس من ذلك ، فإنه لا تزال تلك التقريرات باقية عند شريحة منهم !! .

ولاشك أن هذا الشعور بالتناقض العجيب ليس مختصاً بكاتب هذه السطور ، ولا مختصاً بفئة من يسمون بالإسلاميين ، بل إن أعداء الإسلاميين من علمانيين وحداثيين وغيرهم رأوا هذا الأمر أيضاً ، فتسلطوا على الدعاة الموقعين على البيان – هداهم الله – لهذا السبب ، مطالبين بالاعتذار عن مواقفهم السابقة ، وامتلأت الصحف والمجلات بذلك :

---

[1] بلغ تقديس الرجال ببعضهم أن جعل كلا القولين – على ما بينهما من تناقض – حقاً ! فكأنه صدر ممن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه !! والمسألة هنا في (أصول الدين) مما بينه القرآن والسنة وعليه إجماع أهل العلم فلا يحتمل الاجتهاد أوتغير (الفتوى) بتغير الزمان !.

فقد كتب أحد المعروفين بكتاباته عن الإسلاميين في الجريدة المسماة بـ(الحياة) [1]:

"ألم تكونوا بالأمس القريب تفكرون داخل مرجعية ثقافية عنيفة أطاح أتباعها بالشواهد الحضارية الأمريكية ، وكنتم مغتبطين بهذا الفتح العظيم...

حسناً تريدون منا أن ننسي ونسدل الستار ونقمع الأسئلة المحرجة ونموه المواقف وندعكم تنسلون من فعلكم وتتخلون عن مسؤولية تغريركم بفلذات أكبادنا وهم اليوم بين سجين ومهان وطريد لا يعرف له عنوان بين أحراش الشيشان ومرتفعات أفغانستان[2]...

أنتم واهمون : لن ندعكم تخدعوننا مرة ثانية ، ولن نخفي شماتتنا فيكم...

ثم قال هذا الكاتب :

"الكلام السابق : مقطع من آخر رد علي بيان المثقفين السعوديين ، نشره (...) يوم السبت في جريدة الشرق الأوسط ، وعلى رغم أن الردود على البيان لم تتوقف منذ صدوره ، إلا أن مقال (...) شكل نقلة في طريقة الرد ، وخرج من دائرة نص البيان ولغته ومضمونه ومحاوره ، واستثمره في طرح قضية في غاية الأهمية. المقال كان مثيراً وحاداً في بعض عباراته ، لكنه فتح باب الحوار **حول تغير بعض المثقفين والمفكرين الذي كان يتمسك بخطاب متطرف[3] في يوم من الأيام ، وتنازل عنه تماماً في هذا البيان** ، ومع التسليم بإيجابية هذا التصرف في هذه الظروف ، وتأثيره الواضح علي المصلحة الوطنية[4] ، إلا أن تخلي بعضهم عن التطرف علي طريقة عفا الله عما سلف يصعب قبوله ، والاعتذار بهذه الطريقة يصلح في الحالات الخاصة والفردية ، لكن من الصعب الموافقة على ذلك من مفكر يتحدث في القضايا العامة ويؤثر في الناس ، ولا زال يلعب الدور ذاته ، وربما في شكل أوسع.

---

[1] جريدة الحياة : عدد 14312 – 15 / 3 / 1423 – ص 3.

[2] هكذا يزعم في كلامه عن المجاهدين في الشيشان وأفغانستان !!.

[3] هكذا تفسيره !! ولهذا الكاتب قواصم (إسلامية!) مجموعة من مقالاته ، لعل الله أن ييسر إخراجها قريباً!.

[4] انظر إلى تأييد أمثال هذا للبيان ، واحتجاجه بالمصلحة الوطنية!!.

إن تشكيك (...) بجدية هؤلاء المثقفين في رفض الخطاب المتطرف وإقصاء الآخرين يبقي وجيهاً طالما استمر بعضهم يعتبر أن سلوكه السابق مرحلة فكرية جري إعادة صوغها **عوضاً عن الاعتذار عنها ، وكشف خطورتها ، وتلافي تأثيرها علي جيل كامل من الشباب.**

إن لغة التسامح التي شكلت مضمون بيان المثقفين السعوديين تقتضي من بعض الذين وقعوا عليه الإعلان أن خطابه السابق كان خطأ يقتضي التراجع والاعتذار الواضح، والعمل علي معالجة الأضرار التي خلفها[1]، وبغير هذا يبقي الخوف من عودة بعضهم إلى سيرته الأولي قائماً".

ويقول آخر وهو من أصحاب المواقف ضد الإسلاميين أيضاً [2]:

"وليست هذه الحال الأولى التي يجيش فيها هؤلاء وأمثالهم الناس من حولهم ثم يتخلون عنهم. وأكتفي هنا بالإشارة إلى تجييشهم ، هم وأمثالهم ، الشباب وبث روح الجهاد فيهم ، ودعوتهم إلى السفر إلى أصقاع الدنيا ليشاركوا فيما أسموه بالجهاد ، وهو لا يعدو أن يكون حروبا أهلية[3] . وقد دفع كثير من أولئك الشباب ثمنا غاليا[4] لانخراطهم في مثل تلك النشاطات. فقد قتل كثير منهم وتوزعتهم السجون في أنحاء العالم وصاروا سببا في إثارة الشك والريبة في كل من ينتمي إلى العرب والمسلمين . وأصبح العربي يباع بأثمان بخسة ، ويبيعهم بمثل هذه الأثمان البخسة أولئك الذين وقف معهم هؤلاء الشباب وهجروا من أجلهم أوطانهم وأهليهم وفقدوا من أجلهم مستقبلهم... ومحصلة القول أن هؤلاء وأمثالهم دأبوا على التغرير بالناس ، واستغلال الثقة بهم لأنهم يعلنون أنهم ينطلقون من منطلقات

---

[1] يريد منهم أن يعتذروا عن الحق ! ويجعل نشر الصحوة والولاء والبراء وحب الجهاد في سبيل الله أضراراً خلفها خطابهم السابق ! قاتل الله هؤلاء الصحفيين أنى يؤفكون .

[2] الشرق الأوسط : 30 مايو 2002 م .

[3] انظر إلى كلام هذا: صحفي ، ويفتي ويقرر للناس : ما الجهاد ، وما الحرب الأهلية ؟!!.

[4] يقول هذا الكلام لأنه لا يعرف طعم و أجر وأثر: الجهاد ، والاستشهاد ، والابتلاء في سبيل الله ، وأنى له (العلو والسمو) وقد ركن إلى الدنيا وخضرتها ؟! ولكن :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم **** وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها **** وتصغر في عين العظيم العظائم

إسلامية . وربما كانوا كذلك ، لكن حالات التغرير المتكررة لا بد أن تثير بعض الشك بأن هؤلاء إنما يبحثون عن مواقع لأقدامهم وعن مكانة يريدونها لأنفسهم.

والأمر الأخطر في «بيان المثقفين السعوديين» وفي هذا البيان الأخير استخدام القرآن الكريم والأحاديث النبوية للاستدلال على أي موقف يمكن أن يتخذ ، حتى على المواقف المتناقضة". [1]

ولاشك أن هؤلاء الحاقدين على الإسلاميين من العلمانيين وأمثالهم رأوا من خلال هذا البيان التناقض الواضح في عدد من موقعيها بين (جهاد الأمس) و (تعايش اليوم) فتسلطوا عليهم ، وهم لا يريدون من هذا أن يقوموهم ويعيدوهم إلى الحق بمثل هذا الكلام ، بل يريدون منهم الاعتذار عن أقوالهم السابقة ، ولا يلقم هؤلاء حجراً إلا العودة إلى الحق ، فسيكون ذلك غصة في حلوق أعداء الله في كل مكان ، والله المستعان .

[1] وهناك من أمثال هذه الكتابات الشيء الكثير تركتها اختصاراً !.

المبحث الثالث

بالنظر إلى الواقع

وسيكون الكلام في هذا المبحث على قسمين أيضاً :

القسم الأول : بالنظر إلى الواقع الدولي المعاصر:

والقسم الثاني : بالنظر إلى واقع بعض الموقعين على البيان :

أما القسم الأول :

فالمتتبع للتطورات الدولية المعاصرة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وتسلط أمريكا على العالم يرى أن ساسة الدول وقادتها كلما رضخوا لأمريكا طلباً للحوار والتعايش والسلام ازداد في المقابل طغيانها وغطرستها وجبروتها وتسلطها .

ولا أدل في هذا من أنه بعد رضوخ حكام العرب التام لأمريكا – حرصاً منهم على (السلام المزعوم) و (التعايش) – ورضاهم بدولة اليهود وجلوسهم معها في مؤتمر (مدريد) وما أعقبه من مؤتمرات ومعاهدات كمعاهدات (أوسلو) و (وادي العربة) و (شرم الشيخ) وغيرها ، ومع أنهم بلغوا في هذه المؤتمرات الغاية من الذلة والاستجداء والطاعة لطاغوت العصر ؛ فإن هذا لم يكف شر أمريكا واليهود عن العرب و المسلمين ، بل على العكس ، زاد من تسلطهم وطغيانهم ، فقامت أمريكا بما قامت به بعد هذه المؤتمرات في الصومال والسودان وليبيا والعراق ، هذا غير ما فعلته في البوسنة وأفغانستان قبل هذه الأحداث ، وفعلت دولة اليهود بالفلسطينيين - بعد رضوخ المنظمة لها - الأفاعيل ، بل وحاصرت (صاحب معاهدة أوسلو) في مكتبه وهدمته عليه زمناً !! .

وقد لخص أحد الموقعين على بيان المثقفين هذا الأمر تلخيصاً مفيداً حيث قال - فيما قال قديماً! - في أحد كتبه في التعليق على مؤتمر مدريد:

"إن الحديث عن الحقوق المشروعة ، والقرارات الدولية ، الذي استنزف ، ويستنزف ؛ من الإعلام العربي ما يملأ البحار لم يجد أذناً – ولا عشر أذن –كتلك التي أحدثها انفجار مشاة البحرية في بيروت ، والهجوم على ثكناتهم في مقديشو ، بهذه اللغة وحدها يسحب الكفر أذيال الهزيمة ، وتنحني هامات الخواجات العتية أمام مجموعات طائفية ، وعصابات

قبلية ، وليست جيوشاً دولية ، وإن استرداد بضعة قرى ومدن في البوسنة قلب المؤشر الصليبي وأرغمه على إعادة حساباته ، إن أي خطاب للكفر لا يستخدم هذه اللغة : هو لغو من القول ، وزور من العمل".

والمقصود من هذا :

إن أصحاب القرار والمتنفذين وأهل الحل والعقد ومن بيدهم زمام الأمور من الحكام والساسة الذين هم من أحرص الناس على حياة – ولو كانت حياة ذل ومهانة – لم يقدروا على تحقيق (التعايش السلمي) مع رضوخهم التام لطاغوت العصر (أمريكا) ، فكيف بمن ليس في يدهم (حل) و لا (عقد) ولا قيمة لهم في المحافل الدولية ؟! .

وأما القسم الثاني :

وهو بالنظر إلى واقع بعض الموقعين على البيان :

فإن بعض الموقعين على هذا البيان- هداهم الله وردهم إلى الحق - عرف – ولا يزال – بجهود مشكورة في محاربة أهل الزيغ والباطل ، فمنهم من عرف بردوده على الحداثيين وتحذيره منهم ، ومنهم من عرف بردوده على الروافض وأهل البدع ، ومنهم من عرف بردوده على العلمانيين .

ثم إنهم في هذا البيان يريدون (التعايش) و (الحوار) مع طاغوت هذا العصر (أمريكا) !!.

ولا شك أن في هذا تناقضاً ظاهراً ؛ فإن أبلغ ما يقال في الحداثيين والعلمانيين والروافض ونحوهم ممن يحذرون منهم أنهم (صنائع للغرب) و (دسائس لهم) ، بل ولا يقدر أحد أن يذكر عن هؤلاء – مع خبثهم ومكرهم بالدين وأهله – من الحرب على الإسلام مثل ما يذكر عن أمريكا !! .

فكيف يقبل العقل أن يطلب هؤلاء التعايش مع (الأصل : أمريكا) ويرفضون التعايش مع (فروعهم) و (أذنابهم) ؟!.

وهذا التناقض شعر به أعداء الإسلاميين وغيرهم من مرتزقة الصحفيين ، فتساءلوا كيف يطلب هؤلاء التعايش مع (الأبعد) ويتركون (الأقربين) ؟! .

قال أحدهم [1]:

"جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وجاء معها المولود العجيب ، والكسيح ، والأعرج ، وما بينهما !! وآخر ما جاء على لسان الشبكات وأفواه الرواة «بيان المثقفين» !! قبضت على ورقاته ، فاستلقيت على قفاي من الضحك... ولكنه ضحك كالبكاء!! أناس لا يقبلون الحوار .. حتى يلج الجمل في سم الخياط.. لأن آفاقهم أضيق من «سم الخياط» !! أعرف سوادهم الأعظم .. أولئك الذين وقعوا .. فمنهم من جمعتني به «مقاعد درس» ومنهم من قرأته (كتابا).. ومنهم من سمعته «شريطا» ومنهم من أجلس إليه أسبوعيا.. ومع هذا لم ألمح في مخرجات أي منهم قابلية حوار أو معطيات مباهلة ، أو إقامة مجادلة ، أو حتى مناقشة بالتي هي أحسن، أو حتى أقل حسنا..!! ...**ومثل هذه الأسماء لا تقبل الحوار مع مذاهب متحدة معها في الاتجاه ومساوية لها في اليقين.. ومتضامنة معها في الرؤية**.. ولكنها تختلف معها وحولها وفيها في التناول والأخذ والنتيجة والتحليل والاستدلال.. إن هذه العقول الموقعة أدناه في ذلك البيان ، لا ترتقي لحوار من ذلك النوع الذي تدعيه ، بل إنهم لا يقبلون الحوار مع النسوة اللاتي شاركن أشقاءهم الرجال.. فهم يحملون في رؤوسهم الصواب المطلق وامتلاك الحقيقة ، وأحادية الرأي والفكرة والرؤية.. فالعين لا تبصر إلا الأبيض والأسود.. ولقد كانت عورة المثقفين هنا مخففة حتى جاءت «ليلة التوقيع» فبانت العورة المغلظة ، لذا يقول أحد منتقدي البيان: «كيف يسوغ لي ولغيري من القراء أن نتفهم دعوة ذلك المثقف الذي ملأ الدنيا ضجيجا عن الحداثة والحداثيين ، وفتن الخلق وصنفهم وقذف أبناء جلدته في دينهم وعقائدهم ، ومن ثم أتصوره منفتحا على الثقافات متسامحا داعيا إلى الحوار..؟»".

ويقول أحد الزنادقة بعد أن أثنى على البيان وما فيه [2]:

---

[1] الشرق الأوسط : 2 يونيو 2002 م .

[2] القائل هو (تركي الحمد) : المدينة – عدد 14270- 7 / 3 / 1423 – وسيأتي كلام له في المبحث الخامس مع الكلام عليه بالتفصيل و ذكر من أفتى بردته من أهل العلم – إن شاء الله – ، وانظر ص 115.

"المطلوب حقيقة هو بيان للداخل ، يكون محاولة جادة لصياغة ميثاق بين فرقاء الداخل يبين (على أي أساس نتعايش؟) " .

ويقول هذا نفسه في مكان آخر بعد ثناء ومديح للبيان [1] :

" ولكن أن يقوم البعض بالتوقيع على مثل هذا البيان ، **بكل ما فيه من قيم سامية**[2] ، ندعو الله أن تتحقق في الداخل والخارج معا ، ويستمرون في طرح مفاهيم متناقضة تماما في مواقع أخرى ، فهذا ما لا يمكن فهمه ، وإن فهم ، فمن الصعب قبوله ، إذ انه يعني تضليل فئات من المجتمع وضعت كل ثقتها فيهم ، فإذا هم في النهاية يكيلون بمكيالين ، ويطرحون خطابين متناقضين . ومن هنا ، يصبح مثل هذا البيان ومضمونه نوعا من «الازدواجية» في الخطاب ، فهو يريد إقناع الآخر الأجنبي بمحاسن الإسلام وقيمه ، في الوقت الذي لا تمارس فيه هذه المحاسن في ديار الإسلام ذاتها ، ولا مع الآخر المختلف من المسلمين ، وصاحب الخطاب في الحالتين واحد . الخطاب الحقيقي ، الذي في تقديري المتواضع يحتاج إلى عمل مخلص ودؤوب في محاولة لإعادة الوعي الغائب ، ومن أجل التفاعل الايجابي مع الآخر الخارجي أو الأجنبي في نهاية المطاف ، هو خطاب التسامح والحوار بين فرقاء الداخل قبل التوجه إلى فرقاء الخارج والاختلاف معهم ، إذ لا يعقل أن نقدم العلاج للآخرين ، ونحن من المعلولين قبل أن يكونوا هم كذلك ".

ويقول آخر بعد أن أثنى على البيان وأنه أمر إيجابي وخطوة شجاعة [3]:

"ثم هذا الحوار الذي يدعو له البيان : أهو حوار يقتصر على الآخر الغربي فقط ؟ أم يشمل الآخر المختلف ضمن (الأنا) الإسلامية والمجتمعية والمواطنية ذاتها؟!".

ويقول آخر [4]:

---

[1] الشرق الأوسط : عدد 8573 – 7 / 3 / 1423 .

[2] شهادة من مثل تركي الحمد : تكفي لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد!! .

[3] المدينة : عدد 14270- 7 / 3 / 1423.

[4] المدينة : 8 / 3 / 1423 .

" وأريد أن أقول لأولئك المثقفين : كيف تريدون أن يثق فيكم الآخر ، وأنتم ما زلتم تكتبون التقارير الأمنية ضد بعضكم البعض ، فأصلحوا شأنكم ، ورتبوا صفوفكم أولا ، ثم اعملوا على محاورة الآخر **!!**" .

ويقول آخر [1]:

"كيف نطلب الحوار ونرضى بالدعوة إلى التعايش مع الأمريكان ، والتعايش بين من وقعوا على البيان ما زال صعباً ؟ هل الذين وقعوا على البيان من إسلاميين وليبراليين وغيرهم يقبلون التعايش معاً قبل التعايش مع الأمريكان ؟ ...هل من العدل والعقل أن نطير إلى الأمريكان للتحاور معهم ونأبى الحوار فيما بيننا حواراً جاداً وهادفاً؟ ...إن الفرصة سانحة لأن يجلس الجميع على مائدة الفكر والعقل والحوار ...أليس من باب أولى وأهم أن ندعو إخوانا لنا في الدين والملة إلى كلمة سواء ؟ نجمع بها الشمل ، ونوحد بها الصف ، ونقف سدا منيعاً نحمي الهوية والبلاد من عادية المجرمين؟!."

ولا شك أن كلام هؤلاء له وجهه ، فإن ترك القريب الخبيث وطلب التعايش مع البعيد الأخبث تناقض **!!**.

ولا يطرح هذا التناقض ، ولا يسكت أعداء الله من العلمانيين والروافض والزنادقة وغيرهم ، إلا الرجوع إلى الحق ، وهو ما نأمله من فضلاء الموقعين إن شاء الله ، فإن المؤمن رجاع إلى الحق ، سريع الفيئة .

---

[1] الوطن : عدد 592 – 2 / 3 / 1423 .

المبحث الرابع
بالنظر إلى طبيعة البيان

بالإمكان بقليل من التأمل إلى (بيان المثقفين) أن ينقض بعضه ببعض ، وذلك أنه يلزمه عقلاً ما يمتنع الموقعون من التزامه واقعاً ، و حتى لا أطيل في هذا المبحث سأتكلم عن مسألتين في البيان:

المسألة الأولى : الدعوة إلى الحوار والتعايش :

فالبيان كله دعوة للأمريكان إلى الحوار والتعايش ، وترك الصراع والصدام والعنف ، وأن هذا هو سبيل بناء المستقبل للأجيال القادمة ! ، وقد عددوا مجموعة من الأسس التي رأوا أنها تشكل أرضية جيدة للحوار مع (أمريكا) ! .

وفي المقابل كان من عتابهم على أمريكا أنهم تطرقوا لصور معينة من الإرهاب كإرهاب (المجاهدين) ولكنهم تركوا إرهاب الدول كإسرائيل ! .

ومن قراءة بيانهم هذا ؛ فإنه يلزمهم أن يدعوا اليهود للحوار والتعايش أيضاً ، لا الدعوة إلى معاداتها والصدام معها !! .

ويقال لهم :

إن هذه الأسس التي ذكروها للحوار والتعايش مع أمريكا يشترك فيها معهم (اليهود) أيضاً[1]، بل وقد يجدون أسساً أخرى يشتركون معهم فيها ، فهي تشكل أرضية مشتركة (جيدة!) للحوار والتعايش جميعاً ، وترك الصراع والصدام والعنف معهم ! فيلزمكم أن تطلبوا من اليهود (الحوار) و (التعايش) لنبذ الصدام والعنف وحقن دماء المسلمين في فلسطين! .

فإن قالوا : ولكن اليهود معتدون ! .

قلنا : فاليهود سيئة من سيئات أمريكا ، ولولا أمريكا ما بقي اليهود في فلسطين ، وأما اعتداءات أمريكا على المسلمين فأشهر من أن تذكر قديماً وحديثاً ، فبالإضافة إلى مساندتهم التامة لليهود ، فإنهم ضربوا العراق ، وليبيا ، والسودان ، والصومال ، ولبنان ، وأفغانستان ،

---

[1] وكذلك الوثنيون وعباد البقر وغيرهم ، ولكننا ذكرنا اليهود لأن أمرهم أظهر !.

واليمن ، والمسلمين في الفلبين ، وغيرهم ، ولا تزال الدماء جارية في شتى بقاع العالم الإسلامي بأسلحتهم المباشرة ، وغير المباشرة ، فإذا أمكن الدخول مع هؤلاء المجرمين في (حوار) و (تعايش) ، فالدخول مع اليهود من باب أولى ! .

فإن قيل : ولكن اليهود قتلوا الآلاف من الفلسطينيين ولا يزالون .

قلنا : قتلوهم بأسلحة الأمريكيين وسياستهم وحمايتهم ، والأمريكان قتلوا الملايين – لا الآلاف – من المسلمين في كل مكان ، ويكفي أن تعرف أن عدد أطفال العراق الذين قتلوا بسبب حصار أمريكا عليهم يبلغ مليون طفل تقريبا ، هذا غير من قتل في أفغانستان والصومال وغيرها ، فإذا أمكن الدخول في (حوار) و (تعايش) مع من قتل الملايين ، فالدخول في (حوار) و (تعايش) مع من قتل الآلاف من باب أولى !.

فإن قيل : ولكن اليهود اغتصبوا أرضاً إسلامية ! .

قلنا : اغتصبوها بسياسة وحماية أمريكا ، وأما أمريكا فاغتصبت العالم الإسلامي كله سياسياً واقتصادياً بنظامهم العالمي الجديد، وها هي اغتصبت أرض أفغانستان حقيقة ، وحاصرت العراق ، وليبيا ، وضربت اليمن ، والسودان ، والمسلمين في الفلبين ، وهاهي حاملات طائراتهم تحاصر المسلمين من كل جانب ، وها هم الأسرى المسلمون من شتى الجنسيات في (جوانتينامو) يعاملون بوحشية سخط لها الكفار أنفسهم ، فإذا أمكن (الحوار) و (التعايش) مع من فعل هذه الأفاعيل وقام بهذه الأمور ، فالدخول في (حوار) و (تعايش) مع من اغتصبوا (بقعة صغيرة) من أراضي المسلمين من باب أولى .

فإن قيل : ولكن اليهود عداوتهم لنا ثابتة بالشرع ، كما قال تعالى (**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا**) .

قلنا : فإذا كان الاحتجاج بالشرع ؛ فاليهود والنصارى والكفار أعداؤنا جميعاً ، فإن الله يقول (**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**) ويقول (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم**) ويقول (**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم**) ، ويقول (**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**) ، ويقول (**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم**

إن استطاعوا) ، وغيرها من الآيات ، وفي الصحيحين مرفوعاً (**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)** ، وغيره من الأحاديث**!**.

وهكذا :

فإنه لا يقال أمر في تسويغ الحوار والتعايش مع أمريكا إلا لزم مثله لتسويغ الحوار والتعايش مع اليهود ، ولا يقال أمر في إبطال الحوار والتعايش مع اليهود إلا لزم مثله في إبطال الحوار والتعايش مع أمريكا **!!**.

المسألة الثانية : الكلام على العلمانية :

تكلم البيان عن مسألة رفض فصل الدين عن الدولة من باب أن هذا في العالم الإسلامي يحمي إرادة الأكثرية ويحفظ حقوق الأقلية ، وأن هذا الفصل سيكون اعتداء على حقوق الأكثرية ، وهذا كما ترى استدلال على رفض العلمانية بأدلة علمانية**!!**.

ويلزم على هذا أمران :

الأول : أن الأكثرية لو رأت فصل الدين عن الدولة فقولهم مقبول**!**، لأن البيان لم يذكر أن السبب في رفض فصل الدين عن الدولة هو أن الله سبحانه نهى ذلك ، وأنه يجب على المسلمين تطبيق شرع الله ، وأن الحكم لله ، ليس لنا ، ولا للأكثرية ، ولا للأقلية ، وما دام الدليل المقدم على رفض فصل الدين عن الدولة هو (حماية إرادة الأكثرية) ، ورأي الأكثرية أمر نسبي يتغير مع تغير الزمن ، فلو أرادت هذه الأكثرية تطبيق شريعة الطاغوت ، أو بعضها ؛ كأن يرفضوا بعض أحكام الشرع ، فإنه يلزم القبول بها [1]**!!** .

فإن قبلوها فقد تركوا (تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم) و (قيم الإسلام) التي ذكروا أنهم كتبوا هذا البيان للتعريف بها .

وإن لم يقبلوها نقضوا كلامهم عن (إرادة الأكثرية) .

---

[1] إذا رأيت أن الكلام على العلمانية هنا كان مسوقاً بأدلة علمانية (رأي الأكثرية) ، لا بأدلة شرعية ، فلا تتعجب أن وقع بعض العلمانيين عليها ، ووافق عليها الزنادقة كتركي الحمد ، بل وسماها (باقة من الأفكار الجميلة)!!.

الثاني : أن حماية حقوق الأقليات يدخل فيها : الروافض ، والنصيرية ، والإسماعيلية ، وغيرهم من الكفار والمشركين ، فهل سيلتزم أصحاب هذا البيان بحماية حقوقهم ، مع أنه ليس لهم في الشرع إلا أحد حقين : إما الإسلام ، أو السيف !! [1].

وما قيل في قبول (إرادة الأكثرية) وردها يقال في هذا أيضاً .

[1] الخطاب في مثل هذه الإلزامات هو للدعاة الفضلاء من الموقعين على البيان ، أما العلمانيون وأذنابهم من العصرانيين فليسوا أهلاً لمخاطبتهم !.

المبحث الخامس
بالنظر إلى حال المؤيدين للبيان

يقال في بعض الأمثال (**أخبرني من يصفق لك ؛ أخبرك من أنت !**) ، وبالنظر إلى حال مؤيدي هذا البيان تعرف حقيقته ولو لم تقرأ حرفاً واحداً منه !! .

وقد قال بعض الفضلاء في وصف هذا البيان: (**إنّ الأعرابي في الصّحراء إذا رأى (الرّخم) عرف أنّها قد اجتمعت على (جيفة)**) وقد صدق والله في هذا الوصف .

فقد اجتمع في تأييد[1] هذا البيان والتصفيق له في صفحات الجرائد والمجلات : العلمانيون والروافض والحداثيون والزنادقة والنصارى وغيرهم ، وحسبك بهذا ! .

وقد ذكر أحد الزنادقة (تركي الحمد)[2] أنه كان من المبشرين بمثل هذا البيان قديماً حين كان الكلام عن مثله يعتبر زندقة !!، واعتبر ما في هذا البيان (باقة جميلة من الأفكار!!) ، وقال

---

[1] حتى الذين عارضوا هذا البيان في الصحف لم يعارضوه من حيث المضمون ، بل كلهم تقريبا يثني عليه ، بل معارضتهم : إما لاقتصارهم على عدد معين ، أو لتركهم بعض التيارات الفكرية ، أو لأنهم يريدون التعايش مع البعيد ويتركون القريب ، أو لأنهم تركوا أفكارهم السابقة بدون اعتذار ، ونحو هذا !!.

[2] كتب هذا الرجل روايات ثلاث بعنوان : (العدامة) و (الشميسي) و (الكراديب) ، نشر خلالها من المجون والسخف والإلحاد الشيء الكثير ، قال بعض الفضلاء : كنت – قديماً – قد بليت بقراءة أكثر الروايات العالمية المشهورة ، فلحظت أن من يسمون بـ(أساطين الأدب العالمي) يذكرون (المقبلات الجنسية) في رواياتهم بخبث في (حدود معينة) بطريقة (تثير القاريء) فقط ، فأراد هذا المنكوس أن يسلك سبيلهم حتى يكون (روائياً) مثلهم ، فعرض (الجنس) في رواياته بطريقة ممجوجة (تثير القرف والاشمئزاز) بحيث يكاد القاريء أن (يستفرغ) !! ويصدق فيه الوصف العامي (عنز بدو وطاحت في مريس) ، ولو أراد أحد أن ينقد رواياته من الناحية الأدبية (فقط) لكتب فيه مجلداً ، إذ لا أدب فيها ، ولا لغة ، ولا صنعة ، ولا جديد ، ولا مفيد !! ولكنه أدخلها التاريخ بسببه للذات الإلهية !!.انتهى .

والمقصود: أن هذا الزنديق مما ذكر في رواياته تلك عن الله سبحانه قوله (إن الله والشيطان وجهان لعملة واحدة) تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وهذا القول كفر وردة عن دين الإسلام يجب قتل صاحبه بالإجماع ، وإنما وقع الخلاف في قبول توبته:

قال الإمام إسحاق بن راهوية رحمه الله : " أجمع المسلمون على أن من سب الله ، أو سب رسوله ، أو دفع شيئا مما أنزل الله عز وجل ، أو قتل نبيا من أنبياء الله عز وجل ، أنه كافر بذلك ، وإن كان مقرا بكل ما أنزل الله ".

=

وقال القاضي عياض رحمه الله (الشفا 2 / 270) : " لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته " .

وقال ابن حزم الظاهري رحمه الله (المحلى 411/11) : " وأما سب الله تعالى فما على ظهر الأرض مسلم يخالف في أنه كفر مجرد " .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله (الصارم المسلول 3 / 1017) : " من سب الله تعالى : فإن كان مسلما وجب قتله بالإجماع ؛ لأنه بذلك كافر مرتد ، وأسوأ من الكافر ؛ فإن الكافر يعظم الرب ويعتقد أن ما هو عليه من الدين الباطل ليس باستهزاء بالله ولا مسبة له ، ثم اختلف أصحابنا وغيرهم في قبول توبته : بمعنى أنه هل يستتاب كالمرتد ويسقط عنه القتل إذا أظهر التوبة من ذلك بعد رفعة إلى السلطان وثبوت الحد عليه؟. على قولين ".

ونصوص أهل العلم أكثر من أن تحصر في هذه المسألة .

وقد أفتى بردته مجموعة من أهل العلم في عصرنا منهم: الشيخ حمود الشعيبي رحمه الله ، والشيخ محمد المنصور رحمه الله ، والشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله ، والشيخ علي الخضير حفظه الله ، وفتاواهم متداولة.

وقد ذهب بعضهم إلى الاعتذار عن هذا الزنديق بأن هذه المسبة حكاية وردت في (رواية) ومن نقل الكفر لا يكفر ، وهذا الكلام باطل من وجوه :

الوجه الأول : أن هذا الزنديق قد صرح في جريدة اليوم ، وفي المجلة العربية ؛ بأن الرواية تحكي قصته هو ، فهذا اعتراف منه بأنها حكاية عن نفسه .

الوجه الثاني : و لو لم يعترف ، وكانت هذه الرواية (وهمية لا حقيقة لها) ؛ فإنه يكفر بهذا الكلام ؛ لأن المقصود بقولهم (ناقل الكفر ليس بكافر) من نقل كلام كافر ينسب إليه النقل ، فيقول : هذا ليس كلامي بل كلام فلان ، أما هنا فإنه لم ينقل كلام كافر آخر حتى ينسب إليه ، ولا يقدر أن يقول : هذا ليس بكلامي ، بل الرواية وجميع ما فيها من إنشائه ، فتنسب إليه كل كلمة ذكرها ؛ لذلك فلو قذف أحداً في روايته لأقيم عليه الحد .

الوجه الثالث : إن كتابة (الرواية والقصة) من جنس (الخوض واللعب) ؛ فإن الذين استهزؤوا بالقراء في تبوك وقالوا (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء) نزل تكفيرهم من السماء في قوله تعالى (**ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**) ، فلم يقبل الله سبحانه اعتذارهم بأنهم كانوا يريدون التلهي واللعب بهذا الكلام ، وقولهم (إنما كنا نخوض ونلعب) من جنس قول هؤلاء (إنما هي رواية وقصة) ، وهم جميعاً قد أتوا بالسبب المكفّر ، وأما ترتيب الحكم على السبب فليس للمكلف بل للشارع ، فلم ينظر إلى قصدهم في ذلك ، وقد أكفرهم الله بهذا القول .

الوجه الرابع : أن في هذا فتح باب زندقة عظيم ، فكل من أراد سب الدين والشريعة يكفيه أن ينشيء قصة يذكر فيها زندقته !.

الوجه الخامس : أن هذا التأويل – على بطلانه – قد يسوغ لو كان قائل هذه العبارة ممن عرف بالخير والدين ، أو على أقل الأحوال كان من مستوري الحال من المسلمين ، فيقال : لعل هذا تأويل قوله ، أما من عرف تاريخه بالزندقة والخبث و (البعثية) و (الماركسية) و (الحداثة) ؛ فإن هذا كله من باب : (إنما النسيء زيادة في الكفر) ، وانظر

=

عنه : إنه عبارة عن (قيم في غاية السمو) ، فقال في مقال له بعنوان (يداوي الناس وهو عليل)[1]:

" حين قرأت «بيان المثقفين السعوديين» المراد منه أن يكون ردا على بيان المثقفين الأمريكيين المشهور، **وجدت نفسي حقيقة تتفق مع جل ما ورد فيه من أفكار جميلة ، تقرأ الإسلام وقيمه من زاوية حضارية متسامحة** ، تختلف تماما عما هو سائد عند فئات وجماعات لا ترى الإسلام إلا من زاوية : آيات السيف ، ومقولات الولاء والبراء ، وحتمية المجابهة ، والصراع ، ومعاداة كل ما هو مختلف ، **في** قراءة اختزالية إقصائية ضيقة للإسلام وقيمه الحضارية والإنسانية العامة[2] . ولكني وجدت نفسي في الوقت نفسه في حيرة لا اعرف كيف اخرج منها: فما ورد من أفكار في هذا البيان ، تتناقض تمام التناقض مع أفكار طرحتها ، وما زالت تطرحها ، أسماء عديدة كانت من الموقعين على ذلك البيان ...وحين الدخول في «المتن» :

نستطيع القول أن البيان في مجمله عبارة عن باقة من الأفكار الجميلة ، لا شك في ذلك، وأنا شخصيا لا أجد أي تناقض في القبول بمجملها ، بل أجد أنني لم أكتب يوما أي حرف لا يتوافق مع القيم المعبر عنها في البيان، بل كنت دائما من المبشرين بها منذ البداية، حين كان الحديث عن التسامح لدى كثير من الأسماء يعتبر هرطقة ، وكان الحديث عن التعايش مع الآخر يعتبر زندقة ، وكان الحديث عن وجود قيم سامية لدى الغرب أيضا ، وليس كله ، عدمية وتفسخ وانحلال ، يعتبر كفرا بواحا يهدر الدم الحرام من أجله[3].

لمعرفة تاريخ هذا الرجل العريق في الضلالة : (الحداثة في العالم العربي – دراسة عقدية) للشيخ محمد العلي – 3/ 899 -913.

[1] الشرق الأوسط : عدد 8573 – 3/7 / 1423 .

[2] انظر العبارات هذه ، واقرنها بعبارات (العصرانيين) تجدها من جنس واحد : الاختزال ، الإقصاء ! وكلها تهدف إلى إقصاء الكتاب والسنة !.

[3] ما في هذا البيان إنما هو بضاعتهم ردت إليهم كما قال ، فلا عجب أن كال له هذا المديح!!.

...يقول البيان في سطوره الأولى : «هذه الورقة الجوابية ليست موجهة للمثقف المسلم أو حتى الرجل العادي في الغرب ، بل كتبت بلغة يفهمها المثقف الغربي». ويقول البيان في سطوره الأخيرة: «ولذا فان إيجاد مساحة أوسع للحوار، وتبادل الرأي يلتقي فيها أهل الفكر والعلم والثقافة هو . من وجهة نظرنا . البديل للغة العنف والتدمير، وهذا هو دافعنا لكتابة هذه الورقة وإدارة هذا الحوار». **كلام في غاية الجمال والعقلانية ... ولكن أن يقوم البعض بالتوقيع على مثل هذا البيان ، بكل ما فيه من قيم سامية ، ندعو الله أن تتحقق في الداخل والخارج معا** ، ويستمرون في طرح مفاهيم متناقضة تماما في مواقع أخرى ، فهذا ما لا يمكن فهمه ..." .

ويقول هذا نفسه في موضع آخر [1]:

"مأزق البيان لا يكمن في خطابه ، **والذي حقيقة أتفق مع جل ما ورد فيه من قيم في غاية السمو** ، ولكنه يكمن في محاولة مخاطبة الآخر الخارجي أو الأجنبي ، فيما هو لا يعبر عن واقع الحال بالنسبة للآخر الداخلي أو المحلي**!**".

وتقول إحداهن [2]:

"الكل يجمع على أن البيان خطوة لا سابقة لها ، وأنها كانت منعطفاً في مسيرة الثقافة في السعودية . **والذي يثلج الصدر أن عالماً كالشيخ** (وذكرت اسم أحد الموقعين) وهو الذي عرف في السابق بتشدده في إطلاق واستخدام مفاهيم ومصطلحات تراثية ، كان لها مرجعية في تاريخ الفكر والطوائف الإسلامية والمعارك الكلامية ، **كيف أنه قد انتقل إلى تلك النقلة الحضارية ليطالب بالحوار والتعايش مع الغرب** ، إنها إنجازات نطالب بتشجيعها ودعمها ، لا بنقدها والتهوين من شأنها ".

وينقل آخر من الموقعين على البيان ما قالته (محامية أمريكية نصرانية نكرة) [3]:

---

[1] المدينة : 14270- 3/7 / 1423 .

[2] الوطن : 583 – 22/ 2 / 1423 .

[3] الوطن : 584 – 23 / 2 / 1423 .

" إنني أعجبت بالبيان ، وأعتقد أن الموقعين عليه يقدرون على تغيير منظر الإسلام عند الناس – بل تغيير العالم – إذا تمسكوا بآرائهم الصادقة وكان لديهم الصبر الكافي للثبات أمام الجهد الطويل الذي يجب بذله لمن يريد تغيير آراء ملايين الناس[1]" .

ويقول (فهمي هويدي) [2]وهو صحفي ثم صار مفكراً إسلامياً ككثيرين من أمثاله لا كثرهم الله!! وهو من دعاة التقريب بين الأديان [3]:

"**الذي يقرأ البيان من خارج المملكة لا يجد مناصا من الحفاوة به، بحسبانه نصا رصينا ومحكما يعبر عن رؤية ناضجة لقيم الحوار والتعايش،** وعن قراءة متوازنة لأحداث الساعة... وقد حالف التوفيق واضعي البيان حين جعلوا عنوانه : على أي أساس نتعايش؟ في ردهم الذي أرادوا إثباته في مواجهة بيان المثقفين الأمريكيين الذي كان عنوانه «على أي أساس نقاتل؟» الأمر الذي حدد من البداية أين يقف كل فريق.

---

[1] نصائح من نصرانية للدعاة بالصبر والثبات على هذا البيان !! وما أظن أن هذه النصائح إلا لجرهم ليصلوا إلى ما هم عليه من اتباع ملتهم ، فكلامها عن (تغيير العالم !) لا يدل إلا على استخفاف ! .

[2] الشرق الأوسط : 3 يونيو 2002 م .

[3] لو أردت أن أذكر أقوال هذا الصحفي الشنيعة في تمجيد الكفار والدعوة إلى التقارب معهم وسب المسلمين الذين يعادون الكفار لطال المقام ، وقد ذكره الشيخ محمد حامد الناصر في (العصرانيون) وجعله من دعاة وحدة الأديان ص 310 ، وذكره صاحب كتاب (دعوة التقريب بين الأديان) من دعاة التقريب بين الأديان في مواضع كثيرة من كتابه انظر مثلاً : 2/ 653 ، 703 ، 707 ؛ لذلك لا عجب أن كتب يمجد بيان المثقفين ، وسأذكر لك نموذجين من كلامه تستدل على ما وراءها :

يقول في (مجلة العربي) عدد 267 – ربيع أول – 1401 : " ليس صحيحاً أن المسلمين في هذه الدنيا صنف متميز ومتفوق من البشر لمجرد كونهم مسلمين ، وليس صحيحاً أن الإسلام يعطي أفضلية للمسلمين ، ويخص الآخرين بالدونية ، وليس صحيحاً أن ما كتبه أكثر الفقهاء في هذا الصدد هو دين ملزم " !! .

ويقول فض الله فاه في نفس المجلة عدد 169- جمادى أول 1401 : "كل هذه الآراء سواء منها ما يتعلق بتصنيف الخلق ، أو قسمة الأرض والديار ، لا تستند إلى نصوص شرعية من كتابٍ أو سنة ، وإنما هي اجتهادات طرحها الفقهاء والباحثون" .

وله كلام كثير من هذا الجنس ؛ إذ هو مهذار مكثار لا خير في كلامه إلا ما شاء الله ، وعليك بقراءة كتاب العصرانيون للشيخ محمد الناصر فإنه مفيد في الرد عليه وعلى أمثاله.

في هذا الصدد، لا يفوت المرء أن يلاحظ أن هذا هو البيان الأول من نوعه الذي يصدر عن مثقفين سعوديين ، أغلبهم من ذوي الاتجاه الإسلامي.. متبنياً قضية الحوار والتعايش مع الآخر ، خصوصاً غير المسلمين ... من هذه الزاوية فإن الموقف الذي عبر عنه البيان يغدو جديداً في حدود ما نعرف عن الخطاب الإسلامي السعودي . **وهو مبشر بظهور تيار في الساحة الإسلامية السعودية يتبنى طروحات أكثر اعتدالاً وانفتاحاً** ، ويضيف إلى خطاب الاعتدال في العالم العربي والإسلامي فصيلاً كان مرئياً على مستوى فردي من قبل ، لكن لم يكن مسموع الصوت . إذ في حدود علمي فان عناصر ذلك الفصيل كانوا موجودين في الساحة ، فطالما لقينا بعضهم والتقينا مع أفكارهم في مناسبات عدة ، لكني اسمح لنفسي أن أقول بأنهم كانوا محجوبين . مقموعين إن شئت الدقة . من جانب عناصر وقوى التشدد المهيمنة ، الأمر الذي يسوغ لي أن أقول إن البيان لم يكن منشئاً لذلك التيار المعتدل الداعي إلى التعايش والحوار ، لكنه جاء كاشفاً له ومنبهاً إلى وجوده. ... فإن هذه الخبرة تفسر لنا ارتفاع صوت دعاة التعايش مؤخراً في السعودية، في مواجهة دعاة التقاطع والتخاصم والمفاصلة. قلت إن الدعوة الأساسية للبيان جديرة بالحفاوة ، وأضيف هنا أن تلك الحفاوة تتضاعف إذا لاحظنا إن الموقعين على البيان حوالي 170 من المثقفين السعوديين بينهم حوالي عشرين امرأة وهو ما لم نعهده في أكثر النشاطات العامة بالسعودية ، خصوصاً تلك التي يكون الإسلاميون طرفاً فيها ، الأمر الذي يعطي انطباعاً بأنه لا يعكس رؤية أحاد الأفراد ، وإنما يعبر عن قطاع معتبر من المثقفين من الجنسين لا يمكن التقليل من شأنه أو دوره. لكل ذلك فان قارئ البيان ، خصوصاً إذا كان متابعاً للخطاب الديني في السعودية ، يخرج منه مقتنعا بأنه يمثل حدثاً ثقافياً مثيراً ، ومنعطفاً لافتاً للانتباه في مسار ذلك الخطاب الذي جنح طويلاً إلى التشدد ، وفتح الباب واسعاً لمزايدة آخرين على تشدده ، وهو ما عانت منه طويلاً أصوات الاعتدال ، ليس في داخل المملكة فحسب ، وإنما في خارجها أيضاً . ... إن أحداً لم ينتقد النص بحد ذاته، وإنما امتدحه بعضهم (تركي الحمد في «الشرق الأوسط» 5/15) واعتبر أن «باقة الأفكار الجميلة» التي تضمنها لا يختلف حولها أحد...إن هذا تيار يشق طريقه إلى سطح الحياة الثقافية ، ويعبر عن نفسه بهذه الصورة لأول مرة في موضوع التعايش ، ومن ثم ينبغي أن يعطى الفرصة للنمو

، حتى يقوى عوده وتتفتح أزهاره...**جدير بالملاحظة في هذا الصدد أن الذين كانوا أكثر حدة في نقد البيان هم غلاة العلمانيين وغلاة السلفيين** (لاحظ أن الطرفين طالبا أصحاب البيان بالاعتذار) . وهم الذين وجدوا أنفسهم يقفون في مربع واحد على الرغم مما بينهم من تناقض شديد في المواقف والآراء ، الأمر الذي يدعونا إلى القول بأن الغلو ملة واحدة ، وأن الاعتدال الإسلامي لا بد أن يكون مرفوضاً من الاثنين ، ولأن الفريقين يتغذيان من غيابه ويتمددان في فراغه. هذه المشكلة متكررة في أقطار عربية أخرى ، حورب فيها تيار الاعتدال من الجميع ، من غلاة الإسلاميين والعلمانيين وأجهزة الأمن ، **حيث أدرك هؤلاء أن الخطر الحقيقي الذي يتهددهم يكمن في تنامي التيار المعتدل**[1].

واستأذن هنا في أن أردد مقولة طالما دعوت إليها من قبل ، وهي أننا بحاجة ملحة إلى طي صفحة ذلك التصنيف الذي يقسم المثقفين إلى إسلاميين وعلمانيين، لأننا في مواجهة التحديات الجسام[2] التي تتهدد كل الفرقاء بحاجة إلى كل السواعد وكل القوى بحيث تكون القسمة بين وطنيين وغير وطنيين[3] ، وليس بين إسلاميين وعلمانيين".

والحاصل :

أنه بالنظر في هذه النقول – وأضعافها مما تركتها[4]– يتضح لك حقيقة هذا البيان ، والله المستعان .

---

[1] أضحك الله سنك أيها الصحفي على هذه الطرفة !! ، ومن (مزايا) هويدي –التي تسجل له ، والإنصاف مطلوب حتى مع المخالف– أنه يحب وضع أمثال هذه الطرائف في مقالاته من أجل إضحاك القارىء ، ولا تنس أخي القارىء أن تقرأ كلام جلال كشك عنه في الشبهة الثانية عشرة من الفصل الخامس.

[2] نعم ، هذه نصيحة هذا الصحفي ، طي الخلافات بين الإسلاميين والعلمانيين لمواجهة التحديات ، وهذه التحديات ليست من الكفار لأنه يريد التعايش معهم ، ولا من الفساق لأنك إذا رأيت وجه هذا الصحفي علمت ذلك ، ولا من أهل البدع لأنه لا أهل بدع عنده أصلاً ، ولا من العلمانيين لأنه يريد الاتحاد معهم ونبذ الفرقة ، فأين هذه التحديات ؟! إنها في مواجهة أهل الحق من (السلفيين) الذين يسميهم بـ(غلاة السلفيين) وهو وإن لم يصرح بهذا لكنه ألمح إلى ذلك ، وهذه نهاية طريق بيان المثقفين ، والله المستعان !.

[3] نعم : يستبدل الوطن بالإسلام ، فيكون معيار الولاء والبراء (الوطن) لا (الإسلام) !! .

[4] هناك كلام لابن سبأ الجزيرة : حسن بن فرحان المالكي يثني فيه على البيان ، وهكذا :

=

الفصل الرابع
نقض بيان المثقفين شرعاً

المبحث الأول : منكرات (بيان المثقفين) :

أولاً : بيان المثقفين والسياسة:

ثانياً : بيان المثقفين والأسس المنسوبة للشريعة :

ثالثاً : بيان المثقفين والتقريب بين الأديان :

رابعاً : بيان المثقفين وتحريف النصوص :

خامساً : بيان المثقفين والبراءة من الجهاد :

سادساً : بيان المثقفين وموالاة الكفار :

المبحث الثاني : الأدلة الشرعية في نقض (بيان المثقفين) :

فقد اجتمع في الثناء على هذا البيان (تركي الحمد ، و المالكي) وحسبك بهما !!، وهناك مقال أيضاً لـ(الحداثي : عبد الله الغذامي) يدافع فيه عن البيان ضد المنتقدين في جريدة الرياض ، ومقالات أخرى لعلمانيين وروافض منشورة في عدد من الصحف والمجلات تثني عليه تركت ذكرها اختصاراً ، وما ذكرته كاف لمن أراد الحق !!.

تمهيد

لما كان هذا البيان مليئاً بالفواقر والمصائب ، كان الرد عليه وذكر منكراته على أحد وجهين :

الأول : تتبع ما ورد فيه سطراً سطراً والرد عليه على طريقة ردود بعض أهل السنة رحمهم الله ، بطريقة : (فصل : قالوا : كذا ، والجواب : كذا) ، بحيث يكون ترتيب هذا الرد على ترتيب البيان .

الثاني : جمع ما تشابه في هذا البيان من منكرات ، وتقسيمها بحسب مواضيعها ، ثم الرد على كل قسم ، وهي طريقة آخرين من أهل السنة رحمهم الله أيضاً.

وقد رجحت الطريقة الثانية ؛ لأنها أقوى في البيان ، وأجمع للذهن ، وأبعد عن تكرار الكلام ، وفي كلٍ خير ؛ وقد قسمت هذا الفصل إلى قسمين :

القسم الأول (**المبحث الأول**) : وفيه سأقوم بذكر منكرات (بيان المثقفين) ، وقسمتها إلى ستة أقسام .

والقسم الثاني (**المبحث الثاني**) : وفيه ذكرت الأدلة الشرعية على نقض هذه المنكرات.

وسبب هذه القسمة أنني أردت تفادي التكرار في ذكر الأدلة ، حيث إن كثيراً منها يلزم ذكره أكثر من مرة فيما لو جعلت رد كل منكر في قسمه ، فقمت بالإشارة فقط إلى الأدلة في كل قسم من المبحث الأول ، بحيث يكون تفصيل ذلك في المبحث الثاني .

وأسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى ، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يوفق القائمين على هذا البيان للتوبة والرجوع إلى الحق ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وهذا أوان الشروع في المطلوب :

المبحث الأول

منكرات بيان المثقفين

تمهيد

نستطيع أن نقسم منكرات بيان المثقفين إجمالاً إلى قسمين :

القسم الأول : كلام صريح ، واضح ، ظاهر البطلان .

والقسم الثاني : كلام مجمل ، موهم ، قد يفسر بأكثر من تفسير ، يحتمل حقاً ، ويحتمل باطلاً .

فبالنسبة للقسم الأول الأمر فيه ظاهر .

أما القسم الثاني : وهو المجملات المحتملة ، فخطرها من وجهين :

الوجه الأول : إنه من لبس الحق بالباطل ، لأنهم إذا ذكروا كلاماً في أمور الدين والاعتقاد بألفاظ مجملة : قد تحمل على معنى صحيح ، وقد تحمل على معنى باطل ، ولم يلحقوا به ما يبين هذا الإجمال ، ويزيل الاحتمال الباطل ، التبس فهمه على عامة المسلمين إذا نشر بينهم ، فمنهم من قد يفهم المعنى الباطل ، ومنهم من قد يلتبس الأمر عليه ، وقد يضل بسببه فئام من الناس ، وهذا التلبيس ليس من صفات ورثة الأنبياء وأهل العلم .

الوجه الثاني : وهو أن كثيراً من العلمانيين وغيرهم من أعداء الإسلام قد حملوا هذه المجملات على المعاني الباطلة ، ونشروا ذلك في الصحف وغيرها ، وقد سبق بيان بعض ذلك .

وهذا كله عند إحسان الظن في الكلام على هذه المجملات ، وإلا فالبيان ذكر في مقدمته أنه كتب بلغة لا يفهمها إلا المثقف الغربي ، فيكون حمل هذه الألفاظ المجملة على المعاني التي يفهمها (المثقف الغربي) كما هو ظاهر .

وسأتناول فيما يلي منكرات بيان المثقفين ، وما كان منها من لفظ مجمل بينته ، فأقول وبالله أستعين :

أولاً : بيان المثقفين والسياسة[1] :

إن الناظر إلى (بيان المثقفين) – ممن يعرف عقيدة التوحيد – يعلم جلياً أنه لم يوضع على ما يوافق الكتاب والسنة ، وإنما وضعت حدوده ، وصرفت طرقه ، على ما يوافق مواثيق هيئة الأمم المتحدة (أحد طواغيت هذا العصر) ، وحاولوا في البيان أن يذكروا أسساً زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم (أرساها قبل أربعة عشر قرناً قبل أن توجد منظمات حقوق الإنسان أو هيئة الأمم المتحدة ومواثيقها الدولية) ، وقد كان من المفترض عليهم أن يزنوا مواثيق هذه المنظمات بميزان الشرع ، فإما أن يضربوا عنها صفحاً فلا تذكر بخير ولا شر ، أو أن يفصّلوا في أحكامها ، أما ذكرها مجملة وكأن الشرع قد جاء بإقرارها فلا يسوغ ! .

---

[1] من العجيب أن الدعوة إلى (التعايش السلمي) و (نبذ الصراع) كان قديماً ولكنه من دعاة من خارج (الجزيرة) ، وقد رد عليها أهل العلم ، وممن رد على هذه الدعوة الشيخ علي بن نفيع العلياني وفقه الله وحفظه في كتابه القيم (أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه) وهو مطبوع قبل عشرين سنة تقريباً ، ومما جاء فيه ص 454 تحت الباب الثالث (موقف تلاميذ الاستشراق والاستعمار من أحكام الجهاد) (رقم 12) :

" الدعوة إلى السلام العالمي والتعايش السلمي : تكاد تصم الآذان بضجيجها في هذا الزمان ، بل لقد أصبحت لكثرة القائلين بها كأنها الحق الصراح ، وما عداها هو الباطل عند بادي الرأي الذي لا يعرف الأحكام الشرعية . أما من يفهم الكتاب والسنة و يتمسك بهما فلا يزيده كثرة النداء بها إلا مقتا لها ولأصحابها ؛ لأنها دعوة مائلة عن نهج الحق ، وهذه الدعوة التي تنشر اليوم إنما تنشر استجابة لمباديء هيئة الأمم المتحدة ، لا استجابة لمباديء الإسلام ، واقرأ ما جاء في ديباجة ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، تتكشف لك الأمور – ثم ذكر ديباجة ميثاق الهيئة – ثم قال ص 456 : " **وانطلاقا من هذا المفهوم الخاطيء للجهاد تجد أغلب الكتاب العصرانيين يقررون أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو السلام ، وأنهم لا يحاربون الكفار إلا إذا اعتدوا عليهم ، وقد بينا فيما مضى بطلان هذا القول ، وأن الجهاد قد شرعه الله ابتداء ودفاعاً لإعلاء كلمة الله ، وإخضاع الكفار لحكم الإسلام ، وإذلال من تقبل منه الجزية بدفعها وهو صاغر ، وذكرنا النصوص الشرعية الموضحة لذلك ، وإجماع أمة محمد عليه الصلاة والسلام عليه قبل أن تنبت هذه النابتة التي تتلمذ على موائد المستعمرين والمستشرقين والمبشرين**."

ثم بدأ بمناقشة (السلام) هذا ومباديء الأمم المتحدة جزاه الله خيرا إلى أن قال ص 459 :

" وبهذا يظهر أن ما شرعته لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة مناقض لحكم الجهاد في الإسلام ، وأن الرضا به وتحكيمه رضا بالطاغوت ، وتحكيم بالطاغوت " اهـ.

وعند النظر في (ديباجة) ميثاق هيئة الأمم نجد ما يلي [1]:

" نحن شعوب الأمم المتحدة وقد آلينا على أنفسنا :

-أن ننقذ الأجيال المقبلة[2] من ويلات الحرب التي في خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية[3] مرتين أحزاناً يعجز عنها الوصف .

-وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان[4] وبكرامة الفرد[5] وقدره وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية.

-وأن نبيّن الأحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي .

-وأن ندفع بالرقي الاجتماعي قدماً، وأن نرفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح.

وفي سبيل هذه الغايات اعتزمنا :

-أن نأخذ أنفسنا بالتسامح، وأن نعيش معاً في سلام وحسن جوار [6].

-وأن نضم قوانا كي نحتفظ بالسلم والأمن الدولي [7].

---

[1] ما يذكر من مواثيق هيئة الأمم أو حقوق الإنسان فإنه منقول من موقع الأمم المتحدة باللغة العربية :
http://www.un.org/arabic/

[2] في بيان المثقفين (ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية) ، و (وينأى بشعوبنا عن دائرة التطاحن والصراع، ويمهّد لمستقبل أفضل لأجيالنا التي تنتظر منا الكثير. يفترض أن ندعو جميعاً لمشروع حوار نقدمه لعالمنا تحت مظلة العدل والأخلاق والحقوق، مبشرين العالم بمشروع يصنع الخير والأمن له)

[3] في بيان المثقفين (وصناعة الصراع سيرسّم الكثير من المفاهيم التي يصعب تجاوزها في المستقبل، وسيخلق مشكلة للأجيال القادمة في العالم كله) .

[4] في بيان المثقفين (ثمَّة مجموعة من المبادئ والأخلاقيات الأساسية التي تحكم علاقاتنا مع الأمم الأخرى ، ولقد أرساها رسول الإسلام...) وسيأتي التعليق عليها إن شاء الله .

[5] في بيان المثقفين (الإنسان من حيث هو كينونته مخلوق مكرم) .

[6] وهذا ما يقوم عليه بيان (على أي أساس نتعايش؟) .

[7] في بيان المثقفين (نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من أجل تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض، تحقيقاً للسلام العالمي).

-وأن نكفل بقبولنا مبادئ معيّنة ورسم الخطط اللازمة لها ألاّ تستخدم القوة المسلحة في غير المصلحة المشتركة .

-وأن نستخدم الأداة الدولية في ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها،

قد قرّرنا أن نوحّد جهودنا لتحقيق هذه الأغراض

-ولهذا فإن حكوماتنا المختلفة على يد مندوبيها المجتمعين في مدينة سان فرانسيسكو الذين قدّموا وثائق التفويض المستوفية للشرائط، قد ارتضت ميثاق الأمم المتحدة هذا، وأنشأت بمقتضاه هيئة دولية تُسمّى "الأمم المتحدة"."

فمواثيق هيئة الأمم تقوم على ثلاثة ركائز : الحرية ، والمساواة ، والعدل :

أما الحرية :

فهم في مواثيقهم يذكرون الحريات ومنها : (الحرية العقدية) ، واستعاض بيان المثقفين عن كلمة (الحرية العقدية) بقوله : (**لا إكراه في الدين**) حيث كررها بهذا اللفظ في ثلاثة مواضع وذكر عليها من الكلام ما مؤداه إلى (الحرية العقدية) كما سيأتي إن شاء الله!.

وأما باقي الحريات وحقوق الإنسان فأجملها البيان بقوله (**والإسلام ليس عدواً لحقوق الإنسان أو الحريات**[1]) وهم لا يعرفون من (حقوق الإنسان) ولا (الحريات) إلا ما جاءت به مواثيقهم!.

---

[1] في مواد حقوق الإنسان كما جاء في ميثاقه الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 كانون الأول/ديسمبر 1948 : (يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق) ، (لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين) ، (لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه) ، (لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعهما) ، (كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة) ، (لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة) ، (للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين، ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله) ، (لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته) ، (إن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة) .فهذه مواثيق حقوق الإنسان والحريات المزعومة ، =

وأما المساواة :

ففي مواثيق هيئة الأمم وحقوق الإنسان يكثر التركيز على المساواة بين الناس بدون أي تمييز ، ومنها عدم التمييز بالدين ، وهذا ما حاول (بيان المثقفين) الإشارة إليه : حيث قال: (فلا يجوز أن يعتدى عليه مهما كان لونه أو عرقه أو دينه) ، (العدل بين الناس حق لهم والظلم محرم فيما بينهم مهما كانت أديانهم أو ألوانهم أو قومياتهم) ، (لا يجوز إكراه أحد في دينه) ، (تحريم قتل النفس الإنسانية بغير حق) ، (فإن الإفساد في الأرض :كالعدوان على الغير من الشعوب المستضعفة ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها الخاصة التي تملكها أو تلويث البيئة ، من الفساد الذي لا يحبه الله) ، (ولهذا فإن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر) ، (جاء بها الإسلام تؤسس لحياة مستقرة للمؤمنين به وغير المؤمنين) ، (وقيم خاصة بشعب معين آثرها واختارها فنحن لا نكرهه على تركها) ، (وتصورنا يحمي إرادة الأكثرية ، ويحفظ حقوقها ، ويحمي كذلك حقوق الأقلية) .

وهكذا على وتيرة يُفهم منها أن الإسلام لا يفرق بين الأديان ، ولا يميز بين أهلها في التعامل !.

وأما العدل :

ففي مواثيقهم يكثر الكلام على العدل بين الشعوب والأفراد بلا تمييز ، وقد ركز البيان على هذا حيث تكرر فيه الكلام على العدل ومن ذلك : (ولا شيء يبعد شبح الصدام كما يفعله العدل ورعاية الحقوق والالتزام بالقيم والأخلاق) ،(من أجل إقامة علاقات أكثر عدلاً وإنصافاً بين الأمم والشعوب ، يفترض أن ندعو جميعاً لمشروع حوار نقدمه لعالمنا تحت مظلة العدل والأخلاق والحقوق) ، (ولهذا فإن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر) ، (وهي إنما خلقت له ليكون استثماره لها في حدود الحق والعدل والإصلاح) ، (العدل بين الناس حق لهم والظلم محرم فيما بينهم مهما كانت

ولا شك أن الاعتراف بهذه الحقوق والحريات كفر وردة عن دين الإسلام ؛ إذ مصادمتها للشريعة ولما علم من الدين بالضرورة ظاهرة لكل من عرف الإسلام !! .

أديانهم أو ألوانهم أو قومياتهم) ، (إن المفترض أن يكون هذا الحدث سبيلاً إلى تأسيس مؤسسات جديدة بين الدول والشعوب لإقامة العدل وإحقاق الحق) ، (أما حينما تكون الضمانات مبنية على العدل فإن فرص نجاحها تكون أكبر) ، (و الخلاف بيننا وبين المجتمع الأمريكي ليس في قيم العدل، أو خيار الحريات).

والكلام على إبطال هذه الأسس الثلاثة باختصار :

أما (الحريات) :

فقد ذكرت في أول هذا المبحث المراد بالحريات عند الكفار ، وأنهم يريدون بها حرية الكفر ، وحرية الرأي ، وغيرها ، وأن الموافقة على تلك الحريات يعتبر ردة وخروجاً عن الإسلام ؛[1] فهو مخالف لما علم من الدين بالضرورة ، وسيأتي الكلام بالتفصيل على الحرية الاعتقادية في (تحريف النصوص) إن شاء الله .

وأما (المساواة) :

فلا شك أن هذا ما ذكر في بيان المثقفين من محاولة إشعار الكفار بمساواتهم مع المسلمين باطل من أصله ؛ فإن الإسلام فرّق بين المسلمين والكفار في:

1- أحكام الشرع : سواء كان الكافر حربياً فيكون مباح الدم والمال ، أو ذمياً فيلزم بالصغار على تفاصيل تأتي إن شاء الله .

2- أو في أحكام القدر : حيث ذم الله سبحانه من ظن أنه يسوي بين المؤمنين وبين الكفار .

3- وسواء كان هذا في أحكام الدنيا .

4- أو في أحكام الآخرة.[2]

فلا سواء أبداً ، ولا أسس تجمع بين من عبد الله مع من عبد غيره .

وأما العدل :

---

[1] ولا أعني هنا أن بيان المثقفين وافق على هذه الحريات ، ولكنه أجمل الموقف منها ولم يفصل .

[2] انظر الرد على محاولة التسوية بين المسلمين وغيرهم في التعامل في الأدلة في المبحث الثاني وخصوصاً : الدليل الثاني عشر ، والثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر .

فيراد بالعدالة أمران :

أحدهما : استواء الأفراد جميعهم أمام ما يسمونه بالقانون بغض النظر عن أديانهم ، فهذا باطل وليس هذا في شرع محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الله سبحانه قد خالف بين أحكام أوليائه المؤمنين ، وبين أحكام أعدائه الكافرين .

والثاني : استواء الأفراد في تطبيق أحكام الله عليهم ، فهذا صحيح أتى به الشرع ، ولكن حكم الله على المسلمين غير حكمه على الكفار ولو كانوا من أهل الذمة ، فإعمال شرع الله كما جاء : في هذا ، وفي هذا ، هو العدل الذي أتى به الشرع الإسلامي ، وهو التسوية بين المتماثلين ، والتفريق بين المختلفين ، وهو الميزان الذي بعثت به الرسل .

فهل ما يوجد في (بيان المثقفين) من (تحقيق العدالة) يريد النوع الثاني ؟!.

لا أظن ذلك ، بدليلين :

الأول : إن أصحاب البيان قالوا عن بيانهم (**هذه الورقة الجوابية ـ كما يقول معدو الورقة ـ ليست موجهة للمثقف المسلم أو حتى الرجل العادي في الغرب ، بل كتبت بلغة يفهمها المثقف الغربي**) : ومن المعلوم أن المثقف الغربي لا يفهم العدالة كما جاء بها الإسلام ، بل كما جاءت بها مواثيقهم كما في المادة السابعة من حقوق الإنسان :

"كل الناس سواسية أمام القانون ، ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة ، كما أن لهم جميعا الحق في حماية متساوية ضد أي تميز يخل بهذا الإعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا".

والثاني : قولهم (**إن المفترض أن يكون هذا الحدث سبيلاً إلى تأسيس مؤسسات جديدة بين الدول والشعوب لإقامة العدل وإحقاق الحق**)[1] : فهل يريدون من أمريكا إقامة

[1] وهذا القول خطير : فإن طلب تأسيس مؤسسات جديدة على غرار هيئة الأمم المتحدة لـ(إقامة العدل وإحقاق الحق) بين الدول والشعوب : إما أن تكون محكومة بالشرع الإسلامي ، أو لا ؟ :

فإن قالوا : إنها محكومة بالشرع الإسلامي ، فهذا من المضحكات ، فهل طبق شرع الله في بلاد المسلمين حتى يطبق على جميع الدول والشعوب الكافرة ؟! .

=

العدل الذي جاء به شرع الإسلام[1] ؟!.

وبمقارنة ما جاء في هذا البيان مع ما جاء عن بعض السياسيين يتجلى الأمر أكثر ، وسأذكر مثالين قريبين:

1-ففي يوم الأحد 10 / 9 / 1422 أعلنت الجامعة العربية أن أكثر من 75 مثقفا عربيا سيعقدون مؤتمرا في مقر الجامعة في القاهرة الاثنين يخصص لبحث حوار الحضارات والتصدي لنظريات صراعها ، وقال بيان صادر عن الجامعة العربية إن مؤتمر "**حوار الحضارات: تواصل لا صراع**" سيعقد بمبادرة من الأمين العام عمرو موسى وسيضم مثقفين من غالبية الدول الاثنتين والعشرين الأعضاء في الجامعة العربية وتابع موسى أن المؤتمر سيصدر توصيات حول سبل التصدي لـ "المحاولات الرامية إلى تشويه الثقافة العربية والحضارة الإسلامية". وقال : إن هذه التوصيات ستعرض على الرؤساء العرب في قمتهم المقبلة في مارس/آذار القادم في بيروت , غير أن "بعض التوصيات العاجلة ستطبق على الفور". ومن المشاركين في هذا المؤتمر الذي يستمر يومين وزير الثقافة اللبناني غسان سلامة ! وولي عهد الأردن السابق الأمير الحسن بن طلال ![2] .

2- وفي يوم الأربعاء 1 / 12 / 1422 دعا أمير قطر –كما ذكرت صحيفة الراية القطرية الصادرة في ذلك اليوم – لعقد اجتماع بين الاتحاد الأوروبي ومنظمة المؤتمر الإسلامي بمدينة الدوحة بهدف تطوير وتعميق الحوار ، والتواصل بين المجموعتين , ودعا على لسان وزير

وإن قالوا : بل تكون محكومة بقوانين يتفق عليها ، فهذا أمر عظيم ، وإقرار بحكم الطاغوت ، وقد كنا نسمع كلاماً شديداً على هذه الهيئات الطاغوتية الدولية من بعض الموقعين !! .

[1] قد يقول قائل : إن المقصود بالعدل عدم الظلم ؛ كما قال شيخ الإسلام (إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة) ، فيقال : شيخ الإسلام رحمه الله من الواضح أنه لا يريد بذلك الثناء على الطواغيت وقوانينهم ، بل يريد أن يبين أن السياسة القائمة على عدم ظلم الناس أقوم من السياسة القائمة على الظلم ، من باب المقارنة بين الأمرين ، لا من باب التفضيل المطلق ، بدليل أن الشرع الذي يقيمه الكفار شرع جاهلي لا يقره الشيخ وحاشاه ، والشيخ لا يدعو أولئك إلى تطبيق عدالتهم على المسلمين ، أو الاجتماع معهم على (قيم عدل) ، وأما في بيان المثقفين فإنهم أشاروا إلى ذلك ، ونسبوا أقوالهم إلى تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم !.

[2] عن موقع قناة الجزيرة .

خارجيته إلى أن يتواصل هذا الحوار التاريخي بين أوروبا والعالم الإسلامي, وأن يصل لإطار مؤسساتي حتى يمكن تقليص مجالات سوء الفهم وإتاحة الفرصة لمعرفة حقيقية متبادلة بين الجانبين أكثر شفافية وصراحة لترسم ملامح علاقة مستقبلية راسخة مما يحقق الأمن والسلام الدوليين ، وانتقد وزير الخارجية محاولات البعض وبشكل خاص في الغرب تأسيس مرحلة تاريخية جديدة قوامها مقولة الصراع بين الثقافات دون الالتفاف إلى حل المعضلات والمشاكل المزمنة التي عانينا ونعاني منها وعلي رأسها القضية الفلسطينية. وقال : إن مثل هذه المحاولات لا تتسم بالحكمة وبعد النظر وتتجاهل الحقائق التاريخية , لذلك وقبل كل شيء فإننا بحاجة إلى تكثيف الجهود المشتركة للتوصل إلى حلول منصفة وعادلة لهذه المشاكل.

قلت :

فانظر إلى كلام هؤلاء ، ثم اقرأ (بيان المثقفين) مرة أخرى ، فكأنها قد خرجت من مشكاة واحدة ، ومن (توصيات) واحدة !.

فإن قال قائل : وهل كل ما يقوله السياسيون باطل ؟.

قلنا : ليس هذا مجرد الانتقاد ، بل الانتقاد أنهم خالفوا الكتاب والسنة والإجماع كما سيأتي في المبحث القادم ، ووافقوا توصيات السياسيين في هذه الأمور !.[1]

---

[1] ثم عقد مؤخرا بعد البيان و بتاريخ 4 / 3 / 1423 مؤتمراً سبقت الإشارة إليه ، وهو كما ورد في موقع قناة الجزيرة:

" تعقد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو" ندوة دولية في دمشق الأسبوع القادم تحت عنوان (**الحوار بين الحضارات من أجل التعايش**) ، وذلك تحت رعاية الرئيس السوري بشار الأسد الذي سيفتتح أعمالها ، ويشارك في الندوة مجموعة من المفكرين والأكاديميين من العالم العربي الإسلامي ومن بعض البلدان الغربية ومن اليابان والهند . وستبحث الندوة أربعة محاور تشمل : أسس الحوار بين الحضارات ومنطلقاته ، والحوار بين الحضارات والتنوع الثقافي ، والصور النمطية المشوهة عن الحضارات وسبل تصحيحها ، ومن الحوار إلى التعايش".

ثانياً : بيان المثقفين وأسسهم المنسوبة إلى الشريعة :

سأناقش فيما يلي الأسس التي قال عنها بيان المثقفين : (**قيم نؤمن بها وأسس نهتدي بها**):

قالوا :

(**ثمَّة مجموعة من المبادئ والأخلاقيات الأساسية التي تحكم علاقاتنا مع الأمم الأخرى ، ولقد أرساها رسول الإسلام محمد – صلى الله عليه وسلم – قبل أربعة عشر قرناً قبل أن توجد منظمات حقوق الإنسان أو هيئة الأمم المتحدة ومواثيقها الدولية**).

قلت : أما نسبتها إلى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم فباطل كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

====

قالوا :

(**منها:**

1- الإنسان من حيث هو كينونته مخلوق مكرم ، فلا يجوز أن يعتدى عليه مهما كان لونه أو عرقه أو دينه ، قال الله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (الإسراء: 70).)[1] .

قلت : وهذا باطل من وجوه :

الوجه الأول : أن تكريم الإنسان هذا من حيث الخلقة إنما هو من باب فعل الله سبحانه لا كسب للعبد فيه ، وإنما كرامة العبد في كسبه القائم في أصله على الدين ؛ لذلك فالكفار مهانون لا كرامة لهم ولو علوا في الأرض ، كما قال تعالى (**ثم رددناه أسفل سافلين**) وقال

[1] وهذا من أصول القرضاوي التي يرددها دائماً لتمييع الولاء والبراء كما سيأتي إن شاء الله في تحريف النصوص.

عنهم (**إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل**) ، وسيأتي هذا في (تحريف النصوص) إن شاء الله
.

الوجه الثاني : أن قولهم (**فلا يحوز أن يعتدى عليه مهما كان لونه أو عرقه أو دينه**) لا يصح على إطلاقه ، فالكافر في الأصل مباح الدم والمال إلا بعاصم من عهد أو ذمة أو أمان
.

الوجه الثالث : أن قولهم (**أو دينه**) يشير إلى تساوي الأديان في تحريم الاعتداء ، وهذا باطل ، فالاعتداء على المسلم لا يجوز بحال بخلاف الكافر ، والاعتداء على المسلم أعظم من الاعتداء على الكافر المعصوم كالذمي ؛ فإن الكافر يقتل بالمسلم ، والمسلم لا يقتل بالكافر ولو كان ذمياً كما في ثبت في الصحيح ، ودية الذمي أقل من دية المسلم ، وأما الكافر الحربي فلا قيمة له شرعاً ، لذلك ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (**لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبداً**).

الوجه الرابع : أنهم رتبوا (عدم جواز الاعتداء) على (تكريم الإنسان) بحرف (الفاء) الدالة على (العلية)[1] ، بمعنى أنه لا يجوز الاعتداء على الإنسان من أجل كونه مخلوقاً مكرماً ، وهذا باطل ، فليست العلة الشرعية في عصمة الدم والمال هي كون الإنسان مخلوقاً مكرماً ؛ فإن هذا تعليل بالقدر لم يأت به الشرع ، والحربي مشارك لهم في (بنوة آدم) و (تكريم الخلق) ومع ذلك يجوز قتله وأخذ ماله .

فالإنسان إما أن يكون مسلماً أو كافراً :

فالمسلم لا يجوز الاعتداء عليه بحال للأدلة الشرعية الدالة على عصمة دمه وماله . وأما الكافر فالأصل فيه إباحة دمه وماله ، وإنما يحرم الاعتداء عليه إذا عصمه الشرع بعهد أو ذمة أو أمان . فالعاصم من الاعتداء هو (الأمر و الشرع) لا (الخلق والقدر) ، فلا مكان (للتكريم الخلقي) في هذا كله !.

---

[1] وهي قاعدة معروفة في الأصول : إن ترتيب الحكم على الوصف بحرف الفاء يدل على أن الوصف علة لذلك الحكم ؛ نحو قوله صلى الله عليه وسلم (إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها) فإنه رتب النهي عن اللبس بحرف الفاء ، فهذا يدل على أن العلة من النهي عن اللبس أنها من ثياب الكفار.

====

ثم قالوا :

(**2- تحريم قتل النفس الإنسانية بغير حق. وقتل نفس واحدة ظلماً عند الله كقتل الناس جميعاً ، وحماية نفس واحدة من القتل كإحياء الناس جميعاً ، وجاء في القرآن " (أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) (المائدة:32)."**)

قلت : وهذا القول باطل من وجوه :

الوجه الأول : أما الآية فسيأتي الكلام عليها إن شاء الله في (تحريف النصوص) .

الوجه الثاني : أن قولهم (**بغير حق**) كلام مجمل ، فقد يراد به (الحق) الذي يعرفه كفار أمريكا بزعمهم ، وقد يراد به (الحق) الذي جاء به الإسلام :

وسنحاكم ما يريده أصحاب البيان إلى كلامهم فيه ؛ فإنهم قالوا عن بيانهم (**هذه الورقة الجوابية .كما يقول معدو الورقة ـ ليست موجهة للمثقف المسلم أو حتى الرجل العادي في الغرب ، بل كتبت بلغة يفهمها المثقف الغربي**) .

فبناء على هذا سنحاكم هذا البيان إلى (فهم المثقف الغربي)[1] : فيقال إن المثقف الغربي لا يفهم من (الحق) الذي من أجله يقتل الإنسان أنه : الكفر الأصلي ، والردة ، والزنا بعد الإحصان،

---

[1] المثقفون الأمريكيون : إما أن يكونوا يعرفون الحق الذي يقتل به الشرع كما جاء به حديث ابن عمر وابن مسعود وغيرهما أو لا ؟.

فإن كانوا يعرفون ذلك : بطل كلام المثقفين كله في محاولتهم بيان شرع الإسلام بصورة (تجميلية) لهم ؛ إذ هم يعرفون حكم الإكراه في الدين ، وحكم قتل الكفار ، ونحو ذلك .

وإن كانوا لا يعرفون ذلك : فتحاكم مجملاتهم إلى (فهم المثقف الغربي) !.

ونحو هذه الأمور التي جاء بها الشرع وهي من (الحق) . ولا شك أن هذا الكلام فيه غموض وإيهام ، وهو من لبس الحق بالباطل ، إذ يستدل بكلام حق لتقرير معان باطلة أو لإيهامها.

الوجه الثالث : قولهم (**وقتل نفس واحدة ظلماً عند الله كقتل الناس جميعاً ، وحماية نفس واحدة من القتل كإحياء الناس جميعاً**) . باطل بهذا الإطلاق ؛ فإن قتل المسلم ليس كقتل الكافر حتى لو كان الكافر مظلوماً ، فإنه وإن كان قتله محرماً لكنه لا يستوي هو وقتل المسلم ، وقد ثبت في الصحيح (لا يقتل مسلم بكافر) .

====

ثم قالوا :

(**3- لا يجوز إكراه أحد في دينه ، قال الله تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة:256)، بل إن الإسلام نفسه لا يصح مع الإكراه.**).

قلت : وهذا الكلام باطل من وجوه :

الوجه الأول : أما الكلام على الآية فسيأتي إن شاء الله في (تحريف النصوص).

الوجه الثاني : أن الإكراه في الدين يقصد به أمران :

إكراه عقدي ، وإكراه على الالتزام بأحكام الشرع .

وكلا الأمرين ورد في الشرع ، فيكره المرتد على الرجوع إلى الإسلام وإلا قتل ، ويكره غير الكتابي – عند طائفة من العلماء – على الإسلام وإلا قوتل ، كما يكره جميع الكفار على الدخول في الإسلام أو التزام أحكامه ، وسيأتي تفصيله إن شاء الله فيما بعد .

الوجه الثالث : قولهم (**بل إن الإسلام نفسه لا يصح مع الإكراه**) باطل بهذا الإطلاق ، فالمرتد يكره على الرجوع إلى الإسلام ، فإن رجع قبل منه ذلك ، وكذلك غير أهل الكتاب من الكفار عند طائفة من أهل العلم يقبل إسلامهم إذا أسلموا خوفاً من السيف.

====

ثم قالوا :

(**4- إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة أساس في رسالة الإسلام ، وهكذا كل أنبياء الله، يقول النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – : " إنما بعثت**

لأتمم مكارم الأخلاق "ويقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد: 25)، ولهذا فإن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر ، وهذا من القسط الذي يحبه الله وأمرنا به، قال الله تعالى : ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:8)) .

قلت : والكلام على هذا من وجوه :

الوجه الأول : أما الكلام على الآيتين والحديث فيأتي في (تحريف النصوص) إن شاء الله.

الوجه الثاني : أن قولهم (**إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة**) كلام مجمل ، يحتمل أحد معنيين :

المعنى الأول : إقامة هذه العلاقات على ما جاء في الكتاب والسنة ، من توحيد ، وكفر بالطاغوت ، وبراءة من الكفر وأهله ، وبغضهم ، ومعاداتهم ، وإقامة للجهاد في سبيل الله ، وإلزام الناس كلهم بالدخول في الإسلام ، أو في حكم الإسلام والتزام الصغار وبذل الجزية.

المعنى الثاني : إقامة هذه العلاقات على النحو الذي سار عليه (بيان المثقفين) وعلى ما يفهمه (المثقفون الأمريكيون) من كلمة (الأخلاق الكريمة) وهي : السلام ، والتسامح ، والمودة ، والألفة ، والتعايش ، ونحو هذا.

فإن أريد به المعنى الأول فهو حق !.

وإن أريد به المعنى الثاني فهو باطل ، مخالف للكتاب والسنة والإجماع .

و (البيان) كله بما فيه من طلب : للحوار ، والتعايش ، والاحترام ، والموضوعية ، ومشاركة الكفار بمشاعرهم ، ونبذ التشنج ، وإرادة السلام العادل العالمي ، ونبذ الصراع والتصادم والعنف ، وذم المجاهدين تحت مسمى الإرهابيين ، ونحو هذا ، يدل على أن المراد بالأخلاق هو المعنى الثاني .

فإن قالوا : إننا أردنا المعنى الأول فقد نقضوا بيانهم بما فيه.

والمقصود هنا إبطال المعنى الثاني وهو الظاهر :

فإنه خلاف الكتاب والسنة والإجماع ، وسأذكر الأدلة هنا مجملة ؛ إذ تفصيلها في المبحث الثاني إن شاء الله :

أما الكتاب :

فإن القرآن ينقسم إلى ثلاثة أقسام في الجملة :

الأول : **العقائد** : وهو في ذكر التوحيد وأهله ومدحهم والأمر بموالاتهم ومحبتهم ، وذكر الشرك وأهله وذمهم والأمر بالبراءة منهم ومعاداتهم ، وبيان ما أعده الله لأهل التوحيد من الكرامة في الدنيا والآخرة ، وما أعد الله لأهل الشرك والكفر من المهانة في الدنيا والآخرة.

الثاني : **القصص** : وهو في ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام من دعوتهم للتوحيد ، ونهيهم عن الشرك ، وكفرهم بالطاغوت ، وبراءتهم من الكفر وأهله ، وما حصل بينهم وبين أقوامهم من ابتلاء ومحن بسبب ذلك .

الثالث : **الأحكام** : وأكثر آيات الأحكام هي في (الجهاد في سبيل الله) حتى يكون الدين كله لله .

فهذا كتاب ربنا ، وهذا ما ينطق به ، وهذا أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم ، قائمة على (الولاء والبراء) ، والمخالفة بين (سبيل المؤمنين) و (سبيل الكافرين) في جميع الأحكام ، لا على (السلام) و (المحبة) و (التعايش) !.

وأما السنة :

فسأتكلم عن السنة العملية المتواترة على الفترتين : المكية ، والمدنية :

أما في الفترة المكية :

فقد جاهر الرسول صلى الله عليه وسلم قومه بالعداوة ، وصرح لهم بالكفر بالطاغوت ، وعاب آلهتهم ، وذم كفرهم ، حتى حصل عليه من الابتلاء والأذى ما حصل ، وحتى أصاب أصحابه في ذلك ما أصابهم ، فقُتل بعضهم ، وسُجن بعضهم ، وعُذّب بعضهم ، و شُرّد بعضهم ، وحوصر بعضهم ، في سلسلة من المحن والشدائد ، حتى هاجروا إلى المدينة[1].

---

[1] هذا مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتصف بالأخلاق الكريمة قبل مبعثه ، فقد كان أصدق الناس وأكثرهم أمانة حتى سماه كفار مكة قبل مبعثه بـ(الصادق الأمين) ، وكان كريما ، عفيفا ، شجاعا ، شهما ، حييا ، من

=

وأما في الفترة المدنية :

فمنذ أول سنة بعد الهجرة بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد في سبيل الله ، وبدأ بإرسال السرايا والبعوث لقتال المشركين ، واستمر على ذلك حتى مات صلوات الله وسلامه عليه .

فبالنظر إلى الفترتين يتبين لك أساس العلاقات الإنسانية في الإسلام :

فعند الضعف وعدم القوة : يجب الكفر بالطاغوت ، والبراءة من الكفار ومعبوداتهم ، وبغضهم ، ومعاداتهم ، وتجعل العلاقة على هذا الأصل .

وعند القوة : يضاف إلى ذلك قتالهم حتى يكون الدين كله لله .

وأما الإجماع :

فإن الكافر على قسمين في الجملة :

الأول : الكافر المحارب : وهو الأصل في الكافر ، فقد أجمع علماء الإسلام على أنه فرض على الأمة حال قوتها غزو الكفار في بلادهم ، وإنما اختلفوا في القدر المجزيء من ذلك ، فهل غزوهم في بلادهم من (الأخلاق الكريمة) المقصودة هنا ؟.

والثاني : الكافر الذمي : وقد أجمع علماء الإسلام على أنه يلزم بالجزية والصغار وأحكام أهل الذمة . فهل هذه الأحكام من (الأخلاق الكريمة) المقصودة هنا ؟.[1]

الوجه الثالث : قولهم (**فإن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر**) : الكلام عليه من وجهين :

أبعد الناس عن الظلم ، وسفاسف الأمور ، وكان كفار مكة قبل بعثته يحبونه لاتصافه بهذه (الأخلاق الكريمة) ، فلما ابتعثه الله بالتوحيد والكفر بالطاغوت ، فجاهرهم بالعداوة والبراءة منهم ومن كفرهم ، عادت محبتهم له بغضاً ، وصداقتهم عداوة ، ومدحهم ذماً ، أ هذا يدل على أن أساس إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة بالمعنى الثاني ؟!.

[1] لاشك أن غزو الكفار وتطبيق أحكام أهل الذمة على الكفار المقيمين في بلاد الإسلام من أفضل الأعمال ، ومن الأخلاق الكريمة الإسلامية ، ولكنها تعتبر في عرف كفار اليوم ومن انساق معهم من الانهزاميين من : (العنصرية) و (الإرهاب) و (التشدد) و (التطرف) !!.

الأول : في جعلهم هذا هو الأصل ، واستدلالهم عليه بالآية ، فالكلام عليه في (تحريف النصوص) إن شاء الله .

والثاني : إن العدل في الشريعة الإسلامية يراد به كما تقدم مراراً : التسوية بين المتماثلين ، والتفريق بين المختلفين ، وإقامة شرع الله كما جاء ، لذلك فقتال المسلمين للكفار من أجل أن يكون الدين كله لله من العدل ، فكلمة العدل هنا مجملة ، إلا أنه يوضحها قولهم (والإحسان ، والبر) ، فهذا يبين أن المراد بذلك ما ذكروه في مقدمة هذا الأساس من (الأخلاق الكريمة) ، والرد عليه سيكون إن شاء الله عند الكلام على آية البر والإقساط.

الوجه الرابع : أن الأخلاق الكريمة في الشرع الإسلامي مقيدة بالكتاب والسنة ، وليست على أهواء الناس ، فمن الأخلاق الكريمة الإسلامية ما يجعلها العرف الدولي (إرهاباً) و (تطرفاً) و (تشدداً) و (ظلماً) وغير ذلك ، ومن الأخلاق الخبيثة في الشرع الإسلامي ما يسمى عند الكفار (أخلاقاً كريمة) ، وهاك بعض الأمثلة على ذلك :

1- (**مودة الكفار**) التي تجعل الآن من الأخلاق الكريمة السامية : هي في الشريعة الإسلامية مذمومة منكرة ، قد تؤدي بصاحبها إلى الكفر ، كما ستأتي الأدلة على ذلك في المبحث الثاني إن شاء الله .

2- (**الجهاد في سبيل الله**) : من أفضل الأعمال ، واتفق المسلمون على أنه من خير التطوع ، ومن أعلى الأخلاق الكريمة الشرعية ، وهي عند الكفار من الأخلاق المذمومة التي يحذر منها ومن أصحابها .

3- (**المساواة بين الناس كلهم**) : هي عند الكفار من الأخلاق الكريمة ، ووضعوها في أول مادة لميثاق حقوق الإنسان ، وهي في شريعة الإسلام كفر وردة!.

4- (**المساواة بين الرجل والمرأة**) : هي عند الكفار من الأخلاق الكريمة ، ووضعوها في المادة 16 من ميثاقهم لحقوق الإنسان ، وهي في الإسلام كفر وردة .

وهكذا ، فالميزان هو شريعة الإسلام ، لا مواثيق حقوق الإنسان ، ولا هيئة الأمم ، ولا غير ذلك .

====

ثم قالوا :

(5- كل ما في الأرض من خيرات ظاهرة وباطنة إنما خلقت من أجل الإنسان :"هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا" وهي إنما خلقت له ليكون استثماره لها في حدود الحق والعدل والإصلاح. وعليه فإن الإفساد في الأرض :كالعدوان على الغير من الشعوب المستضعفة ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها الخاصة التي تملكها أو تلويث البيئة ، من الفساد الذي لا يحبه الله، قال الله تعالى في كتابه : (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ) (البقرة: 205) ، وقال : "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"(الأعراف :56)).

قلت : والكلام على هذا من وجوه :

الوجه الأول : أما النصوص التي ذكرت هنا فالكلام عليها في (تحريف النصوص) إن شاء الله .

الوجه الثاني : أن الأصل في خيرات الأرض أنها للمسلمين كما قال تعالى (**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**) ، وأما الكافر فلا يكون ملكه تاماً كالمسلم أبداً ، بل إما أن يكون حربياً وهو الأصل فيكون مباح الدم والمال وملكه لا ينفذ شرعاً ، ولا يصح ملكه لما تحت يده إلا بتمليك المسلمين له ؛ إما بذمة أو عهد أو أمان ، وسيأتي تفصيله إن شاء الله.

الوجه الثالث : أن قولهم (**في حدود الحق والعدل والصلاح**) كلام مجمل ، يحتمل حقاً ، ويحتمل باطلاً :

1-فإن المخاطبين من المثقفين الأمريكيين الذين كتب البيان بلغة لا يفهمها (غيرهم) لا يعرفون من هذا الكلام إلا (حقوقهم) و (عدلهم) و (صلاحهم) ، وهذا باطل ؛ فإن النظر إلى مواثيقهم وحقوقهم وعدالتهم يكفي لمعرفة بطلان ما هم عليه وبعده عن الشريعة.

2-ويحتمل أن يراد به (الحق) و (العدل) و (الصلاح) الشرعي المعروف ، فهذا حق ، لأن حدود ذلك ما أقره الشرع ، ولكن باقي البيان ، وكونه كتب بلغة المثقفين الأمريكان ، ينفي أن يكون هذا ظاهر المراد!.

الوجه الرابع : أنهم في بداية هذه الأسس قالوا (**ثمَّة مجموعة من المبادئ والأخلاقيات الأساسية التي تحكم علاقاتنا مع الأمم الأخرى ، ولقد أرساها رسول الإسلام محمد –**

صلى الله عليه وسلم – قبل أربعة عشر قرناً) : فقد جعلوا هذه (المبادئ) و (الأخلاقيات) هي التي تحكم علاقات المسلمين مع الأمم الأخرى ، وهي التي أرساها رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم .

ومعنى هذا الكلام أن من المبادئ والأخلاقيات التي تحكم علاقة المسلمين مع الأمم الأخرى إن (**العدوان على الغير من الشعوب المستضعفة ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها الخاصة التي تملكها أو تلويث البيئة**) من (**الفساد الذي لا يحبه الله**) ومن (**الإفساد في الأرض**) وهذا الكلام باطل ، بل ويلزم عليه لوازم خطيرة من تكذيب القرآن والقدح بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه :

فقد تواتر فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من غنيمتهم لأراضي (الشعوب الكافرة) ومنازعتهم في ثرواتهم وخيراتهم الخاصة ، وما امتلأت خزائن بيت المال في وقت الخلفاء الراشدين المهديين إلا من ثروات الأراضي التي افتتحوها ، وقد قال تعالى (**واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول الآية**) ، وقال تعالى (**فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً**) ، وقال تعالى (**ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ...الآية**) ، والغنيمة والفيء ما أخذه المسلمون من الكفار ، وقد ثبت في الصحيح أنه قال صلى الله عليه وسلم (أعطيت خمسا : وذكر منها : وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي) ، وقال كما في المسند وغيره (وجعل رزقي تحت ظل رمحي) .

وعلى هذا استمر عمل الصحابة رضوان الله عليهم حيث قاتلوا (الشعوب المستضعفة) و (القوية) وحكموهم ، وأخذوا أراضيهم ، وثرواتهم ، واقتسموها .

وذلك أن ملك الكافر لا يتم إلا بتمليك المسلم له ، فإذا أخذ المسلم مال الكافر وأرضه فإنما عاد الحق إلى أهله ، لهذا سمي الفيء فيئاً :

قال ابن العربي رحمه الله [1]:

---

[1] أحكام القرآن : 4 / 178 .

"(**ما أفاء الله**) : يريد ما رد الله ، وحقيقة ذلك أن الأموال في الأرض للمؤمنين حقاً , فيستولي عليها الكفار من الله بالذنوب عدلاً , فإذا رحم الله المؤمنين وردها عليهم من أيديهم رجعت في طريقها ذلك , فكان ذلك فيئا ".

وقال أيضاً رحمه الله [1]:

" قوله تعالى : (**مما أفاء الله عليك**) والمراد به : الفيء المأخوذ على وجه القهر والغلبة الشرعية ; وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل من عمله , ويطأ من ملك يمينه , بأشرف وجوه الكسب , وأعلى أنواع الملك , وهو القهر والغلبة , لا من الصفق بالأسواق . وقد قال عليه السلام : (جعل رزقي تحت ظل رمحي) ".

وقال شيخ الإسلام رحمه الله [2]:

" ما قاتلوا عليه كان للمقاتلة , وما لم يقاتلوا عليه فهو فيء ; لأن الله أفاءه على المسلمين , فإنه خلق الخلق لعبادته , وأحل لهم الطيبات ليأكلوا طيبا ويعملوا صالحا , والكفار عبدوا غيره فصاروا غير مستحقين للمال , فأباح للمؤمنين أن يعبدوه , وأن يسترقوا أنفسهم , وأن يسترجعوا الأموال منهم , فإذا أعادها الله إلى المؤمنين منهم فقد فاءت ; أي رجعت إلى مستحقها " .

وقال أيضاً [3]:

" وسمي فيئا ; لأن الله أفاءه على المسلمين , أي رده عليهم من الكفار , فإن الأصل أن الله تعالى , إنما خلق الأموال إعانة على عبادته ; لأنه إنما خلق الخلق لعبادته , فالكافرون به أباح أنفسهم التي لم يعبدوه بها , وأموالهم التي لم يستعينوا بها على عبادته , لعباده المؤمنين الذين يعبدونه , وأفاء إليهم ما يستحقونه , كما يعاد على الرجل ما غصب من ميراثه , وإن لم يكن قبضه قبل ذلك " .

---

[1] أحكام القرآن : 3 / 591 .

[2] الفتاوى : 28 /563 .

[3] الفتاوى : 28/ 276 .

والمقصود :

أن هذا المال الذي يغنمه المسلمون من الكفار الحربيين من أطيب الحلال ، وهو من الرزق الذي تفضل الله به على هذه الأمة ، فقولهم إن الاعتداء على ثروات وخيرات الشعوب المستضعفة من الفساد في الأرض وأن هذا مما أرساه النبي صلى الله عليه وسلم في علاقاتنا مع الأمم الأخرى باطل .

====

ثم قالوا :

(**6- المسؤولية في الجنايات الخاصة فردية، فلا أحد يؤخذ بجريرة غيره، قال الله تعالى: (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (فاطر: الآية 18)**.)

قلت : وهذا صحيح في الجملة ، إلا أن وضعه هنا قد يراد به أمران :

الأول : ما عليه ظاهر الكلام ، والمراد به إعلام المثقفين الأمريكان بأن مسؤولية الجنايات الخاصة في الفقه الإسلامي تكون فردية ، و لا يؤاخذ أحد بجريرة غيره (!) .

الثاني : أن يراد به أن (جناية) المجاهدين عليكم (فردية) : فنحن برءاء يا (أمريكان) منهم ، ومن فعلهم ، ولا نؤاخذ بها ، واجعلوا معركتكم معهم وحدهم ، فيقال :

اعلم إن المجاهدين الذين ضربوا أمريكا كانوا متأولين بالإجماع : من الموافق لهم ، والمخالف ، فكل أحدٍ يعلم ما لهم من الأدلة على ما ذهبوا إليه من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم ، فإن أصابوا فذاك ، وإن أخطأوا فقد تأولوا ، فلا يتبرأ المسلم منهم ، ولا يسلمهم في وقت هم فيه بأشد الحاجة إلى النصرة – ولو بالقول – ، ولا يخذلهم ، ولا يدخل الوهن في قلوبهم ، ولا ينصر الكفار عليهم ولو بشطر كلمة ، بل يتولاهم ، وينصرهم ، ويدافع عنهم ، ولا يقر أعين الكفار بشيء فيهم[1] .

ولو أن البغاة من المسلمين (وهم بغاة يقاتلون المسلمين لا الكفار!) تسلط عليهم الكفار فإنه يجب مناصرتهم عند القدرة ، لبقاء الإخوة الإسلامية .

---

[1] فإن لم يفعل هذا فلا أقل من سكوته !.

قال ابن حزم رحمه الله [1]:

" ولو ترك أهل الحرب من الكفار وأهل المحاربة من المسلمين على قوم من أهل البغي ففرض على جميع أهل الإسلام وعلى الإمام عون أهل البغي وإنقاذهم من أهل الكفر ومن أهل الحرب ؛ لأن أهل البغي مسلمون ، وقد قال الله تعالى (**إنما المؤمنون أخوة**) ، وقال تعالى (**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**) ، وقال تعالى (**أشداء على الكفار رحماء بينهم**)".

وقال شيخ الإسلام رحمه الله [2]:

"والمؤمن عليه أن يعادي في الله ، ويوالي في الله ، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه ، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية ، قال تعالى (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي وأمر بالإصلاح بينهم".

وهاك مثالين عن الرسول صلى الله عليه وسلم في إعذار المتأول من المجاهدين حتى لو كان الخطأ واضحاً :

المثال الأول : قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه مع بني جذيمة :

وهي ما رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا ، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ، ودفع إلى كل رجل منا أسيره ، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره ، فقلت : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره ، حتى قدمنا على النبي صلى الله عليه

---

[1] المحلى : 11 / 117 .

[2] الفتاوى : 28/ 208 ، 209 .

وسلم ، فذكرناه ، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ، مرتين [1] .

فهذا خالد رضي الله عنه أخطأ في هذا خطأ ظاهراً بقتله للمسلمين ، مع تنبيه ابن عمر رضي الله عنهما له ، ومع ذلك ما زاد الرسول صلى الله عليه وسلم على أن تبرأ من فعل خالد ، ولم يعنفه ، ولم يقر أعين الكفار بعزله ، بل استمر على ما كان عليه من الجهاد .

قال ابن القيم رحمه الله [2]:

"وقد بريء النبي صلى الله عليه وسلم مما صنع خالد ببني جذيمة وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ، ولم يؤاخذه به لحسن بلائه ، ونصره للإسلام " .

المثال الثاني : سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه :

فإنهم قتلوا ابن الحضرمي وأسروا صاحبيه وغنموا العير في الشهر الحرام وهم يعلمون حرمة الشهر ، ومع هذا نزل قوله تعالى (**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله الآية**) ، فمع أن الله سبحانه ذكر أن القتال في الشهر الحرام كبير ، إلا أنه بيّن أن فعل الكفار أعظم وأكبر ، ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل العير وأخذ الفداء من الأسيرين بعد ذلك [3] .

=====

ثم قالوا :

(7– العدل بين الناس حق لهم والظلم محرم فيما بينهم مهما كانت أديانهم أو ألوانهم أو قومياتهم ، قال الله تعالى: "وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى "(الأنعام :152)).

---

[1] وورد في بعض الروايات أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل علياً رضي الله عنه إليهم فوداهم ، وهذا يدل على أن جناية خالد رضي الله عنه مع أنها فردية لم يتحملها لأنه كان متأولاً ، وتحملها عنه الرسول صلى الله عليه وسلم مع إنكاره .

[2] إعلام الموقعين : 3 / 8.

[3] وسيأتي الكلام على هذه القصة والآية بالتفصيل إن شاء الله تعالى في الدليل من المبحث الثاني .

قلت : والكلام على هذا من ثلاثة وجوه :

الوجه الأول : أن قولهم (مهما كانت أديانهم) يوهم معنى فاسداً ، وهو مساواة المسلمين بالكفار ، وهذا باطل كما تقدم .

قال العز بن عبد السلام رحمه الله [1]:

"يجب على الحكام التسوية بين الخصوم في الإعراض والإقبال وغير ذلك ؛ لأن تقديم أحد الخصمين موجب لإيغار صدر الآخر وحقده ، ولا يجري ذلك في حق المسلم والكافر ؛ لأن جنايته على أمر نفسه بالكفر أخّرته وأوجبت بغضه وإذلاله ، كما يظهر بالغيار وإظهار الصغار".

الوجه الثاني : أن العدل قد يراد به أمران كما تقدم :

الأول : استواء الأفراد أمام القانون بدون تفريق كما تبينه مواثيقهم .

والثاني : استواء الأفراد في تطبيق شرع الله عليهم ، بحيث يسوى بين المتماثلين ، ويفرق بين المختلفين .

فالأول : باطل ، بل هو من الظلم ، والطغيان ؛ إذ كيف يسوى عبد الله بعبد الطاغوت في الحكم ، وقد فرّق الله بينهم بعدله ؟!.

وإن أريد الثاني : فهو الحق ، ولكن الكلام موهم ، والمخاطبون سيحملونه على ما يفهمونه!.

الوجه الثالث : أن هذه **الإطلاقات** إنما عرفت من العصرانيين ونحوهم ، كما قال شيخهم في مباديء الإسلام مع الأمم الأخرى بزعمه [2]:

---

[1] قواعد الأحكام في مصالح الأنام : 1 / 72 .

[2] القرضاوي : في برنامجه الشريعة والحياة : حلقة بعنوان : العلاقات الدولية : بتاريخ : 8 / 3 / 1998 م ، وقد ذكر بعض الأسس التي هنا ككرامة الإنسان ، وسيأتي إن شاء الله ، ومقصود هذا الرجل من العدالة في الغالب هو ما تقرره مواثيق الكفار بعدم التفريق بين الناس في الدين ، لذلك يقرّر أن المسلم يقتل بالكافر ، فإنه بعد أن روى حديث (لا يقتل مسلم بكافر) ثم ذكر قولاً لبعض الفقهاء بأنه يقتل فيه ، قال : إن هذا الرأي هو الذي لا يليق بزماننا غيره. ونحن بترجيح هذا الرأي نبطل الأعذار ونعلي راية الشريعة الغراء (الشيخ الغزالي كما عرفته) ص 168 ، فمعنى كلامه : إن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يليق بزماننا) ، و مخالفته (تعلي راية الشريعة) ، كما أن له كلاماً على إلغاء

=

"هناك مبدأ أيضاً العدالة، عدل الله لجميع عباد الله ، العدل في الإسلام ليس للعرب دون العجم ، ليس لأهل الشرق دون أهل الغرب ، ليس للمسلمين دون غير المسلمين ، العدل للجميع ، القرآن يقول (**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**)".

====

ثم قالوا :

(**8- الحوار والدعوة بالحسنى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وجادلهم بالتي هي أحسن) (النحل:125) هذه الأسس هي ما نؤمن به، وأمرنا به ديننا، وتعلمناه من نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهي تتفق – بقدر مشترك – مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأمريكيون في بيانهم، ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية.**)

قلت : والكلام على هذا من وجوه :

الوجه الأول : أن الحوار والدعوة بالحسنى قد يراد به في هذا الوقت أمران :

الأول : عرض شريعة الله سبحانه كما جاءت من غير تحريف بصورة حسنة كما سبق بيانه .

والثاني : تغيير شرع الله إلى صورة يرضاها المدعو .

فالأول هو الحق المراد بهذه الآية ، وأما الثاني فباطل ، بل مؤداه إلى الكفر كما سبق بيانه[1] .

الوجه الثاني : قولهم عن هذه الأسس (**وأمرنا به ديننا، وتعلمناه من نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم**) باطل ، فقد سبق التنبيه على ما في هذه الأسس .

الجزية عن أهل الذمة بسبب اشتراكهم في (التجنيد) ، و إلغاء تمييزهم عن المسلمين بسبب وجود (البطاقة الشخصية) ! وعظائم هذا الرجل أكثر من تحيط بها هذه الحاشية !.

[1] انظر : المقدمة الثالثة ، والمقدمة الخامسة في الفصل الأول .

الوجه الثالث : قولهم (**وهي تتفق – بقدر مشترك – مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأمريكيون في بيانهم، ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية.**) : هذه من طرق أصحاب (التقريب بين الأديان) كما سيأتي إن شاء الله في القسم القادم ، والأصل في الشرع أن المسلم مأمور بمخالفة أصحاب الجحيم ، ولو حكم المسلمون الكفار فإنهم يأمرونهم بمخالفتهم ، فهم مفترقون في كل شيء ، حتى في (لبس نعالهم) ، وسيأتي الكلام في الرد على هذا في الدليل الرابع عشر و السابع عشر من المبحث الثاني إن شاء الله.

ثالثاً : بيان المثقفين والتقريب بين الأديان :

وقد سبق أن ذكرت في المبحث الرابع من الفصل الثاني مقارنة بين (بيان المثقفين) وبين بعض ما جاء في (مؤتمرات التقريب بين الأديان) ، وسأتحدث هنا عن أمرين :

الأمر الأول : تاريخ التقريب بين الأديان ، وبعض رموزه :

الأمر الثاني : أسس التقريب بين الأديان وبيان المثقفين :

الأمر الأول : تاريخ التقريب بين الأديان ، وبعض رموزه :

إن الخلط بين الأديان ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : وحدة الأديان :

ويراد به اعتقاد صحة جميع الأديان ، وأنها كلها طرائق ووسائل صحيحة إلى هدف واحد ، ولا يراد من هذا توحيدها ، بل هي بمثابة المذاهب المتعددة في الدين الواحد .

وهذا ما عليه الصوفية الاتحادية قديماً كابن عربي وابن الفارض والتلمساني وغيرهم ممن كفّرهم علماء الإسلام ، وأما في عصرنا هذا فإن الذين يرون وحدة الأديان من (المنظرين) قلة ، وأبرزهم الفرنسي (روجيه جارودي) الذي يرى نوعين من الوحدة :

الأولى : وحدة صغرى (الإبراهيمية) : ويهدف منها إلى توحيد الأديان الثلاثة : الإسلام والنصرانية واليهودية : لأنها تنتسب إلى إبراهيم عليه السلام .

والثانية : وحدة كبرى : وتشمل جميع الأديان والملل الوثنية والملحدين ، ويريد إقامة (وحدة فدرالية) بين هذه الأديان والملل !.

وله في هذا كتب ورسائل ومؤتمرات ومعاهد !!.[1]

وقد قال في مقابلة مع جريدة (البعث) السورية في 1984/3/25 م :

[1] انظر : دعوة التقريب بين الأديان : 2 / 341 وما بعدها . و 839/2 وما بعدها .

"إنني عندما أعلنت إسلامي لم أكن أعتقد بأني أتخلى عن مسيحيتي ، ولا عن ماركسيتي ، ولا أهتم بأن يبدو هذا متناقضاً ولا مبتدعاً".[1]

وصرح بمثل هذا الأمر في أكثر من مقابلة ، وحينما ظهرت زندقته ، وفاح خبثه ، أصدر الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى بياناً ذكر فيه كفره ، وكان مما قال [2]:

" لا يحكم عليه بأنه مرتد عن دين الإسلام ، كما توهمه بعضهم ، وإنما هو كافر أصلي لم يدخل في الإسلام".[3]

القسم الثاني : توحيد الأديان [4]:

والمراد بهذا (دمج الأديان) تحت دين واحد ، وهم قلة ، وأكثرهم من الكفار ، ومن أبرز رموز هذا التيار ممن ينتسب إلى الإسلام جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده .

فمن أقوال جمال الدين الأفغاني في هذا [5]: " هكذا نجد الأديان الثلاثة : الموسوية ، والعيسوية ، والمحمدية ، على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية ، إذا نقص في الواحد شيء استكملته الثانية ...وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير أن يتحد الأديان الثلاثة ".

---

[1] دعوة التقريب : 853/2 .

[2] مجلة الدعوة : عدد 1583 ، الخميس 1 /1416/12 ، نقلا عن (دعوة التقريب) 840/2 .

[3] وأمره هذا ظاهر جداً ، وقارن أخي المسلم كلامه ، واعترافه بأنه لم يتخل عن نصرانيته وماركسيته ، وفتوى الشيخ ابن باز رحمه الله فيه ، بما جاء في موقع (**الإسلام اليوم**) عن (جارودي) حين سئل أحدهم عنه فذكر مؤلفاته ضد اليهود ونشاطه الإبراهيمي وصوفيته وعقلانيته ، ثم قال : (والواجب علينا تجاه جارودي العدل الذي أمر الله به، واتباع الوسطية التي هي دين الإسلام **حيث نحب الرجل ونواليه لأجل إسلامه وتفهم البيئة التي نشأ بها، وتقدير إخلاصه وتفانيه وما يتعرض له بسبب محاربة الصهيونية**، ومع ذلك فإن ذلك لا يصحح انحرافاته وأخطائه، بل نحذر منها ولا نتبعه فيها، ولا أنصح من حيث العموم بقراءة كتبه إلا للمتخصصين. نسأل الله له مزيداً من الهداية، ونكل أمره إلى الله – سبحانه – ، والله أعلم) !.

فهل من (وسطية) الإسلام المزعومة محبة رجل وموالاته ؛ وهو يصرح بكفره ؟! فعلى هذه (الوسطية) : يجب محبة (مسيلمة الكذاب) بما معه من إسلام لأنه يشهد الشهادتين ، ولكنه زعم أنه نبي ، ولا بد من تفهم البيئة التي نشأ فيها مسيلمة ، فقد نشأ في بيئة أعرابية متخلفة ، في وسط نجد ، حيث الأمية والجهل ! ولا نصحح انحرافاته في ادعاء النبوة ، ونحذر منها ولا نتبعه فيها !.

[4] دعوة التقريب : 343/1 وما بعدها .

[5] الأعمال الكاملة لجمال الدين : محمد عمارة : ص 69 ، نقلا عن : (العصرانيون) للناصر : ص 306 .

ويقول : " لقد لاح لي بارق أمل كبير : أن يتحد أهل الأديان الثلاثة ، مثلما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها ، وبهذا الاتحاد يكون البشر قد خطوا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة". [1]

ثم حمل الراية بعده تلميذه محمد عبده[2] ، فاتصل ببعض النصارى والروافض وغيرهم ، وأنشأ في بيروت جمعية دينية سرية موضوعها –كما يقول تلميذه رشيد رضا – التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة [3].

القسم الثالث : التقريب بين الأديان :

وأصحاب هذا المذهب لا يسعون إلى دمج الأديان ، ولا إلى تصحيحها ، بل يحاولون تقريب وجهات النظر ، وإزالة التعصب ، والتعاون والتعايش ، ونحو ذلك ، وهذا هو المنتشر في هذا العصر ، وقد يسمى (حوار الأديان) ، أو (حوار الحضارات) ، أو (الحوار الإسلامي المسيحي) ، أو (نبذ التعصب الديني) ، ونحو ذلك ، ومن أشهر القائلين به من العصرانيين : القرضاوي[4] ، والترابي ، والصحفي : هويدي ،

---

[1] التراث في ضوء العقل : لمحمد عمارة : ص 236 ، نقلاً عن (العصرانيون) ص 306 ، ويقول محمد عمارة عن كلام شيخه هذا : (لقد راودت الأفغاني أحلام السعي لتوحيد المؤمنين بالدين ، وأبناء الشرائع السماوية الثلاث ، سداً للثغرات أمام الأعداء !!) . هذا الكاتب الساعي إلى وحدة الأديان (لسد الثغرات أمام الأعداء) يصفه أحد الموقعين على البيان بأنه (مفكر إسلامي كبير) ويحث على قراءة كتبه !!. وراجع (دعوة التقريب) و (العصرانيون) حتى تجد مقالاته التي تدل على أنه يرى النجاة ليست خاصة بالمسلمين فقط حيث يقول مثلاً في كتابه (تجديد الفكر الديني) ص 82 (والفروق بين المسلمين وأهل الكتاب ليست من الخطر بحيث تخرج الكتابيين من إطار الإيمان والتدين بالدين الإلهي) ، وانظر كلامه في (دعوة التقريب) : 2/ 647 ، 664 ، 666 ، 689 ، 700 ، 729 ، 755 .

[2] يقول أحد أذناب العصرانيين في جريدة المدينة : 14270- 1423/3/7 في وصفه لبيان المثقفين : (طرح رؤية مغايرة للرؤية السائدة ، تتطابق مع آراء الإمام (!) محمد عبده ، ومن سار على نهجه ، وهي رؤية تعد : هرطقة ، وابتداعاً ، وعصرانية ، وتمييعاً ، من وجهة النظر الأخرى) **قلت** : وتعد : استنارة ، وتحرراً ، وواقعية ، وعقلانية ، وبعد نظر ، عنده وعند أصحابه !!.

[3] انظر : العصرانيون : ص 306 ، 307 ، دعوة التقريب : 1 / 400 وما بعدها .

[4] انظر من أقوال القرضاوي في التقريب بين الأديان في : دعوة التقريب : 1/ 158 ، 2/ 691 ، 719 ، 728 ، 744 ، 757 ، 818، 819 ، 824 ، 4/ 1358 ،1447، 1520 .

وغيرهم [1] .

وهذا القسم هو المذكور في :

الأمر الثاني : أسس التقريب بين الأديان وبيان المثقفين :

وهي تقوم على ثلاثة أسس ، كما يلي :

الأساس الأول : الحوار من أجل التعايش والتعاون :

اعلم أن الحوار في عصرنا صار لفظاً مجملاً يحتمل معنيين :

المعنى الأول : أن يراد به الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه من غير (تحريف) بالحكمة والموعظة الحسنة ونحو ذلك ، فهذه هي دعوة الرسل والصالحين ، وهل دخل من دخل من الصحابة رضي الله عنهم في مكة وغيرها في دين الإسلام إلا بمثل هذا الحوار؟ ، وهل تكون دعوة إلى الإسلام بدون مثل هذا الحوار ؟ ، بل إن المجاهدين في حروبهم مطالبين قبل أن يبدأوا بالقتال بـ(حوار) أولئك المقاتلين ودعوتهم إلى إحدى ثلاث خصال : إما الإسلام ، أو الجزية ، أو السيف !.

المعنى الثاني : أن يراد به الدخول مع الكفار في علاقة (تعايشية) (تعاونية) ينبذ خلالها التعصب ، ويزال الصراع ، ويرضى بالواقع ، ويكون الهدف من ذلك : التعاون ، والتعايش ، ومعرفة ما عند الآخر من قيم ومباديء ، وتفهمه ، وترك معاداته .

---

[1] انظر : العصرانيون : ص 303 – 310 ، و دعوة التقريب : 2/ 629- 766 .

فائدة : ذكر أحد الإخوة (**طبقات العصرانيين**) فأجاد فيها ، فأردت أن أذكرها هنا باختصار للفائدة ، وهي أربع طبقات :

الطبقة الأولى : **طبقة المؤسسين** : وهم الذين أسسوا هذا المذهب : كالأفغاني ، ومحمد عبده ، و تلاميذهم .

الطبقة الثانية : **طبقة المنظرين** : وهم الذين اجتهدوا في هذا المذهب : فوسعوه ، ونشروه ، وأصلوه ، وألفوا فيه الكتب ، كالغزالي ، والقرضاوي ، والترابي ، والغنوشي ، وغيرهم .

الطبقة الثالثة : **طبقة الصحفيين** : وهم الذين اجتهدوا في نشر هذا المذهب عبر أعمدة (صحفية) مزينة بصورة للكاتب يبرز فيها (بوجهٍ حليقٍ مبتسمٍ !) ، كهويدي ، وغيره .

الطبقة الرابعة : **طبقة السرّاق والحرامية** : وهم مجموعة من (الفاشلين) الذين ما أفلحوا في (علم) و لا (دنيا) ، فقاموا بالسطو على مقالات وكتب وأفكار أصحاب الطبقات الثلاث الأولى ونشروها باسمهم ، وكثير من كتاب الصحف (الإسلاميين!) عندنا من هذه الطبقة !.

فهذا المعنى الثاني هو المعنى الباطل ، القادح في عقيدة الولاء والبراء ، وهو (حوار) أصحاب التقريب بين الأديان ، فهم يغلون في (الحوار) غلواً عظيماً ، وهو أيضاً (حوار) بيان المثقفين ، وقد ورد ذكر لفظ : (الحوار) في بيانهم خمس عشرة مرة ، وليس الكلام على اللفظ ، ولا على العدد ، بل الكلام على المضمون ، وإليك أمثلة من أقوال التقريبيين في (هذا الحوار)[1] مقارنة بما في (بيان المثقفين) :

1- يقول أحدهم[2] : " فالحوار الذي نقصد له مصالح أخرى مشتركة ، لا يدخل التبشير أو الدعوة ضمنها " .

2-ويقول آخر [3]: " إن الحوار يدعو إلى التعايش السلمي كعملية ممكنة في ظل معطيات واقع الأديان القائمة ".

3- ويقول آخر [4]: " لا بد من تكثيف الحوار وتأسيس المنابر المشتركة لا لمناقشة القضايا اللاهوتية ، ولكن لمناقشة ما يمكن أن نفعله سوياً لإشاعة المثل والقيم الدينية في عالمٍ ينزلق يوماً بعد الآخر في مستنقع الجاهلية الآسن ".

4- ويقول آخر [5]: " بالرغم من اقتناعنا أن الحوار يجب أن ينأى عن الجدل الديني كلما أمكن ذلك ، وأن يكتفى في هذه المرحلة بارتياد حقول التعاون في الأمور العامة التي تؤثر في حياة الأفراد والمجتمعات " .

---

[1] مع العلم أن دعاة التقريب بين الأديان ليسوا على مذهب واحد ، بل هم كغيرهم من أهل الضلال على فرق ومذاهب ، منهم الغالي ، ومنهم المقتصد ، لذا فقد تجد بين أقوالهم فروقاً في بعض المسائل واختلافات في بعض الأمور ، إلا أن جوهر المسألة وهو (التقريب) محل وفاق ، والأمثلة هنا التي أذكرها في هذا المبحث أكثرها عن دعاة عصرانيين .

[2] دعوة التقريب : 748/2 .

[3] نفسه : 749/2 .

[4] نفسه : 739/2 .

[5] نفسه : 2 / 742 .

5- ويقول آخر [1]: " الهدف من الحوار العقائدي هو إزالة الالتباسات والأفكار الخاطئة لدى كل من الطرفين حول عقائد الطرف الآخر ، وذلك بغية التوصل إلى تعايش أخوي ، واحترام متبادل" .

6- ويقول آخر [2]: "والحاجة ماسة اليوم إلى حوار الحياة ، والعيش المشترك ، حوار حول قضايا المجتمع والإنسان لاستنطاق قيم الأديان ، واستنباط قيم مجتمعية ، ومواجهة ظروف وتعقيدات اليوم " .

7- ويقول آخر [3]: " لا شك أن السعي نحو السلام بين المسيحية والإسلام هو أحد أصعب المهام التي تواجه الإنسانية ، وإنه بدون سلام بين الأديان ستكون هناك حروب تملأ الكرة الأرضية وتأكل روح الإنسان ، ولا سلام بين الأديان بدون حوار صادق ومخلص ، إن هذا الحوار ضروري ونافع وممكن ".

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً من كلامهم ، وكلها تدور حول الحوار من أجل التعاون والتعايش واحترام الآخر وتناسي آلام الماضي ونحو ذلك .

وقد جاء في القضية الثانية من توصيات مجلس الكنائس العالمي في مؤتمر أديس أبابا [4]:

"التركيز في الحوار على قضايا إنسانية عامة ،كالعدالة والسلام والتطور ".

وقارن أخي هذه النقول بقولهم في (بيان المثقفين) :

1- (وفي مثل هذا المفصل المهم من التاريخ فإننا ندعو المفكرين الأحرار إلى حوار جاد يحقق الفهم الأفضل للفريقين ، وينأى بشعوبنا عن دائرة التطاحن والصراع ، ويمهّد لمستقبل أفضل لأجيالنا التي تنتظر منا الكثير ، يفترض أن ندعو جميعاً لمشروع حوار نقدمه لعالمنا تحت مظلة العدل والأخلاق والحقوق، مبشرين العالم بمشروع يصنع الخير والأمن له).

2- (ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية) .

---

[1] نفسه : 2 / 536 .

[2] نفسه : 2/ 743 .

[3] نفسه : 2 / 817 ، 818 .

[4] دعوة التقريب : 2 / 471 ، **فائدة** : بعض النصارى تكلم على (حوار النصارى) مع (غيرهم) وقال :" إن الحوار كان خيانة للرسالة المسيحية ، وباباً مفتوحاً أمام التوليف (!)" (نفس المرجع والصفحة) .

3-(فكذلك ينبغي أن نقدر أن ثمة مجموعة من المشاكل يواجهها العالم في: الحقوق، والحريات، والأوليات الإنسانية (التعليمية، والصحية، والغذائية، والأخلاقية) يفترض أن تحظى باهتمامنا) .

4- (نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من أجل تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض، تحقيقاً للسلام العالمي) .

5-(نقدم نحن الموقعين هذه الورقة من أرض الحرمين ومهد الإسلام (المملكة العربية السعودية) وجهة نظر بديلة متطلعين لتأسيس أجواء تفاهم مشترك تتبناها الحكومات والمؤسسات) .

وهكذا : حوار من أجل : التعايش ، تأسيس أجواء تفاهم مشترك تتبناها الحكومات والمؤسسات ، ينأى بشعوبنا عن دائرة التطاحن والصراع ، مجموعة من المشاكل الإنسانية ، السلام العالمي ، لما فيه خير البشرية ، لمستقبل أفضل لأجيالنا ، يحقق الفهم الأفضل للفريقين ، وغيرها من العبارات التي من أحسنها حالاً بعض المجملات التي تفسر على أكثر من معنى ! ، وليس هناك حرف واحد فيه دعوة للكفار إلى الإسلام ، أو تحذير لهم من الكفر :

وهل من (حوار يدعو إلى الإسلام ويحذر من الكفر) : (ينأى بالشعوب عن التطاحن والصراع) و (يؤسس أجواء تفاهم مشترك تتبناه الحكومات والمؤسسات) كما جاء في صدر البيان؟!.

الأساس الثاني : الانطلاق من المسائل المشتركة :

يرى التقريبيون في سبيل الحوار بين الأديان والتقريب بينها أن الانطلاق يكون من خلال المسائل المشتركة ، بمعنى أن يبدأ الحوار وينطلق من الأمور التي تتفق فيها الأديان ، وتترك المسائل الشائكة (مرحلياً على الأقل) ، فيكون التعاون بينهم من خلال المسائل المتفق عليها ، وإليك بعضاً من أقوالهم في ذلك :

1- يقول أحدهم [1]: " وهذا مبدأ مهم جداً : إذا أردت أن تحاور الآخرين فابدأ بالمتفق عليه[2] ليكون سبيلاً إلى أن نصل إلى قاسم مشترك بين الفريقين ، لا نأتي إلى الشيء المختلف فيه ، ونقول به ، فلا يمكن أن نلتقي ...نقول : نبحث فيما يجمع بيننا ؟ نحن معاً نؤمن بالله ، ولو إيماناً إجمالياً ، نؤمن بالآخرة والجزاء الأخروي ، نؤمن بعبادة الله ، وبالقيم الأخلاقية ، وبثبات هذه القيم ، نؤمن بوحدة الإنسانية ، وبأن الإنسان مخلوق مكرم ، ...نأتي بأشياء يمكن أن تجمع بين المختلفين ، فإذا وضعنا هذه الأشياء المتفق عليه ، يمكن أن نقرّب بين المختلفين بعضهم بعضاً ، من جهتنا نحن المسلمين[3] مستعدون للتقارب".

2- ويقول آخر [4]: " إن المطلوب من الحوار هو توليد قيمة جديدة نابعة من الإيمان الديني الإبراهيمي ، واكتشاف المساحات المشتركة التي توحد بين الدينين في قضايا الإنسان والمجتمع ، فيكون الدين في نطاق الأصول الإيمانية المشتركة منطلقاً للحوار ، لا موضوعاً له ."

3- ويقول آخر [5]: " لنتعاون على البر المشترك بين الأديان ، ولنبدأ صفحة جديدة من الحوار الذي يحيي مثالاً دينياً في كيفية التعامل مع الآخر بالبر والحسنى ، فقد ظلت الأمراض

---

[1] دعوة التقريب : 2 / 744 ، والقائل هو شيخ العصرانيين : القرضاوي ، وقد خرج (بيان المثقفين) من مشكاته.

[2] كلامه هذا باطل وافتراء على الدين ، فإن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ما دعوا أقوامهم إلى التوحيد ونبذ الشرك (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) ، وما حصل بينهم وبين أقوامهم خلاف وشقاق وابتلاء إلا بسبب هذه الأمور المختلف فيها !! ، وسيأتي الرد بالتفصيل في المبحث الثاني إن شاء الله .

[3] يتكلم عن نفسه وأذنابه ، أما أهل التوحيد : فهيهات هيهات ، ويقول نفسه في حلقة من برنامجه الشريعة والحياة بعنوان (**الحوار مع الغرب**) **بتاريخ 11 / 7 / 1999 م** : " ومن أهم الأشياء في الحوار والجدال وهي التركيز على القواسم المشتركة ، لاشك أنك مع المخالفين هناك نقاط تمايز ونقاط اختلاف ، فلا تركز في الحوار على هذه النقاط التي تميز بينك وبين غيرك لأن هذا يبعد ولا يقرب ، إذا أردت أن تقرب الآخرين منك فركز على نقاط الاتفاق" ، ويقول في نفس الحلقة : "وعلى هذا الأساس نقول أن هناك قواسم مشتركة، تعالوا نقف على هذه الأرضية المشتركة أننا نريد أن نقف ضد النزعة الإلحادية في العالم، النزعة المادية"!!.

[4] دعوة التقريب : 2 / 736 .

[5] نفسه : 2 / 733 ، والقائل هو الترابي الذي طالب بتأسيس جبهة (أهل الكتاب) والتي تضمه مع إخوانه من اليهود والنصارى ضد الدعوات الإلحادية!!.

متلازمة لحركة المتدينين ، تعيبهم بالعجز عن الحوار مع الآخر ، والعجز عن التعايش مع الآخر".

قلت :

وقد ظهر الحرص على هذا الاشتراك مع الكفار في بيان المثقفين من خلال ثلاثة أشياء :

الأول : إشعارهم بالاشتراك في بعض الأسس والمباديء والقيم على نحو ما سبق من كلام التقريبيين من جعلها الأرضية التي ينطلق منها الحوار :

ومنه قولهم :

1- (مدركين أن مجموعة من المفاهيم في الأخلاق والحقوق والقضايا المعرفية هي قاسم مشترك مع الغرب ومؤهلة للتطوير الذي يصنع الأفضل لنا جميعاً) .

2- (بعد أن ذكروا الأسس الثمانية قالوا : هذه الأسس هي ما نؤمن به، وأمرنا به ديننا، وتعلمناه من نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، وهي تتفق - بقدر مشترك - مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأمريكيون في بيانهم، ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية) .

3- (إن بعض القيم الإنسانية التي ذكرها المثقفون الأمريكان ليست قيماً أمريكية بحتة بل إنها متعددة المصادر تشترك فيها حضارات متنوعة ومن بينها الحضارة الإسلامية).

ثانياً : إشعارهم بالاشتراك في بعض المصالح الدنيوية :

كقولهم : (وثمة جسور تواصل مع الغرب أكثر مما هي مع تلك المجتمعات الشرقية، وعلاقات متبادلة ومصالح مشتركة) .

ثالثاً : إشعارهم بالرغبة في التوصل إلى أهداف مشتركة من هذا الحوار :

كقولهم :

1-(ومن هذا المنطلق نقدم نحن الموقعين هذه الورقة من أرض الحرمين ومهد الإسلام (المملكة العربية السعودية) وجهة نظر بديلة متطلعين لتأسيس أجواء تفاهم مشترك تتبناها الحكومات والمؤسسات) .

2- (وهذا يعني أننا نملك أهدافاً مشتركة) .

الأساس الثالث : نبذ التعصب الديني :

يدعو التقريبيون دائماً إلى (التسامح) و (احترام الآخر) و (نبذ التعصب والتشنج) ، لذلك حذروا من (التعصب) فقالوا [1]: " إن التعصب عدو الحوار الأول" . وهو ما ذكره بيان المثقفين في بدايته فقالوا : (وأن يكون لدى أطرافه القابلية للنقد والمراجعة والبعد عن التشنج).

وكلام التقريبيين كثير جداً في (المؤاخاة) و (المحبة) و (المودة) و (المساواة) بين أصحاب الأديان المختلفة ، ومن أقوالهم :

1- يقرّر أحدهم[2] بكلام طويل أن المخالفين (ولا يسميهم الكفار) صنفان : المسالم للمسلمين فهؤلاء لهم حق البر والإقساط ولا تحرم موالاته ، وصنف اتخذ موقف العداوة والمحادة للمسلمين بالقتال فيحرم موالاتهم .

2- ويقول آخر عن الكتاب والسنة [3]: " وبأن هذه المصادر تنادي بالمساواة بين المسلم وغير المسلم".

3- ويقول آخر [4]: " ليس في الاجتماع السياسي الإسلامي مواطنون درجة أولى ، ومواطنون درجة ثانية ، المواطنون درجة واحدة ، وانتسابهم إلى الدولة انتساب واحد".

قلت : وقد سار (بيان المثقفين) على هذا النحو ، ويظهر (نبذ التعصب) في بيان المثقفين من خلال ما يلي :

أولاً : دعوتهم الكفار إلى (الاحترام المتبادل ونبذ التشنج) :

كقولهم (وبقدر ما إن الحوار ضروري ومؤثر فإن الاحترام والوضوح والصراحة والموضوعية من ضروريات نجاحه، فالحوار إنما يتأسس على الاحترام والوضوح والمصارحة وأن يكون لدى أطرافه القابلية للنقد والمراجعة والبعد عن التشنج) .

---

[1] دعوة التقريب : 2 / 525 .

[2] دعوة التقريب : 2 / 691 – 693 : والقائل هو : القرضاوي .

[3] نفسه : 2 / 707 .

[4] نفسه : 2 / 709 .

ثانياً : إشعارهم بعدم التفريق بين المسلمين والكفار ، وأن المسلمين لا يعادون الكفار:

ومن ذلك قولهم :

(الإنسان من حيث هو كينونته مخلوق مكرم ، فلا يجوز أن يعتدى عليه مهما كان لونه أو عرقه أو دينه) ، و (تحريم قتل النفس الإنسانية بغير حق. وقتل نفس واحدة ظلماً عند الله كقتل الناس جميعاً، وحماية نفس واحدة من القتل كإحياء الناس جميعاً) ،و (إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة) ، و(فإن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر) ، و (كل ما في الأرض من خيرات ظاهرة وباطنة إنما خلقت من أجل الإنسان) ، و(العدل بين الناس حق لهم والظلم محرم فيما بينهم مهما كانت أديانهم أو ألوانهم أو قومياتهم) ، و(إن النظم والتشريعات التي جاء بها الإسلام تؤسس لحياة مستقرة للمؤمنين به وغير المؤمنين) ، و (وقيم خاصة بشعب معين آثرها واختارها فنحن لا نكرهه على تركها) ، و(وتصورنا يحمي إرادة الأكثرية، ويحفظ حقوقها، ويحمي كذلك حقوق الأقلية) ، و (وتبني الدولة للدين الإسلامي ليس معناه التدخل في خصوصيات الأقليات) ، و(إن الإسلام ليس عدواً للحضارة؛ لكنه يرفض الاستخدام السلبي لها. والإسلام ليس عدواً لحقوق الإنسان أو الحريات).

ثالثاً : إشعارهم بمشاركتهم في مصابهم :

ومن ذلك قولهم :

(إن كثيرين في العالم الإسلامي وغيره لم تكن هذه الهجمات في سبتمبر محل ترحيب وحفاوة عندهم، لجملة من الأسباب القيمية والمبدئية والمصلحية والأخلاقية التي تعلمناها من الإسلام) ، (ولئن كان الغرب يعتبر أحداث الحادي عشر من سبتمبر تتجه لزعزعة الأمن المدني في الغرب فمن الممكن أن نشاركه الشعور وحتى الموقف في رفض ضرب الأمن المدني في العالم) .

رابعاً : إشعارهم بعدم موالاتهم للإرهابيين ولو كانوا مسلمين ! :

ومن ذلك قولهم : (مشكلة الإرهاب والتطرف، ومن وجهة نظرنا فإن هذه مشكلة جادة في العالم) ، (حين نؤمن أن العالم يواجه مشكلة الإرهاب والتطرف بالمفهوم الشامل الذي

ذكرناه) ، (إننا معنيون بالحملة على الإرهاب سواءً أتى من مسلمين أو غير مسلمين) ، (الإرهاب بالمعنى الاصطلاحي الشائع اليوم إنما هو صورة واحدة من صور الاعتداء الظالم على الأنفس والممتلكات) .

وعلى هذا الأساس :

فإن الولاء عند التقريبيين ليس لأصحاب دينهم ، والبراء ليس من أعداء دينهم ، بل يكون الولاء للتعايشيين ، والبراء من الإرهابيين ، فالجامع (التعايش) ، والمفرّق (الإرهاب):

فمن كان قابلاً للتعايش فله : (الاحترام) و (الحقوق) و (التسامح) و (السلام) مهما كان دينه .

ومن كان إرهابياً (غير قابل للتعايش) : فليس له شيء من ذلك ، بل يتبرأ منه ، مهما كان دينه ![1].

ولا شك أن هذه الأسس وما بني عليها باطل :

وجميع نصوص موالاة المؤمنين ، والبراء من الكافرين ، والأمر بمخالفتهم ، والإخبار عن عدائهم لنا ، وقصص الأنبياء ، والسيرة النبوية ، وغيرها مما سيأتي في المبحث القادم إن شاء الله ترد هذه الأباطيل من جذورها ، وبطلان هذه الأمور من المعلوم من الدين بالضرورة ، بل إن أهل البدع كالمعتزلة والخوارج والأشعرية والماتريدية ونحوهم لا ينازعون في بطلانها[2] ، بل هي عندهم من المسلمات ، نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإسلام والسنة حتى نلقاه .

---

[1] لذلك يدعو كثير من التقريبيين إلى إحلال رابطة أخرى غير رابطة الدين في (الولاء والبراء) ، كقول الصحفي هويدي مثلاً في المواطنة بدلاً من الدين والذي سبق نقله في المبحث الخامس من الفصل الثالث وهو قوله (بحيث تكون القسمة بين وطنيين وغير وطنيين ، وليس بين إسلاميين وعلمانيين) ، وكمطالبة الترابي بجبهة (أهل الكتاب) ضد الملحدين ، ومطالبة آخرين بإحلال (الإنسانية) بدلاً من (الدين) كقول صبحي الصالح في حواره مع النصارى كما في (دعوة التقريب) 2 / 750 : (وأن نبني تعاوننا على أساس كرامة الإنسان بوصفه إنساناً).

[2] يقول الزمخشري – وهو من رؤوس المعتزلة – في (الكشاف) 422/1 على قوله تعالى (**لا يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين** ..) : " نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر ، وقد كرر ذلك في القرآن : (**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**) (**لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**) (**لا تجد قوماً يؤمنون بالله الآية**) ، والمحبة في الله ، والبغض في الله ، باب عظيم ، وأصل من أصول الإيمان ".

رابعاً : بيان المثقفين وتحريف النصوص :

النص الأول :

قوله تعالى (لا إكراه في الدين) :

ورد في (بيان المثقفين) في ثلاثة مواضع :

1- (لا يجوز إكراه أحد في دينه ، قال الله تعالى: (**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**) (**البقرة:256**)، بل إن الإسلام نفسه لا يصح مع الإكراه).

2- (وقيم خاصة بشعب معين آثرها واختارها فنحن لا نكرهه على تركها ، ذلك أن ديننا علمنا أن لا إكراه في الدين).

3-(وتبني الدولة للدين الإسلامي ليس معناه التدخل في خصوصيات الأقليات وإجبارها على التخلي عن دينها وإكراهها على الدخول في الإسلام فقد استقر في وعي المسلم وعُلِمَ من صريح آيات القرآن أن لا إكراه في الدين) .

قلت : والكلام على هذا من وجوه :

الوجه الأول : أن هذا الكلام جعلوه مقابل ما ذكره كفار أمريكا من (الحرية العقدية) ، فالحرية العقدية جعلت عند الكفار الأساس الرابع من أسسهم الخمسة ، وعدم الإكراه في الدين جعلت الأساس الثالث في (بيان المثقفين) من أسسهم الثمانية ، ومن الحرية العقدية عند الكفار (حرية تغيير الدين) وهو (الردة) ، حيث في المادة الثامنة عشر من ميثاقهم لحقوق الإنسان : (لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين ، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته ، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سراً أم مع الجماعة) .

الوجه الثاني : أن الإكراه على الدين قد يراد به الإكراه على (الاعتقاد) ، وقد يراد به الإكراه على (الالتزام بالحكم) :

فقد دلت الآية نفسها على أن المراد بعدم الإكراه هنا هو (الإكراه على الاعتقاد) ، وذلك بقرينة قوله تعالى بعد هذا (**قد تبين الرشد من الغي**) ، وذلك إنما يدل على إرادة الاعتقاد ، ويبقى الإكراه على الالتزام بحكم الإسلام قائماً لم يخصه دليل ، لقوله تعالى (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) ونحوها من آيات القتال والجهاد .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى على هذه الآية [1]:

" والدين في القرآن واللغة : يكون الشريعة ، ويكون الحكم ، ويكون الجزاء :

1-فالجزاء في الآخرة : إلى الله تعالى لا إلينا .

2-والشريعة : قد صح أن نقرهم على ما يعتقدون إذا كانوا أهل كتاب.

3-فبقي الحكم : فوجب أن يكون كله حكم الله كما أمر".

وقال القرطبي رحمه الله [2]:

"قوله تعالى (**لا إكراه في الدين**) : الدين في هذه الآية : المعتقد والملة ؛ بقرينة قوله (**قد تبين الرشد من الغي**) ".

فعلى هذا : فقولهم (إننا لا نكره شعباً على التخلي عن قيمه الخاصة) ، و (لا نتدخل في خصوصيات الأقليات) غير صحيح ، بل يلزمون بالامتثال لشريعة الإسلام فيما يتعلق بأحكام أهل الذمة كما مر .

على أن نفي الإكراه على الاعتقاد أيضاً لا يصح ، وهذا هو :

الوجه الثالث : وهو أن إطلاقهم عدم الإكراه في الدين باطل ، وذلك أن مسألة الإكراه في الدين على قسمين :

القسم الأول : الإكراه على الدخول في الإسلام :

القسم الثاني : الإكراه على التزام حكم الإسلام :

أما القسم الأول : وهو الإكراه على الدخول في الإسلام :

فينقسم إلى ثلاثة أقسام :

---

[1] المحلى : 9 / 425 .

[2] تفسير القرطبي : 3 / 279 .

قسم يكره فيه بالاتفاق ، وقسم يكره فيه عند الجمهور ، وقسم لا يكره فيه بالاتفاق :

أما الأول : فهو نوعان :

1- **المرتد عن الإسلام** :

فإنه يقتل بالإجماع إذا ارتد ، ووقع الخلاف في الاستتابة قبل القتل ، وفيمن تقبل منه التوبة ، إلا أن الإجماع وقع على عدم تركه .[1]

ومن أشهر أعمال الصحابة رضي الله عنهم بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم حروب المرتدين ، وهي الحروب التي عناها قوله تعالى – كما ذكر كثير من المفسرين – (**ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون**) ، فلم يذكر غير هذين الخيارين .

2- **المشرك العربي** :

قال أبو عبيد رحمه الله [2]:

" تتابعت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده في العرب من أهل الشرك أن من كان منهم ليس من أهل الكتاب فإنه لا يقبل منه إلا الإسلام أو القتل".

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله [3]:

" أجمعوا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى أخذ الجزية من عبدة الأوثان من العرب ، ولم يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف "[4].

وقال ابن حزم رحمه الله [5]:

---

[1] انظر شرح مسلم للنووي : 12 / 207 ، المغني : 9 / 16 ، بداية المجتهد : 2 / 343 ، سبل السلام : 3 / 264 ، وكتب الفقه في أبواب حد الردة .

[2] الأموال : ص 35 .

[3] اختلاف الفقهاء : ص 200 .

[4] على أن هناك من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية والشوكاني رحمهما الله من يرى أن مشركي العرب كغيرهم تقبل منه الجزية وهو مذهب مالك لحديث بريدة في صحيح مسلم، وإنما لم يقبلها الرسول صلى الله عليه وسلم منهم لأنهم أسلموا قبل نزول آية الجزية ، على أن هذا الكلام سواء صح أم لم يصح فإنه يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أكره العرب على الإسلام بعد نزول آية الإكراه في الدين ، وهذا هو المقصود .

[5] المحلى : 11 / 196 .

" لم يختلف مسلمان في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل من الوثنيين من العرب إلا الإسلام أو السيف إلى أن مات عليه السلام فهو إكراه في الدين".

فهذا النوعان يكره فيهما بالاتفاق ، ويدل عليه أدلة كثيرة منها :

قوله تعالى (**فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**).

وقوله تعالى (**ستدعون إلى قومٍ أولي بأسٍ شديد تقاتلونهم أو يسلمون**) كما سبق.

والحديث المتفق عليه مرفوعاً (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ...الحديث).

وما في البخاري أيضاً مرفوعاً (من بدل دينه فاقتلوه) ، وغيرها من النصوص .

وأما الثاني : فهو الكافر من غير أهل الكتاب والمجوس :

فقد ذهب الشافعية والحنابلة والظاهرية وبعض المالكية إلى أن كل كافر ليس كتابياً أو مجوسياً فإنه يقاتل حتى يسلم ، فلا يقر على دينه ولو بالجزية مطلقاً[1] .

ودليلهم في ذلك قوله تعالى (**فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**) ، وآيات الجهاد والقتال في سبيل الله المطلقة.

وحديث ابن عمر المشهور مرفوعاً (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) ، ونحوها من النصوص .

وقالوا : إن آية الجزية إنما خصت أهل الكتاب في قوله تعالى (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**).

---

[1] انظر : المغني : 8/ 500 ، المحلى : 5/ 416 ، روضة الطالبين : 10 / 305 ، القوانين الفقهية : 175، وكتب الفقه في أبواب الجزية من (الجهاد) .

فيبقى غير أهل الكتاب على الأصل في عدم قبول غير الإسلام منهم .

وأما الثالث : فهو الكافر من أهل الكتاب والمجوسي :

فقد وقع الاتفاق في الجملة[1] على أنه يقر على دينه بالجزية ، وهو الالتزام بأحكام الإسلام وهو المراد ب :

القسم الثاني : وهو الإكراه على التزام حكم الإسلام :

فيكره جميع الكفار – ممن تقبل منهم الجزية[2] – على التزام أحكام الإسلام المعروفة عند أهل العلم ب(أحكام أهل الذمة) .

ويدل عليه قوله تعالى (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**) .

وما ثبت في صحيح مسلم من حديث بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : (اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال – أو خلال – فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين

---

[1] وذلك أن أهل العلم اتفقوا على إقرار أهل الكتاب على دينهم بالجزية ، إلا أنهم اختلفوا في أهل الكتاب من العرب ، و خالف قلة من الفقهاء في قبولها من المجوس كابن الماجشون من المالكية ، وانظر : حاشية ابن عابدين : 4 / 198 ، مغني المحتاج : 4 / 244 ، (المغني) 8 / 498 ، القوانين الفقهية ص 175 ، وغيرها .

[2] لأننا ذكرنا أن هناك خلافاً بين أهل العلم فيمن يقر بالجزية ، ومن لا يقر بها .

، فإن هم أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم).

ويبقى هاهنا تنبيه :

وهو أن هذا الإقرار بالجزية تحت حكم الإسلام إنما هو حكم مؤقت إلى نزول المسيح عليه السلام ، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا له من الدنيا وما فيها) وفي رواية (يقاتل الناس على الإسلام).

وعلى ذلك فيكون الإكراه على الدخول في الإسلام ذلك الوقت على جميع الكفار ، فلا يقبل منهم إلا الإسلام ، أو السيف.[1]

الوجه الرابع : مما سبق يظهر أن هذه الآية ليست على ظاهرها بإجماع المسلمين سواء قيل بنسخها أو لا ، ولم يستدل بها أحد من علماء الإسلام على ترك الإكراه على الدين بإطلاق[2] ، ولم يستدل بها أحد على ترك الإلزام بأحكام أهل الذمة لمن أقر منهم في بلاد الإسلام بالجزية ، وقد ذكر في معنى الآية نحواً من ستة أقوال ، و ليس فيها قول واحد أخذ

---

[1] وها هنا تنبيه آخر : وهو أن ضعف المسلمين وعدم قدرتهم على الجهاد وإكراه الكفار على الإسلام أو الجزية لا يعني سقوط هذه الأحكام ، فإن الحكم الذي يتعلق بها حكمان : حكم فقهي تكليفي وهو عملها فهذا مشروط بالقدرة على ما يقرره أهل العلم ، وحكم اعتقادي وهو الإيمان بهذه الأحكام وبما ورد عنها في الكتاب والسنة وبما أجمع عليه علماء المسلمين ، فهذا أمر آخر لا ينفك عنه المسلم في ضعفه وقوته ، واعتقاد عدم مشروعيته أو تقرير ذلك ولو باللسان كفر ، وقد سبق التنبيه على هذا في المقدمة الثامنة من الفصل الأول .

[2] وإنما كثر الاستدلال بها عند العصرانيين في هذا الزمان كما في الوجه التاسع ليجاروا الكفار في حريتهم الاعتقادية التي يتبجحون بها في مواثيقهم ، وبلغ الحال في بعضهم كالترابي إلى أنه قسم الردة إلى قسمين : ردة فردية فيترك صاحبها ، وردة مصاحبة للثورة فيقاوم ، وقسمها القرضاوي إلى ردة مخففة وهي الفردية فيترك أو يسجن ، وردة مغلظة وهي المصاحبة للثورة و إفساد المجتمع فيقتل ، وهذه الأباطيل لم يسبقوا إليها ، ككثير من أباطيلهم التي خرقوا بها الإجماعات ، وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الردة إلى ردة مجردة وردة مغلظة ، وكلاهما مستحق للقتل ، وإنما المجردة يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، والمغلظة لا تقبل توبته بل يقتل بدون استتابة .

بظاهرها في جميع الكفار [1] ، وقد قال ابن جرير رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الأقوال في الآية :[2]

"وأولى هذه الأقوال بالصواب : قول من قال : نزلت هذه الآية في خاص من الناس ، وقال : عنى بقوله تعالى ذكره (**لا إكراه في الدين**) أهل الكتابين والمجوس وكل من جاء إقراره على دينه المخالف دين الحق وأخذ الجزية منه ، وأنكروا أن يكون شيء منها منسوخا ، وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ؛ لما قد دللنا عليه في كتابنا (كتاب اللطيف من البيان عن أصول الأحكام) : من أن الناسخ غير كائن ناسخاً إلا ما نفى حكم المنسوخ فلم يجز اجتماعهما ، فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهي وباطنه الخصوص فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل ، وإذ كان ذلك كذلك ، وكان غير مستحيل أن يقال لا إكراه لأحد ممن أخذت منه الجزية في الدين ، ولم يكن في الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك ، وكان المسلمون جميعا قد نقلوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه أكره على الإسلام قوماً فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام ، وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه ، وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب ، وكالمرتد عن دينه دين الحق إلى الكفر ، ومن أشبههم ، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه وإقراره على دينه الباطل ، وذلك كأهل الكتابين ومن أشبههم ، كان بيّناً بذلك أن معنى قوله (**لا إكراه في الدين**) إنما هو لا إكراه في الدين لأحد ممن حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية ورضاه بحكم الإسلام".

وقال ابن حزم رحمه الله عن هذه الآية [3]:

" لم يختلف أحد من الأمة كلها في أن هذه الآية ليست على ظاهرها ؛ لأن الأمة مجمعة على إكراه المرتد عن دينه ".

الوجه الخامس : قولهم في البيان (**إن الإسلام نفسه لا يصح مع الإكراه**) لا يصح على إطلاقه كما سبق :

---

[1] انظر : تفسير القرطبي : 3 / 280 ، تفسير ابن كثير : 1 / 311 .

[2] تفسير الطبري : 3 / 18 ، 19 .

[3] المحلى : 11 / 195.

فإسلام المرتد والوثني من العرب يصح منه بالإجماع ، والكافر غير الكتابي والمجوسي يصح منه عند الجمهور .

قال ابن رجب رحمه الله [1]:

" وأما الإكراه بحق : فهو غير مانع من لزوم ما أكره عليه ، فلو أكره الحربي على الإسلام فأسلم ، صح إسلامه ".

الوجه السادس : قولهم (**وقيم خاصة بشعب معين آثرها واختارها فنحن لا نكرهه على تركها ، ذلك أن ديننا علمنا أن لا إكراه في الدين**) ، وقولهم (**وتبني الدولة للدين الإسلامي ليس معناه التدخل في خصوصيات الأقليات**) ، لا يصح أيضاً :

وذلك أن الكفار الذين يقرون على دينهم في بلاد الإسلام يلزمون بأحكام (أهل الذمة) وهي أحكام معروفة في كتب الفقه وأجمع عليها الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم في الجملة –كما سيأتي إن شاء الله في الدليل الأخير من المبحث الثاني – ومن أحكام أهل الذمة التدخل في خصوصيات الأقليات ، والإجبار على ترك بعض القيم ، فمن الشروط العمرية المشهورة عليهم : (ولا نبيع الخمور ، وأن نجز مقادم رءوسنا ، وأن نلزم زينا حيثما كان ، وأن نشد الزنانير على أوساطنا ، وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا ، ولا نظهر صليبا ، ولا كتبا من كتب ديننا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلا ضربا خفيفا ، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين) وغيرها مما سيأتي إن شاء الله تعالى .

الوجه السابع : قولهم (**الأقليات**) يدخل فيه كل مخالف للأكثرية على مصطلح الأمريكان ، فيدخل في الأقلية عندهم : الروافض والإسماعيلية والنصيرية والدروز والبهائية والقاديانية وغيرهم من المشركين والزنادقة ، وهؤلاء لا يقرون أبداً على دينهم ولو بالجزية بالإجماع.

الوجه الثامن : قولهم (**فقد استقر في وعي المسلم وعُلِمَ من صريح آيات القرآن أن لا إكراه في الدين**) .

---

[1] جامع العلوم والحكم : 1 / 378 .

قلت : وهي آية واحدة فحسب ، وليست على ظاهرها بإجماع المسلمين كما سبق ، فأين الآيات الصريحة الأخرى ؟!.

الوجه التاسع : وهو أن هذه الآية يكثر العصرانيون الاستدلال بها ليبينوا للكفار أنهم مع (الحرية الاعتقادية) ، ويجعلونها أساساً من أسس الدين ! كما قال شيخهم [1]:

" فلم يشرع القتال ليجبر الإنسان أو يكرهه على الدخول في الدين أو تغيير دينه ، والفتوحات لم تكن لإكراه الناس للدخول في الدين ، لو دخل إنسان في دين الإسلام مكرهاً لاعتبر إسلامه باطلاً ، لأن الإسلام يعتبر الإيمان قضية اختيارية اقتناعية ، ويقول بصراحة (لا إكراه في الدين، قد تبّين الرشد من الغي) "

---

[1] القرضاوي ، في حلقة من برنامجه الشريعة والحياة بعنوان (العلاقات الدولية) ، وهذه الآية ونحوها يكثر هؤلاء وأتباعهم ، و (أسلافهم كمحمد عبده والأفغاني) ، من الاحتجاج بها على نحو احتجاج بيان (التعايش) في ترك جهاد الطلب ، وعدم التدخل في خصوصيات الآخرين .

النص الثاني :

قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم) :

حيث قالوا في أحد أسسهم :

"**الإنسان من حيث هو كينونته مخلوق مكرم ، فلا يجوز أن يعتدى عليه مهما كان لونه أو عرقه أو دينه، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (الإسراء: 70)**".

وقد سبق الكلام على مساواة المسلم بالكافر في هذا الكلام في (بيان المثقفين والسياسة) ، إلا أن الكلام هنا عن الآية ومعناها وطريقة الاستدلال بها ، فالكلام على هذا من ثلاثة وجوه :

الوجه الأول : أن تكريم الإنسان في هذه الآية يراد بها تفضيل الإنسان من ناحية التصوير والتخليق والتكوين على غيره ، ويدل على ذلك ثلاثة أمور :

الأمر الأول : بقية الآية ، فإن الله سبحانه يقول (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) ، فباقي الآية يفسر المقصود بالتكريم . وحملهم في البر والبحر ، ورزقهم من الطيبات ، وتفضيلهم على كثير من الخلق أمر كوني خلقي متعلق بفعل الله سبحانه وفضله وامتنانه، لا أمر شرعي يتعلق به فعل من أفعال المكلفين بمجرده.[1]

الأمر الثاني : آيات القرآن الأخرى في إحسان خلق الإنسان ، كقوله تعالى (**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**) ، وقوله تعالى (**وصوركم فأحسن صوركم**) .

وقد ذكر المفسرون رحمهم الله على هذه الآية أقوالاً كثيرة وكلها تدور حول هذا المعنى في التكريم ، ولم يقل أحد منهم بمساواة المؤمن والكافر من أجل هذه الآية ، أو تحريم الاعتداء على الكافر استدلالا بهذه الآية .

قال الشوكاني رحمه الله [2]:

---

[1] المراد هنا استنباط حكم عدم الاعتداء على أي إنسان مهما كان دينه من هذه الآية كما سيأتي عن شاء الله .

[2] فتح القدير : 3 / 244.

"(**ولقد كرمنا بنى آدم**) هذا إجمال لذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني آدم ، أي : كرمناهم جميعا ، وهذه الكرامة يدخل تحتها خلقهم على هذه الهيئة الحسنة ، وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس على وجه لا يوجد لسائر أنواع الحيوان مثله ، وحكى ابن جرير عن جماعة أن هذا التكريم هو أنهم يأكلون بأيديهم وسائر الحيوانات تأكل بالفم ، وكذا حكاه النحاس ، وقيل : ميزهم بالنطق والعقل والتمييز ، وقيل : أكرم الرجال باللحى والنساء بالذوائب ، وقال ابن جرير : أكرمهم بتسليطهم على سائر الخلق وتسخير سائر الخلق لهم ، وقيل : بالكلام والخط والفهم . ولا مانع من حمل التكريم المذكور في الآية على جميع هذه الأشياء ، وأعظم خصال التكريم العقل ؛ فإن به تسلطوا على سائر الحيوانات ، وميزوا بين الحسن والقبيح ، وتوسعوا في المطاعم والمشارب ، وكسبوا الأموال التي تسببوا بها إلى تحصيل أمور لا يقدر عليها الحيوان ، وبه قدروا على تحصيل الأبنية التي تمنعهم مما يخافون ، وعلى تحصيل الأكسية التي تقيهم الحر والبرد ، وقيل : تكريمهم هو أن جعل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم منهم ".

الأمر الثالث : وهو المراد بـ :

الوجه الثاني : وهو أنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الله سبحانه وتعالى قد فرّق في كتابه وشرعه بين المسلمين والكفار في كل شيء ، في أحكامه القدرية ، أو الشرعية ، في أحكام الدنيا ، أو في أحكام الآخرة ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في المبحث الثاني ، فلا يستوون في الكرامه ، ولا في حرمة الاعتداء .

والمقصود هنا : إن الله سبحانه فرّق في كتابه في الكرامة الحقيقية ، فجعلها للمؤمنين ، كما قال تعالى (**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) ، وهذا في خطاب المؤمنين ، يخبرهم بتفاضلهم في الكرامة فبعضهم أكرم من بعض ، فكيف بالكفار ؟.

وقد بيّن الله سبحانه في كتابه أن الكفار مهانون سافلون ليست لهم كرامة :

فورد أنهم أضل من الأنعام :

كما قال تعالى عنهم (**أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**) ، وقال تعالى (**إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا**) ، وقال تعالى (**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام**) .

وورد أنهم في أسفل السافلين :

كما قال تعالى (**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**) .

وورد أنهم أذلة مهانون :

كما قال تعالى (**إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين**) ، وقال تعالى (**وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم**) .

الوجه الثالث : أن ترتيب حكم عدم جواز الاعتداء على (التكريم الخلقي) بحرف الفاء يدل على أن هذا التكريم علة عدم الجواز كما سبق بيانه ، وهذا باطل ؛ لم يقل به أحد من أهل العلم ، وإنما أخذ هذا من استدلالات بعض العصرانيين هذا الزمان ، كما قال شيخهم :[1]

" الإسلام يحترم الإنسان من حيث هو إنسان ، سواء كان مسلماً أو غير مسلم ، له حقوق أكثر من حيث إيمانه ، الله تعالى يقول (**ولقد كرمنا بني آدم**) ، ...يعني النفس الإنسانية لها حرمة فليس هذا معناه أن هؤلاء دماؤهم مباحة وحرماتهم مباحة وكرامتهم مهدرة ، هذا كلام يضر بالإسلام ويسيء إلى الإسلام ويشوه صورة الإسلام في العالم".

وانظر أخي الموحد في الآيات التي سقتها في الوجه الثاني – مع الأدلة المذكورة في المبحث الثاني – ثم انظر في كلام هذا الرجل تجد أنهما على طرفي نقيض [2].

[1] قاله القرضاوي في حلقة : حقوق المسنين في الإسلام من برنامجه الشريعة والحياة في : 24 / 10 / 1999 م ، وانظر إلى استدلاله ، فلو كان يستدل بالعهود والمواثيق والذمة ونحوها لكان له وجه ، لأن الأصل في الكافر أنه مباح الدم والمال إلا بعاصم كما في صحيح مسلم (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله فقد حرم ماله ودمه وحسابه على الله) وكما في الحديث الآخر (فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) ، وكما في آيات الجهاد ، أما الاستدلال بتكريم الخلق على تحريم نفس الكافر فهو استدلال أعوج ككثير من استدلالاته ، وقد جمعتها في رسالة لعلها تصدر قريبا إن شاء الله .

[2] ويقول أيضا في نفس البرنامج في حلقة بعنوان العلاقات الدولية : "ولكن الإسلام لم يفرق بين الناس بأي سبب من هذه الأسباب، واعتبر الإنسانية كلها واحدة ، أسرة واحدة ، اشتركوا في العبودية لله والبنوة لآدم ، فأنا أقصد المساواة في أصل التكليف وفي الكرامة الإنسانية ، (**ولقد كرمنا بني آدم**)".

=

النص الثالث :

قوله تعالى (**أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً**) .

وقد استدلوا بها على : (**تحريم قتل النفس الإنسانية بغير حق. وقتل نفس واحدة ظلماً عند الله كقتل الناس جميعاً ، وحماية نفس واحدة من القتل كإحياء الناس جميعاً**).

قلت : وهذا القول مجمل ، وموهم ، من وجهين :

الوجه الأول : قولهم (بغير حق) ، فإن (الحق) المراد هنا قد يراد به الحق عند أهل الإسلام ، وقد يراد به الحق الذي يفهمه الكفار ، الذين وجه إليهم (البيان) ، وكان بلغة لا يفهمها غيرهم(!) .

الوجه الثاني : قولهم (**وقتل نفس واحدة**) ، و (**حماية نفس واحدة**) ، توهم أن نفس المسلم كنفس الكافر في ذلك كله !.

لذلك لا بد من التفصيل في محل الإشكال ، وفي موضع يلتبس فيه الحق بالباطل ، و من عادة أهل العلم إذا تكلموا بكلام ملبس موهم لمعنى باطل أن يصلوا الكلام المجمل بما يزيل عنه هذا اللبس ، خصوصاً إذا كان الكلام يطلع عليه العامة الذين لا يميزون ، لهذا أقول:

إن هذا النص يفسر بغيره من النصوص ، فقد فرقت النصوص بين قتل المسلم وقتل الكافر:

ويقول أيضاً في حلقة بعنوان غير المسلمين في ظل الشريعة الإسلامية بتاريخ 12/ 10 / 1997 م : " هناك قدر مشترك بين هؤلاء وأولئك جميعاً يتمثل في النظرة الإنسانية، أي من حيث نظرة الإسلام لهم من حيث هو آدمي يقول تعالى: (**ولقد كرمنا بني آدم**) وحيثما كان الإنسان كان احترام الإسلام لآدميته ولفطرته ولحريته ولكرامته وحقوقه سواء كان من أهل الكتاب أو من غيرهم ".

لذلك لا نعجب إذا كان بعض الموقعين هداهم الله يدافعون عن (القرضاوي) بشدة ، ويسمونه (الشيخ العلامة) ، وجعلوا من حسنات (الفضائيات) نشر (أباطيله) التي يسمونها (فتاوى) ، فقد بدأت أصوله تتسرب إليهم ، وبدأوا يفتون بأقواله .

وقد قال تعالى عن قتل المؤمن وقال تعالى (**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ**) ، وقال تعالى (**إنه من يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيماً**) ، وقد أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد رحمه الله تعالى في قوله (**فكأنما قتل الناس جميعا**) قال[1]: " هذه مثل التي في سورة النساء (**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما**) يقول : لو قتل الناس جميعا لم يزد على مثل ذلك العذاب".

وقال تعالى عن قتل الكفار :

(**فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب**) ، وقال تعالى (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ...الآية**) ، وقال تعالى (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) ، ويقول تعالى (**واقتلوهم حيث ثقفتموهم**) ، ويقول تعالى (**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة**) ، وغيرها من النصوص كالحديث الصحيح (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ...الحديث) .

فقتل الكافر ليس كقتل المسلم مطلقاً ، لعدة أدلة :

الأول : الآية نفسها ، فإن الله سبحانه قال (**بغير نفس أو فساد في الأرض**) ، وأعظم أنواع الفساد في الأرض (الكفر):

قال القرطبي رحمه الله [2]:

" ومعنى (**بغير نفس**) أي : بغير أن يقتل نفسا فيستحق القتل ، وقد حرم الله القتل في جميع الشرائع إلا بثلاث خصال : كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس ظلما وتعديا ، (**أو فساد في الأرض**) أي : شرك ، وقيل : قطع طريق ".

وقال البيضاوي رحمه الله :

---

[1] الدر المنثور : 3 / 64 .

[2] تفسير القرطبي : 6 / 146 .

" (**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس**) أي : بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص ، (**أو فساد في الأرض**) : أو بغير فساد فيها كالشرك ، أو قطع الطريق ".

الثاني : ما قاله أشهر المفسرين في هذه الآية ، كمجاهد رحمه الله حيث سبق قوله بأنها كآية الوعيد في قتل المؤمن في آية النساء ، وكما قال سعيد بن جبير رحمه الله : "من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعا ، ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعا " قال ابن كثير رحمه الله [1]:" وهو الأظهر".

الثالث : باقي النصوص التي تفسر هذه الآية ، فإن الكافر على قسمين :

الأول : كافر حربي ، فنصوص إباحة قتله متواترة وعليه إجماع المسلمين .

الثاني : كافر معاهد ، فلا يجوز قتله ، ولكن قتله لو وقع – وإن كان حراماً – فليس كقتل المسلم ؛ لأن المسلم إذا قتل المسلم فعليه القصاص ، وأما المسلم فلا يقتل بالكافر كما ثبت في الصحيح ، وديته أقل من دية المسلم عند الجمهور.

الرابع : أن الأصل في دم المسلم العصمة إلا بدليل كما في حديث ابن مسعود (لا يحل قتل رجل مسلم إلا بإحدى ثلاث) ، وأما الكافر فالأصل في دمه الإباحة إلا بدليل كما في قوله تعالى (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ...إلى قوله : حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**) ، وكما في حديث (أمرت أن أقاتل الناس ..إلى قوله : فإن قالوها عصموا مني دماؤهم وأموالهم) ، ولا يستوي من الأصل في دمه العصمة ، ومن الأصل في دمه الإباحة ، كما لا يستوي قتل من يعبد الله ، و قتل من يعبد الشيطان .

الخامس : عموم الأدلة المفرقة بين المسلمين والكافرين ، وستأتي إن شاء الله في المبحث الثاني.

---

[1] تفسير ابن كثير : 2 / 47 .

ويبقى ها هنا تنبيهان :

التنبيه الأول :

أن المسلم المجاهد لو تأول فقتل أحد الكفار وأخطأ في تأوله هذا فإنه يعذر في اجتهاده ، وقد دلت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك ، وقد ذكرت مثالين سابقاً وهما قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه مع بني جذيمة ، وقصة عبد الله بن جحش رضي الله عنه مع ابن الحضرمي ، وسأذكر مثالاً ثالثاً هنا :

وهو : ما ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة ، فصبحنا القوم ، فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله ، فكف الأنصاري عنه ، فطعنته برمحي حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟. قلت : كان متعوذا ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم .

قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد ذكر هذه قصة أسامة رضي الله عنه[1] :

" ومع هذا لم يوجب عليه قودا ولا دية ولا كفارة ؛ لأنه كان متأولا ظن جواز قتل ذلك القائل لظنه أنه قالها تعوذاً ".

وقال في موضع آخر يبين أن هؤلاء خطؤهم قطعي ولم يؤاخذهم الرسول صلى الله عليه وسلم لتأولهم [2]:

"وكذلك أسامة بن زيد قد قتل الرجل المسلم وكان خطؤه قطعياً ، وكذلك الذين وجدوا رجلاً في غنم له فقال : إني مسلم فقتلوه وأخذوا ماله كان خطؤهم قطعياً ، وكذلك خالد بن الوليد قتل بنى جذيمة وأخذ أموالهم كان مخطئاً قطعاً".

---

[1] الفتاوى : 3 / 284 .

[2] الفتاوى : 19 / 209.

التنبيه الثاني :

وهو أن هذا الكلام مأخوذ من كلام بعض العصرانيين ، الذين يتملقون الكفار ويتقربون إليهم بمحاولة البحث عن مساواتهم بالمسلمين من خلال نصوص الشرع ، ومن ذلك قول شيخهم [1]:

" الضروريات هي الأشياء التي لا يعيش الإنسان بغيرها : الدين ، النفس وهي الحياة . حياة الإنسان . والإنسان لا يجوز أن يُعتدى على حياته (**من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**) ".

[1] القرضاوي ، من حلقة له بعنوان الإسراء والمعراج بتاريخ : 15 / 11 / 1998 م .

النص الرابع :

حديث (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) :

فإنهم استدلوا بهذا الحديث على قولهم (**إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة أساس في رسالة الإسلام**) .

قلت : وهذا الكلام مجمل ، فقولهم (الأخلاق الكريمة) يحتمل أحد معنيين كما سبق :

المعنى الأول : إقامة هذه العلاقات على ما جاء في الكتاب والسنة ، من توحيد ، وكفر بالطاغوت ، وبراءة من الكفر وأهله ، وبغضهم ، ومعاداتهم ، وإقامة للجهاد في سبيل الله.

المعنى الثاني : إقامة هذه العلاقات على ما يفهمه (المثقفون الأمريكيون) من كلمة (الأخلاق الكريمة) وهي : السلام ، والتسامح ، والمودة ، والألفة ، والتعايش ، ونحو هذا.

وحيث إن هذا الكلام مجمل ، موهم ، ملبس ، وقد ذكروا أنهم كتبوا البيان بلغة لا يفهمها إلا المثقفون الغربيون ، فلا بد من بيان معنى (مكارم الأخلاق) الذي جاء به الحديث :

قال ابن عبد البر رحمه الله [1] عن هذا الحديث :

" هذا حديث مدني صحيح ، ويدخل في هذا المعنى : الصلاح ، والخير ، والفضل ، والمروءة ، والإحسان ، والعدل ، فبذلك بعث ليتممه صلى الله عليه وسلم . وقد قال العلماء : إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) ".

وقال غيره [2]:

" صلاح الأخلاق هي : صلاح أمور الدنيا والمعاد التي جمعها في قوله : (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي) ".

---

[1] التمهيد : 23 / 334 .

[2] فيض القدير : 2 / 572 .

فمكارم الأخلاق تشمل كل خلق حسن ، وأعظمها ورأسها وأصلها : توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، والكفر بالطاغوت ، والبراءة من أعداء الله وبغضهم ومعاداتهم ، فهذه أعظم مكارم الأخلاق التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم مما لا يعرفه أهل الجاهلية ؛ فقد كانت عندهم بعض مكارم الأخلاق كالكرم والشجاعة والمروءة وقرى الضيف ونحوها مما جاء بها الإسلام ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بعثته مشتهراً بينهم بها حتى سماه المشركون بـ(الأمين) ، وقد روى ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لقد جاء الإسلام وفي العرب بضع وستون خصلة ، كلها زادها الإسلام شدة ؛ منها قرى الضيف ، وحسن الجوار ، والوفاء بالعهد). فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ليتمم (مكارم الأخلاق) ، جاء بالتوحيد ، والكفر بالطاغوت ، فجاهره المشركون بالعداوة وصنعوا معه ومع أصحابه ما اشتهر في السيرة .

قال الباجي رحمه الله [1]:

" كانت العرب أحسن الناس أخلاقاً بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم ، وكانوا ضلوا بالكفر عن كثير منها ، فبعث ليتمم محاسن الأخلاق ببيان ما ضلوا عنه وبما خص به في شرعه ".

فالمقصود : أن هذا الحديث لا يدل أبداً على أن (التعايش) مع الكفار من (الأخلاق الكريمة) ، بل يدل على أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كله من مكارم الأخلاق ، فالأخلاق الكريمة تكون بموافقة شرع الله تعالى ، ومن هذه الأخلاق : الكفر بالطاغوت ، والبراءة من الكفار ، وبغضهم ، ومعاداتهم .

تنبيه :

في برنامج لشيخ العصرانيين سأله نصراني ومما قاله :

"أؤكد لك يا فضيلة الدكتور أنني عندما استمع إلى كلام سيادتكم عن الإسلام فإنني على الرغم من أنني مسيحي إلا أنني أجد نفسي اقترب يوماً بيوم من اعتناق الإسلام ، عندما

[1] شرح الزرقاني : 4 / 321 .

استمع إلى بعض المشايخ الذين يستضافون في برنامج "الاتجاه المعاكس" فإنني أخاف من الإسلام فهم يشوهون **صورة الإسلام الحقيقي المتسامح المعتدل** ، فأرجو منكم يا فضيلة الدكتور أن تعطونا وجهة نظركم حول هؤلاء الذين يدَّعون العلم ويشوهون صورة الإسلام"

فكان مما أجابه قوله :

"أنا أود أن أحيي هذا الشخص لأنه لم تمنعه مسيحيته أن يتابع برامجنا ، الحمد لله أن هذا البرنامج **ليس له الصفة المتعصبة وهذا في الحقيقة هو حقيقة الإسلام** ، إن الإسلام يبني ولا يهدم ، والإسلام كما بدأت بالحديث القائل "إنما جئت لأتمم مكارم الأخلاق" أي أنه جاء ليتمم ما جاء به النبيون ، وما جاءت به الرسالات السماوية السابقة ولذلك فأنا أحيي **الأخ المشاهد** وأنا معه في أن هناك أناس [كذا] ينفِّرون من الإسلام "[1].

[1] القرضاوي : حلقة بعنوان الأخلاق بتاريخ : 13 / 9 / 1998 م ، وانظر كيف استدل بهذا الحديث على (التسامح) و (نبذ التعصب) ، وجعل هذه دعوة الأنبياء ، وانظر كيف قال للنصراني: أحيي الأخ المشاهد !! ، وإنما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالتوحيد والكفر بالطاغوت ومنه البراءة منهم ومن معبوداتهم ومعاداتهم !.

النص الخامس :

قوله تعالى (**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**) .

وقد استدلوا به كسابقه على (إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة أساس في رسالة الإسلام) .

قلت : والكلام في إيهامه للمعنيين كالكلام في النص السابق ، لهذا كان لا بد من توضيح معنى هذه الآية ، والمراد بها كما ذكره أهل العلم :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [1]:

" اعلم أن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه و سلم بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ، وأكمل لأمته الدين ، و أتم عليهم النعمة ، و جعله على شريعة من الأمر ، وأمره أن يتبعها و لا يتبع سبيل الذين لا يعلمون ، و جعل كتابه مهيمنا على ما بين يديه من الكتب و مصدقا لها ، و جعل له شرعة و منهاجا ، و شرع لأمته سنن الهدى .

و لن يقوم الدين إلا بالكتاب و الميزان و الحديد ، كتاب يهدى به ، وحديد ينصره ؛ كما قال تعالى (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**) . فالكتاب به يقوم العلم و الدين ، و الميزان به تقوم الحقوق في العقود المالية و القبوض ، و الحديد به تقوم الحدود على الكافرين و المنافقين ؛ ولهذا كان في الأزمان المتأخرة الكتاب : للعلماء و العباد ، و الميزان : للوزراء و الكتاب و أهل الديوان ، والحديد : للأمراء و الأجناد . و الكتاب : له الصلاة ، و الحديد : له الجهاد ؛ و لهذا كان أكثر الآيات والأحاديث النبوية في الصلاة و الجهاد ، و كان النبي صلى الله عليه و سلم يقول في عيادة المريض : (اللهم اشف عبدك يشهد لك

---

[1] الفتاوى : 35 / 36 .

صلاة و ينكأ لك عدوا) ، و قال عليه السلام : (رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، و ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) ".

وقال أيضاً في موضع آخر [1]:

" قال تعالى (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب**) فأخبر أنه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط ، وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق ، فالكتاب يهدي ، والسيف ينصر ، (وكفى بربك هاديا ونصيرا) ؛ ولهذا كان قوام الناس : بأهل الكتاب ، وأهل الحديد".

وقال ابن القيم رحمه الله :

"قرن سبحانه بين : الكتاب المنزل ، والحديد الناصر ؛ كما قال تعالى (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز**) :

فذكر الكتاب والحديد ؛ إذ بهما قوام الدين كما قيل :

فما هو إلا الوحي أو حد مرهف   تميل ظباه أخدعا كل مايل

فهذا شفاء الداء من كل عاقل   وهذا دواء الداء من كل جاهل".

وقال ابن كثير رحمه الله [2]:

"يقول تعالى (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات**) أي : بالمعجزات والحجج الباهرات والدلائل القاطعات ، (**وأنزلنا معهم الكتاب**) وهو : النقل الصدق ، (**والميزان**) وهو : العدل ؛ قاله مجاهد وقتادة وغيرهما ، وهو : الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة ؛ كما قال تعالى (**أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه**) ، وقال تعالى (**فطرة الله التي فطر الناس عليها**) ، وقال تعالى (**والسماء رفعها ووضع الميزان**) ؛ ولهذا قال في هذه الآية (**ليقوم الناس بالقسط**) أي : بالحق والعدل ؛ وهو اتباع الرسل فيما

---

[1] الفتاوى : 18 / 157 .

[2] تفسير ابن كثير : 4 / 315 .

أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا به ؛ فإن الذي جاءوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق ؛ كما قال (**وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا**) أي : صدقاً في الإخبار ، وعدلاً في الأوامر والنواهي ؛ ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوؤا غرف الجنات والمنازل العاليات والسرر المصفوفات (**الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق**) .

وقوله تعالى (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد**) أي : وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ؛ ولهذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية ، وكلها جدال مع المشركين ، وبيان وإيضاح للتوحيد ، وبينات ودلالات ، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف ، وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن ".

وقال البيضاوي رحمه الله [1]:

" (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد**) : فإن آلات الحروب متخذة منه ، (**ومنافع للناس**) : إذ ما من صنعة إلا والحديد آلاتها ، (**وليعلم الله من ينصره ورسله**) : باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفار".

قلت : فمن تأمل في معنى هذه الآية وحدها كفته في إبطال (بيان المثقفين) كله ؛ فإن الكتاب المنزل على الرسل هو الآمر بالتوحيد والناهي عن الشرك ، والميزان هو الحكم بشرع الله سبحانه من غير تحريف ، ونصرة الله سبحانه ورسله يكون بالجهاد في سبيل الله، فهذه الآية وحدها تدل على أمرين عظيمين :

الأول : التوحيد ، ومنه الكفر بالطاغوت والبراءة من الكفار ، ومعاداتهم ، لأنه من القيام بالقسط .

الثاني : الجهاد في سبيل الله ، لأن به نصرة الدين ، ونشر الإسلام ، ومقاتلة أعداء الله .

وهذان يبطلان البيان من أصله ، ولله الحمد والمنة .

---

[1] تفسير البيضاوي : 5 / 304 ، وعلى هذا جرى عامة المفسرين.

النص السادس :

قوله تعالى ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ .

وقد استدلوا بها على (**أن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر ، وهذا من القسط الذي يحبه الله وأمرنا به**) .

قلت : والكلام على هذا من وجوه :

الوجه الأول : أن جعل هذه الآية هي (الأصل) في معاملة الكفار لم يقل به – حسب علمي – إلا العصرانيون الذين حرفوا شريعة الله عن وجهها إرضاء للكفار ونزولاً عند أهواء العامة ، ومن ذلك قول شيخهم [1]:

" وأساس هذه العلاقة مع غير المسلمين قوله تعالى : وذكر الآيتين من سورة الممتحنة".

الوجه الثاني : أن هذه الآية ليست أصلاً لعلاقات المسلمين مع غيرهم ، بل هي استثناء لأمور :

الأول : أن آيات البراءة من الكفار ، ومعاداتهم ، وجهادهم ، بالمئات ، فكيف تكون أكثر الآيات المبينة لطبيعة (علاقات) المسلمين بغيرهم ، والتي سار عليها النبي صلى الله عليه وأصحابه (فرعاً) ، والاستثناء المشروط بشروط (أصلاً) ؟!.

---

[1] القرضاوي : (غير المسلمين في المجتمع الإسلامي) ص 5 ، وهو يكثر من ترداد هذا في كثير من كتبه وبرامجه ، ومن ذلك أنه قال في فتوى له في موقعه (الإسلام على الإنترنت) بتاريخ : 1999/11/29م :" إذا أردنا أن نجمل تعليمات الإسلام في معاملة المخالفين له –في ضوء ما يحل وما يحرم– فحسبنا آيتان من كتاب الله ، جديرتان أن تكونا دستورا جامعا في هذا الشأن – ثم ذكر الآيتين – "، وقال في حلقة من برنامجه الشريعة والحياة بعنوان (فقه الجاليات في الغرب) بتاريخ 2 / 5 / 1999م : " وأرى أن الدستور الذي حدده القرآن في التعامل مع غير المسلمين نجده في آيتين من كتاب الله في سورة الممتحنة ، ثم ذكرها" ، **فهذا الأساس المذكور في (بيان المثقفين) لا أعلم أحداً من أهل العلم وضعه أساساً وأصلاً في معاملة الكفار (بإطلاق) ، وإنما هو من كيس القرضاوي وأمثاله!.**

الثاني : أن الله سبحانه ذكر شروطاً في أول الآية فقال (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين**) ، (**ولم يخرجوكم من دياركم**) ، فلم يطلق هذا البر والإقساط !.

الثالث : أن الله سبحانه قال (**لا ينهاكم**) ولم يأمر بذلك ، والفرق أن عدم النهي يفيد الإباحة ، بينما الأمر يفيد الوجوب[1] ، بينما نصوص قتال الكفار كلها وردت بالأوامر الصريحة .

الرابع : أن العلماء اختلفوا في هذه الآية بسبب مخالفتها للأصل المعروف ، فمنهم من قال : إنها منسوخة بآيات السيف ، ومنهم من قال : إنها خاصة بالمؤمنين الذين لم يهاجروا ، ومنهم من قال : إنها خاصة بنساء وصبيان الكفار ، ومنهم من قال : إنها خاصة بحلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل غير هذا [2] ، والمقصود مما سبق : إن هذا الاختلاف لم يكن ليحدث في (أصل) ، وإنما حدث في ما خالف (الأصل) ، وهذا ظاهر بحمد الله لمن تأمل .

الوجه الثالث : أن (البر والإقساط) مع الكافر غير المحارب لا يستلزم (عدم البغض والمعاداة) ، وهذا مهم ، وإن كان البيان لم يتعرض لنفي ذلك هنا ، وقد جاء في الحديث الذي رواه مالك وأحمد وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر حيث اليهود لخرص الثمر عليهم ، فقال لهم : يا معشر اليهود ، أنتم أبغض الناس إليّ ، قتلتم أنبياء الله ، وكذبتم على الله ، وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم . فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض .

قال ابن عبد البر رحمه الله [3]:

---

[1] انظر : تفسير القرطبي : 18 / 60 ، وإنما يصح كلامهم لو قالوا : إن الأصل في معاملة الكافر الذي لم يحارب المسلمين ولم يخرجهم من ديارهم ولم يظاهر على إخراجهم البر والإقساط ، أما إطلاق أن الأصل في معاملة الكفار هو البر والإقساط فلا ، ولو وضعت هذه الضوابط لكان الأمريكان أول من يخرج من هذا الأصل ، فيكون لا معنى لخطابهم بهذه الآية !.

[2] انظر : تفسير القرطبي : 8 / 59 ، زاد المسير : 236/8 ، تفسير ابن كثير : 4 / 350 ، فتح القدير : 5 / 513 ، والراجح هو أنها محكمة ليست منسوخة ، وأنها خاصة بغير المحاربين من الكفار .

[3] التمهيد : 9 / 140 .

" وفيه أن المؤمن وإن أبغض في الله ، لا يحمله بغضه على ظلم من أبغضه ".

وقال ابن حجر رحمه الله [1] :

" البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالى **(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية)** ؛ فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل ، والله أعلم ".

الوجه الرابع : أن يقال : أبلغ من هذا كله :

أن من لم يقاتل المسلمين ، ولم يخرجهم من ديارهم ، ولم يظاهر على إخراجهم ؛ يجوز جهاده وغزوه عند القدرة بالاتفاق ، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في عامة مغازيه وسراياه مع غير قريش ، وكما فعل الصحابة رضوان الله عليهم مع فارس والروم ومصر وما وراءها من البلدان ، فإنهم لم يقاتلوا المسلمين ابتداء ، ولم يخرجوهم من ديارهم ، ولم يظاهروا على إخراجهم ، ومع ذلك غزاهم المسلمون في ديارهم .

وهذا الذي تدل عليه أدلة الجهاد ؛ فإن الجهاد شرع ليكون الدين كله لله ، لا لكف العدوان فحسب .

قال الجصاص رحمه الله تعالى [2]:

" ولا نعلم أحداً من الفقهاء يحظر قتال من اعتزل قتالنا من المشركين ، وإنما الخلاف في جواز ترك قتالهم لا في حظره " .

وقال الشوكاني رحمه الله [3]:

"وما ورد في موادعتهم أو تركهم إذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ بإجماع المسلمين".

---

[1] فتح الباري : 5 / 233 ، وانظر : نيل الأوطار : 6 / 106 .

[2] أحكام القرآن : 315/2 .

[3] السيل الجرار : 4/ 519.

النص السابع : قوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) .

واستدلوا به على قولهم (**كل ما في الأرض من خيرات ظاهرة وباطنة إنما خلقت من أجل الإنسان**) .

قلت : وإطلاق الكلام هنا فيه إيهام ، وإجمال ، فقد يفهم من هذا أن المسلم والكافر في هذا الأمر سواء ، وهذا باطل من وجوه :

الوجه الأول : أن الخطاب في هذه الآية موجه إلى المسلمين الذين يؤمنون بالقرآن ، وليس موجهاً للكافرين ، فقوله تعالى (**لكم**) : إنما يقصد به الذين يؤمنون بالقرآن كما هو ظاهر.

فإن قيل : ولكن سياق الآيات يدل على أن المخاطب الناس كلهم ومنهم الكفار ، فالجواب بـ :

الوجه الثاني : وهو أن كثيراً من المفسرين ذكروا أن هذه الآية لا تدل أصلاً على إباحة ولا حظر ، بل جاءت في سياق الدلائل على التنبيه إلى وحدانية الله سبحانه :

قال ابن جرير رحمه الله تعالى [1]:

"فمعنى الكلام إذاً : كيف تكفرون بالله وقد كنتم نطفاً في أصلاب آبائكم فجعلكم بشراً أحياء ، ثم يميتكم ، ثم هو محييكم بعد ذلك ، وباعثكم يوم الحشر للثواب والعقاب ، وهو المنعم عليكم بما خلق لكم في الأرض من معايشكم ، وأدلتكم على وحدانية ربكم".

وقال ابن العربي رحمه الله تعالى [2]:

" وليس في الإخبار بهذه العبارة عن هذه الجملة ما يقتضي حكم الإباحة ، ولا جواز التصرف ، فإنه لو أبيح جميعه جميعهم جملة منثورة النظام لأدى ذلك إلى قطع الوصائل والأرحام ، والتهارش في الحطام ، وقد بيّن لهم طريق الملك ، وشرح لهم مورد الاختصاص ، وقد اقتتلوا وتهارشوا وتقاطعوا ، فكيف لو شملهم التسلط ، وعمهم الاسترسال ؟ ، وإنما يجب

---

[1] تفسير الطبري : 227/1.

[2] أحكام القرآن : 1 / 14 ، 15 .

على الخلق إذا سمعوا هذا النداء أن يخروا سجداً شكراً لله تعالى لهذه الحرمة لحق ما ذلك من نعمه ، ثم يتوكّفوا بعد ذلك سؤال وجه الاختصاص لكل واحدٍ بتلك المنفعة".

وقال القرطبي رحمه الله [1]:

" الصحيح في معنى قوله تعالى (**خلق لكم ما في الأرض**) : الاعتبار ، يدل عليه ما قبله وما بعده ؛ من نصب العبر : الإحياء ، والإماتة ، والخلق ، والاستواء إلى السماء ، وتسويتها ، أي : الذي قدر على إحيائكم وخلقكم وخلق السماوات والأرض لا تبعد منه القدرة على الإعادة".

وقال ابن كثير رحمه الله [2]:

" لما ذكر تعالى دلالة من خلقهم وما يشاهدونه من أنفسهم ذكر دليلاً آخر مما يشاهدونه من خلق السماوات والأرض فقال (**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات**) ".

الوجه الثالث : أن الله سبحانه بين في غير هذه الآية أن طيباته للذين آمنوا ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ؛ كما قال تعالى (**قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**) ، فجعلها للذين آمنوا ، وقال تعالى (**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح في طعموا ...الآية**) ، ويدل مفهومها على أن الكفار عليهم جناح في ذلك ، وقال تعالى (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم**) .

الوجه الرابع : أن المسلم المخاطب بهذه الآية لو أراد أن يستدل بها على إباحة امتلاكه لحم الخنزير أو شرب الخمر أو نحوه من المحرمات الشرعية الموجودة في (الأرض) لخالف بذلك الإجماع ، بل إنه يكفر بعد البيان ، وهو من المخاطبين بهذه الآية ، فكيف يكون حال الكافر ؟.

الوجه الخامس : ما قدمناه مراراً من أن الكافر أحد رجلين :

---

[1] تفسير القرطبي : 1 / 252 .

[2] تفسير ابن كثير : 1 / 68 .

الأول : كافر حربي : وهو الأصل فيهم ، فهو مباح الدم والمال كما دلت على ذلك النصوص وعليه الإجماع.

والثاني : كافر له عهد : من ذمة ، أو هدنة ، أو أمان : فهو معصوم الدم والمال ، إلا أن هذه العصمة ليست أصلية فيه ، بل بهذا العقد ، مما يدل على أنه لا يقر على ملك إلا بإقرار الشرع له بعد العقد .

قال القرطبي رحمه الله [1]:

" فإن الكافر بالحق لا حرمة له ، وجنايته أكبر من كل جناية ، فعقوبته ينبغي أن تكون أكبر من كل عقوبة ، لاسيما بعد أن تقدم للكافرين بالإعذار ، وبولغ لهم في الإنذار ، ولأجل أن الكافر لا حرمة له عند الله : يعاقبه الله في الدار الآخرة عقوبة لا انقطاع لها باتفاق الشرائع".

وقد سبق أن نقلت كلام أهل العلم في معنى (الفيء) ومنه :

قول شيخ الإسلام رحمه الله [2]:

" ما قاتلوا عليه كان للمقاتلة , وما لم يقاتلوا عليه فهو فيء ; لأن الله أفاءه على المسلمين , فإنه خلق الخلق لعبادته , وأحل لهم الطيبات ليأكلوا طيبا ويعملوا صالحا , والكفار عبدوا غيره فصاروا غير مستحقين للمال , فأباح للمؤمنين أن يعبدوه , وأن يسترقوا أنفسهم , وأن يسترجعوا الأموال منهم , فإذا أعادها الله إلى المؤمنين منهم فقد فاءت ; أي رجعت إلى مستحقها " .

---

[1] الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام : ص 450 .

[2] الفتاوى : 563/28 .

النص الثامن :

قوله تعالى (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ) ، وقوله : (**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**) .

واستدلوا بهذين النصين على قولهم : (**وعليه فإن الإفساد في الأرض :كالعدوان على الغير من الشعوب المستضعفة ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها الخاصة التي تملكها أو تلويث البيئة ، من الفساد الذي لا يحبه الله، قال الله تعالى في كتابه : (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ) (البقرة: 205) ، وقال : "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"(الأعراف :56))**.

قلت : في بداية هذه الأسس قالوا (**ثمَّة مجموعة من المبادئ والأخلاقيات الأساسية التي تحكم علاقاتنا مع الأمم الأخرى ، ولقد أرساها رسول الإسلام محمد – صلى الله عليه وسلم – قبل أربعة عشر قرناً**) : فقد جعلوا هذه (المبادئ) و (الأخلاقيات) هي التي تحكم علاقات المسلمين مع الأمم الأخرى ، وهي التي أرساها رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم .

ومعنى هذا الكلام أن من المبادئ والأخلاقيات التي تحكم علاقة المسلمين مع الأمم الأخرى إن (**العدوان على الغير من الشعوب المستضعفة ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها الخاصة التي تملكها أو تلويث البيئة**) من (**الفساد الذي لا يحبه الله**) ومن (**الإفساد في الأرض**) ، وهذا باطل ،كما سبق بيانه عند الكلام على الأسس ، والمقصود هنا بيان فساد استدلالهم بهاتين الآيتين على ما ذهبوا إليه ، وبيان ذلك من وجوه:

الوجه الأول : أن أدلة الجهاد في سبيل الله وقتال جميع الشعوب الكافرة (مستضعفة) كانت أو (قوية) وغنيمة ثرواتها وخيراتها : متواترة ، ووقع عليها الإجماع الضروري ، وقد سبق بيان بعضها ، ويأتي بعضها إن شاء الله في المبحث الثاني ، وهذا من (الإصلاح) في الأرض

، وليس من الفساد أو الإفساد ، بل إن إطلاق هذه العبارة يلزم عليها لوازم خطيرة سبق الإشارة إليها[1] .

الوجه الثاني : أن قوله تعالى (**وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها** ..) نزلت كما قال عامة المفسرين في المنافقين الذين يفسدون في الأرض ، والفساد هنا عام ، و أعظم الفساد في الأرض الكفر بالله سبحانه وتعالى :

قال ابن جرير رحمه الله تعالى على هذه الآية بعد أن ذكر اختلافهم في تفسير الفساد [2]:

"والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله تبارك وتعالى وصف هذا المنافق بأنه إذا تولى مدبراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل في أرض الله بالفساد ، وقد يدخل في الإفساد جميع المعاصي ؛ وذلك أن العمل بالمعاصي إفساد في الأرض ، فلم يخصص الله وصفه ببعض معاني الإفساد دون بعض".

الوجه الثالث : أن قوله تعالى (**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**) عام في كل إفساد بعد إصلاح ، و أعظم أنواع الفساد على الإطلاق (الكفر بالله) :

قال ابن جرير رحمه الله على هذه الآية [3]:

"يعني تعالى ذكره بقوله (**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**) : لا تشركوا بالله في الأرض ، ولا تعصوه فيها ، وذلك هو الفساد فيها ، وقد ذكرنا الرواية في ذلك فيما مضى وبينا معناه بشواهده ، (**بعد إصلاحها**) يقول : بعد إصلاح الله إياها لأهل طاعته بابتعاثه فيهم الرسل دعاة إلى الحق وإيضاحه حججه لهم ".

الوجه الرابع : يظهر بهذا أن هذه الآيات ليس فيها ما يدل من قريب أو من بعيد على أن من الأسس التي أرساها النبي صلى الله عليه وسلم أن الاعتداء على الشعوب المستضعفة

---

[1] قولهم في بداية الأسس إن هذه أرساها النبي صلى الله عليه وسلم في حكم علاقتنا مع الأمم الأخرى يدل بوضوح على أن المراد بالاعتداء على الشعوب المستضعفة من قبل المسلمين.

[2] تفسير الطبري : 329/2.

[3] تفسير الطبري : 5/ 515 .

ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها من (الفساد) الذي لا يحبه الله ؛ لأن الكلام في المعتدى عليه من (الشعوب) على قسمين :

القسم الأول : إذا كان اعتداء من (مسلمين) على (مسلمين) : فهذا غير داخل أصلاً في (هذه الأسس) لأنهم قالوا عنها (**ثمَّة مجموعة من المبادئ والأخلاقيات الأساسية التي تحكم علاقاتنا مع الأمم الأخرى**) ، فهذه الأسس تحكم علاقة المسلمين بالكفار (الأمم الأخرى) ، لا علاقة المسلمين ببعضهم!.

القسم الثاني : إذا كان الاعتداء من (مسلمين) على (كفار) : (الأمم الأخرى) : فهذا في الأصل ليس من الفساد ، أو الإفساد ، ولا من الاعتداء ، بل هو من الإصلاح ، ومن الجهاد في سبيل الله ، وبدراسة السيرة يتضح أن ما أرساه النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ما قالوا ، فقد قاتل جميع (الأمم الأخرى) القريبة منه ، وغنم أموالهم ، وأراضيهم ، كقريش ، واليهود ، والعرب ، والروم ، وغيرهم ، ثم استمر أصحابه من بعده على هذا.

النص التاسع : قوله تعالى (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى).

استدلوا بهذه الآية على قرب نصارى اليوم من المسلمين فقالوا (**وقد أخبر القرآن الكريم بأن المسيحيين هم الأفضل في أخلاقيات التعامل من بين كل المجموعات الدينية المخالفة للإسلام**).

قلت : والكلام عليه من وجهين :

الوجه الأول : أن الاستدلال بهذا الإطلاق باطل ، فبقية الآية التي (بترت) ترد هذا القول وتبطله ، حيث يقول سبحانه بعد ذلك (**ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم**) فهذه تدل على أن المقصود (من آمن منهم) من وجوه :

الأول : أنه قال (**قالوا إنا نصارى**) ولم يقل (النصارى) كما قال (اليهود) : فإن هذا دال على أن المراد طائفة معينة من النصارى بينتها الآيات بعد ذلك .

الثاني : قوله (**وأنهم لا يستكبرون**) : فهم لا يستكبرون عن اتباع الحق ، قال القرطبي رحمه الله [1]: " وهذا المدح لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم دون من أصر على كفره ولهذا قال (**وأنهم لا يستكبرون**) أي : عن الانقياد إلى الحق ".

الثالث : قوله (**وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق**) : فهم يبكون إذا سمعوا القرآن .

---

[1] تفسير القرطبي : 6 / 258 .

الرابع : قوله (**يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين**) وهذا صريح بإيمانهم وأنهم يشهدون الشهادتين.

الخامس : قوله (**وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين**) : ويردون على من استنكر دخولهم في الإسلام .

السادس : قوله (**فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين**) : وهذا جزاء المؤمنين .

السابع : قوله (**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم**) : وهؤلاء هم النصارى وغيرهم من الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

فهل يبقى بعد هذه الآيات الصريحة الواضحة الدلالة شك في أن الذين أرادهم الله سبحانه غير هؤلاء الكفار المثلثة أعداء الله ورسوله ؟!.

قال البغوي رحمه الله عن هذه الآية [1]:

" لم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في : قتلهم المسلمين ، وأسرهم ، وتخريب بلادهم ، وهدم مساجدهم ، وإحراق مصاحفهم ، لا ، ولا كرامة لهم ، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه " .

و قال القاضي أبو يعلى رحمه الله [2]:

"وربما ظن جاهل أن في هذه الآية مدح النصارى ، وليس كذلك ؛ لأنه إنما مدح من آمن منهم ، ويدل عليه ما بعد ذلك ، ولا شك أن مقالة النصارى أقبح من مقالة اليهود".

وقال أبو بكر الجصاص رحمه الله[3]:

" ومن الجهال من يظن أن في هذه الآية مدحاً للنصارى وإخباراً بأنهم خير من اليهود , وليس كذلك ; وذلك لأن ما في الآية من ذلك إنما هو صفة قوم قد آمنوا بالله وبالرسول يدل عليه ما ذكر في نسق التلاوة من إخبارهم عن أنفسهم بالإيمان بالله وبالرسول . ومعلوم

---

[1] تفسير البغوي : 2 / 56 .

[2] زاد المسير : 2 / 409 .

[3] أحكام القرآن : 2 / 633 .

عند كل ذي فطنة صحيحة أمعن النظر في مقالتي هاتين الطائفتين أن مقالة النصارى أقبح وأشد استحالة وأظهر فساداً من مقالة اليهود ; لأن اليهود تقر بالتوحيد في الجملة وإن كان فيها مشبهة تنقص ما أعطته في الجملة من التوحيد بالتشبيه ".

وقال شيخ الإسلام رحمه الله على هذه الآية [1]:

" فاليهود يغلب عليهم الكبر ويقل فيهم الشرك ، والنصارى يغلب عليهم الشرك ويقل فيهم الكبر ...فإن النصارى لهم قصد وعبادة ، وليس لهم علم وشهادة ؛ ولهذا فإن كان اليهود شراً منهم بأنهم أكثر كبراً وأقل رهبة وأعظم قسوة ، فإن النصارى شر منهم فإنهم[2] أعظم ضلالاً وأكثر شركاً وأبعد عن تحريم ما حرم الله ورسوله ، وقد وصفهم الله بالشرك الذي ابتدعوه ، كما وصف اليهود بالكبر الذي هووه ".

ويقول رحمه الله [3]:

" وكل عاقل يعلم أن النصارى أعظم الملل جهلاً وضلالة ، وأبعدهم عن معرفة المعقول والمنقول ، وأكثر اشتغالاً بالملاهي ، وتعبداً بها ".[4]

الوجه الثاني : أن هذه الآية يكثر الاستدلال بها من العصرانيين على التزلف للنصارى، وتمييع البراء منهم ، كما قال شيخهم [5]:" الإسلام ميز أهل الكتاب عن غيرهم من الآخرين من غير المسلمين وميز النصارى بالذات، فالقرآن يقول – وذكر الآية – ".

[1] الفتاوى : 7/624 - 626.

[2] كذا في الأصل : ولعل الأصوب : (بأنهم) حتى تتناسب مع ما قبلها ، والله أعلم .

[3] الفتاوى : 35/187.

[4] بل قال الجاحظ – وهو من رؤوس المعتزلة – على هذه الآية كما في كتابه (الرد على النصارى) ص 259 من رسائله الكلامية – : " وأمر آخر ، وهو من أمتن أسبابهم ، وأقوى أمورهم ، وهو تأويل آية غلطت فيها العامة حتى نازعت الخاصة ، وحفظتها النصارى واحتجت ، واستمالت قلوب الرعاع والسفل ، وهو قول الله تعالى – وذكر الآية – ثم قال : وفي نفس الآية أعظم الدليل على أن الله تعالى لم يعن هؤلاء النصارى ولا أشباههم : الملكانية واليعقوبية ، وإنما عنى ضرب بحيرى ، وضرب الرهبان الذين كان يخدمهم سلمان [يقصد : الفارسي]".

[5] القرضاوي : في برنامجه الشريعة والحياة : حلقة بعنوان (غير المسلمين في ظل الشريعة الإسلامية) بتاريخ : 1997/10/21م ، وقال في فتوى في موقعه بعنوان (حدود التعامل مع النصارى وحكم تهنئتهم بأعيادهم) بعد أن أذاب البراء من اليهود والنصارى جميعاً : " هذا في أهل الكتاب عامة، أما النصارى منهم خاصة، فقد وضعهم القرآن =

خامساً : بيان المثقفين والبراءة من الجهاد وأهله :

إن الذي يقرأ هذا (البيان) من أوله إلى آخره يخرج بنتيجة واضحة وضوح الشمس ، مؤداها إلى أن الإسلام ليس فيه جهاد في سبيل الله ، ولا قتال للكفار حتى يكون الدين كله لله ، كما تقرأ في طياته لمزاً للمجاهدين في مواضع والبراءة منهم ، فهو في حقيقته يقدم (إسلاماً أمريكياً تعايشياً) ترضاه (أمريكا) و (المؤسسات الدولية) !.

ويتضح هذا الأمر من وجوه [1]:

الوجه الأول : إنكارهم (لغة القوة) و (الصراع) و (الصدام) و (التطاحن) و (العنف) و (التدمير) و (الإرهاب) و نحوها من العبارات في بيانهم وبراءتهم منها أكثر من عشرين مرة تقريباً ، وإرادتهم حواراً (**ينأى بشعوبنا عن دائرة التطاحن والصراع**) ، ويحقق (**أجواء تفاهم مشترك تتبناها الحكومات والمؤسسات**) ، ومن ذلك قولهم : (**وقد تعلمنا من التاريخ أن الضمانات لتحقيق الأمن لا تفرض بالقوة فقط، لأن الضمانات التي تفرض بالقوة تحمل معها بذور الفشل والانهيار**).

الوجه الثاني : أنهم جعلوا أصل معاملة المسلمين للكفار (البر) و (الأخلاق الكريمة) ونحو ذلك ، كقولهم :

1- (**إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة أساس في رسالة الإسلام**).

2- (ولهذا فإن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر).

موضعا قريبا من قلوب المسلمين ..وذكر الآية " ، وقال نحواً من هذا في فتوى له في موقعه بعنوان (كيف نتعامل مع أهل الكتاب) .

[1] إنما عددت الوجوه هنا وفي القسم السادس لتوضيح أن هذا البيان يسير على وتيرة واحدة في الرسالة التي يريد إيصالها وذلك إذا ضممت هذه الوجوه إلى بعض ، وأن المسألة ليست لفظاً واحداً ، أو جملة واحدة هنا أو هناك ، بل البيان بمجموعه يسير على هذا النحو ، وإن كان بعض هذه الوجوه أظهر من بعض .

3-(**بل إن النظم والتشريعات التي جاء بها الإسلام تؤسس لحياة مستقرة للمؤمنين به وغير المؤمنين)** .

الوجه الثالث : أنهم جعلوا (العدوان) على الغير ومنازعتهم في ثرواتهم وخيراتهم من الفساد الذي لا يحبه الله ، كقولهم :

(وعليه فإن الإفساد في الأرض :كالعدوان على الغير من الشعوب المستضعفة ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها الخاصة التي تملكها أو تلويث البيئة ، من الفساد الذي لا يحبه الله) .

الوجه الرابع : أنهم ذكروا آثار هذا (الصراع) بصورة (مأساوية) بشكل مطلق بلا تفصيل، مثل قولهم :

1- **(وقد تقود المجتمعات إلى دوامة القلق والحرمان والصراع اللاإنساني).**

2- **(ومن الخطأ أن نجعل القوة هي لغة الحوار لأن من شأن ذلك أن يسمح لقوى الصراع أن تمارس دوراً معقداً في المستقبل).**

3- **(والحق أن هذه السياسة هي التي تصنع التهديدات الخطيرة للأمن المدني ليس للغرب فحسب، بل للعالم كله، فضلاً عن كونها تصنع الأوضاع المأساوية اللاإنساني).**

4-**(ويجب أن ندرك أن سيطرة إدارة الصراع في العالم ستقود لصناعة الأسوأ للواقع وللأجيال القادمة التي ستواجه آثار حساباتنا الخاصة).**

5-**(لقد بات الأمن المدني مهدداً في العالم في ظل التسابق للصراع ورسم مشاريعه).**

الوجه الخامس : إنكار أن يكون المجاهدون (الإرهابيون) قاتلوا (أمريكا) بسبب كفرها بالله و (قيمها) المخالفة للإسلام ، فهم لا يقاتلونهم بسبب (الاختلاف في القيم) : يعني (الإيمان) و (الكفر) ، كقولهم:

1- **(واختزال ذلك في محاربة المجتمع الأمريكي وقيمه البشرية العالمية)** .

2- **(أن يتساءل لماذا لم يختر المنفذون بلداً آخر غير الولايات المتحدة ممن يتبنى نفس القيم الغربية؟ بل لماذا لم يتوجه هؤلاء إلى دول ومجتمعات أخرى تدين**

بالوثنية[1] في آسيا وأفريقيا هي أولى بالحرب لو كان دافعهم هو محاربة من يختلف معهم في القيم؟).

الوجه السادس : إنكار أن يكون المجاهدون (الإرهابيون) عندهم (مسوغات شرعية) أو (أدلة من الكتاب والسنة) للجهاد في سبيل الله أو لضرب أمريكا ، وإنما الدافع لهم (الواقع المر) ، كقولهم :

1-(**وحين نحرم الناس من الاستقرار ونفرض عليهم أن يعيشوا في دوامة من القلق والقهر والضيم فإنهم قد يتصرفون بطريقة غير أخلاقية، والواقع المرّ[2] هو الذي يصنع القرارات، بل هو الذي يصنع الفكرة أحياناً**) .

2-(**إننا على إدراك أن كثيراً من التجمعات الإسلامية المتشددة –كما توصف – لم تُرِدْ أن تكون كذلك في أولى خطواتها**) .

3-(**وهذا هو الدافع الأكبر للتشدد في التجمعات والحركات الإسلامية**) .

الوجه السابع : إنكارهم إن يكون الإسلام يلزم غير المسلمين بـ(مفاهيمه) ، كقولهم : (**إننا نؤمن أن الإسلام هو الحق ، ولكن من غير الممكن أن يكون العالم كله مسلماً؛ إذ ليس بمقدورنا جعله كذلك، وليس من شريعتنا أن نلزم الآخرين بمفاهيمنا الخاصة، هذا هو خيارنا الشرعي**) .

ومن هذا قولهم (**إن الولايات المتحدة لو اعتمدت العزلة عن العالم داخل حدودها ورفعت يدها عن القضايا المشتعلة فليس يعني المسلمين أن تكون دولة متقدمة أو ديمقراطية أو علمانية**) .

---

[1] فليس الدافع هو الاختلاف في (الدين) ؛ لأنه لو كان كذلك لكان قتال الوثنيين أولى ، كما هو ظاهر !!.

[2] ومع أنهم أخرجوا المسألة من (الجهاد) ، ومن (المسوغات الشرعية) ، وربطوها بالواقع المر ، ومع اعترافهم بهذا الواقع المر ، وبأعمال أمريكا الإجرامية ، إلا أنهم لم ينسوا أن يطمئنوا أمريكا بقولهم (**وإن كنا لا نرى واقعية هذه المبررات لضرب الأمن المدني**) :

يعني لن نجاهد مطلقاً لأنه : لا (المسوغات الشرعية) تجيز ضربكم ، و لا (الواقع المر الذي أحدثتموه) تسوغ ذلك أيضاً ، فاطمئنوا !!.

الوجه الثامن : قصرهم الجهاد على جهاد الدفع وهو ما يشترك فيه (جميع البشر) ، بل و (الحيوانات) ؛ كقولهم : (**لكن حينما يفضل طرف أن يصنع الصراع مع المسلمين, أو يتجاهل حقوقهم ؛ فإن الإسلام يقابل ذلك بالمقاومة والمدافعة التي هي أحد مقاصد الجهاد**).

قلت :

أما كلامهم على المجاهدين ففي القسم القادم إن شاء الله تعالى ، وهذه الأوجه السابقة تظهر لك بوضوح أنهم يقدمون (إسلاماً تعايشياً أمريكياً) كما سبق : بلا (جهاد في سبيل الله) ، أو (صراع) كما يقولون ، والأمر هذا ظاهر من العنوان أصلاً (على أي أساس نتعايش؟) .

وأعظم من هذا كله أن هذا ينسب إلى الإسلام ، و تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم ، وإبطال هذا كله في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى .

سادساً : بيان المثقفين وموالاة الكفار :

إن طلب (التعايش) مع الكفار على ما في (البيان) هو في حقيقته (موالاة) للكفار ظاهرة ، لأن البيان لم يرد فيه حرف واحد يدل على عقيدة الولاء والبراء ، أو يدل على الفرق بين الموحدين والمشركين ، وإنما فيه طلب تعايش وتعاون ونبذ الصراع والتشنج والاحترام المتبادل ، على ما سبق بيانه في الأقسام السابقة .

إلا أننا سنتكلم على وجهين هنا هما : مشاركة الكفار في مشاعرهم ، والبراءة من المجاهدين [1]:

الوجه الأول : مشاركة الكفار في مشاعرهم في مصيبتهم ، كقولهم :

1-(**إن كثيرين في العالم الإسلامي وغيره لم تكن هذه الهجمات في سبتمبر محل ترحيب وحفاوة عندهم، لجملة من الأسباب القيمية والمبدئية والمصلحية والأخلاقية التي تعلمناها من الإسلام**) .

2-(**ولئن كان الغرب يعتبر أحداث الحادي عشر من سبتمبر تتجه لزعزعة الأمن المدني في الغرب فمن الممكن أن نشاركه الشعور وحتى الموقف في رفض ضرب الأمن المدني في العالم**) .

الوجه الثاني : البراءة من المجاهدين ، ولمزهم ، وتأييد الكفار عليهم ، كقولهم :

1-(**المسؤولية في الجنايات الخاصة فردية، فلا أحد يؤخذ بجريرة غيره**) .

2-(**تشكّل بالنسبة لهم منعطفاً لتحديد العلاقة بينهم وبين المسلمين بعامة ولا يريدون أن ينسبوها للفئة التي قامت بها**[2]) .

---

[1] الكلام في هذه الوجوه كالكلام في الوجوه المذكورة في القسم الخامس .

[2] في الفقرة الأولى والثانية يريدون من الكفار أن يجعلوا حربهم ضد (المجاهدين) فقط ، فهم بريئون منهم (!) ، فلم يشاركوا المجاهدين في (شعورهم) على الأقل ، فهلا تبرءوا من الكفار أيضاً وتركوا مشاركتهم في شعورهم ، فساووا بين الفريقين !!.

3- (أو دوائر واقعة تحت ضغط واقع لا يراعي الأخلاق ولا الحقوق، وقد تقود المجتمعات إلى دوامة القلق والحرمان والصراع اللاإنساني) .

4-(وحين نحرم الناس من الاستقرار ونفرض عليهم أن يعيشوا في دوامة من القلق والقهر والضيم فإنهم قد يتصرفون بطريقة غير أخلاقية[1]).

5-(وإن كنا نعترف بأشكال متطرفة مرتبطة ببعض المسلمين كغيرهم) .

6- (إننا على إدراك أن كثيراً من التجمعات الإسلامية المتشددة -كما توصف - لم تُرِدْ أن تكون كذلك في أولى خطواتها) .

7-(وهذا هو الدافع الأكبر للتشدد في التجمعات والحركات الإسلامية)[2].

8-(والذين يمثلون الصراع ليسوا دائماً هم الأفضل[3] لتمثيل هذا التجمع أو ذاك).

9-(مشكلة الإرهاب والتطرف، ومن وجهة نظرنا فإن هذه مشكلة جادة في العالم، ويفترض أن تكون هنالك مشاريع متعددة لمعالجتها).

10-(حين نؤمن أن العالم يواجه مشكلة الإرهاب والتطرف بالمفهوم الشامل الذي ذكرناه).

11-(إننا معنيون بالحملة على الإرهاب سواءً أتى من مسلمين أو غير مسلمين)

12-(إن الإرهاب بالمعنى الاصطلاحي الشائع اليوم إنما هو صورة واحدة من صور الاعتداء الظالم على الأنفس والممتلكات، وإنه لمن العمى الأخلاقي أن يركز على صورة واحدة من صور الاعتداء الظالم ويغض الطرف عن صورها الأخرى) .

13-(وإذا كان الهدف استئصال الإرهاب من جذوره فإن الوسيلة الملائمة ليس الحرب الشاملة بل السلام العادل) .

---

[1] وفي الفقرتين الثالثة والرابعة لمز للمحاهدين بأنهم (غير أخلاقيين) !.

[2] وفي الفقرات (5 ، 6 ، 7) لمز للمجاهدين بالتشدد والتطرف ، فإن التطرف والتشدد في المفهوم الغربي هو (الجهاد).

[3] قال شداد بن أوس رضي الله عنه : يا بقايا العرب : إن أخوف ما أخاف عليكم (الرياء) و (الشهوة الخفية) . سئل أبو داود السجستاني رحمه الله عن الشهوة الخفية ؛ فقال : حب الرياسة .

وسنتناول كلامهم عن (الإرهاب) فيما يلي :

فقد أقر البيان بالإرهاب الاصطلاحي عند الكفار فقال (**إن الإرهاب بالمعنى الاصطلاحي الشائع اليوم إنما هو صورة واحدة من صور الاعتداء الظالم على الأنفس والممتلكات**) . ومن المعلوم لدى الجميع أن (الإرهاب الاصطلاحي) عند المخاطبين الأمريكان يقصدون به المجاهدين في أفغانستان وفلسطين وكشمير والفلبين ونحوها في المقام الأول ، وقد زاد البيان في إيضاح المقصود بالإرهاب الاصطلاحي عند الكفار عندما تكلم على (التجمعات الإسلامية المتشددة) وقال : (**ونحن على إدراك أن هذا التشكيل يقع اليوم تحت رعاية المشروع الغربي نفسه باسم ((مكافحة الإرهاب))** ، فهم يعلمون أن (مكافحة الإرهاب) إنما يقصد بها (ضرب الجماعات الإسلامية المتشددة بزعمهم).

فإقرارهم بالإرهاب الاصطلاحي إقرار بأن أعمال هؤلاء المجاهدين هي (**صورة من صور الاعتداء الظالم على الأنفس والممتلكات**) ، و أنهم (**مشكلة جادة في العالم**) ، وأنه لابد من (**استئصالهم**) .

ثم زادوا المسألة وضوحاً فقالوا : (**إننا معنيون بالحملة على الإرهاب سواءً أتى من مسلمين أو غير مسلمين**) .

فهذا يلزم منه — بوضوح — مساندة الحملة الصليبية على (الإرهابيين) وهم (المجاهدون) ، وهذا ظاهر جداً ، ومساندتهم من (التولي) وهو الناقض الثامن من نواقض الإسلام ، وقد قال أحد الموقعين على هذا البيان :

"إن نصرة الكفار على المسلمين - بأي نوع من أنواع النصرة أو المعاونة **ولو كانت بالكلام المجرد** - هي كفر بواح ، ونفاق صراح ، وفاعلها مرتكب لناقض من نواقض الإسلام — كما نص عليه أئمة الدعوة وغيرهم — غير مؤمن بعقيدة الولاء والبراء".

فماذا عساه يقول في مثل قولهم وهم يخاطبون أعداء الله الذين يقاتلون المجاهدين (**إنهم معنيون بالحملة على الإرهاب سواء أتى من مسلمين أو غير مسلمين**) ؟!.

ونقض هذا كله سيكون في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى .

انتهى القسم الأول

ويليه القسم الثاني و أوله :

المبحث الثاني

الأدلة الشرعية على نقض بيان المثقفين

التنكيل

بما في (بيان المثقفين) من الأباطيل

كتبه

ناصر بن حمد الفهد

القسم الثاني

الطبعة الأولى

ربيع الآخر – 1423

المبحث الثاني

الأدلة الشرعية على نقض (بيان المثقفين)

الدليل الأول : قوله تعالى (**فاصدع بما تؤمر**) :

الدليل الثاني : قوله تعالى (**فلا تطع المكذبين**) :

الدليل الثالث : قوله تعالى (**وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك**) :

الدليل الرابع : قوله تعالى (**ولو تقول علينا بعض الأقاويل**) :

الدليل الخامس : نصوص البلاغ :

الدليل السادس : قوله تعالى (**فاستقم كما أمرت**) :

الدليل السابع : سورة الكافرون :

الدليل الثامن : سورة عبس :

الدليل التاسع : قوله تعالى (**واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك**) :

الدليل العاشر : قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه :

الدليل الحادي عشر : قوله تعالى (**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه**) :

الدليل الثاني عشر : نصوص النهي عن موالاة الكفار :

الدليل الثالث عشر : نصوص عداوة الكفار للمسلمين :

الدليل الرابع عشر : النصوص الآمرة بمخالفة الكفار :

الدليل الخامس عشر : النصوص المفرقة بين المسلمين والكفار :

الدليل السادس عشر : نصوص موالاة المؤمنين :

الدليل السابع عشر : نصوص التلازم بين الحق والابتلاء :

الدليل الثامن عشر : نصوص الجهاد في سبيل الله :

الدليل التاسع عشر : النصوص الدالة على بقاء الجهاد إلى يوم القيامة :

الدليل العشرون : قصص الأنبياء :

الدليل الحادي والعشرون : السيرة النبوية :

الدليل الثاني و العشرون : سيرة الصحابة :

تمهيد

مما سبق في المبحث الأول يتضح لك أنهم في (بيان المثقفين) ذكروا أموراً عظيمة تخالف الشريعة التي جاء بها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، من أمور قادحة في الولاء والبراء ، والجهاد في سبيل الله ، وادعاء حرية العقيدة تحت مسمى (لا إكراه في الدين) ، مع تحريف للنصوص ، واسترضاء للكفار ، وبراءة من المجاهدين تحت مسمى (الإرهابيين) ، ومشاركة للكفار في شعورهم في أحداث (سبتمبر) ، ومحاولة للتقريب بين الدينين ، وغير هذا ، ثم إن ها هنا أمرين :

الأمر الأول : احتجاجهم بأنهم صاغوا البيان بهذه الطريقة من أجل كسب الكفار أولئك لقضايا المسلمين ، أو على الأقل تحييدهم ، بسبب استضعاف المسلمين في هذا الوقت وتسلط الأعداء عليهم ، وهذه الطريقة هي المثلى في دعوتهم !.

والأمر الثاني : طبيعة ما في نص البيان من موالاة للكفار ، ومشاركة لهم في الشعور ، واحترامهم ، وانتقاد المجاهدين ، وتسميتهم بالإرهابيين ، وتأييدهم عليهم ، وادعاء عدم الإكراه في الدين ، وقرب النصارى منهم ، ونفي الصراع والصدام عن الإسلام ، وغير ذلك مما سبق .

وفي هذا الفصل سنذكر الأدلة التي تدل على أن تقديم التنازلات على حساب الدين من نحو تغيير الشريعة ، أو تحريف النصوص ، أو إظهار مساندة الكفار ضد المجاهدين ، ونحو هذا مما جاء في البيان لا يجوز مطلقاً ولو كان هذا بقصد حسن ، وأن التأويل الحسن لا يحول الباطل إلى حق ، كما أننا نذكر من الأدلة ما يدل على بطلان ما في نص بيان المثقفين !.

الدليل الأول

قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)

وتتضح الدلالة من هذه الآية على بطلان ما في بيان المثقفين من أربعة وجوه :

الوجه الأول : قوله تعالى (**فاصدع**) : فإن الله سبحانه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم هنا – وهو في مقام الدعوة لا في مقام الجهاد! وفي زمن الاستضعاف لا في زمن القوة – بالصدع بالحق والمجاهرة به :

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله [1]:

" يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم بإبلاغ ما بعثه به ، وإنفاذه ، والصدع به ، وهو مواجهة المشركين به ؛ كما قال ابن عباس في قوله (فاصدع بما تؤمر) أي : أمضه ، وفي رواية : افعل ما تؤمر".

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله [2]: " والمراد بقوله اصدع : أي فرق بين الحق والباطل بدعائك إلى الله عز وجل ، وافصل بينهما ".

وقد ذكر عدد من أهل العلم بالتفسير بأن من معاني الأمر بالصدع هنا : التفريق بين الحق والباطل [3] ، ويدل على ذلك واقع دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه فرّق بين الحق والباطل وفصل بينهما لما جهر بما أمره الله به .

فلابد لمن أراد أن يدعو أن يستن بفعل النبي صلى الله عليه وسلم هنا ، فيفرّق بين الحق والباطل في دعوته ، ولا يخلط فيهما فيجعل الحق ملتبساً بالباطل ! .

الوجه الثاني : قوله تعالى (**بما تؤمر**) : فقيّد سبحانه الصدع بما يؤمر به النبي صلى الله عليه وسلم من ربه ، كما قال ابن جرير رحمه الله [4]: " قال تعالى ذكره (**فاصدع بما تؤمر**)

---

[1] تفسير ابن كثير : 2 / 560 .

[2] الفتح : 8 / 512 .

[3] انظر الطبري : 548/7 ، البيضاوي : 3 / 382 ، القرطبي : 10 / 61 ، أبا السعود : 5 / 92 ، الشوكاني: 3 / 144 ، وانظر السيرة النبوية : 97/2 .

[4] تفسير ابن جرير : 549/7 .

ولم يقل : بما تؤمر به ، والأمر يقتضي الباء ؛ لأن معنى الكلام : فاصدع بأمرنا ، فقد أمرناك أن تدعو إلى ما بعثناك به من الدين خلقي ، وأذنا لك في إظهاره".

ولم يقل سبحانه : فاصدع بما ترى ، أو : فاصدع بما تراه من المصلحة ، أو : بما يناسب عصركم ، أو : بما يريد أهل مكة وقريش ، أو : بما يكف شرهم ، أو : بما يحببهم إلى الإسلام ، أو : بما يجمل صورة الإسلام في عيونهم ، أو بما يحفظ الأقلية في مكة من بطش الكفار ، أو نحو هذه العبارات ، بل أمره سبحانه أن يتقيد بما يؤمر به ، فلا يزيد ، ولا ينقص ، ولا يغير! .

والمسلم مطالب بالإقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في مقام التبليغ عنه ، فلا يشرع من الدين ما لم يأذن به الله ، فيزيد ، أو ينقص ، أو يحرف ، ولو حسنت نيته ، وصلح قصده ، بدعوى كف الشر ، أو تحييد الخصم ، أو الدعوة إلى الإسلام !!.

الوجه الثالث : قوله تعالى (**وأعرض عن المشركين**) : وفي هذا أمر من الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض ولا يلتفت إلى المشركين وأقوالهم إذا صدع بالحق .

قال القرطبي رحمه الله [1]:

" قوله تعالى (**وأعرض عن المشركين**) : أي : عن الاهتمام باستهزائهم ، وعن المبالات بقولهم ، فقد برأك الله عما يقولون" .

قال الشوكاني رحمه الله [2]:

" أمره سبحانه بعد أمره بالصدع بالإعراض وعدم الالتفات إلى المشركين ، فقال (**وأعرض عن المشركين**) أي : لا تبال بهم ، ولا تلتفت إليهم إذا لاموك على إظهار الدعوة".[3]

---

[1] تفسير القرطبي : 10 / 61 .

[2] فتح القدير : 3 / 144 ، وانظر : البيضاوي : 382/3.

[3] ومن المعاني التي ذكرت لهذه الآية كف اليد وعدم الانتقام منهم ، ولا مانع من شمول الآية لهذه المعاني كلها ، وقد ذكر أبو السعود هذين المعنيين جميعاً في تفسيره فقال 5 / 92 : (وأعرض عن المشركين : أي : لا تلتفت إلى ما يقولون ، ولا تبال بهم ، ولا تتصد للانتقام منهم) ، وهذا دليل آخر أيضاً على أنه مع أمره بالكف عن جهادهم طولب بالصدع بالحق بينهم ! .

وفي هذا دلالة على أن المسلم مطالب بأن لا يلتفت إلى ما يقوله الكفار في حال صدعه بالحق من وصفهم له بالإرهابي ، أو العنصري ، أو المتطرف ، أو المتشدد ، أو الدموي ، أو غيرها من الأوصاف التي نعتوا بها أهل الإسلام في هذا الزمان**!**.

الوجه الرابع : أن هذه الآية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم في أول بعثته في مكة ، بعد ثلاث سنوات من الدعوة ، وقد قيل : إن أصحابه يوم نزلت لم يزيدوا على أربعين .

قال ابن هشام رحمه الله [1]:

" وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه ، ثم قال الله تعالى له (**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**) ، وقال تعالى (**وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، وقل إني أنا النذير المبين**) ، معنى اصدع بما تؤمر : قال ابن هشام : اصدع : فرّق بين الحق والباطل " .

وقال ابن القيم رحمه الله [2]:

" وأقام بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلى الله سبحانه مستخفيا ، ثم نزل عليه (**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**) ؛ فأعلن بالدعوة ، وجاهر قومه بالعداوة ، واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين ، حتى أذن الله لهم بالهجرتين ".

فقد أمره الله سبحانه بالصدع بالحق على ضعف أصحابه وقلتهم ، وتسلط كفار مكة وجبروتهم وشدة أذاهم على المسلمين ، وكونهم بين ظهراني الكفار وتحت سلطانهم .

فكيف بمن هم في بلاد المسلمين ، و ليسوا في بلاد الكفار ، ولا تحت سلطانهم ، ولم يصل إليهم من الأذى عشر معشار ما حصل للصحابة من كفار مكة[3] ؟! .

---

[1] السيرة النبوية : 97/2 .

[2] زاد المعاد : 1 / 86 .

[3] ونحن هنا لا نطالبهم بالصدع بالحق ، بل نطالبهم بترك قول الباطل !!.

الدليل الثاني

قوله تعالى (فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون)

وتتضح الدلالة من هذه الآية على بطلان ما في بيان المثقفين من أربعة وجوه أيضاً:

الوجه الأول : قوله تعالى (**فلا تطع المكذبين**) فنهى الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يطيع المكذبين – وهم كفار مكة – بما فيه خلاف الحق :

قال القرطبي رحمه الله [1]:

" نهاه عن ممايلة المشركين ، وكانوا يدعونه إلى أن يكف عنهم ليكفوا عنه ، فبين الله تعالى أن ممايلتهم كفر ، وقال تعالى (**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلاً**)".

قال الشوكاني رحمه الله [2]:

" (**فلا تطع المكذبين**) : نهاه سبحانه عن ممايلة المشركين – وهم رؤساء كفار مكة – لأنهم كانوا يدعونه إلى دين آبائه فنهاه الله عن طاعتهم ، أو هو تعريض بغيره عن أن يطيع الكفار ، أو المراد بالطاعة مجرد المداراة بإظهار خلاف ما في الضمير ، فنهاه الله عن ذلك".

وقال أبو السعود رحمه الله في قوله تعالى (**فلا تطع المكذبين**) [3]:

" تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم ، أي : دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم ، وتصلب في ذلك ، أو نهى عن مداهنتهم ومداراتهم بإظهار خلاف ما في ضميره صلى الله عليه وسلم استجلابا لقلوبهم[4] لا عن طاعتهم كما ينبيء عنه قوله تعالى (ودوا لو تدهن) فإنه تعليل للنهي أو الانتهاء ، وإنما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير ، أي : أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور ، (فيدهنون) أي : فهم يدهنون حينئذ ، أو فهم الآن يدهنون طمعا في ادهانك " .

---

[1] تفسير القرطبي : 230/18.

[2] فتح القدير : 268/5.

[3] تفسير أبي السعود : 9 / 13 ، وذكر نحواً من هذا الألوسي في (روح المعاني) : 26/29.

[4] انظر إلى كلامه هنا : نهي عن مداهنتهم ومداراتهم بإظهار خلاف ما في ضميره استجلاباً لقلوبهم !! فإن كثيراً من أصحاب (المصالح المزعومة) صاروا يدعون بطرق غير مشروعة استجلاباً لقلوب الناس !.

فهذا يدل على تحريم طاعة الكفار في ما فيه خلاف الحق ، حتى لو كانت هذه الطاعة في (مصلحة الدعوة) ! ، ولو نتج عنها الكف عنه ، كتسمية الجهاد إرهاباً ، والبراءة من الكفار (صداماً) و (صراعاً) ، ونبذ البراءة من الكفار (تعايشاً) و (سلاماً) ، وغير ذلك .

الوجه الثاني : قوله تعالى (**ودوا لو تدهن فيدهنون**) : والادهان : اللين والمصانعة ، فبيّن الله سبحانه وتعالى هنا أن (كفار مكة) ودوا لو أن محمداً صلى الله عليه وسلم لان لهم وصانعهم ، وقد نهاه الله سبحانه عن ذلك :

قال أبو المظفر السمعاني رحمه الله [1]:

"وقوله (**ودوا لو تدهن فيدهنون**) أي : تضعف في أمرك فيضعفون ، أو تلين لهم فيلينون. والمداهنة : معاشرة في الظاهر ومحالمة بغير موافقة الباطن ."

وقد ذكر القرطبي رحمه الله تعالى عدداً من الأقوال في معنى هذه الآية ثم قال [2]:

" قلت : كلها إن شاء الله صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى ؛ فإن الادهان : اللين والمصانعة ، وقيل : مجاملة العدو ممايلته ، وقيل : المقاربة في الكلام والتليين في القول.

...قال المبرد : يقال : أدهن في دينه وداهن في أمره ، أي : خان فيه وأظهر خلاف ما يضمر . وقال قوم : داهنت بمعنى واريت ، وأدهنت بمعنى غششت ".

فنهاه الله سبحانه أن يجاملهم في دينه ويصانعهم ويداهنهم ، ولا يأتي هذا إلا بتغيير بعض الشريعة ؛ بذكر ما يحبون ، أو بترك ما يكرهون .

الوجه الثالث : أن الله سبحانه في قوله (**ودوا لو تدهن فيدهنون**) : ذكر أمرين تدل على وجود (مصلحة الدعوة[1] (!) التي قد تنتج بمداهنة الكفار) :

---

[1] تفسير السمعاني : 20/6.

[2] تفسير القرطبي : 18 / 230 ، وقد ذكر اثني عشر قولاً ، وذكر ابن العربي في أحكام القرآن عشرة أقوال ، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير سبعة أقوال ، منها : لو ترخص فيرخصون ، ومنها : لو صانعتهم في دينك فيصانعون في دينهم ، ومنها : لو تكفر فيكفرون ، ومنها : لو تلين فيلينون ، ومنها : لو تنافق فينافقون ، و نحو هذه المعاني ، وكل هذه الأقوال –كما قال القرطبي رحمه الله – صحيحة ، فإن كل واحد من هؤلاء إنما ذكر مثالاً على الادهان ، والآية تعمها ، وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في مثل هذا الاختلاف في التفسير (337/13): " الصنف الثاني : أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع ، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه... فكل قول فيه ذكر نوع داخل في الآية ذكر لتعريف المستمع بتناول الآية له وتنبيهه به على نظيره ؛ فإن التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطلق ، والعقل السليم يتفطن للنوع".

الأول : قوله (**ودوا**) : يعني الكفار ، وهذا يبين أنهم يتمنون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجاملهم ويصانعهم ، مع أنهم أهل التسلط والقوة ، وهذا في نظر بعض أهل العصر (مكسب)! .

الثاني : قوله (**فيدهنون**) : وهذا يدل على أن نتيجة (الادهان) معهم (متحققة قطعاً) ؛ لأن الله سبحانه ذكر– ومن أصدق من الله حديثاً – أنهم لو جاملهم النبي صلى الله عليه وسلم في دينه ، فسيجاملونه أيضاً ، فهذه (مصلحة)[2] قد يراها العبد ليخفف من العناء والابتلاء !.

ومع أن نتيجة الادهان معهم معروفة سلفاً ، وستحقق هذه المصلحة ، فيقوم الكفار برد (المجاملة) ، إلا أن الله سبحانه نهاه عن ذلك .

فكيف بمن لا يعرفون هل (مداهنتهم) للكفار ستحقق لهم شيئاً مما يريدونه ؟!.

الوجه الرابع : أن هذه الآيات نزلت في (مكة) في وقت الاستضعاف ، وشدة الابتلاء ، وتسلط الكفار على المسلمين ، ومع حاجة المسلمين لما يخفف عنهم[3] ، ومع هذا نهاه الله سبحانه عن مصانعة الكفار ولو كان ذلك من أجل تخفيف عناء المسلمين ، أو مصلحة الدعوة!! .

---

[1] لا أعني هنا المصلحة الحقيقية لأنها باتباع القرآن وطاعة الله سبحانه ، وإنما أعني بها (المصالح الموهومة) التي امتلأ بها عصرنا ، فصاروا يخالفون النصوص بدعوى (مصلحة الدعوة) !.

[2] تأمل هذه الآية جيداً ، ثم انظر في فرح واغتباط بعض الموقعين على بيان المثقفين بكلام بعض كفار أمريكا لما أعجبوا ببيانهم !! ، ووضعوه في (أصداء البيان) .

[3] ذكر الجمل في حاشيته على الجلالين أن سورة القلم كانت السورة الثالثة بعد سورة العلق والمدثر .

الدليل الثالث

قوله تعالى (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ، إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا)

وقد اختلف في سبب نزول هذه الآيات :

فقيل : كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود في طوافه فمنعته قريش ، وقالوا : لا ندعك تستلم حتى تلم بآلهتنا ولو بأطراف أصابعك ، فحدث نفسه وقال : " ما علي أن ألم بها بعد أن يدعوني أستلم الحجر والله يعلم أني لها كاره " .

وقيل : نزلت في وفد ثقيف أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه ، وقالوا : متعنا بآلهتنا سنة حتى نأخذ ما يهدى لها ، فإذا أخذناه كسرناها وأسلمنا ، وحرّم وادينا كما حرمت مكة حتى تعرف العرب فضلنا عليهم ، فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك ، فنزلت هذه الآية .

وقيل : إن أكابر قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : اطرد عنا هؤلاء السقاط والموالي حتى نجلس معك ونسمع منك ، فهمّ بذلك حتى نهي عنه .

وقيل : إن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ، فقالوا : إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس ، وأنت سيدنا يا سيدنا ، ومازالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون .[1]

---

[1] انظر هذه الأقوال وغيرها في : تفسير الطبري : 8/ 118 ، الدر المنثور : 4 /214 ، تفسير السمعاني : 264/3 ، تفسير القرطبي : 300/10 ، زاد المسير : 67/5 ، أضواء البيان : 3/ 619.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى بعد أن ذكر جملة من الأقوال في سبب نزولها [1]:

"إلى غير ذلك من الأقوال في سبب نزولها ، وعلى كل حال فالعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب ، ومعنى الآية الكريمة : أن الكفار كادوا يفتنونه ، أي : قاربوا ذلك ، ومعنى يفتنونك : يزلونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره مما لم نوحه إليك . قال بعض أهل العلم : قاربوا ذلك في ظنهم لا فيما نفس الأمر . وقيل : معنى ذلك أنه خطر في قلبه صلى الله أن يوافقهم في بعض ما أحبوا ليجرهم إلى الإسلام لشدة حرصه على إسلامهم".

وقال الشوكاني رحمه الله [2]:

" (**وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك**) ... قاربوا أن يخدعوك فاتنين ، وأصل الفتنة الاختبار ومنه فتن الصائغ الذهب ثم استعمل في كل من أزال الشيء عن حده وجهته ؛ وذلك لأن في إعطائهم ما سألوه مخالفة لحكم القرآن ، وافتراء على الله سبحانه ؛ من تبديل الوعد بالوعيد ، وغير ذلك ، (**عن الذي أوحينا إليك**) : من الأوامر والنواهي ، والوعد والوعيد ، (**لتفتري علينا غيره**) : لتتقول علينا غير الذي أوحينا إليك مما اقترحه عليك كفار قريش ، (**وإذا لاتخذوك خليلا**) : أي لو اتبعت أهواءهم لاتخذوك خليلا لهم ؛ أي : والوك وصافوك ، مأخوذ من الخلة بفتح الخاء ، (**ولولا أن ثبتناك**) : على الحق وعصمناك عن موافقتهم ، (**لقد كدت تركن إليهم**) : لقاربت أن تميل إليهم أدنى ميل ، والركون : هو الميل اليسير ؛ ولهذا قال (**شيئا قليلا**) : لكن أدركته صلى الله عليه وآله وسلم العصمة فمنعته من أن يقرب من أدنى مراتب الركون إليهم ، فضلا عن نفس الركون ، ... ثم توعده سبحانه في ذلك أشد الوعيد فقال (**إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات**) أي : لو قاربت أن تركن إليهم ، أي : مثلي ما يعذب به غيرك ممن يفعل هذا الفعل في الدارين ، والمعنى : عذابا ضعفا في الحياة ، وعذابا ضعفا في الممات ، أي : مضاعفا ".

فبالتأمل في هذه الآيات وما قيل في سبب نزولها ومعناها نجد ما يلي :

---

[1] أضواء البيان : 619/3 .

[2] فتح القدير : 247/3.

أولاً : أن ما قيل في محاولة الكفار ليفتنوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن بعض ما أنزل الله كلها في (باب مصلحة الدعوة) ؛ فإن طلب الكفار – لو تأملته – لو أطاعهم الرسول صلى الله عليه وسلم فيه ؛ فإنما سيطيعهم من أجل تأليفهم على الإسلام وكسبهم ، أو على الأقل تحييدهم ! .

كما قال ابن قتيبة رحمه الله [1]:

" وكاد يجيب المشركين إلى شيء مما أرادوه يتألفهم بذلك ؛ فأنزل الله عز وجل (**ولولا أن ثبتناك لقد كدت لتركن إليهم شيئا قليلا ، إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا**) ".

ثانياً : أن الله سبحانه وتعالى جعل تغيير بعض الشريعة من أجل (تأليف الكفار) : افتراء على الله ، فقال (**لتفتري علينا غيره**) .

ثالثاً : أن الله سبحانه أخبر أن نتيجة هذا (الافتراء) – لو حصل ووقع – متحققة و (إيجابية) من جانب الكفار ، فقال (**وإذا لاتخذوك خليلا**) ، فبين أنه لو أطاعهم في (بعض الأمر) لصافوه ووالوه واتخذوه خليلاً ، وهذا قد يكون (مكسباً) لأن الخليل يطيع خليله فيدعون بعد ذلك إلى الإسلام ! ومع هذا حذر منه أشد التحذير!.

رابعاً : أن الله سبحانه حذر من مجرد (الركون القليل) إلى الكفار – وهو لو وقع ففي سبيل الدعوة إلى الله – فإن النبي صلى الله عليه وسلم حياته دعوة ، فقال (**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً**) .

خامساً : أن الله سبحانه توعد نبيه صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم من ذلك بأنه لو ركن إليهم (شيئاً قليلاً) لأذاقه ضعف الحياة وضعف الممات ثم لم يجد له من دون الله نصيراً ، وهو من باب التنبيه على غيره ، فإذا كان هذا الكلام موجهاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فغيره من باب أولى !.

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله [1]:

---

[1] تأويل مختلف الحديث : 159 .

"فأخبر تعالى أنه لولا تثبيته لرسوله صلى الله عليه وسلم لركن إلى المشركين شيئاً قليلاً ، وأنه لو ركن إليهم لأذاقه الله عذاب الدنيا والآخرة مضاعفاً ، ولكنَّ الله ثبته فلم يركن إليهم ، بل عاداهم وقطع اليد منهم . ولكن إذا كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته ، فغيره أولى بلحوق الوعيد به ".

[1] سبيل النجاة والفكاك : ص 50 .

الدليل الرابع

قوله تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات :

" يقول تعالى (**ولو تقول علينا**) أي : محمد صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفترياً علينا ؛ فزاد في الرسالة ، أو نقص منها ، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة ؛ ولهذا قال تعالى (**لأخذنا منه باليمين**) قيل : معناه لانتقمنا منه باليمين ؛ لأنها أشد في البطش ، وقيل : لأخذنا بيمينه ، (**ثم لقطعنا منه الوتين**) قال ابن عباس : هو نياط القلب ، وهو العرق الذي القلب معلق فيه ".

وقال ابن حزم رحمه الله تعالى بعد كلام[1]:

" وقد توعد الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على هذا أشد الوعيد ، فكيف على من دونه ؟ ، قال تعالى (**ولو تقول علينا بعض لأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين**) ، فصح أن من قال في الدين بقول أضافه إلى الله تعالى فقد كذب وتقول على الله تعالى الأقاويل ".

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى [2]:

" ليبين سبحانه أنه ينتقم ممن يكذب في الرسالة كائنا من كان ، وأنه لو قدر أنه غير الرسالة لانتقم منه".

والمقصود أن الرسول صلى الله عليه وسلم لو تقوّل – وحاشاه – على الله سبحانه (بعض) الأقاويل – ولو قلّت – لعاقبه الله سبحانه وتعالى بما ذكر في هذه الآيات ، ومن المعلوم أن

---

[1] الإحكام في أصول الأحكام : 5 / 116.

[2] الاستغاثة 2/ 464 .

الرسول صلوات الله عليه لو فعل مثل ذلك – من باب فرض الممتنع – فإنما سيفعله لما يراه من (مصلحة الدعوة) و (تأليف الكفار على الإسلام) !.

فهذا دليل على تعظيم القول على الله سبحانه بالباطل ، وتغيير شرعه ، وتحريف كلامه ، ولو كان هذا الأمر في (مصلحة الدعوة) –كما يزعم بعضهم – ، و نسبة ما لم يشرعه إليه ، أو نفي ما شرعه عنه ، كله من باب (التقول على الله) [1].

---

[1] وأنبه إلى أن هذه الآيات مكية ، يعني في وقت الاستضعاف والأمر بكف الأيدي !.

الدليل الخامس

آيات البلاغ

وذلك نحو قوله تعالى (**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**) ، وقوله تعالى (**الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله**) ، وقوله على لسان أكثر من رسول (**أبلغكم رسالات ربي**) ، وقوله تعالى في أكثر من آية (**فإنما عليك البلاغ**) ، وقوله تعالى (**أنما على رسولنا البلاغ المبين**) ، وقوله تعالى في أكثر من آية (**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**) ، وقوله تعالى (**إن عليك إلا البلاغ**).

وهذه الآيات تدل على بطلان ما في بيان المثقفين من وجوه :

الوجه الأول :إن الله سبحانه وتعالى قصر عمل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على البلاغ كما في قوله (**وما على الرسول إلا البلاغ**) ، (**إن عليك إلا البلاغ**) ، (**أنما على رسولنا البلاغ**) ، ونحوها من الآيات ، والبلاغ والتبليغ هو الإيصال ، فهم يوصلون ما يوحى إليهم إلى الناس ، ولو زادوا في ذلك ، أو نقصوا ، أو غيروا ، لأخل ذلك بأمانة التبليغ ، فليس عليهم إلا إيصال ما شرع الله سبحانه كما جاء ، وأما هداية الناس فليست لهم ، بل إلى الله سبحانه ، فلا يجوز أن يغير شرع الله أو يزاد فيه أو ينقص بقصد السعي لهداية الخلق **!** .

قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد أن ذكر مجموعة من آيات البلاغ وطاعة الرسول [1]:

" و المعنى المتقدم من أن الرسول ليس عليه إلا ما أمر به من البلاغ المبين ، و الجهاد ، وليس عليه جزاء العباد ، ولا حسابهم ، ولا هدايتهم ، قد كرر في القرآن في مواضع".

الوجه الثاني : أن الله سبحانه قال لنبيه : (**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**) .

قال ابن جرير رحمه الله [2]:

---

[1] الاستغاثة : 236/1.

[2] تفسير الطبري : 4/ 646 .

"وهذا أمر من الله تعالى ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قص الله تعالى قصصهم في هذه السورة ، وذكر فيها معايبهم ، وخبث أديانهم ، واجتراءهم على ربهم ، وتوثبهم على أنبيائهم ، وتبديلهم كتابه ، وتحريفهم إياه ، ورداءة مطاعمهم ومآكلهم ، وسائر المشركين غيرهم ؛ ما أنزل عليه فيهم من : معايبهم ، والإزراء عليهم ، والتقصير بهم ، والتهجين لهم ، وما أمرهم به ونهاهم عنه ، وأن لا يشعر نفسه حذرا منهم أن يصيبه في نفسه بمكروه ما قام فيهم بأمر الله ، ولا جزعاً من كثرة عددهم وقلة عدد من معه ، وأن لا يتقى أحداً في ذات الله ؛ فإن الله تعالى كافيه كل أحد من خلقه ، ودافع عنه مكروه كل من يبغي مكروهه ، وأعلمه تعالى ذكره أنه إن قصر عن إبلاغ شيء مما أنزل إليه إليهم فهو في تركه تبليغ ذلك – وإن قل ما لم يبلغ منه – فهو في عظيم ما ركب بذلك من الذنب بمنزلته لو لم يبلغ من تنزيله شيئا".

قلت : فقد ذكر أنه لو ترك في التبليغ شيئاً – ولو قل – فكأنما لم يبلغ التنزيل كله ، وهذا في (كتمان الحق) فقط ، فإذا أضيف إلى ذلك (قول الباطل) فهو أعظم كما سبق في المقدمة من الفصل الأول فراجع ما ذكر هناك .

وللشوكاني رحمه الله تعالى كلام جميل على هذه الآية ؛ إذ ألحق علماء هذه الأمة بالرسول صلى الله عليه وسلم في العصمة من الناس إذا بلغوا عنه ، حيث قال [1]:

"وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمته ما نزل إليهم وقال لهم في غير موطن (هل بلغت) فيشهدون له بالبيان ، فجزاه الله عن أمته خيرا ، ثم إن الله سبحانه وعده بالعصمة من الناس دفعا لمن يظن أنه حامل على كتم البيان ، وهو خوف لحوق الضرر من الناس ، وقد كان ذلك بحمد الله ؛ فإنه بين لعباد الله ما نزل إليهم على وجه التمام ، ثم حمل من أبى من الدخول في الدين على الدخول فيه طوعا أو كرها ، وقتل صناديد الشرك ، وفرق جموعهم ، وبدد شملهم ، وكانت كلمة الله هي العليا ، فأسلم كل من نازعه ممن لم يسبق فيه السيف العذل ، حتى قال يوم الفتح لصناديد قريش وأكابرهم : (ما تظنون أني فاعل بكم) فقالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : (اذهبوا فأنتم الطلقاء). وهكذا من سبقت له العناية من علماء هذه الأمة ؛ يعصمه الله من الناس إن قام ببيان حجج الله ، وإيضاح براهينه ،

[1] فتح القدير : 2 / 59 .

وصرخ بين ظهراني من ضاد الله وعانده ولم يمتثل لشرعه ؛ كطوائف المبتدعة ، وقد رأينا من هذا في أنفسنا ، وسمعنا منه في غيرنا ، ما يزيد المؤمن إيمانا وصلابة في دين الله ، وشدة شكيمة في القيام بحجة الله ، **وكل ما يظنه متزلزلو الأقدام ، ومضطربو القلوب ، من نزول الضرر بهم ، وحصول المحن عليهم ، فهو خيالات مختلة ، وتوهمات باطلة ؛ فإن كل محنة في الظاهر هي منحة في الحقيقة** ؛ لأنها لا تأتي إلا بخير في الأولى والأخرى ، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد".

الوجه الثالث : إن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه أيضاً (**الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله**) : لما علم الله سبحانه أن تبليغ الرسالة قد يحدث بعض الأمور التي تولد في النفس الخشية والخوف من غيره ، كحدوث الابتلاء ، أو الرمي بالتهم والنقائص ، ونحو ذلك ، أثنى على الذين يبلغون رسالته ويخشونه ولا يخشون أحداً غيره :

قال ابن كثير رحمه الله [1]:

"يمدح تبارك وتعالى (**الذين يبلغون رسالات الله**) أي : إلى خلقه ، ويؤدونها بأماناتها ، (**ويخشونه**) أي : يخافونه ولا يخافون أحدا سواه ، فلا تمنعهم سطوة أحد من إبلاغ رسالات الله تعالى".

الوجه الرابع : أن علماء الأمة الإسلامية هم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم المخاطبون بالتبليغ بعده ، وما قيل في السابق من أمانة التبليغ يقال فيهم ، ففي الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (**بلغوا عنى ولو آية**) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (**ليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع**) ، وقال صلى الله عليه وسلم (**نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه ، فرب حامل غيره فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**) .

وهنا لا بد من التفريق بين أمرين :

الأمر الأول :

[1] تفسير ابن كثير : 493/3 .

طبيعة التبليغ : وهي طريقة الدعوة إلى الشرع ، فهذه مسألة تختلف باختلاف الأحوال والأزمان والأماكن والأشخاص ، وتختلف باختلاف قوة المسلمين وضعفهم ، وباختلاف طبيعة المدعو ، فقد تكون بالكلمة أو الخطبة أو الموعظة أو الرسالة أو الكتاب أو الزيارة ونحو ذلك ، وقد تكون بالحكمة أو بالموعظة الحسنة أو بالجدال بالتي هي أحسن ، وقد تكون بالجلاد بالسيوف ، فهذه كلها موكولة إلى اجتهادات أهل العلم المقيدة بالكتاب والسنة[1] .

الأمر الثاني :

طبيعة المبلَّغ : وهو الشرع نفسه ، فهذا لا يلحقه اجتهاد ، فلا يجوز الزيادة فيه ، ولا النقصان[2] ، ولا التغيير ، ولا التحريف ، ولو كان بقصد التأليف على الإسلام[3] ؛ لأن الدين قد كمل كما قال تعالى (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت لكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) ، وما لم يكن ديناً في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فليس اليوم ديناً[4] .

---

[1] على أن تكون الطرق مشروعة في الجملة ، فلا يجوز الدعوة بالطرق المبتدعة : كالدعوة بالغناء ، أو التمثيل ، أو المسرحيات ، ونحو ذلك مما أحدث في هذا الزمان ؛ لأن هذا لم يشرع أصلاً ولا وصفاً ، فطريقة التبليغ على قسمين :

الأول : ما انعقد سببه في وقت الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم ولم يكن ثمّ مانع منه ولم يفعلوه ، ففعله بعدهم بدعة .

والثاني : ما لم ينعقد سببه في وقتهم ، ففعله جائز إذا لم يدل على النهي عنه دليل خاص .

[2] هناك فرق بين النقصان والسكوت عن البيان ، فقد سبق أن ذكرت في المقدمات في الفصل الأول أنه يجوز السكوت عن بيان بعض الحق للتدرج في التعليم أو لبعض المصالح إذا كان الحق المسكوت عنه لا يترتب عليه عمل ونحو هذا ، فليس هذا من باب النقصان ، وإنما المقصود من النقصان هنا إنكار بعض شرائع الإسلام المعروفة كجهاد الطلب ، أو أحكام أهل الذمة ، أو الحدود ، أو بعضها ، أو بعض أحكام النساء ، ونحو ذلك .

[3] هذا لا يمنع من التدرج في الدعوة بأن يبدأ مع المدعو بالأهم فالأهم ، ولكن من غير تحريف ، ولا تغيير للشرع ، ولا زيادة فيه ، كما سبق في المقدمة الرابعة من الفصل الأول .

[4] وذلك أن بعضهم زعم أن طريقة الدعوة مجالها واسع ، وهذا لو صح فإنما في طريقة تبليغ الشرع ، وليس في طبيعة الشرع المبلَّغ ؛ فإن الشرع لا يجوز تغييره وتحريفه بدعوى التأليف كما هو واضح من الأدلة المذكورة !.

الدليل السادس

قوله تعالى (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون)

وهذه الآيات تدل على بطلان ما في بيان المثقفين من وجوه :

الوجه الأول : قوله تعالى (**فاستقم كما أمرت**) : فجعل الأمر بالاستقامة مقيدة بأمر الله سبحانه ، ولم يقل : فاستقم كما رأيت ، أو كما تراه من المصلحة ، أو حسب ما يقتضيه العصر ، أو بما يحسن صورة الإسلام ، أو بما يؤلف قلوب الكفار ، ونحو هذا مما سبق في الدليل الأول عند قوله تعالى (**فاصدع بما تؤمر**) ، وهذا يدل على أن الاستقامة على الدين – ومنه الدعوة إلى الله – إنما تكون مقيدة بأمر الله سبحانه لا بالأهواء والمصالح الموهومة!.

الوجه الثاني : قوله تعالى (**ولا تطغوا**) : والطغيان : مجاوزة الحد ، ومن تعدى أمر الله سبحانه فزاد في الشرع أو نقص أو حرّف فقد طغى ، ومن المعلوم أن هذا لو حصل من النبي صلى الله عليه وسلم – وحاشاه – فإنما سيكون في سبيل (مصلحة الدعوة) وتأليف الكفار ، قال ابن رجب رحمه الله [1]:

"وقال الله عز وجل (**فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير**) فأمره أن يستقيم ومن تاب معه ، وأن لا يجاوزوا ما أمروا به وهو الطغيان ، وأخبر أنه بصير بأعمالهم مطلع عليها ، قال تعالى (**فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم**) ، وقال قتادة : أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يستقيم على أمر الله ، وقال الثوري : على القرآن " .

وقال البيضاوي رحمه الله [2]:

" (**فاستقم كما أمرت**) لما بين أمر المختلفين في التوحيد والنبوة وأطنب في شرح الوعد والوعيد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما أمر بها ، وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين ، والأعمال

---

[1] جامع العلوم والحكم : ص 204 .

[2] تفسير البيضاوي : 3 / 266 .

من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما أنزل ، والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وإفراط مفوت للحقوق ونحوهما ، وهي في غاية العسر ؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام (شيبتني هود) ، (**ومن تاب معك**) أي : تاب من الشرك والكفر وآمن معك ... ، (**ولا تطغوا**) : ولا تخرجوا عما حد لكم ، (**إنه بما تعملون بصير**) : فهو مجازيكم عليه ، وهو في معنى التعليل للأمر والنهي ، وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو : قياس ، واستحسان".

الوجه الثالث : قوله تعالى : (**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار**) : والركون هو الميل ، ومنه : الادهان — وسبق الكلام عليه — قال القرطبي رحمه الله :

"(**ولا تركنوا**) : الركون : حقيقة الاستناد والاعتماد ، والسكون إلى الشيء ، والرضا به ، قال قتادة : معناه لا تودوهم ولا تطيعوهم ، وقال ابن جريج : لا تميلوا إليهم ، وقال أبو العالية : لا ترضوا أعمالهم ، وكله متقارب ، وقال ابن زيد : الركون هنا : الادهان [1]؛ وذلك ألا ينكر عليهم كفرهم ".

ومن الميل إليهم مشاركتهم في (شعورهم) بمصائبهم ، وإظهار مساندتهم ضد أعدائهم ، وتحريف النصوص لاسترضائهم !.

الوجه الرابع : أن من يركن إلى الكفار والظلمة إنما يفعل ذلك غالباً ابتغاء (التقوي بهم) ، أو (اتقاء شرهم) ، وهذه مصلحة موهومة ألغاها الله سبحانه ؛ فإنه تعالى – بعد أن نهى عن الركون إليهم – قال (**وما لكم من دون من أولياء ثم لا تنصرون**) ، قال ابن جرير رحمه الله تعالى[2]:

" وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم وولي يليكم ، (**ثم لا تنصرون**) يقول : فإنكم إن فعلتم ذلك لم ينصركم الله ، بل يخليكم من نصرته ، ويسلط عليكم عدوكم ".

---

[1] ونقل ابن كثير رحمه الله وغيره عن ابن عباس أن معنى (لا تركنوا) : لا تداهنوا ، ولا تضاد بين كل هذه المعاني ، فإنها من باب اختلاف التنوع لا التضاد ، والآية تشمل هذه المعاني كلها والله تعالى أعلم .

[2] تفسير الطبري : 7 /123 .

وقد ذكر الله سبحانه أن الركون إلى الكفار طلباً لنصرتهم ، أو اتقاء لشرهم إنما هي طريقة المنافقين فقال تعالى بعد أن نهى عن تولي اليهود والنصارى (**فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة**) .

الدليل السابع
سورة الكافرون

وهي قوله تعالى (**قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين**) .

وتسمى هذه السورة (سورة البراءة من الشرك) ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس في القرآن أشد غيظا لإبليس منها ؛ لأنها توحيد وبراءة من الشرك . وقال الأصمعي: كان يقال لـ (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد) : المقشقشتان ؛ أي : أنهما تبرئان من النفاق[1] ، وقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم أنه قرأ هاتين السورتين في ركعتي الفجر ، وفي ركعتي الطواف ، وفي المسند والسنن أنه قرأ بهما في ركعتي المغرب ، وفي المسند وغيره أنها براءة من الشرك[2] ، وورد أنها تعدل ربع القرآن ، واختلف في سبب نزولها :

فقيل : إن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله ؛ فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد شاركناك فيه وأخذنا بحظنا منه ، وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما بيدك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه . فأنزل الله هذه السورة.

وقيل : إنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو استلمت بعض هذه الآلهة لصدقناك ، فنزلت .

وقيل : قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : نحن نعطيك من المال ما تكون به أغنى رجل بمكة ، ونزوجك من شئت ، ونطأ عقبك – أي نمشي خلفك – ، وتكف عن شتم

[1] انظر تفسير القرطبي : 20 / 225.

[2] أسانيد بعض هذه الأحاديث فيها نظر إلا أن الاعتماد لم يكن عليها ، و كبار أهل العلم رحمهم الله قد يستشهدون بالأحاديث الضعيفة إذا أسسوا المسألة على النصوص الصريحة الصحيحة كشيخ الإسلام وغيره.

آلهتنا ، فإن لم تفعل فنحن نعرض عليك خصلة واحدة هي لنا ولك صلاح ؛ تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ، ونحن نعبد إلهك سنة ، فنزلت .[1]

وعلى جميع الأقوال ؛ فإنها تتفق في أنهم اشترطوا على الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الشروط للدخول معه في (دينه) ، وليس في (مجرد حوار وتعايش) ، فطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتنازل لهم عن دينه[2] أو عن شيء منه (وقتاً محدوداً) فيعاملونه بالمثل ، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله [3]:

"فهذه الروايات متطابقة على معنى و احد و هو أنهم طلبوا منه أن يدخل في شيء من دينهم ، و يدخلوا في شيء من دينه ".

فنزلت هذه السورة لتحقق البراءة منهم ومن دينهم ، ولتحقيق كمال المفاصلة بين المسلمين والكافرين ، وأنه لا يوجد بينهم أسس مشتركة يتقرب بها أحدهم إلى الآخر مطلقاً ، وأنه لا يجوز التنازل لهم عن شيء من (الدين) البتة ، ولو كان المسلمون مستضعفين ، و لو تحققت مع ذلك مصلحة دخولهم في الإسلام ؛ لأنهم – لو فعل ذلك وحاشاه – فسيدخلون دينه ، وإذا دخلوا في الإسلام فلن يتركوه في الغالب ؛ لأن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.

ووجوه تحقق البراءة منهم في هذه السورة كثيرة ، سأذكر منها خمسة :

الوجه الأول : أنه قال (**قل يا أيها الكافرون**) ، وفيها تحقيق للبراءة منهم من وجهين:

الأول : أنهم لما طلبوا منه أن يدخل في شيء من دينهم واجههم بالتصريح لهم بأنهم (**كافرون**) ، فهذا أمكن لليأس في قلوبهم من أن يوافقهم على شيء من دينهم[4].

الثاني : وهي نكتة بديعة نبه عليها ابن القيم رحمه الله تعالى حيث قال [5]:

"المسألة الثامنة : وهي إثباته هنا بلفظ (**يا أيها الكافرون**) دون : يا أيها الذين كفروا ، تفسيره – والله أعلم – إرادة الدلالة على أن من كان الكفر وصفا ثابتا لازما لا يفارقه فهو

---

[1] انظر هذه الأقوال وغيرها في : الدر المنثور : 8 / 654 ، القرطبي : 225/20 ، زاد المسير : 9 / 252 .

[2] ويدخل في التنازل عن الدين التنازل عن بعض شرائعه ، أو أصوله ، فترك بعض أصول الإسلام ، كتركه كله!.

[3] الفتاوى : 16 / 534 .

[4] مع التنبه إلى أن هذه السورة مكية وقت الاستضعاف !!.

[5] بدائع الفوائد : 1 / 146 .

حقيق أن يتبرأ الله منه ، ويكون هو أيضا بريئا من الله ، فحقيق بالموحد البراءة منه، فكان في معرض البراءة التي هي غاية البعد والمجانبة بحقيقة حاله التي هي غاية الكفر وهو الكفر الثابت اللازم في غاية المناسبة ، فكأنه يقول : كما أن الكفر لازم لكم ثابت لا تنتقلون عنه ، فمجانبتكم والبراءة منكم ثابتة دائما أبدا ؛ ولهذا أتى فيها بالنفي الدال على الاستمرار مقابلة الكفر الثابت المستمر وهذا واضح".

الوجه الثاني : تكرار نفي عبادة معبوداتهم ، مرة بصيغة المضارع (لا أعبد) ، ومرة باسم الفاعل (ولا أنا عابد) ، وهذا يفيد البراءة من معبوداتهم في جميع الأزمنة والأحوال ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [1]:

" فقوله (**لا أعبد**) : يتناول نفي عبادته لمعبودهم في الزمان الحاضر و الزمان المستقبل ، وقوله (**ما تعبدون**) : يتناول ما يعبدونه في الحاضر والمستقبل كلاهما مضارع ، و قال في الجملة الثانية عن نفسه (**ولا أنا عابد ما عبدتم**) فلم يقل : لا أعبد ، بل قال (**و لا أنا عابد**) ، و لم يقل : ما تعبدون ، بل قال (**ما عبدتم**) ، فاللفظ في فعله و فعلهم مغاير للفظ في الجملة الأولى ، و النفي بهذه الجملة الثانية أعم من النفي بالأولى ؛ فإنه قال (**و لا أنا عابد ما عبدتم**) بصيغة الماضي ، فهو يتناول ما عبدوه في الزمن الماضي ؛ لأن المشركين يعبدون آلهة شتى و ليس معبودهم في كل وقت هو المعبود في الوقت الآخر ، كما أن كل طائفة لها معبود سوى معبود الطائفة الأخرى ، فقوله (**و لا أنا عابد ما عبدتم**) : براءة من كل ما عبدوه في الأزمنة الماضية ، كما تبرأ أولا مما عبدوه في الحال و الاستقبال ، فتضمنت الجملتان : البراءة من كل ما يعبده المشركون و الكافرون في كل زمان : ماض ، و حاضر ، و مستقبل ...إلى أن قال عن الآية الثانية : ففي هذا من عموم عبادتهم في الماضي و المستقبل و من قوة براءته و امتناعه و عدم قبوله لهذه العبادة في جميع الأزمان ما ليس في الجملة الأولى ، تلك تضمنت نفي الفعل في الزمان غير الماضي ، و هذه تضمنت نفي إمكانه و قبوله لما كان معبودا لهم و لو في بعض الزمان الماضي فقط ، و التقدير : ما عبدتموه و لو في بعض الأزمان الماضية فأنا لا يمكنني و لا يسوغ لي أن أعبده أبدا ".

---

[1] الفتاوى : 16 / 552 ، وراجع بقية كلامه على هذه السورة هناك فإنه مهم تركت ذكره اختصاراً.

الوجه الثالث : قوله تعالى في نهاية السورة (**لكم دينكم ولي دين**) يدل على كمال المفاصلة بين المؤمنين والكافرين ، وأن لا مقارنة بينهم ، ولا أسس مشتركة تجمعهم[1] ، قال ابن القيم رحمه الله [2]:

" ما الفائدة في قوله (**لكم دينكم ولي دين**) ؟ وهل أفاد هذا معنى زائداً على ما تقدم ؟. فيقال في ذلك : من الحكمة – والله أعلم – أن النفي الأول أفاد البراءة ، وأنه لا يتصور منه ، ولا ينبغي له ، أن يعبد معبوديهم ، وهم أيضا لا يكونون عابدين لمعبوده ، وأفاد آخر السورة إثبات ما تضمنه النفي من جهتهم من الشرك والكفر الذي هو حظهم وقسمهم ونصيبهم ، فجرى ذلك مجرى من اقتسم هو وغيره أرضا ؛ فقال له : لا تدخل في حدي ، ولا أدخل في حدك ، لك أرضك ، ولي أرضي . فتضمنت الآية أن هذه البراءة اقتضت أنا اقتسمنا خطتنا بيننا ، فأصابنا التوحيد والإيمان فهو نصيبنا وقسمنا الذي نختص به ؛ لا تشركونا فيه[3] ، وأصابكم الشرك بالله والكفر به فهو نصيبكم وقسمكم الذي تختصون به ؛ لا نشرككم فيه ، فتبارك من أحيا قلوب من شاء من عباده بفهم كلامه ، وهذه المعاني ونحوها إذا تجلت للقلوب رافلة في حللها ؛ فإنها تسبي القلوب وتأخذ بمجامعها ، ومن لم يصادف من قلبه حياة فهي خود تزف إلى ضرير مقعد ، فالحمد لله على مواهبه التي لا تنتهي ونسأله إتمام نعمته ".

---

[1] كما يحاول دعاة التقريب بين الأديان أن يجعلوا هناك أسساً مشتركة بين الأديان من أجل الحوار والتعايش!!.

[2] بدائع الفوائد : 1 / 146 ، 147 .

[3] انظر إلى كمال تحقيق البراءة من الكفار ، وقارن هذا الكلام بقولهم في بيان المثقفين (مدركين أن مجموعة من المفاهيم في الأخلاق والحقوق والقضايا المعرفية هي قاسم مشترك مع الغرب ومؤهلة للتطوير الذي يصنع الأفضل لنا جميعاً وهذا يعني أننا نملك أهدافاً مشتركة) ، و (هذه الأسس هي ما نؤمن به، وأمرنا به ديننا، وتعلمناه من نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهي تتفق – بقدر مشترك – مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأمريكيون في بيانهم، ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية) .

أترى النبي صلى الله عليه وسلم غفل عن الأرضيات الجيدة من الأسس المشتركة بينه وبين كفار مكة؟!، فكلهم قرشيون من أب واحد ، وكلهم من بلد واحد ، وأصحاب لغة واحدة ، وبينهم مصاهرات وأنساب ، وكلهم يتفقون على بعض ما جاء عن إبراهيم عليه السلام من تعظيم البيت ، وبعض المناسك ، وتعظيم الله ، والشهر الحرام ، وغير هذا ، وهذه أسس مشتركة أكثر من الأسس التي ذكرها هؤلاء !!وكان المسلمون يحتاجون إلى ما يرفع عنهم المعاناة والابتلاء الحاصل من الكفار!!.

الوجه الرابع : أن آيات هذه السورة العظيمة تدل على كمال انقطاع العلائق بين المسلمين والكافرين بالكلية ، فكلها تسير على هذا النحو ، فأول آية تدل على مواجهة أولئك بكفرهم ، وأنهم من حزب آخر غير حزب المسلمين ، في الوقت الذي مد فيه أولئك الكفار وهم أهل السلطة أيديهم إلى المسلمين ليتفقوا على كلمة بينهم للدخول في دينهم ، ثم إن الأربع الآيات التالية لها تقوم على النفي : (**لا أعبد**) ، (**و لا أنتم عابدون**) ، (**ولا أنا عابد**) ، (**ولا أنتم عابدون**) ، وهذا فيه كمال التجرد من جميع دين الكفار ، وحفظ دين المسلمين من شيء من عبادتهم ، فلا يتشرف المسلمون بمشاركة أولئك الكفار لهم في شيء منها ، ثم ختم الآيات بقوله (**لكم دينكم ولي دين**) ، وهذا فيه كمال البراءة من دينهم كما في الوجه السابق.

الوجه الخامس : أن خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم للكفار بهذه السورة في مكة مع تسلطهم على المسلمين وما حصل عليه من الابتلاء يدل على كمال براءته منهم ومن معبوداتهم ، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله في ذكر بعض معاني هذه السورة العظيمة [1] :

"فلينظر العاقل في سبب براءتي من الشرك و ما أنتم عليه ، و اختياري به عداوتكم و الصبر على أذاكم ، و احتمالي هذه المكاره العظيمة ، بعد ما كنتم تعظموني غاية التعظيم ، و تصفوني بالأمانة ، و تسموني الأمين ، و تفضلوني على غيري ، و نسبي فيكم أفضل نسب ، و تعرفون ما جعل الله في من العقل و المعرفة و مكارم الأخلاق و حسن المقاصد و طلب العدل و الإحسان ، و أني لا أختار لأحد منكم سوءا ، و لا أريد أن أصيب أحدا بشر ، فاختياري للبراءة مما تعبدون ، و إظهاري لسبهم و شتمهم ؛ أهو سدى ليس له موجب أوجبه ؟ . فانظروا في ذلك ، ففي السورة دعاء و بعث للكفار إلى طلب الحق و معرفته ، مع ما فيها من كمال البراءة منهم ، و معانيها كثيرة شريفة يطول وصفها".

---

[1] الفتاوى : 16 / 561 .

الدليل الثامن
سورة عبس

وهي قوله تعالى (**عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى ، فأنت له تصدى ، وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى**) .

وقد ذكر المفسرون أن سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يناجي بعض صناديد قريش وقيل هم : عتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب ، وكان يتصدى لهم كثيراً ، ويحرص عليهم أن يؤمنوا ، فأقبل إليه عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه – وهو رجل أعمى – يمشي وهو يناجيهم ، فجعل عبد الله يستقريء النبي صلى الله عليه وسلم آية من القرآن ، وقال : يا رسول الله ، علمني مما علمك الله. فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه ، وأقبل على الآخرين ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ ينقلب إلى أهله أنزل الله عليه (**عبس وتولى الآيات**) .[1]

فتأمل هذه السورة جيداً وانظر فيما يلي :

أولاً : أن رسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو صناديد قريش إلى الإسلام .

ثانياً : أن دخول هؤلاء في الإسلام سيكون مكسباً للمسلمين ، فسيدخل أتباعهم في الإسلام تبعاً لهم ، وسيخف البلاء ؛ وقد يزول كلية عن المستضعفين!.

ثالثاً : أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتنازل لهم عن شيء من الدين مطلقاً ، بل دعاهم إلى الدين الذي أنزله الله إليه .

رابعاً : أن ابن أم مكتوم رضي الله عنه من ضعفاء المسلمين ، وليس له أتباع ، ولا يحتاج إلى دعوة ، ولا تأليف.

خامساً : أن ما كان يسأل عنه لا يفوت بفوات هذا الوقت .

---

[1] ذكر هذه القصة بألفاظ متقاربة جميع المفسرين تقريباً في تفسير هذه السورة .

ومع هذا كله :

لما تولى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو تولٍ مؤقت بسبب هذه الحال من حرصه على دعوة الكفار ، ولم يوال الكفار ضده وحاشاه ، وما رآه ظنه من (مصلحة الدعوة) ، ولكن الله سبحانه عاتبه ، ونزل في هذا قرآن يتلى إلى يوم القيامة .

وتأمل في قوله تعالى (**عبس وتولى**) فإنه عتاب من الله سبحانه لأكرم الخلق عليه ، وأحبهم له ، سيد ولد آدم ، صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، صلوات الله وسلامه عليه .

وتأمل في قوله تعالى : (**أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى**) ، فإنها في حق رجل مسلم ، أعمى ، ضعيف ، ليس له أتباع ، رضي الله عنه ، فهذه الآيات تدل على أن القيام بحقه أعظم من دعوة أولئك – ولو كانوا من كبراء الكفار – إلى الإسلام.

وتأمل في قوله تعالى (**أما من استغنى**) : أي من الكفار الذين أظهروا الاستغناء عن الإسلام ، (**فأنت له تصدى**) : وما ذلك إلا لحرصه على دعوتهم إلى الإسلام .

وتأمل في قوله مرة أخرى عن ذلك المسلم : (**وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى**) .

فعند تقابل الطرفين هنا ، فلا بد من تقديم حق (من يخشى) من المسلمين ولو كان ضعيفاً ليس له أتباع ، على حق (من استغنى) ولو كان غنياً له أتباع ولو كانوا يدعون !.

وهذا فيه تحقيق أمرين : كمال موالاة المؤمنين ، وكمال البراءة من الكافرين .

فتأمل في عتاب الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم مع أنه كان في أمر الدعوة إليه ، وسيتحقق بدعوته هذه لو نجحت مكاسب عظيمة ، ومع هذا نزلت هذه السورة !.

قارن أخي المسلم بين ما سبق ، وبين ما يلي مما ورد في بيان المثقفين :

أولاً : أن ذلك البيان (تصدى) لـ (من استغنى) من كفار أمريكا ، و مع ذلك فليس فيه حرف واحد في الدعوة إلى الإسلام أو التوحيد !.

ثانياً : ومع أنهم ليس عليهم تثريب في (أن لا يتزكى) أولئك الكفار – لو كان البيان دعوة إلى الإسلام – ، ومع ذلك فإن البيان : حرّف نصوصاً ، وأظهر موالاة الكفار ،

ومشاركتهم في شعورهم في مصائبهم ، وأنكر الجهاد في سبيل الله ، ونحو ذلك مما جاء في البيان ، في لغة استرضائية لـ (من استغنى).

ثالثاً : أن (من جاء يسعى ، وهو يخشى) من الذين حاولوا نصرة الإسلام باجتهادهم من المجاهدين – أصابوا أو أخطأوا – فإن البيان لم (يعبس) في وجوههم فحسب ، ولم (يتول) عنهم فحسب ، ولم (يتله) عنهم فحسب ، بل تكلم فيهم ، ووالى الكفار ضدهم ، وأقر الكفار على تسميتهم لهم بالإرهابيين ، فذكر للكفار أنهم معنيون بالحرب على الإرهاب سواء جاء من مسلمين أو غير مسلمين ، وأن جنايتهم فردية لا يؤاخذون بها!!.

رابعاً : أن هذا البيان كان في وقت اشتدت فيه سطوة (من استغنى) من الكفار على (من يخشى) من المجاهدين والمسلمين .

فمن قارن بين الموقفين ، وبينهما ما بين السماء والأرض ، لم يشك لحظة في أن هذا البيان أبعد ما يكون عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم !.

الدليل التاسع

قوله تعالى (واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا ، واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زهرة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ، وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)[1]

وقد قيل في سبب نزولها أقوال منها :

إنها نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود ، وليفرد أولئك بمجلس على حدة ، فنهاه الله عن ذلك فقال (**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية**) وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال (**وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**) .

وقيل : جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم – يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين ، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها – جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك فأنزل الله تعالى (**واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد دونه ملتحدا الآيات**).

وروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر ، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : أطرد هؤلاء لا يجترئون علينا. قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما ، فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع ، فحدث نفسه ، فأنزل الله عز وجل (**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**) [2].

[1] ومثلها الآية التي في سورة الأنعام وهي قوله تعالى (**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين**).

[2] انظر : تفسير القرطبي : 6 / 432 ، تفسير ابن كثير : 3 / 81 ، الدر المنثور : 5 / 380 .

وذكرت روايات أخرى مشابهة ، **وكلها تتفق على المعنى** :

وهو أن بعض الأشراف طلب من النبي صلى الله عليه وسلم شرطاً في سبيل الدخول معه في (**حوار**) ليدعوهم إلى الإسلام والنظر في دينه ، وهو أن يطرد ضعفاء المسلمين من مجلسه أو يجعل لهم وقتاً آخر.

وهذه الآيات عند التأمل تدل على بطلان ما في بيان المثقفين من وجوه ؛ منها :

الوجه الأول : قوله تعالى (**واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا**) ، فقد أمر الله سبحانه خير خلقه ، وأحرصهم على هداية الخلق ، أن يتلو ما أوحي إليه ، ولا يزيد ، ولا ينقص ، ولا يغير ، حتى لو كان في سبيل الدعوة ، وذكر سبحانه أنه لا مبدل لكلماته ، ولن يجد من دون الله سبحانه موئلا ، قال ابن جرير رحمه الله [1]:

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واتبع يا محمد ما أنزل إليك من كتاب ربك هذا ، ولا تتركن تلاوته واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه والعمل بحلاله وحرامه فتكون من الهالكين ؛ وذلك أن مصير من خالفه وترك اتباعه يوم القيامة إلى جهنم ، (**لا مبدل لكلماته**) يقول : لا مغير لما أوعد بكلماته التي أنزلها عليك أهل معاصيه والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناه إليك ، وقوله (**ولن تجد من دونه ملتحدا**) يقول : وإن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك فتتبعه وتأتم به ، فنالك وعيد الله الذي أوعد فيه المخالفين حدوده ، لن تجد من دون الله موئلا تئل إليه ، ومعدلا تعدل عنه إليه ؛ لأن قدرة الله محيطة بك وبجميع خلقه ، لا يقدر أحد منهم على الهرب من أمر أراد به ".

الوجه الثاني : قوله تعالى (**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**) وفي الآية الأخرى (**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**) :

فنهاه الله سبحانه وتعالى عن طرد هؤلاء ، ولو كان هذا الطرد لا يؤثر فيهم لقوة دينهم ، ولو كان لمصلحة الدعوة وتأليف الكفار ؛ فهذا شرط الكفار للدخول مع النبي صلى الله

---

[1] تفسير الطبري : 212/8.

عليه وسلم في (حوار) لدعوتهم إلى الإسلام! ، و النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليفعل ذلك لو فعله إلا لمصلحة الدعوة ، ورغبة في هداية أولئك ، كما قال القرطبي رحمه الله [1]:

" وكان النبي صلى الله عليه وسلم إنما مال إلى ذلك طمعاً في إسلامهم ، وإسلام قومهم ، ورأى أن ذلك لا يفوت أصحابه شيئا ، ولا ينقص لهم قدرا ، فمال إليه ، فأنزل الله الآية ، فنهاه عما هم به من الطرد ، لا أنه أوقع الطرد ".

ومع أنه لن يكون هناك مداهنة للكفار في هذا ، ولا تغيير للشريعة من أجلهم ، ولا موالاة لهم ضد المسلمين ، و لا تحريف للنصوص من أجلهم ، فقد نهاه الله سبحانه عن ذلك ، وأمره أن يصبر نفسه مع المؤمنين ولو لم يؤمن أولئك!.

الوجه الثالث : أن الله سبحانه قال (**ولا تعد عيناك عنهم تريد زهرة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**) :

قال ابن كثير رحمه الله [2]:

" وقوله (**ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا**) قال ابن عباس : ولا تجاوزهم إلى غيرهم ، يعني تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة ، (**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا**) أي : شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ، (**وكان أمره فرطا**) أي : أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع ، ولا تكن مطيعا له ولا محبا لطريقته ولا تغبطه بما هو فيه ".

ومع أن طاعة هؤلاء الكفار في هذه المسألة ستحقق مصلحة دعوية[3] من تأليفهم ، وتأليف أقوامهم الذين يتبعونهم ، ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم لن يغير في الشرع من أجل استرضائهم وتحبيبهم إلى الإسلام ، ومع أنه سيكل ضعفاء المسلمين إلى إيمانهم فلن يؤثر فيهم هذا العمل ، فقد نهاه الله سبحانه عن ذلك ، بل وذم الكفار الذين طلبوا هذه الأشياء وتوعدهم أشد الوعيد !.

---

[1] تفسير القرطبي : 431/6 .

[2] تفسير ابن كثير : 3 / 82 .

[3] أريد أن أنبه هنا إلى أن أي جملة ذكرت فيها (**مصلحة الدعوة**) في مقام الرد فلا أقصد بها المصلحة الحقيقية ، لأنها إذا كانت مصلحة حقيقية فسيعتبرها الشرع ، وإنما أقصد بها المصالح الدعوية الموهومة التي يقول بها كثير من الدعاة في وقتنا ، بحيث يخالفون النصوص الصريحة الصحيحة بحجة (مصلحة الدعوة) !!وقد سبق التنبيه على هذا.

وتأمل أخي المسلم آيتي الأنعام والكهف ، فإن هؤلاء الكفار اشترطوا هذا الشرط الميسر – الذي لا أثر له يذكر في الدعوة[1] – من أجل الدخول في (حوار) مع الرسول صلى الله عليه وسلم لدعوتهم إلى الإسلام ، وهذه مصلحة دعوية (ظاهرة) عند كثير من أهل زمننا ، ثم قارن هذا الأمر الذي نهى الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم عنه – وهو في سبيل الدعوة وتأليف الكفار – بما ورد في بيان المثقفين من مشاركة للكفار : (الذين أغفل الله قلوبهم عن ذكره وأتبعوا أهواءهم وكان أمرهم فرطا) في (شعورهم) في مصائبهم ، واحترامهم لهم ، وبيان قربهم منهم ، ودعوتهم للاعتراف بهم ، والتودد إليهم ، بل وتأييدهم على حربهم للمجاهدين (الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه[2]) تحت مسمى الإرهابيين!![3].

الوجه الرابع : أنه بعد أن نهى الله سبحانه نبيه عن قبول شرط الكفار هذا للدخول في (حوار) معه ، قال (**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) ، وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الذين اشترطوا هذا الشرط أن يقول لهم الحق كما جاءه من رب العالمين ، بلا زيادة ، ولا نقصان ، ولا تغيير ، ولا تحريف ، ولو كان هذا سيصدهم عن الدين ، فمن شاء منهم فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، ومن كفر فإن جزاءه مذكور في قوله بعد ذلك : (**إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ...الآية**) ، وهذا المطلوب ممن يريد الإقتداء بمحمد صلى الله عليه وسلم.

[1] أعني في بداية الأمر ، وإلا فبعد النهي عنه يكفي فيه من المفاسد مجرد مخالفة النهي !!.

[2] نحسبهم كذلك ، ومن صلى الخمس فإنه يدعو ربه بالغداة والعشي .

[3] هذا كله ، وليس في البيان حرف واحد فيه دعوة للكفار إلى الإسلام !!.

الدليل العاشر
قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

وقصته كما وردت في الصحيحين عن علي رضي الله عنه — في غزوة الفتح – قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد ، فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ؛ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها . فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، قلنا : أخرجي الكتاب . قالت : ما معي كتاب . قلنا : لتخرجن الكتاب ، أو لتلقين الثياب . قال : فأخرجت الكتاب من عقاصها ، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب ، ما هذا ؟.

قال : لا تعجل علي ، إني كنت أمرءاً ملصقاً في قريش ، ولم أكن من أنفسهم ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه صدقكم .

فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق . وفي رواية : فقد كفر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

ونزل في شأن حاطب رضي الله عنه قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل**

، إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم ألسنتهم وودوا لو تكفرون ، لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير)

قلت : تأمل أخي المسلم في قصة حاطب رضي الله عنه وفي هذه الآيات التي نزلت فيه وتأمل ما يلي :

أولاً : إن حاطباً رضي الله عنه من السابقين الأولين ، ومن المهاجرين ، ومن أهل بدر ، وبيعة الرضوان ، ومن أهل الجنة ، وممن ناصر الرسول صلى الله عليه وسلم في مشاهده ، وفضائله معروفة .

ثانياً : إنه رضي الله عنه ناصر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة كغيرها من الغزوات بنفسه وماله ، وهو صادق بار في ذلك .

ثالثاً : إن كتابه إلى المشركين إنما هو إفشاء لسر الرسول صلى الله عليه وسلم فقط ، كما ورد في هذا الحديث : (يخبرهم ببعض أمر الرسول صلى الله عليه وسلم) ، وليس فيه إعانة أو تأييد للكفار على المسلمين[1] ، بل ورد في السير أن نص هذا الكتاب :

"أما بعد ، يا معشر قريش ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش كالليل ، يسير كالسيل ، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده ، فانظروا لأنفسكم والسلام."[2] ، وهذا إلى التخويف والإرهاب لأعداء الله أقرب !.

رابعاً : إن ما فعله حاطب إنما فعله تأولاً ليحمي بعض (الأقليات) الموجودة في (مكة) من أعداء الله ؛ فقد علم أن الله مظهر دينه وناصر رسوله كما قال ، وهذا الكتاب لن ينتفع به المشركون كما جاء في بعض الروايات (وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئاً)، وستنتفع به تلك (الأقلية) في (مكة) .

---

[1] ففعل حاطب ها هنا يحتمل مظاهرة الكفار ، ويحتمل أن يكون دون ذلك ؛ فلما استفسر منه الرسول صلى الله عليه وسلم تبين أنه لم يظاهر الكفار عليه ، وقارن هذا بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع العباس رضي الله عنه لما قاتل مع المشركين في بدر فإن فعله لما لم يحتمل غير المظاهرة لم يقبل عذره ، وقد فصلت الكلام على هذا الأمر في (التبيان) و (الوقفات) فراجعهما إن شئت .

[2] فتح الباري : 7 / 520 .

قال الحافظ رحمه الله [1]: "وعذر حاطب ما ذكره ، فإنه صنع ذلك متأولاً ألاّ ضرر فيه ، وقد يكون تأول مع سلامة قرابته بذلك يلقي الله الرعب في قلوبهم فيسلموا مكة طائعين بلا قتال" .

خامساً : ومع هذا كله ؛ فقد استنكر الرسول صلى الله عليه وسلم فعله ، وسأله عن هذا الكتاب ، ودافع عن نفسه ، وذكر أنه متأول ، ونفى الكفر والردة ، واتهمه عمر رضي الله عنه بالنفاق ، ونزل فيه قوله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء** الآيات).

سادساً : إن مجرد مكاتبة حاطب لكفار مكة بسر الرسول صلى الله عليه وسلم – مع صدقه ، وصلاحه ، وجهاده ، وهجرته ، وتأوله ، وإرادته حماية أقاربه ، ويقينه بنصر الله للمسلمين ، وبغضه للكفار ، وقتاله لهم ، بل ومناصرته للرسول صلى الله عليه وسلم في نفس الغزوة التي أفشى سرها– جعله الله من موالاة الكفار فقال (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**) ، وقال : (**تلقون إليهم بالمودة**) فجعل كتابته إلى الكفار بهذا إلقاء بالمودة إليهم ، مع أنه صادق في نفي ما اتهم به ، كما قال القرطبي رحمه الله [2]:

" قوله تعالى (**تلقون إليهم بالمودة**) يعني : بالظاهر ؛ لأن قلب حاطب كان سليما ، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : أما صاحبكم فقد صدق ، وهذا نص في سلامة فؤاده ، وخلوص اعتقاده".

فلو أن رجلاً من أصدق الناس و أتقاهم وأكثرهم جهاداً ويقيناً صنع مثل ما صنع حاطب رضي الله عنه متأولاً ، ولا يريد بذلك مناصرة الكفار على المسلمين ، ولا توليهم ، لكان فعله موالاة لهم ولو نفاه عن نفسه ، وإلقاء بالمودة إليهم ، كما جاء ذلك في القرآن .

فكيف بمن كاتب ألد أعداء الله من كفار أمريكا – الذين لم بلغ فسادهم وإفسادهم وكفرهم ما تضج منه السماوات والأرض – ، وفي الوقت الذي يقاتلون فيه المجاهدين ، بل وغيرهم من المسلمين من الشيوخ والعجائز والأطفال في شتى البلدان : يشاركونهم فيه الشعور بمصيبتهم ، ويؤيدونهم على حرب المجاهدين الذين سموهم الإرهابيين ، ويدعون قربهم منهم ،

---
[1] فتح الباري : 8 / 634 .

[2] القرطبي : 18 / 52 .

وأن بينهم أسساً مشتركة ، وأنهم يرغبون التعايش معهم ، والاعتراف منهم ، إلى غير ذلك مما ورد في بيان المثقفين ، مما هو أعظم وأطم بالآف المرات مما ورد في كتاب حاطب ؟![1].

فو الله لو كان لهم من الفضائل ما لأهل بدر ، وتأولوا في هذا البيان كتأول حاطب رضي الله عنه ، لما خرج فعلهم هذا من موالاة الكفار ، وإلقاء المودة إليهم[2] !!.

[1] وانظر إلى فتوى شيخ العصرانيين القرضاوي في جواز قتال المنتسبين إلى الإسلام من الأمريكيين في صفوف الأمريكان ضد المسلمين في أفغانستان لأن (المصلحة) تقتضي هذا ، فهنا تقابلت مفسدتان : مفسدة موالاة أعداء الله وتوليهم والقتال في صفوفهم ، ومفسدة الشك في ولائهم لوطنهم (أمريكا) وطردهم من وظائفهم ونحو ذلك ، وبالترجيح (عملية قسمة وطرح يسيرة جداً بدون آلة حاسبة) : يظهر أن مفسدة الطرد من الوظيفة والشك في الوطنية أعظم لذلك يجوز لهم القتال في صفوف الكفار !! .

[2] فإن حاطباً رضي الله عنه كما سبق من أهل بدر ، وكان متأولاً ، وصدقه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك نزل قوله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة**) ، فجعله مع تأوله وصدقه وسابقته وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم له متخذا لأعداء الله أولياء ، ملقياً إليهم بالمودة ، وما في كتابه لا يبلغ عشر معشار ما في بيان المثقفين !.

الدليل الحادي عشر
قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام)

قوله تعالى (**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم**) .

و سبب نزولها[1] :

أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث في رجب عبد الله بن جحش الأسدي ومعه ثمانية رجال من المهاجرين ، وكتب لعبد الله بن جحش كتابا وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمر به ولا يستكره أحدا من أصحابه – وكان أميرهم – ففعل عبد الله بن جحش ما أمر به ، فلما فتح الكتاب وقرأه وجد فيه : "إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم" ، فلما قرأ الكتاب قال سمعا وطاعة ، ثم أخبر أصحابه بذلك وبأنه لا يستكره أحدا منهم وأنه ناهض لوجهه بمن أطاعه ، فقالوا : كلنا نرغب فيما ترغب فيه وما منا أحد إلا وهو سامع مطيع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونهضوا معه فسلك على الحجاز ، ونفذ عبد الله بن جحش مع سائرهم لوجهه حتى نزل بنخلة ، فمرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وتجارة فيها : عمرو بن الحضرمي ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميان ، والحكم بن كيسان مولى بنى المغيرة ، فتشاور المسلمون ، وقالوا : نحن في آخر يوم من رجب

---

[1] قال ابن جرير رحمه الله : "ولا خلاف بين أهل التأويل جميعا أن هذه الآية نزلت على رسول الله في سبب قتل ابن الحضرمي وقاتله" ، وانظر : تفسير الطبري : 360/2 ، تفسير القرطبي : 3 / 44 ، تفسير ابن كثير : 253/1 ، زاد المعاد : 168/3.

الشهر الحرام فإن نحن قاتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام ، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم . ثم اتفقوا على لقائهم ، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي فقتله ، وأسروا عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله ، ثم قدموا بالعير والأسيرين ، وهى أول غنيمة غنمت في الإسلام ، وأول أمير ، وعمرو بن الحضرمي أول قتيل ، وأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام ، وأبى أن يأخذ شيئاً ، فسقط في أيدي القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين ، وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال ، فأنزل الله عز وجل (**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآية**) ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير ، وقبل الفداء في الأسيرين.

ثم قيل : إن منهم من قال : إن سلموا من الوزر فليس لهم أجر ، فأنزل الله (**إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم**).

قال ابن جرير رحمه الله [1]:

" (**قل**) يا محمد : (**قتال فيه**) يعني : في الشهر الحرام ، (**كبير**) أي : عظيم عند الله استحلاله وسفك الدماء فيه ، ومعنى قوله : قتال فيه قل : القتال فيه كبير ، وإنما قال (**قل قتال فيه كبير**) لأن العرب كانت لا تقرع فيه الأسنة ، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يهيجه ؛ تعظيما له ، وتسميه مضر (الأصمّ) ؛ لسكون أصوات السلاح وقعقعته فيه ... وتأويل الكلام : وصد عن سبيل الله ، وكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراج أهل المسجد الحرام ، وهم أهله وولاته ، أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام ، ...ثم ابتدأ الخبر عن الفتنة فقال (**والفتنة أكبر من القتل**) يعني : الشرك أعظم وأكبر من القتل ؛ يعني من قتل ابن الحضرمي الذي استنكرتم قتله في الشهر الحرام".

فبالتأمل في قصة هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم وما جرى لهم يتضح ما يلي :

أولاً : أن هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم أقدموا على القتال في الشهر الحرام مع أنهم يعرفون حرمته ؛ لأنهم قالوا : نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام فإن نحن قاتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام ، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم .

---

[1] تفسير الطبري :359/2 وما بعدها .

ولكنهم تأولوا وتشاوروا يريدون بذلك نصرة الإسلام ، ولم يستشيروا الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك .

ثانياً : أنهم قاتلوا في الشهر الحرام مع حرمة القتال فيه ، فانتهكوا الأعراف الدولية ذلك الوقت عند العرب ، وقتلوا ابن الحضرمي ، وأسروا الرجلين ، وأخذوا العير .

ثالثاً : أن قريشاً استنكرت هذا العمل ، فرموا الرسول صلى الله عليه وسلم باستحلال الشهر الحرام وسفك الدماء فيه ، فقد أحدث عملهم (ضجة إعلامية) استغلها كفار مكة ضد المسلمين!.

رابعاً : أن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه استنكر هذا العمل ، ورفض أن يأخذ منهم شيئاً ، وعنفهم المسلمون.

خامساً : ثم نزل قول الله سبحانه وتعالى (**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه**) يعني ما حكم القتال في الشهر الحرام ، وما حكم ما صنعه هؤلاء؟ ، (**قل قتال فيه كبير**) وهذا إقرار بأن ما فعله هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم كبير ، ولم يذكر الله سبحانه أكثر من هذه الحرف (**كبير**) عن المجاهدين ، ثم قال عن الكفار : (**وصد عن سبيل الله ، وكفر به ، والمسجد الحرام ، وإخراج أهله منه أكبر عند الله**) فهذه الأمور التي تفعلونها من الصد عن سبيله والكفر به وإخراج المسلمين من بلدكم أكبر عند الله مما فعل المسلمون ، ثم قال (**والفتنة أكبر من القتل**) والفتنة الشرك كما ذكره الجمهور ، وهذا يعني أن الكفر والشرك الذي أنتم عليه أعظم من هذا القتل ، ثم قال عن عداء الكفار للمسلمين (**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا الآية**) ليحذر المسلمين منهم ، ثم قال عن أولئك المجاهدين الذين تأولوا في قتالهم في الشهر الحرام (**إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم**) .

فانظر كيف كان قول أحكم الحاكمين في هذا الأمر ، فإنه سبحانه أقر الكفار على انتهاك المجاهدين للشهر الحرام ، إلا أنه سبحانه لم يذم المجاهدين ، بل ذكر كفر أعداء الله وظلمهم وأنه أكبر من هذا الذي يعيرون به المجاهدين ، وأن كفرهم وشركهم أعظم من القتل ، ثم حذر منهم وبين شدة عداوتهم ، ثم بشر أولئك المجاهدين بالرحمة والمغفرة .

قال ابن القيم رحمه الله في هذه الآيات [1]:

"والمقصود أن الله سبحانه حكم بين أوليائه وأعدائه بالعدل والإنصاف ، ولم يبريء أولياءه من ارتكاب الإثم بالقتال في الشهر الحرام ، بل أخبر أنه كبير ، وأن ما عليه أعداؤه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام ، فهم أحق بالذم والعيب والعقوبة ، لاسيما وأولياؤه كانوا متأولين في قتالهم ذلك ، أو مقصرين نوع تقصير يغفره الله لهم في جنب ما فعلوه من التوحيد والطاعات والهجرة مع رسوله وإيثار ما عند الله ، فهم كما قيل :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ***جاءت محاسنه بألف شفيع

فكيف يقاس ببغيض عدو جاء بكل قبيح ولم يأت بشفيع واحد من المحاسن ".

فانظر أخي الموحد – أنار الله بصيرتك – إلى هذا الكلام النوراني ، وقارن ما جاء في هذه الحادثة بما جاء في (بيان المثقفين) وموقفهم من المجاهدين ، والكافرين ، ترى الأمر كما قيل :

فريقان منهم سالك بطن نخلة *** وآخر منهم سالك نجد كبكب

فإن المجاهدين الذين ضربوا أمريكا تأولوا ، وآيات الجهاد وأحاديثه متواترة ، فرأوا أنهم قادرون على ضربها من باب ردعها عن الاعتداء ، فهبهم أخطأوا في ذلك ، وأنهم انتهكوا العرف الدولي العام هذا الزمن في (تحريم قتل المدنيين)[2] كما فعل عبد الله بن جحش رضي الله عنه وأصحابه في انتهاك العرف الدولي المقرون بالدليل الشرعي [3] في ذلك الوقت بشأن الشهر الحرام ، وهبهم لم يستشيروا أهل العلم كما لم يستشر عبد الله وأصحابه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالواجب أن يحكم المسلمون بحكم الله سبحانه في هذا الأمر :

---

[1] زاد المعاد : 3 / 170 .

[2] مع أنه لا يوجد في الشرع مدني وغير مدني ، بل يوجد : محارب ، ومعاهد ، والمحاربون من الكفار يجوز قتلهم مطلقاً إلا الشيوخ والنساء والأطفال ونحوهم ، على تفصيلات مذكورة في كتب الفروع ، كقتلهم تبعاً لغيرهم ، أو إذا تترس العدو بهم ، أو عند الإغارة ، ونحو هذا ، أما الشاب الكافر المحارب فيجوز قتله وإن كان يسمى مدنياً في عرف هؤلاء ، كما هو الحال في دولة اليهود !.

[3] بخلاف الأعراف الدولية في هذا الزمن ؛ فإنها علاوة على أن كثيراً منها ليس عليه دليل شرعي ، بل الدليل على نقضيه ، فإنهم مع ذلك يحرمون ما يستحلونه ، فيحرمون قتل المدنيين ويقتلونهم ، ويحرمون ما يسمونه بالإرهاب ويفعلون أشد أنواعه ، ويحرمون أسلحة الدمار الشامل وهم خزنتها والناشرون لها، وهكذا .

فيقال : فعل هؤلاء كبير[1] –كلمة واحدة فقط – ، إلا أن كفركم أيها الأمريكان[2] ، وخبثكم ، وصدكم عن سبيل الله ، وعن الجهاد في سبيله ، وحربكم للمسلمين في كل مكان ، وحصاركم لهم ، واحتلالكم لأراضيهم ، ونهبكم لثرواتهم ، وفسادكم ، ونشركم للفساد عبر إعلامكم ، وإعانتكم لليهود والمنافقين ، وغير ذلك أكبر عند الله ، و (الفتنة) أكبر من (القتل) ، ثم يحذر منهم ومن عداوتهم للمسلمين ، ويحذر من الارتداد عن الدين الذي يكثر وقت الفتن ، ثم يدعى للمجاهدين المتأولين بالرحمة والمغفرة .

أما استرضاء الكفار ، ومشاركتهم في مشاعرهم ، وتقريبهم ، والبحث معهم عن الأسس المشتركة ، وطلب الحوار والتعايش معهم ، وتأييدهم على الإرهابيين (المجاهدين) ، والزعم أنهم يشكلون مشكلة حقيقية في العالم ، وغيرها ، فليست من الشرع في شيء ، والشرع منها براء ، والله المستعان .

[1] هذا على التسليم بأن فعلهم خطأ .

[2] إن كفر قريش لم يخرج عن حدود ديارهم ، أما هؤلاء فلم يبق على وجه الأرض بقعة تقريبا إلا ودخلها خبثهم وكفرهم .

الدليل الثاني عشر
آيات النهي عن موالاة الكفار

وهي كثيرة جداً : منها :

قوله تعالى : (**لا تجِدُ قَوْمَاً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ بِاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّوْنَ مَنْ حَادّ اللهَ وَرَسُوْلَه وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيْرَتَهُمْ**) ، وقوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**) ، و قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**) ، وقوله تعالى (**لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**) ، و قوله تعالى (**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**) ، قوله تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ**) ، و قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ**) ، و قوله تعالى (**لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ**) ، و قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**) ، و قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا**) ، وقوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا**) ، وغيرها من الآيات .

وكثرة الآيات القرآنية التي تحذر من تولي الكفار ولو في (بعض الأمر) وتحث المسلمين على البعد عنهم تدل دلالة واضحة على خطر هذه الموالاة على المؤمنين ، وموالاة الكفار ليست

على رتبة واحدة ، بل على رتب متفاوتة ، بعضها من كبائر الذنوب ، وبعضها يصل إلى الكفر [1] .

وقد سبق أن ذكرنا بعض صور الموالاة التي في (بيان المثقفين) ، ومنها : احترامهم ، وتقريبهم إليهم ، والسعي لوضع أسس مشتركة بينهم ، وقبول التعايش معهم ، وغير ذلك ، وأكتفي بذكر صورتين مما ورد :

الأولى : قولهم : (**ولئن كان الغرب يعتبر أحداث الحادي عشر من سبتمبر تتجه لزعزعة الأمن المدني في الغرب فمن الممكن أن نشاركه الشعور ، وحتى الموقف في رفض ضرب الأمن المدني[2] في العالم**) .

ومن أخطر الأمور على المسلم مشاركة أعداء الله ورسوله من الكفار الذين ساموا المسلمين سوء العذاب في مشارق الأرض ومغاربها في شعورهم ![3] .

---

[1] معاملة الكفار على ثلاثة أقسام : معاملة مكفّرة ، ومعاملة محرّمة ، ومعاملة مباحة ؛ انظرها إن شئت في (التبيان في كفر من أعان الأمريكان) ص 41 ، 42 . والمقصود هنا (الموالاة) ؛ فقد اختلف أهل العلم في أقسام الموالاة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : التفريق بين (الموالاة) و (التولي) ؛ فما كان من المعاملات المكفّرة فهو من (التولي) ، وما كان دون ذلك فهو من (الموالاة) .

والثاني : عدم التفريق بين (الموالاة) و (التولي) ، ويجعلونها شيئاً واحداً ، إلا أنها على درجات ، فقد تصل الكفر وقد تكون دون ذلك .

والثالث : التفريق بين (الموالاة) وغيرها من المعاملات المحرمة ، فما كان من المعاملات المكفّرة فهو (الموالاة) ، وما كان دون ذلك فلا يدخل في الموالاة ، فلا تطلق الموالاة عند هؤلاء إلا على ما كان كفراً فقط .

والخلاف بين القولين الأول والثاني لفظي ، وأما خلافهم مع الثالث فهو حقيقي .

[2] يلزمهم طرد مثل هذا المصطلح حتى مع اليهود ؛ فالمجاهدون في فلسطين يضربون أهدافاً مدنية ، فإن قالوا : ولكن اليهود محاربون ، فالأمريكان من باب أولى ، فهم الرأس لليهود ، وإن قالوا اليهود احتلوا أراضي المسلمين ، فالأمريكان احتلوها كأفغانستان ، وحاصروا أخرى كالعراق ، وضربوا أخرى كالسودان ، وغير ذلك ، وقد سبق ذكر هذا في المبحث الرابع من الفصل الثالث .

[3] قال أبو داود في مسائله عن الإمام أحمد رحمهما الله : وقلت لأبي عبد الله : تكره أن يقول الرجل للذمي : كيف أصبحت ؟ أو كيف حالك؟ أو كيف أنت؟. قال : نعم ، أكرهه ، بل هذا عندي أكبر من السلام . يعني وقد نهي عن بدئهم بالسلام .

قلت : رحمكما الله تعالى ، هؤلاء أهل ذمة تجري عليهم أحكام الإسلام وقلتم هذا فيهم ، فكيف لو رأيتم مشاركة أعداء الله الأمريكان في الشعور بمصائبهم ، واحترامهم ، والدعوة للتعايش معهم ، وتأييدهم في حرب الإرهابيين ؟.

وهذه من الموادة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله **(لا تجَ ِدُ قَوْمَاً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّوْنَ مَنْ حَادّ اللهَ وَرَسُوْلَه وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيْرَتَهُمْ أُوْلَئكَ كَتَبَ في قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** .

فانظر إلى كمال البراءة من الكافرين و البعد عن مشاركتهم في مشاعرهم ومودتهم ، فإن أعداء الله يجب على المسلم بغضهم والبراءة منهم حتى لو كانوا من (الآباء) أو (الأبناء) أو (الإخوان) أو (العشيرة) ، وقد نفي الله سبحانه الإيمان عمن لم يكن كذلك ، فكيف إذا كانوا من أبعد الخلق وأخبثهم ؟!.

قال شيخ الإسلام رحمه الله على هذه الآية [1]:

" فأخبر انك لا تجد مؤمنا يواد المحادين لله ورسوله ؛ فإن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينفى أحد الضدين الآخر ، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده وهو موالاة أعداء الله ، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلا على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب" .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله عن هذه الآية أيضاً [2]:

" إنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل والله أعلم".

وقال ابن كثير رحمه الله [3]:

"قال تعالى **(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)** أي : لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين ؛ كما قال تعالى **(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه الآية)** ، وقال تعالى **(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله**

---

[1] الفتاوى : 7 / 17 .

[2] الفتح : 5/ 233 .

[3] تفسير ابن كثير : 4 / 330 .

فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) ، وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره : أنزلت هذه الآية (**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر**) إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ؛ ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم : ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته ، وقيل في قوله تعالى (**ولو كانوا آباءهم**) : نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر ، (**أو أبناءهم**) : في الصديق همّ يومئذ بقتل ابنه عبدالرحمن ، (**أو إخوانهم**) : في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ ، (**أو عشيرتهم**) : في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا ، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ ، فالله أعلم . قلت : ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين في أسارى بدر فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ولعل الله تعالى أن يهديهم ، وقال عمر : لا أرى ما رأى يا رسول الله ، أرى أن تمكنني من فلان – قريب لعمر – فأقتله ، وتمكن عليا من عقيل ، وتمكن فلانا من فلان ، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين القصة بكمالها[1] ، وقوله تعالى (**أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه**) أي : من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان ؛ أي : كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته ... وفي قوله تعالى (**رضي الله عنهم ورضوا عنه**) سر بديع وهو : أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى ، عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم ، وقوله تعالى (**أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**) أي : هؤلاء حزب الله ؛ أي : عباد الله وأهل كرامته ، وقوله تعالى (**ألا إن حزب الله هم المفلحون**) تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة ، في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ، ثم قال (**ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**) ".

---

[1] انظر إلى تحقيق الصحابة رضي الله عنهم للبراءة من هؤلاء الكفار وهم من أقاربهم وعشيرتهم ، وقد نزل القرآن موافقاً لعمر رضي الله عنه في هذا .

وقال ابن رجب رحمه الله [1]:

" فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ، ويرضي ما يرضي الله ورسوله ، ويسخط ما يسخط الله ورسوله ، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض ، فإن عمل بجوارحه شيئا يخالف ذلك ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله ، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه ، دل ذلك على نقص محبته الواجبة ، فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة . قال أبو يعقوب النهرجوري : كل من ادعي محبة الله تعالى ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطل ، وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور . وقال يحيي بن معاذ : ليس بصادق من ادعي محبة الله ولم يحفظ حدوده ".

وإنما المشاركة في الشعور تكون لمن تولى بعضهم بعضاً ؛ كالمؤمنين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**) ، فهذه المشاركة الشعورية كننا ننتظرها من أصحاب البيان في إخوانهم (أسرى كوبا) لا مع أعداء الله من كفار أمريكا ، والله المستعان .

الثاني : قولهم (**إننا معنيون بالحملة على الإرهاب سواءً أتى من مسلمين أو غير مسلمين**) ونحوها من العبارات التي سبق نقلها في المبحث الأول .

وهذه أعظم وأطم ؛ فإنه يلزم منها (التولي) وهي مظاهرة الكفار على المسلمين[2] ، وهي الناقض الثامن من نواقض الإسلام ، فإن هذا الكلام يلزم منه تأييدهم للحملة الأمريكية على المجاهدين ؛ لأنهم هم الإرهابيون في المقام الأول عند أولئك كما سبق ذكره .

والمسلم حتى لو كان ظالماً فإنه يجب مناصرته ، وتوليه ، ولا يجوز بحال مناصرة الكفار ضد المسلمين ، بل هي من نواقض الإسلام كما سبق .

قال شيخ الإسلام رحمه الله [3]:

---

[1] جامع العلوم والحكم : 389 .

[2] راجع المقدمة الخامسة عشرة من الفصل الأول .

[3] الفتاوى : 28/ 208 ، 209 .

"والمؤمن عليه أن يعادي في الله ويوالي في الله ، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه ، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية ، قال تعالى (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي وأمر بالإصلاح بينهم".[1]

ويلحق بهذه بنصوص النهي عن موالاة الكفار أيضاً ما جاء في الحب في الله والبغض في الله:

كحديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان) رواه أبو داود ، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله) رواه أحمد ، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله) رواه أبو داود ، وعند الحاكم من حديث عائشة مرفوعا (وهل الدين إلا الحب والبغض)[2] ، وغيرها من الأحاديث .

---

[1] جاء في (الورع) للإمام أحمد رحمه الله ص 93 عن مشاركة الظالمين : (عن أبي شهاب قال : قال الثوري : من لاق لهم دواة ، أو بري لهم قلماً ، **فهو شريكهم في كل دم كان في المشرق والمغرب** . قال أبو شهاب : أصبحت ما يسرني أني : صمت ، وصليت ، وحججت ، واعتمرت ، وعملت أنواع البر ، وأني قلت لبعضهم : كيف أصبحت ؟.) .

قلت : فانظر إلى قولهم هذا ؛ فإنه في (المسلم الظالم) ، فكيف يكون الحال مع الكافر الطاغوت الذي جمع ظلم الأولين والآخرين ؟!.

[2] وأفراد هذه الأحاديث وإن كانت لا تخلو من كلام في أسانيدها ، إلا أن معانيها صحيحة ثابتة في الكتاب أصلاً ؛ لذلك جرى الأئمة وأهل العلم على الاستدلال بها في هذا الباب ، وقد قال محمد بن نصر المروزي رحمه الله في كتابه (تعظيم قدر الصلاة) 1 / 404 : " الحب في الله والبغض في الله : ...وجعل أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ؛ وذلك أن الله أمر بهما ووكدهما في كتابه ، فقال في الحب فيه (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**) ، وقال (**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا**) ، وقال في البغض لله (**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله**) ، وقال (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة**) ، وقال (**يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور**) ثم سرد مجموعة من الأدلة غيرها".

قال شيخ الإسلام رحمه الله [1]:

" وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضى الله ، ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما أحبه الله ورسوله ، ويبغض ما ابغضه الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله ، ويعادى أعداء الله تعالى ، وهذا هو الذي استكمل الإيمان ؛ كما في الحديث (من أحب لله وابغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان) ، وقال (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) ، وفى الصحيح عنه (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار) ، فهذا وافق ربه فيما يحبه وما يكرهه ، فكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأحب المخلوق لله لا لغرض آخر ، فكان هذا فكان من تمام حبه لله " .

وقال ابن القيم رحمه الله [2]:

"وكلما كان الحب أقوى كانت قوة البغض للمنافي أشد ؛ ولهذا كان أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، وكان من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان؛ فإن الإيمان علم وعمل ، والعمل ثمرة العلم ؛ وهو نوعان : عمل القلب حبا وبغضا ، ويترتب عليهما عمل الجوارح فعلا وتركا ، وهما العطاء والمنع ، فإذا كانت هذه الأربعة لله تعالى ؛ كان صاحبها مستكمل الإيمان ، وما نقص منها فكان لغير الله نقص من إيمانه بحسبه" .

ولعمر الله :

ما أبغض أعداء الله حقاً من دعاهم إلى التعايش ، وقام باحترامهم ، والتودد إليهم ، وشاركهم في شعورهم ، وأيدهم في حربهم ، والله المستعان !.

---

[1] الفتاوى : 10 / 190 .

[2] إغاثة اللهفان : 2 / 124 .

الدليل الثالث عشر
آيات عداوة الكفار للمسلمين

وهي كثيرة منها [1]:

قوله تعالى **(وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا)** ، وقال تعالى **(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)** ، وقال تعالى **(وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً)** ، وقال تعالى **(إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ)** ، وقال تعالى **(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقّ)** ، وقال تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)** ، وقال تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)** ، وقال تعالى **(قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ)**.

وهذه الآيات تدل على حسد الكفار للمسلمين ، وسعيهم في إضلالهم ، وأنهم لا يزالون يقاتلونهم حتى يردوهم عن دينهم ، وأنهم لا يرضون من المسلمين إلا الكفر بالله ، وفي هذه الآيات من الفوائد – لو تفكر فيها المسلم – الشيء الكثير ، إلا أننا سنشير إلى أمرين مما تدل عليه هذه الآيات في مسألتنا :

[1] ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في (أحكام أهل الذمة) 1 / 494 فصلاً بعنوان (فصل في سياق الآيات الدالة على غش أهل الذمة للمسلمين ، وعداوتهم ، وخيانتهم ، وتمنيهم السوء لهم ، ومعاداة الرب تعالى لمن أعزهم ، أو والاهم ، أو ولاهم أمور المسلمين) ثم ذكر آيات كثيرة بعد ذلك، قلت : وهذا في أهل الذمة ، فكيف بأعداء الله المحاربين لأوليائه المفسدين في الأرض من الأمريكان!!

الأمر الأول : وهو قدري :

وهو أن عداء الكفار من يهود ونصارى ومشركين للمؤمنين مستمر ، دائم ، ولن ينقطع ، ولن يرضوا عن المسلمين أبداً إلا إذا تخلوا عن دينهم .

وكون هذا العداء باقياً مستحكماً في نفوس الكفار على المؤمنين ، لا يمنع من وجود (بعض) الأفراد من الكفار ممن ليس عندهم مثل هذا العداء ، كما أنه قد يوجد ممن ينتسب إلى الإسلام من يحب الكفار ، وإنما المقصود أن جنس الكفار من اليهود والنصارى والمشركين هذه طريقتهم مع المسلمين .

فإذا علمت هذا جيداً ، تبين لك أنه من غير الممكن أبداً أن تحل الصداقة أو (التعايش) و (الاحترام) بين المسلمين وبين هؤلاء الكفار، إلا أن يتخلى أحد الطرفين عن دينه **!!.**

وأن السعي لإزالة هذا (العداء) بين الفريقين عبث ولا طائل تحته **!.**

والأمر الثاني : وهو شرعي :

وهو الإشارة إلى وجوب منابذتهم وعداوتهم وبغضهم ، وترك صداقتهم ، أو طلب ما يرضيهم ، كما قال ابن جرير رحمه الله تعالى في قوله تعالى (**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**) [1] :

"وليست اليهود – يا محمد – ولا النصارى براضية عنك أبدا ، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم ، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق ؛ فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم" .

وكما قال ابن حجر رحمه الله[2] في قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**) :

" وفي هذه الآية الإشارة إلى التحذير عن مصادقة أهل الكتاب إذ لا يؤمنون أن يفتنوا من صادقهم عن دينه " .

---

[1] تفسير الطبري : 565/1 .

[2] الفتح : 12 / 262 .

الدليل الرابع عشر
النصوص الآمرة بمخالفة الكافرين

فقد تواترت النصوص الآمرة بمخالفة المسلمين للكفار في جميع أمورهم ، ومن هذه النصوص :

قوله تعالى (**ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير**) ، وقوله تعالى (ولئن **اتبعت أهواءهم من ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين**)، وغيرها من الآيات .

وأما من السنة :

فمنها ما ورد في النهي العام عن التشبه بهم واقتفاء آثارهم :

ومن ذلك ما رواه أحمد وأبو داود وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من تشبه بقوم فهو منهم) ، وما في الصحيحين عن أبي سعيد مرفوعا (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : (فمن؟) ، وما في الصحيح عن أبي هريرة مرفوعا (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع) فقيل : يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال (ومن الناس إلا أولئك؟) ، وما رواه الترمذي وغيره من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً (ليس منا من تشبه بغيرنا) ، وما رواه الحاكم وغيره من حديث المسور مرفوعا (هدينا مخالف لهديهم) .

ومنها ما تواتر من أمر النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين بمخالفة الكفار في كثير من الأمور المعينة ، ومن ذلك :

ما في الصحيحين عن ابن عمر مرفوعاً (خالفوا المشركين ، وفروا اللحى ، وأعفوا الشوارب) ، وما فيهما أيضاً عن أبي هريرة مرفوعا (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) ، وما في المسند وغيره عن أبي أمامة مرفوعا (تسرولوا واتزروا وخالفوا أهل الكتاب) ، وما في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو مرفوعا (إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها) ، وما في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى المسلمين ببلاد فارس (إياكم

والتنعم وزي أهل الشرك) ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً كالأمر بمعاشرة الحائض من دون جماع مخالفة لليهود ، والنهي عن الصلاة في أوقات يسجد فيها الكفار ، وتحويل القبلة ، ومخالفتهم في صومهم ليوم عاشوراء ، وأمر الأذان ، وغير هذا وهو كثير[1] .

والمقصود من هذا :

إن مخالفة المسلمين للكفار أمر مقصود للشارع ، أمرهم بها ، وحثهم عليها ، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم ينظر في أعمال الكفار التي يوافقهم عليها المسلمون فيأمر المسلمين بمخالفتهم ، حتى علم الكفار بذلك واشتهر بينهم ؛ فقال اليهود كما في الصحيح (ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه) ، بل وحتى فيما وافق فيه الكفار الحق ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرص على مخالفتهم في صفته كيوم عاشوراء ؛ فإنه أراد صيام التاسع مع العاشر ليخالف بذلك اليهود ، وكل هذا تأكيد لمجانبة أهل الجحيم ، وقطع العلائق بينهم ، فلا أسس مشتركة بين الفريقين ، ولا مباديء متفقة بين الحزبين[2] ، ولا يفتخر المسلمون بما يجمع الكفار بهم ، بل يلزمونهم لو حكموهم بأن يخالفوا المسلمين حتى في نعالهم! .

قال ابن القيم رحمه الله [3]:

" والمقصود الأعظم : ترك الأسباب التي تدعو إلى موافقتهم ومشابهتهم باطنا ، والنبي سن لأمته ترك التشبه بهم بكل طريق ، وقال (خالف هدينا هدي المشركين) . وعلى هذا الأصل أكثر من مئة دليل ، حتى شرع لها في العبادات التي يحبها الله ورسوله تجنب مشابهتهم في مجرد الصورة ؛ كالصلاة والتطوع عند طلوع الشمس وغروبها ، فعوضنا بالتنفل في وقت لا تقع الشبهة بهم فيه ، ولما كان صوم يوم عاشوراء لا يمكن التعويض عنه بغيره لفوات غير ذلك اليوم أمرنا أن نضم إليه يوما قبله ويوما بعده لتزول صورة المشابهة ، ثم لما قهر المسلمون أهل الذمة وصاروا تحت قهرهم وحكمهم ألزمهم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بترك التشبه

---

[1] وانظر في الأحاديث الواردة في مخالفة الكفار مرتبة على أبواب الفقه كتاب (مخالفة الكفار في السنة النبوية) للأستاذ علي عجين .

[2] كما جاء في بيان المثقفين في عدد من المواضع بأن بينهم أسساً مشتركة ، وأرضية جيدة ، وأنهم يوافقونهم في بعض القيم ، إلى غير ذلك !!.

[3] أحكام أهل الذمة : 3 / 1285 – 1288 .

بالمسلمين كما أمر النبي بترك التشبه بهم ، فتضمن هذان الأصلان العظيمان مجانبتهم في الهدي الظاهر والباطن **حتى في النعال** ؛ فأمر النبي الأمة بالصلاة في نعالهم مخالفة لأهل الكتاب ، ونهاهم عمر رضي الله عنه أن يلبسوا نعال المسلمين ".

وقال ابن كثير رحمه الله في حديث (من تشبه بقوم فهو منهم) [1]:

" ففيه دلالة على النهي الشديد ، والتهديد ، والوعيد ؛ على التشبه بالكفار في أقوالهم ، وأفعالهم ، ولباسهم ، وأعيادهم ، وعباداتهم ، وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ، ولا نقرر عليها".

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله [2]:

"كانت مبالغته صلى الله عليه وسلم في أمر أمته بمخالفة الكفار إنما هي خوفاً من أن تكون مشابهتهم في الهدي الظاهر مؤدية وجارة إلى الموافقة والموالاة ، فما بال كثير ممن يدعي الإسلام قد وقع في المحذور بعينه وهم مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعاً؟".

ولشيخ الإسلام رحمه الله كلام جميل في فوائد مجانبة الكفار ، وأنهم مرضى القلوب ، وأن أعمالهم كلها الدينية أو الدنيوية إما فاسدة أو ناقصة ، حيث يقول [3]:

" إن هنا شيئين :

أحدهما : أن نفس المخالفة لهم في الهدى الظاهر مصلحة ومنفعة لعباد الله المؤمنين ، لما في مخالفتهم من المجانبة والمباينة التي توجب المباعدة عن أعمال أهل الجحيم ، وإنما يظهر بعض المصلحة في ذلك لمن تنور قلبه حتى رأى ما اتصف به المغضوب عليهم والضالون من مرض القلب الذي ضرره أشد من ضرر أمراض الأبدان.

والثاني : أن نفس ما هم عليه من الهدى والخلق قد يكون مضرا أو منقصا فينهى عنه ويؤمر بضده ؛ لما فيه من المنفعة والكمال ، وليس شيء من أمورهم إلا وهو : إما مضر أو ناقص ؛ لأن ما بأيديهم من الأعمال المبتدعة والمنسوخة ونحوها مضرة ، وما بأيديهم مما لم

---

[1] تفسير ابن كثير : 1 / 149 .

[2] سبيل النجاة والفكاك : ص 60.

[3] اقتضاء الصراط : 1 / 56 ، 57 .

ينسخ أصله فهو يقبل الزيادة والنقص ، فمخالفتهم فيه بأن يشرع ما يحصله على وجه الكمال ، ولا يتصور أن يكون شيء من أمورهم كاملا قط .

فإذا المخالفة فيها منفعة وصلاح لنا في كل أمورنا ، حتى ما هم عليه من إتقان أمور دنياهم قد يكون مضرا بآخرتنا ، أو بما هو أهم منه من أمر دنيانا ، فالمخالفة فيه صلاح لنا. وبالجملة : فالكفر بمنزلة مرض القلب أو أشد ، ومتى كان القلب مريضا لم يصح شيء من الأعضاء صحة مطلقة ، وإنما الصلاح أن لا تشابه مريض القلب في شيء من أموره ، وإن خفي عليك مرض ذلك العضو ، لكن يكفيك أن فساد الأصل لا بد أن يؤثر في الفرع . ومن انتبه لهذا قد يعلم بعض الحكمة التي أنزلها الله ؛ فإن من في قلبه مرض قد يرتاب في الأمر بنفس المخالفة لعدم استبانته لفائدته ، أو يتوهم أن هذا من جنس أمر الملوك والرؤساء القاصدين للعلو في الأرض ، ولعمري إن النبوة غاية الملك الذي يؤتيه الله من يشاء وينزعه ممن يشاء ، ولكن ملك النبوة هو غاية صلاح من أطاع الرسول من العباد في معاشه ومعاده . وحقيقة الأمر : أن جميع أعمال الكافر وأموره لا بد فيها من خلل يمنعها أن تتم له منفعة بها ، ولو فرض صلاح شيء من أموره على التمام لاستحق بذلك ثواب الآخرة ، ولكن كل أموره إما فاسدة وإما ناقصة ، فالحمد لله على نعمة الإسلام التي هي أعظم النعم وأم كل خير كما يحب ربنا ويرضى".

فإذا نظرت فيما سبق تبين لك أمران :

الأول : تحقق كلام النبي صلى الله عليه وسلم في أن أمته ستأخذ مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعاً بذراع ، فإن (بيان المثقفين) أشبه ما يكون بورقة عمل في مؤتمر للتقريب بين الأديان كما سبق أن ذكرته وقارنته بكلام النصارى في المبحث الرابع من الفصل الثاني .

الثاني : بطلان السعي لوضع أسس مشتركة بين دين الإسلام وغيره من أجل التعاون أو التعايش أو الحوار .

الدليل الخامس عشر

النصوص المفرقة في الأحكام بين المسلمين والكفار

وذلك أن الله سبحانه فرّق في شرعه بين أهل الحق والباطل ، فليس بينهما قرب ، ولا تناسب ، ولا مشاركة ، سواء في أحكام الدنيا ، أو في أحكام الآخرة ، وسواء في أحكام الشرع ، أو في أحكام القدر :

فمن ذلك أن الله سبحانه نفى عن نفسه أن يسوي بين الفريقين :

قوله تعالى (**أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، ما لكم كيف تحكمون**) ، وقوله (**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**) ، وقوله تعالى (**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون**)[1] ، وقوله تعالى (**قل لا يستوي الخبيث والطيب**) ، وقال تعالى (**وما يستوي الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوي الأحياء ولا الأموات**) ، وقال تعالى (**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون**) ، وقال تعالى (**لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون**) .

ومن ذلك أن الله سبحانه شرع شرائع تدل على كمال التفريق بين الفريقين :

فمنها : البراءة من الكفار ، وبغضهم ، وعداوتهم ، وقد سبق ذكر بعض نصوصها .

ومنها : قتال المسلمين للكافرين حتى يكون الدين كله لله ، وقد سبق ذكر بعض نصوصها.

ومنها : أن الأصل عصمة دم المسلم وماله إلا بدليل كنفس بنفس أو زنا بعد إحصان، بينما الأصل في الكافر إباحة دمه وماله إلا بدليل كعهد أو ذمة أو أمان .

---

[1] يقال : إن هذه الآية تسمى (مبكاة العابدين) ، قال قتادة رحمه الله تعالى فيها : لعمري ، لقد تفرق القوم في الدنيا ، وتفرقوا عند الموت ، فتباينوا في المصير .انتهى . أسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وأن يتوفانا وهو راض عنا .

ومنها : ما شرعه الله سبحانه من أحكام تفرّق بين أهل الإسلام ومن التزم أحكام الإسلام من الكفار (أهل الذمة) مثل :

ما ثبت في الصحيح مرفوعا (لا يقتل مسلم بكافر) ، وفي مسلم أيضاً مرفوعاً (لا يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم) ، وأن ديته أقل من دية المسلم ، وكما في إلزام أهل الذمة بالصغار، وبلباس مخالف للمسلمين ، وأن لا يظهروا شيئاً من شعارهم ، مما هو معروف من الشروط العمرية المذكورة في كتب الفقه في أحكام أهل الذمة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله [1]:

" وقد أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن يكون هدينا مخالفاً لهدي اليهود والنصارى ، وإنما تجيء الموافقة في بعض الأحكام العارضة لا في الهدي الراتب والشعار الدائم".

ومنها : أمر المسلم بما يدل على كمال عزة الإسلام أمام الكفار ، ومن ذلك :

ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام ، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه). وفي الصحيح أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم) ، وكقول عمر (أهينوهم ولا تظلموهم) ، وغيرها من الأحاديث والأحكام المذكورة في كتب الفقه .

والأدلة في هذا الباب كثيرة جداً ، والمقصود منها في مسألتنا أربعة أمور :

الأمر الأول : أن يعلم المسلم أن الله سبحانه فرّق بين أهل الحق من المسلمين ، وأهل الباطل من الكفار في كل شيء ، من أحكام الدنيا ، وأحكام الآخرة ، في (محياهم) و (مماتهم) .

وأن الله سبحانه كما فرّق بينهم في أحكام الشرع : أوامره ، ونواهيه ، فإنه قد فرّق بينهم قدراً أيضاً ، وهذا من أعظم أنواع المباينة والانفصال :

قال شيخ الإسلام رحمه الله [2]:

---

[1] الاقتضاء : 414/1 .

[2] منهاج السنة : 3 / 88 .

"وقد قال الله تعالى (**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون**) ، وهذا استفهام إنكار يقتضي الإنكار على من يحسب ذلك ويظنه ، وإنما ينكر على من ظن أو حسب ما هو خطأ باطل يعلم بطلانه ، لا من ظن ظناً ما ليس بخطأ ولا باطل ، فعلم أن التسوية بين أهل الطاعة وبين أهل المعصية مما يعلم بطلانه ، وأن ذلك من الحكم السيء الذي ينزه الله عنه. ومثله قوله تعالى (**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**) ، وقوله تعالى (**أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون**) ، وفي الجملة : التسوية بين الأبرار والفجار ، والمحسنين والظالمين ، وأهل الطاعة وأهل المعصية ، حكم باطل يجب تنزيه الله عنه ؛ فإنه ينافي عدله وحكمته".

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله [1]:

" لا يستوي المؤمنون والكافرون كما قال عز وجل (**لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون**) ، وقال تبارك وتعالى (**أم حسب الذين اجترحوا السيئات**) أي : عملوا وكسبوا ، (**أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم**) أي : نساويهم بهم في الدنيا والآخرة ، (**ساء ما يحكمون**) أي : ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار".

الأمر الثاني : أن المسلم إذا تأمل هذه الآيات وما فيها من الأحكام الشرعية والقدرية ، وتأمل تكريم الله سبحانه للمسلمين ، ورفعه لهم ، وذمه للكافرين ، ووضعه لهم ، وذمه لمن ظن أن الله سبحانه يسوي بين الفريقين سواء في الدنيا أو الآخرة ، عرف مقدار نعمة الله ، وعظيم منته ، وجميل إحسانه وكرمه وامتنانه ، وعرف أن المسلم ولو كان من أضعف الناس حيلة ، وأقلهم ناصراً ، وأكثرهم هواناً عليهم ، فإنه يبقى شامخاً ، عزيزاً ، قوياً ، بإيمانه بالله ، وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، وبنعمة الله عليه من تفضيله له ، وهدايته وتوفيقه ، وأن الكافر مهما علا في الأرض وأكثر فيها الفساد فإنه يبقى ذليلاً مهاناً خاسراً حقيراً بطرد الله له من رحمته وتوفيقه ، وحكمه عليه بالخسران المبين ، وبناء على هذا يكون خطاب المسلم

---

[1] تفسير ابن كثير : 4 / 151 .

للكافر : مبنياً على الاعتزاز بدينه ، وثقته بنصر الله له ، سواء خاطبه للدعوة إلى الله ، أو لرد مفترياته وأكاذيبه .

ولما كان أكمل الناس في معرفة هذه الأمور الأنبياء عليهم السلام كان خطابهم لأقوامهم على قلة أنصارهم خطاب عزة ورفعة وعلو ويقين كما سيأتي إن شاء الله تعالى !.

الأمر الثالث : أن مساواة المسلم بغيره في الأحكام باطل ، فإن الشارع فرّق بين المسلمين والكفار شرعاً ، وفرّق بينهم قدراً أيضاً ، وأحكام الفريقين لا يستويان في شيء منها في الجملة ؛ فإن المسلم لا يقتل بالكافر ولو كان ذمياً وإنما يعزر ، ودية الذمي على النصف من دية المسلم ، وليس بينهما توارث ، ويلزم الذمي بالصغار دون المسلم ، ويلزم بترك التشبه بالمسلمين ، وأما الكافر الحربي فمباح الدم والمال ، بخلاف المسلم فإنه معصوم الدم والمال ، إلى غيرها من الأحكام .

وإذا قيل إن الإسلام يعدل بين الناس مهما كانت أديانهم ؛ فقد يراد بكلمة (العدل) أحد أمرين كما سبق:

الأول : أن يقصد بالعدل : المساواة ، بمعنى أنه يساوى بين المسلم وغيره في الأحكام ، فهذا باطل ، تبطله الأدلة السابقة ، وإجماع أهل العلم على اختلاف المسلمين عن غيرهم في ذلك .

الثاني : أن يقصد بالعدل : إعمال أحكام الله سبحانه على الجميع ، سواء كان مسلماً أو كافراً ، فيسوى بين المتماثلين ، ويفرّق بين المختلفين ، فهذا صحيح ، وهذا هو القسط الذي جاءت به الرسل .

الأمر الرابع : أن محاولة مساواة المؤمنين بالكافرين ولو في بعض الأمور ، أو القيم ، أو البحث بينهم عن أسس مشتركة يتعاونون من خلالها ، أو يتعايشون ، من أبطل الباطل ، فإن الله سبحانه حكم شرعاً ، وقضى قدراً ، بالتفريق التام بين الحزبين ، (**فريق في الجنة وفريق في السعير**) ، والله المستعان .

الدليل السادس عشر
نصوص الموالاة بين المؤمنين

فقد وردت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة على الموالاة بين المؤمنين ، ومن ذلك :

قوله تعالى (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**) ، ولوه تعالى (**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون**) ، وقوله تعالى (**إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض**) ، وقال تعالى (**إنما المؤمنون إخوة**) ، وغير ذلك من الآيات .

وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) ، وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه) ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم ؛ لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى ههنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ؛ دمه ، وماله ، وعرضه) ، وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام) ، وفي مسند الإمام أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المؤمن في أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس) ، وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (المؤمن مرآة المؤمن ، المؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من

ورائه) ، وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

والنصوص في هذا الباب كثيرة جداً .

وكلها تدل على وجوب التناصر والمعاضدة والمؤاخاة بين المسلمين .

قال النووي رحمه الله [1]:

"قوله صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ، وفي الحديث الآخر (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم إلى آخره) : هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض ، وحثهم على التراحم ، والملاطفة ، والتعاضد".

وقال ابن كثير رحمه الله [2]:

"وقوله تعالى (**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا**) أي : ليس اليهود بأوليائكم ، بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين ، وقوله (**الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة**) أي : المؤمنون المتصفون بهذه الصفات ، من إقام الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام ، وهي له وحده لا شريك له ، وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين... فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ، ومنصور في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة (**ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون**) ".

ومن أعظم قواطع الموالاة خذلان المسلم في وقت حاجته إلى أخيه :

قال ابن رجب رحمه الله في ما ينهى عنه المسلم تجاه أخيه :

" ومن ذلك : خذلان المسلم لأخيه ؛ فإن المؤمن مأمور أن ينصر أخاه ، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (انصر أخاك ظالماً أو مظلوما) قال : يا رسول الله ، أنصره مظلوماً ، فكيف أنصره ظالماً؟ قال : (تمنعه من الظلم ، فذلك نصرك إياه) خرجه البخاري بمعناه من حديث أنس ، وخرجه مسلم بمعناه من حديث جابر . وخرج أبو داود من حديث أبي طلحة الأنصاري وجابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (ما من امرئ

---

[1] شرح مسلم : 6 / 136 .

[2] تفسير ابن كثير : 2 / 72 .

مسلم يخذل امرأ مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته ، وينتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته). وخرج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة بن سهل عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (من أُذِلَّ عنده مؤمن ، فلم ينصره وهو يقدره على أن ينصره ، أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة) . وخرج البزار من حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيع نصره ، نصره الله في الدنيا والآخرة) ".

وكلام أهل العلم في هذا الباب كثير جداً ، وها هنا مسألة مهمة وهي :

إن الله سبحانه قال في سورة الحجرات : (**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**) .

فالله سبحانه ذكر هنا أن القتال حصل بين طائفتين من المؤمنين ، فبعضهم يقتل بعضاً ، ومع هذا الاقتتال وارتكابهم لقتل النفس المؤمنة : سماهم مؤمنين ، وجعلهم إخوة ، وطلب من المسلمين الإصلاح بينهم:

قال القرطبي رحمه الله [1]:

"في هذه الآية دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان ؛ لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين".

وقال ابن حزم رحمه الله [2]:

" ولو ترك أهل الحرب من الكفار وأهل المحاربة من المسلمين على قوم من أهل البغي ففرض على جميع أهل الإسلام وعلى الإمام عون أهل البغي وإنقاذهم من أهل الكفر ومن أهل الحرب ؛ لأن أهل البغي مسلمون ، وقد قال الله تعالى (**إنما المؤمنون أخوة**) ، وقال

---

[1] تفسير القرطبي : 16 / 323 .

[2] المحلى : 11 / 117 .

تعالى (**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**) ، وقال تعالى (**أشداء على الكفار رحماء بينهم**)".

وقال شيخ الإسلام رحمه الله [1]:

"والمؤمن عليه أن يعادي في الله ، ويوالي في الله ، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه ، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية ، قال تعالى (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي وأمر بالإصلاح بينهم".

فإذا كان هذا يقال لمن رفعوا سيوفهم فقاتلوا المؤمنين متأولين ، فكيف بمن رفعوا سيوفهم لقتال الكفار المحاربين لله ولرسوله وللمؤمنين ؟.

فإذا تأملت ما سبق وقرأت ما جاء في بيان المثقفين من قولهم في مخاطبة كفار أمريكا وهم يقومون بـ(حملة صليبية) ضد المجاهدين تحت مسمى الإرهاب :

(**إننا معنيون بالحملة على الإرهاب سواءً أتى من مسلمين أو غير مسلمين**) .

ونحوها من العبارات التي فيها تأييد لهم على حرب الإرهابيين ، أو فيها لمز للمجاهدين ، علمت مدى تحقيق هذا البيان لهذه الموالاة الإيمانية !!.

---

[1] الفتاوى : 28/ 208 ، 209 .

الدليل السابع عشر
نصوص التلازم بين الحق والابتلاء

فقد جاءت نصوص كثيرة تدل على التلازم بين الإيمان والابتلاء ، ومن ذلك :

قوله تعالى (**الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**) ، وقوله تعالى (**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا أن نصر الله قريب**) ، وقوله تعالى (**ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله**) ، وقال تعالى (**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**) ، وقال تعالى (**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم**) ، وقال تعالى (**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**) ، وروى الترمذي وغيره عن سعد رضي الله عنه مرفوعاً (أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل) ، وفي صحيح البخاري عن خباب بن الأرت قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلنا : ألا تدعو الله لنا ؟ ألا تستنصر لنا؟. قال : فجلس محمراً وجهه ، ثم قال : والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيمشط بأمشاط الحديد ما بين لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويؤخذ فتحفر له الحفرة فيوضع المنشار على رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون .

والنصوص في هذا الباب كثيرة معلومة .

وجميعها تدل على التلازم بين الإيمان والابتلاء ، لهذا سئل الشافعي رحمه الله فقيل له : أيما أفضل للرجل أن يمكّن أو يبتلى ؟ فقال : لا يمكن حتى يبتلى !.

ومما يدل على هذا التلازم ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها الطويل في بدء الوحي وفيه قول ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا

الناموس الذي أنزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذع ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم؟.

قال : نعم ، **لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي** .

قال ابن جرير رحمه الله [1]:

"القول في تأويل قوله تعالى (**وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**) يعني تعالى ذكره بقوله (**وليمحص الله الذين آمنوا**) : وليختبر الله الذين صدقوا الله ورسوله فيبتليهم بإدالة المشركين منهم حتى يتبين المؤمن منهم المخلص الصحيح الإيمان من المنافق ، كما (...) حدثنا ابن حميد قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق : (**وليمحص الله الذين آمنوا**) أي : يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذي نزل بهم وكيف صبرهم ويقينهم".

وقال شيخ الإسلام رحمه الله [2]:

"وقد ذم الله في كتابه من يرتد ويفتتن ولو أكره ، وهذا هو الذي ذمه الله بقوله (**ولكن من شرح بالكفر صدرا**) ، وكذلك يذم من يترك الواجب الظاهر ويفعل المحرم الظاهر عندما يصيبه من الأذى والفتن كما قال (**ولا يزالون يقاتلونكم ..الآية**) كما تقدم ، وقال تعالى (**ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين**) – وذكر مجموعة من النصوص في هذا – ".

وقال أيضاً [3]:

"لكن بما اقتضته حكمته ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان الذي يخلص الله به أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان ؛ إذ قد دل كتابه على أنه لابد من الفتنة لكل من الداعي إلى الإيمان ، والعقوبة لذوى السيئات والطغيان ، قال الله تعالى (**الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ، أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما**

---

[1] تفسير الطبري : 3/ 451.

[2] الاستقامة : 337/2 .

[3] فتاوى : 3 / 212 .

يحكمون) فأنكر سبحانه على من يظن أن أهل السيئات يفوتون الطالب ، وأن مدعى الإيمان يتركون بلا فتنة تميز بين الصادق والكاذب ، وأخبر في كتابه أن الصدق في الإيمان لا يكون إلا بالجهاد في سبيله ؛ فقال تعالى **(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)** إلى قوله **(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)** ، وأخبر في كتابه بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة الذي يعبد الله فيها على حرف وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر من هو عليه بل لا يثبت الإيمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا ؛ قال تعالى **(ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه)** ".

وقال ابن القيم رحمه الله عن الرسول صلى الله عليه وسلم[1]:

"ولما صدع بأمر الله وصرح لقومه بالدعوة وناداهم بسب آلهتهم وعيب دينهم اشتد أذاهم له ولمن استجاب له من أصحابه ، ونالوه ونالوهم بأنواع الأذى ، وهذه سنة الله عز وجل في خلقه ؛ كما قال تعالى **(ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك)** ، وقال **(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن)** ، وقال **(كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ، أتواصوا به بل هم قوم طاغون)** ، فعزى سبحانه نبيه بذلك ، وأن له أسوة بمن تقدمه من المرسلين ، وعزى أتباعه بقوله **(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا أن نصر الله قريب)** ... – ثم ذكر آيات العنكبوت وقال – فليتأمل العبد سياق هذه الآيات وما تضمنته من العبر وكنوز الحكم ؛ فإن الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين : إما أن يقول أحدهم : آمنا ، وإما ألا يقول ذلك ؛ بل يستمر على السيئات والكفر . فمن قال : آمنا امتحنه ربه وابتلاه وفتنه ؛ والفتنة الابتلاء والاختبار ، ليتبين الصادق من الكاذب ، ومن لم يقل آمنا فلا يحسب أنه يعجز الله وبقوته ويسبقه فإنه إنما يطوي المراحل في يديه :

وكيف يفر المرء عنه بذنبه   إذا كان تطوى في يديه المراحل

---

[1] زاد المعاد 3 / 13 .

فمن آمن بالرسل وأطاعهم عاداه أعداؤهم وآذوه فابتلي بما يؤلمه". إلى آخر ما قال وهو كلام طويل جميل في الابتلاء.

فالحاصل مما تقدم :

أن الإيمان والحق لا بد فيه من الفتنة والابتلاء ، وهذه سنة الله سبحانه التي جرت في خلقه ، وقد مر بهذا الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

فإذا علمت هذا :

تبين لك أن ما يحدث في عصرنا من تسليط الكفار والمنافقين وغيرهم من أعداء الله على المسلمين : بالقتال ، أو الحصار ، أو التشريد ، أو التضييق على من بين أيديهم ، أو الأسر ، ونحو ذلك ؛ إنما هو من هذه الفتن التي يمحص الله بها المؤمنين ، فيعلم الذين صدقوا ، ويعلم الكاذبين ، ويعلم حقيقة إيمان العبد ويقينه .

وإنما يكون الثبات في هذه المحن والفتن ، في القيام بأمر الله سبحانه ، والصدع بالحق ، وموالاة المؤمنين ، والالتزام بسنة خير خلق الله ، مع الكفر بالطاغوت ، والبراءة من الكفار ، ومعاداتهم ، وترك مداهنتهم ، ونحو هذا .

والعجيب أن الله سبحانه وتعالى قد جعل مثل هذه الفتن للتمحيص ، ليعلم الصادق من الكاذب ، والطيب من الخبيث ، والمؤمن من المنافق ، بينما جعلها آخرون طريقاً لمداهنة الكفار والتودد إليهم ومشاركتهم في مشاعرهم والتقرب إليهم بحجة (مصلحة الدعوة) و (المحافظة على مكتسباتها) أو (حماية الأقليات) أو (كسب الكفار) أو (تحييدهم) ونحو ذلك ، وأن هذا كله من (العقلانية) و (بعد النظر) و (سعة الأفق) و (الواقعية) .

وهذه العقلانية المزعومة يصدق عليها في كتاب الله قوله تعالى (**ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله**) ، وقوله تعالى (**ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه**) .

وإنما الممدوح في هذه الحالة من كانت حاله قبل (الفتنة) وبعدها على حدٍ سواء !.

الدليل الثامن عشر
نصوص الجهاد في سبيل الله

وهي كثيرة جداً ، بل إن أكثر آيات الأحكام في القرآن تقريباً في القتال في سبيل الله ، حيث وردت أكثر من مائة آية في ذلك ، منها :

قوله تعالى (**فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**) ، وقال تعالى (**يا أيها النبي حَرِّض المؤمنين على القتال**) ، وقال تعالى (**فقاتل في سبيل الله لا تُكَلَّفُ إلا نفسَك وحرِّض المؤمنين**) ، وقال تعالى (**فإذا لقيتم الذين كفروا فَضَرْبَ الرقاب**) ، وقال تعالى (**انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**) ، وقال تعالى (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**) ، وقال تعالى (**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم**) ، وقال تعالى (**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**) ، وقال تعالى (**فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة**) ، وقال تعالى (**الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله**) ، وقال تعالى (**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة**) ، وقال تعالى (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) ، وقال تعالى (**كتب عليكم القتال وهو كره لكم**) ، وقال تعالى (**ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون**) ، وغيرها من الآيات .

وأما الأحاديث فهي متواترة ، منها :

ما في الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) ، وكما في الصحيح عن أبي موسى الأشعري مرفوعا (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف) ، وما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا (من مات ولم يَغْزُ ولمُ يحَدِّث نفسه بالغزو مات على شُعبة من النفاق) ، وما في السنن والمسند عن ابن عمر مرفوعا (بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له،

وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذل والصَّغار على من خالف أمري) ، وما رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن معاذ مرفوعا (رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد) ، والأحاديث في ذلك متواترة مشهورة بوب عليها المحدثون أبواباً كثيرة .

وقد أجمع علماء الأمة – قبل هذا العصر – ، في جميع القرون ، والأمصار ، إجماعاً قطعياً ، عملياً ، متواتراً ، على مشروعية الجهاد في سبيل الله ، ومقاتلة الكفار حتى يكون الدين كله لله ، فجميع كتب الفقه ، في جميع المذاهب ، عقدت كتباً خاصة فيها للجهاد والسير ، ولأحكام أهل الذمة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله [1]:

"كل من بلغه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دين الله الذي بعثه به فلم يستجب له , فإنه يجب قتاله (**حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) . وكان الله لما بعث نبيه , وأمره بدعوة الخلق إلى دينه لم يأذن في قتل أحد على ذلك ولا قتاله , حتى هاجر إلى المدينة , فأذن له وللمسلمين بقوله تعالى : (**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الآيات**) . ثم إنه بعد ذلك أوجب عليهم القتال بقوله : (**كتب عليكم القتال وهو كره لكم الآية**) وأكد الإيجاب , وعظم أمر الجهاد , في عامة السور المدنية , وذم التاركين له , ووصفهم بالنفاق ومرض القلوب , - ثم ذكر مجموعة من الآيات في هذا[2] وقال : – والأمر بالجهاد , وذكر فضائله في الكتاب والسنة , أكثر من أن يحصر , ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان , وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة , ومن الصلاة التطوع , والصوم التطوع , كما دل عليه الكتاب والسنة , حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : (رأس الأمر الإسلام , وعموده الصلاة , وذروة سنامه الجهاد) . وقال (إن في الجنة لمائة درجة , ما بين الدرجة والدرجة , كما بين السماء والأرض , أعدها الله للمجاهدين في سبيله) متفق عليه . وقال : (من اغبر قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار) رواه البخاري ، وقال صلى الله عليه وسلم (رباط يوم وليلة , خير من صيام شهر وقيامه . وإن مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله , وأجري عليه رزقه , وأمن الفتان)

---

[1] الفتاوى : 28/ 349 وما بعدها .

[2] لم أذكر الآيات التي ذكرها اختصاراً لأنني ذكرتها في أول هذا الدليل .

رواه مسلم . وفي السنن (رباط يوم في سبيل الله , خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل) , وقال صلى الله عليه وسلم (عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله , وعين باتت تحرس في سبيل الله) قال الترمذي حديث حسن وفي مسند الإمام أحمد (حرس ليلة في سبيل الله , أفضل من ألف ليلة يقام ليلها , ويصام نهارها). وفي الصحيحين (أن رجلا قال : يا رسول الله , أخبرني بشيء يعدل الجهاد في سبيل الله , قال : لا تستطيع . قال : أخبرني . قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم ولا تفطر , وتقوم ولا تفتر ؟ قال : لا . قال : فذلك الذي يعدل الجهاد) . وفي السنن أنه صلى الله عليه وسلم قال (إن لكل أمة سياحة , وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله) . وهذا باب واسع , لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها , مثل ما ورد فيه , فهو ظاهر عند الاعتبار , فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا , ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة , فإنه مشتمل من محبة الله تعالى , والإخلاص له , والتوكل عليه , وتسليم النفس والمال له , والصبر والزهد , وذكر الله وسائر أنواع الأعمال , على ما لا يشتمل عليه عمل آخر . والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين دائما , إما النصر والظفر , وإما الشهادة والجنة " .

وقال الشوكاني رحمه الله [1]:

"أما غزو الكفار ، ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام ، أو تسليم الجزية ، أو القتل ، فهو معلوم من الضرورة الدينية ، ولأجله بعث الله رسله ، وأنزل كتبه ، وما زال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ بعثه الله سبحانه إلى أن قبضه إليه جاعلاً لهذا الأمر من أعظم مقاصده ، ومن أهم شئونه ، وأدلة الكتاب والسنة في هذا لا يتسع لها المقام ، ولا لبعضها ، وما ورد في موادعتهم أو تركهم إذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ بإجماع المسلمين".

والمقصود أنك بتأمل ما سبق يتضح لك في مسألتنا ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أن المجاهدين الذين اجتهدوا في غزو أمريكا لهم في ذلك من الأدلة المستفيضة المتواترة من الكتاب والسنة والإجماع العملي المتواتر ما سبق ذكر بعضه ، فإن

[1] السيل الجرار : 518/4 ، 519.

أخطأوا في التوقيت فهو خطأ اجتهادي سائغ [1]، مغفور لهم إن شاء الله ، وخطأهم في هذا لا يقارن بخطأ هذا البيان الذي فيه : استرضاء الكفار ، والتقرب إليهم ، ومشاركتهم في شعورهم ، ومعاضدتهم ضد المجاهدين تحت اسم الإرهابيين ، وتحريف النصوص ؛ ونحو ذلك ، فإن هذه الأمور ليس فيها دليل من كتاب ولا سنة ، بل ولا شبهة دليل إلا أن يحرف عن وجهه ، فأي الفريقين أحق بقيم الإسلام ، وتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم؟!.

الأمر الثاني : أن في هذه النصوص كلها دلالة على أن دين الإسلام قائم على (الصراع) و (الصدام) و (العنف)[2] ، وقائم على (غنيمة ثروات الشعوب الكافرة وخيرات أراضيهم) ، ونحو ذلك ، فهو رد صريح واضح على نفي (جهاد الطلب) الذي في (بيان المثقفين) ، ونفيهم (الصراع) و (الصدام) و (العنف) و (التدمير) عن دين الإسلام ، وادعاؤهم أن (ثروات الأرض ملك للشعوب) لا يجوز منازعتها عليها !.

الأمر الثالث : أن هذه الأدلة ترد ما في بيان المثقفين من ادعاء (عدم الإكراه في الدين) ، فإن فيها (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) ، وفيها (**ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون**) ، وفيها (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله) ، وغيرها من النصوص ، كما سبق توضيحه .

---

[1] وبعض الموقعين على هذا البيان – هداهم الله – يعتذر عن القرضاوي في قوله (إخواننا المسيحيين) بأن له شبهة دليل وهي قوله تعالى (**وإلى عاد أخاهم هوداً**) ، فيقول : هذا دليله ، ويفيض في بيان وجهة نظر ذلك الرجل ، والاستدلال هذا على سقوطه – وهناك رسالة مستقلة في الرد على هذا الاستدلال – إلا أنه ينبغي له لما اعتذر لذلك الرجل بهذا الاحتجاج الساقط ، ودافع عنه في مجالسه ، أن يعتذر لإخوانه المجاهدين من باب أولى ، ويدافع عنهم في مجالسه ، فإنهم استدلوا بمئات الآيات والأحاديث الصحيحة الصريحة ، وبالإجماعات المتواترة ، وليعتبر هذه كلها (شبهة دليل) ؛ كشبهة دليل مؤاخي النصارى واليهود والكفار!!.

[2] نحن لا نرضى بتسمية الجهاد والقتال في سبيل الله بهذه الأسماء وإن كانت تؤدي نفس المعنى ، إلا أن هذا من باب مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم.

الدليل التاسع عشر
النصوص الدالة على بقاء الجهاد في سبيل الله إلى يوم القيامة

وردت أدلة شرعية تدل على أن الجهاد باق إلى يوم القيامة ، منها :

قوله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)** .

وكما في الصحيح عن عروة البارقي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم " .

وقد تواتر عنه صلى الله عليه وسلم في الصحاح وغيرها أنه قال " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة" ووردت روايات صحيحة تصف هذه الطائفة بالقتال في سبيله.

وروى أبو داود في سننه بسندٍ فيه مقال عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " الغزو ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال ؛ لا يبطله جور جائر ، ولا عدل عادل ".

وروى أحمد و النسائي أن سلمة بن نفيل رضي الله عنه قال : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل : "يا رسول الله ، أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح ، وقالوا: لا جهاد ، قد وضعَت الحرب أوزارها ، فأقبلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه وقال : كذَبوا ، الآن جاء دور القتال ، ولا تزال من أمتي أُمَّة يقاتلون على الحق ويُزيغ الله لهم قلوب أقوامٍ ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة وحتى يأتي وعْدُ الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة " .

وما في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي ؛ فتعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود ".

وفي الصحيح أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله ، لا نخلي بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم ، فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً ، فيفتحون قسطنطينية ، فبينما هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم في أهليكم ، فيخرجون وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشام خرج ، فبينما هم يعدون للقتال : يسوون الصفوف ، إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى ابن مريم فأمهم ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده ، فيريهم دمه في حربته".

وفي مسند الإمام أحمد وغيره عن تميم الداري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز يعز به الإسلام ، أو ذل ذليل يذل به الكفر".

وفيه عن المقداد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام بعز عزيز ، أو بذل ذليل " .

قال ابن حجر رحمه الله عن هذا حديث (نواصي الخيل) [1]:

" وفيه أيضا بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة ؛ لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين – وهم المسلمون – وهو مثل الحديث الآخر : لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق الحديث "اه .

وقال النووي رحمه الله في حديث الطائفة المنصورة [2]:

" وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة فان هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث ".

---

[1] فتح الباري : 6 / 56 .

[2] شرح مسلم : 67/13 .

وقال الشوكاني رحمه الله في حديث (الغزو ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال)[1]:

" فيه دليل على أن الجهاد لا يزال ما دام الإسلام والمسلمون إلى ظهور الدجال "اهـ.

وبالتأمل في هذه الأحاديث ومقارنتها بما جاء في بيان المثقفين يظهر لك أمران :

الأمر الأول : وهو أمر شرعي :

وهو بطلان ما ذكر في (البيان) من نفي (الصدام) و (الصراع) ونحو هذه العبارات عن الإسلام ، وإنكارهم لجهاد الطلب ، حيث أثبتت هذه الأحاديث الجهاد في سبيل الله وقتال الكفار إلى يوم القيامة.

الأمر الثاني : وهو أمر قدري :

وهو استحالة ما طلبوه من (التعايش) ونبذ (الصدام) و (الصراع) و (العنف) بين الأديان ؛ لأن الله سبحانه كما أوجب الجهاد في سبيله شرعاً ، فقد قضاه قدراً إلى قيام الساعة ، فطلب مثل هذا الأمر عبث لا طائل تحته لو خلا من المحاذير الأخرى ، فكيف وهو مليء بالمحاذير؟[2].

---

[1] نيل الأوطار : 31/8.

[2] راجع ما ذكرته في المقدمة التاسعة من الفصل الأول .

الدليل العشرون
قصص الأنبياء

فقد قص الله سبحانه وتعالى في كتابه من قصص الأنبياء ما فيه موعظة للمتقين ، وقد جاء في قصصهم ما يفيد كمال براءتهم من الكفر وأهله ، وترك مداهنتهم ، أو التنازل لهم عن شيء من دينهم ، أو معايشتهم على كفرهم ، مع أنهم كانوا في ضعف وقلة ، مع تسلط الكفار عليهم :

فقال تعالى : (**وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد)** ، وقال سبحانه (**كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب)** ، وقال سبحانه (**ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين)** ، وقال سبحانه (**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)** ، وقال سبحانه عن نوح عليه السلام مخاطباً قومه : (**يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت، فاجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم أقضوا إلي ولا تنظرون)** .

وقال إخباراً عن قوم شعيب : (**لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)** .

وقال تعالى عن هود عليه السلام (**إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون ، من دونه ، فكيدون جميعاً ثم لا تنظرون**) .

وقال تعالى عن إبراهيم (**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**) .

وقال تعالى عنه (**وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني برآء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون**) .

قال ابن القيم رحمه الله [1]:

"أي جعل هذه الموالاة لله والبراءة من كل معبود سواه كلمته باقية في عقبه ، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم ، بعضهم عن بعض ، وهي كلمة لا إله إلا الله ، وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة".

والله سبحانه إنما قص هذه القصص لأخذ العبرة وللإقتداء :

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى [2]:

"فإن نصوص الكتاب والسنة اللذين هما دعوة محمد يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي والمعنوي ، أو بالعموم المعنوي ، وعهود الله في كتابه وسنة رسوله تنال آخر هذه الأمة كما نالت أولها ، وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا ، فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها ، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين ، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين".

وبتأمل هذه الآيات يظهر غاية الظهور أن الأنبياء عليهم السلام : على قلة أنصارهم ، واستضعافهم ، و تسلط الكفار في أرضهم ، وتهديدهم لهم ، لم يركنوا إليهم أبداً ، ولم يداهنوهم ، ولم يتنازلوا عن شيء من دينهم مع حرص الكفار على ذلك ، ولم يتركوا البراءة منهم ومن كفرهم ، بل صدعوا به ، ولولا ذلك ما حصل عليهم ولا على أتباعهم ما حصل من ابتلاء ، ومن تهديد الكفار لهم بإخراجهم .

---

[1] الجواب الكافي : ص 138 .

[2] الفتاوى : 28 / 425.

وتأمل في قول إبراهيم عليه السلام لقومه على ضعفه بينهم ، وتسلطهم عليه ، وقلة أنصاره : (**إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**) .

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله :

"فقوله: (**وبدا**) أي : ظهر وبان ، وتأمل تقديم العداوة على البغضاء ؛ لأن الأولى أهم من الثانية ؛ فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم ، فلا يكون آتياً بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ، ولا بد أيضاً من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بيّنتين . واعلم أنه وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب ؛ فإنها لا تنفعه حتى تظهر آثارها وتتبين علاماتها ، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة ، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين ".

ولو أن الرسل صلوات الله عليهم رضوا ببعض الأسس المشتركة بينهم وبين أقوامهم ، وأعلنوا عن احترامهم لهم ، وداهنوهم في بعض الأمر ، وتركوا الكفر بالطاغوت ، أو البراءة منهم ، وشاركوهم في شعورهم في بعض مصائبهم ، ودخلوا في (حوار) معهم من أجل (التعايش) ، وترك (الصراع) و (العداء) ، وللمحافظة على المستضعفين من أتباعهم ؛ لما (**همت كل أمة برسولهم ليأخذوه**) !.

الدليل الحادي والعشرون

السيرة النبوية

إن من يتأمل في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم يزداد يقينه ببطلان ما في بيان المثقفين جملة وتفصيلا ، وسأختصر الكلام في هذا الموضع ، فأقول :

مكث الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته ثلاثة وعشرين عاماً ، منها ثلاثة عشر عاماً في مكة وتسمى (الفترة المكية) ، وعشرة أعوام في المدينة وتسمى (الفترة المدنية) ، وسأقسم كلامي هنا على هاتين الفترتين :

أولاً : الفترة المكية :

ومن المشهور المتواتر ما حصل للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيها من أذى وابتلاء من المشركين ، فقد أوذي الرسول صلى الله عليه وسلم مراراً ، سواء كان الأذى معنوياً بتعيير الكفار له ورميهم إياه بالسحر والجنون ونحوها ، والاستهزاء والسخرية به ، وتحذير الناس منه ، أو بإيذائه بشتى صنوف الأذى ، كوضع الشوك في طريقه ، ومحاولة قتله ، وخنقه ، ووضع الأذى عليه وهو ساجد ، حتى حوصر في شعب أبي طالب ثلاثة أعوام ، بلغ فيها الجهد مبلغه ، وغير ذلك من أنواع الأذى .

وكذلك أصحابه رضوان الله عليهم حصل عليهم من صنوف الأذى والتعذيب والحبس والتشريد ما حصل ، فمنهم من قتل كآل ياسر ، ومنهم من عذب كبلال وخباب ، ومنهم من هاجر وتركهم كمهاجرة الحبشة الذين بقوا هناك هربا بدينهم أربعة عشر عاماً ، حتى طلب الصحابة رضوان الله عليهم من الرسول الاستنصار من شدة ما يجدون ، ففي الصحيحين عن خباب بن الأرت قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلنا : ألا تدعو الله لنا ؟ ألا تستنصر لنا؟. قال : فجلس محمراً وجهه ، ثم قال : والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيمشط بأمشاط الحديد ما بين لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويؤخذ فتحفر له الحفرة فيوضع المنشار على رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر

حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون .

فهؤلاء المسلمون المستضعفون بين ظهراني كفار ظلمة ، لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، تسلطوا عليهم ، وأذاقوهم أنواع النكال والعذاب ، فقتلوا فريقاً منهم ، وعذبوا قسماً آخر ، وشردوا قسماً ثالثاً ، وحاصروا آخرين ، وكان المسلمون (أقلية) في مكة ، لو فنيت فني المسلمون وانتهى الإسلام :

والرسول صلى الله عليه وسلم من أحرص الناس على أصحابه كما قال تعالى (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**).

وهو من أحرص الناس على (التيسير) ؛ فقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة أنها قالت : (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه).

فالسؤال :

لماذا لم يطلب من كفار مكة وقد فعلوا هذه الأمور بأصحابه أن يتفقوا معه على بعض الأسس للتعايش بينهم وترك الصراع والعداء أو (كراهية الآخر) ؟.

وهو أحرص الناس على أصحابه المستضعفين ، ومن أحرصهم على التيسير !!.

ولماذا لم يتنازل عن شيء يسير من دينه من أجل الوصول إلى (حوار جيد) مع كفار مكة يهدف إلى تحقيق ما فيه خير (أهل مكة) كلهم؟.

ولماذا لم يدخل معهم في (حوار) مشترك لتأسيس أجواء تفاهم مشترك تتبناها الحكومات والمؤسسات ؟.

ولماذا نهاه الله سبحانه عن مداهنتهم[1] في ذلك الوقت كما قال (**فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون**) ؟.

---

[1] بل تأمل في حادثة الإسراء والمعراج : فإنها حدثت للرسول صلى الله عليه وقت استضعاف المسلمين في مكة ، على قلة أصحابه ، وتسلط الكفار عليهم ، ولما أصبح حدث بها الناس ، ولم يخفها عنهم ولو قال الكفار : هذا دين باطل يأتي بالمحالات ! ولو حصلت منهم نفرة من هذا الدين بعد هذه الحادثة ، وقد حصل أن كفار مكة كذبوه وأرجفوا بأصحابه بعد هذا الخبر سعياً إلى تكذيبه ، وقد قال تعالى (**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس**) ، قال ابن القيم رحمه الله (زاد المعاد : 3 / 60) : " فلما أصبح رسول الله في قومه أخبرهم بما أراه الله عز وجل من

ألم تكن ثمّ (واقعية) و (عقلانية) و (بعد نظر) و (سعة أفق) ؟.

أو كان داخلاً ضمن دوائر واقعة تحت ضغط واقع قد تقود المجتمعات إلى دوامة القلق والحرمان والصراع اللا إنساني ؟!.

لو كان هذا الأمر جائزاً لما تردد الرسول صلى الله عليه وسلم في عمله ، وهو الحريص على أصحابه الذين كانوا يسامون سوء العذاب ، الحريص على هداية الناس ، الذي ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً !.

وهذا كله يدل على أن الدين لا يجوز بذله للكفار ، والتنازل عن شيء منه في سبيل دفع شرهم ما لم يصل شرهم إلى الإكراه .

قال ابن القيم رحمه الله [1]:

" وأقام بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلى الله سبحانه مستخفياً ، ثم نزل عليه (**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**) ؛ فأعلن بالدعوة ، وجاهر قومه بالعداوة ، واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين ، حتى أذن الله لهم بالهجرتين ".

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله [2]:

" فليتأمل العاقل ، وليبحث الناصح لنفسه : عن السبب الحامل لقريش على إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة وهي أشرف البقاع ، فإن المعلوم أنهم ما أخرجوهم إلا بعدما صرحوا لهم بعيب دينهم وضلال آبائهم ، فأرادوا منه صلى الله عليه وسلم الكف عن ذلك وتوعدوه وأصحابه بالإخراج ، وشكا إليه أصحابه شدة أذى المشركين لهم ، فأمرهم بالصبر والتأسي بمن كان قبلهم ممن أوذي ، ولم يقل لهم : اتركوا عيب دين المشركين وتسفيه أحلامهم ، فاختار الخروج بأصحابه ومفارقة الأوطان مع أنها أشرف بقعة

آياته الكبرى فاشتد تكذيبهم له وأذاهم وضراوتهم عليه وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس فجلاه الله له حتى عاينه فطفق يخبرهم عن آياته ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئا وأخبرهم عن عيرهم في مسراه ورجوعه وأخبرهم عن وقت قدومها وأخبرهم عن البعير الذي يقدمها وكان الأمر كما قال فلم يزدهم ذلك إلا نفورا وأبي الظالمون إلا كفورا " .

فهذا هو ديننا وشريعتنا ، فمن شاء فليؤمن ، والمنة من الله عليهم أن هداهم للإيمان ، ومن كفر : فإن لهم ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً !.

[1] زاد المعاد : 1 / 86 .

[2] الدرر السنية : 8 / 199 .

على وجه الأرض (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**)" .

ثانياً : الفترة المدنية :

ولما انتقل صلى الله عليه وسلم إلى المدينة هو وأصحابه بدأ الجهاد في سبيل الله ، فبدأ بالغزو منذ السنة الأولى للهجرة وحتى السنة التي توفي فيها صلوات الله وسلامه عليه ، فبلغ عدد غزواته خمساً وعشرين غزوة تقريباً ، وعدد سراياه وبعوثه ستين سرية تقريباً ، فلم يترك القتال في سبيل الله أبداً ، بل إما أن يغزو بنفسه ، أو يرسل سرية من سراياه ، حتى مات صلى الله عليه وسلم وقد عقد اللواء لأسامة بن زيد رضي الله عنه بجيش المسلمين للقتال في سبيل الله .

ولم يمت حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً ، وما دخلوا في الدين إلا بعد (صراع) و (قتال) ، ذهبت فيه أرواح أناس من خيار المؤمنين ، ومن أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه ؛ كعمه حمزة بن عبد المطلب ، وابن عمه جعفر بن أبي طالب ، وربيبه وحبه زيد بن حارثة ، رضي الله عنهم أجمعين ، مما هو معروف في كتب التاريخ.

وبتأمل هذه الفترة يظهر لك بطلان ما جاء في (بيان المثقفين) من أن الإسلام ينبذ الصراع أو الصدام والعنف ، وأنه دين يجيز التعايش مع الآخر ، وأنه لا يكره الناس على أديانهم ، وغيرها من الأباطيل التي سبق ذكرها .

وها هنا مسألة عظيمة تعرف بالنظر في الفترتين :

فالمتأمل في القرآن المكي يرى أن أكثر آياته في (التوحيد) و (الكفر بالطاغوت) و (البراءة من الكفار) و (قصص الأنبياء مع أقوامهم) وما أعده الله لأهل التوحيد من نعيم ، وما ينتظر أهل الشرك من جحيم والعياذ بالله ، وما أشبه ذلك .

والمتأمل في القرآن المدني يرى أن كثيراً من آياته في التشريعات والأحكام العملية ، و في الجهاد في سبيل الله ، مع ما فيها من الكلام على التوحيد و التحذير من أعداء الله من (أهل الكتاب) وغيرهم .

وهذا – والله أعلم – لأن المسلم في حالة استضعافه وكونه تحت تسلط الكفار وعدم قدرته على جهادهم باليد فقد يخشى عليه من الاستكانة لهم أو مداهنتهم أو (التعايش) معهم

وترك الكفر بالطاغوت ، لأنه – مع ضعفه – بين أظهرهم ، وفي قبضتهم ، فكان أكثر قرآن هذه الفترة في ما يميز المسلم عن الكافر ويفصله عنه من : التوحيد والكفر بالطاغوت ، والتحذير من الشرك ، والبراءة من الكفار ، ومعاداتهم ، وذكر جزاء الموحدين ، وعذاب المشركين ، وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم بما حصل للأنبياء مع أقوامهم .

وإذا هاجر المسلم وتميز في بلد يحكمه المسلمون ، فإنه يكون أبعد له من (الركون) إلى الكفار أو (التعايش) معهم لانفصاله عنهم ، وعدم قدرتهم عليه ؛ لذا كان قرآن هذه الفترة مغايراً (في الجملة) لقرآن الفترة المكية ، فنزلت الشرائع والأحكام ، ولكن مع هذا كانت آيات الأحكام متعلقة بـ(الكفار) على وجهين تقريباً :

الأول : التحذير من صنف آخر من الكافرين وذكر مكايدهم وخبثهم وكفرهم وهم (أهل الكتاب) الذين كانوا في المدينة .

الثاني : الحث على الجهاد في سبيل الله ليكون الدين كله لله ، والجهاد أكمل مراتب (البراءة من الكفار) .

فانظر يا رعاك الله :

لما كان النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهر الكفار وفي وقت استضعافهم له وتسلطهم على أصحابه كانت أكثر الآيات تحث على كمال المفاصلة بينه وبين المشركين .

فلما تميز عنهم كانت أكثر آيات الأحكام تحث على قتال الكفار ومجاهدتهم .

فأي (تعايش) حصل بين المسلمين والكفار في (الفترتين) ؟!

الدليل الثاني و العشرون

سيرة الصحابة

والمتأمل في سيرة الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يظهر له بجلاء بطلان ما في بيان المثقفين أيضاً ، وسأذكر للاختصار ثلاثة أمثلة تدل على ما وراءها :

المثال الأول : حروب الردة :

فقدكان أول عمل الصحابة رضي الله عنهم هو قتال من ارتد عن الإسلام من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا كثيرين جداً ، حتى قيل إن أتباع مسيلمة الكذاب وحده نحو مائة ألف ، هذا غير أتباع طليحة الأسدي ، وسجاح ، وغير مانعي الزكاة ، فقاتلوهم حتى استحر القتل بالقراء من الصحابة يوم اليمامة ، ثم نصرهم الله على مسيلمة وأصحابه ، ثم قاتلوا طليحة ومن اتبعه ، وغيرهم من المرتدين ، حتى تمكنوا منهم ، ونصرهم الله عليهم ، فقتلوا منهم كثيرين ، حتى سميت الحديقة التي تحصن بها مسيلمة وأتباعه ب(حديقة الموت) لكثرة من مات فيها ، وطلب بعضهم الصلح من أبي بكر رضي الله عنه ، كما في قصة (وفد بزاخة) – وقد رواها البخاري مختصرة – وهي ما رواه طارق بن شهاب قال : جاء وفد بزاخة من أسد وغطفان إلى أبي بكر يسألونه الصلح ، فخيرهم بين الحرب المجلية ، والسلم المخزية ، فقالوا : هذه المجلية قد عرفناها ، فما المخزية؟. قال : ننزع منكم الحلقة والكراع ، ونغنم ما أصبنا منكم وتردون علينا ما أصبتم منا ، وتدون لنا قتلانا ، ويكون قتلاكم في النار ، وتتركون أقواما يتبعون أذناب الإبل حتى يري الله خليفة رسوله والمهاجرين أمرا يعذرونكم به . فعرض أبو بكر ما قال على القوم ، فقام عمر فقال : قد رأيت رأيا وسنشير عليك ، أما ما ذكرت من الحرب المجلية والسلم المخزية فنعم ما ذكرت ، وما ذكرت من أن نغنم ما أصبنا منكم وتردون ما أصبتم منا فنعم ما ذكرت ، وأما ما ذكرت من أن تدون قتلانا وتكون قتلاكم في النار ؛ فإن قتلانا قاتلت فقتلت على ما أمر الله ، أجورها على الله ليس لها ديات ، فتتابع القوم على ما قال عمر .

والمقصود :

أنك بتأمل هذه الحادثة تعلم بطلان ما عليه بيان المثقفين في مسائل منها :

أولاً : البراءة من الكفار ومعاداتهم ، وهذا ضد ما يدعو إليه البيان من التعايش معهم ، فانظر إلى موقفهم من (مانعي الزكاة) فقط مع أنهم يشهدون الشهادتين ، ويصلون ، ويؤمنون بالقرآن وباقي الفرائض ، فبينهم من الأسس المشتركة والقيم المتفقة ما بين أهل الدين الواحد إلا في مسألة الزكاة فقط ، ومع هذا رفضوا (التعايش) معهم!.

ثانياً : القتال في سبيل الله ، وهذا ضد ما يدعو إليه البيان من نبذ الصراع والصدام والعنف .

ثالثاً : غنيمة (خيرات الشعوب) ، وتظهر في قول أبي بكر لوفد بزاخة : (ونغنم ما أصبنا منكم وتردون علينا ما أصبتم منا) ، وهي ترد على ما في البيان من عدم جواز الاعتداء على (خيرات) الشعوب المستضعفة ! .

رابعاً : الإكراه على الدين ، فإن الصحابة رضوان الله عليهم قاتلوا أولئك لإكراههم على الرجوع إلى الإسلام ، وهذا ضد ما كرره البيان في : عدم إكراه أحد على دينه ، وأنه لا يصح الإسلام مع الإكراه !.

المثال الثاني : الفتوحات :

وذلك بعد انتهاء الصحابة رضي الله عنهم من قتال المرتدين ، حيث اتجهت جيوشهم إلى (فارس) و (الروم) ، ثم (مصر) و ما وراءها من شمال أفريقيا ، وخراسان وما وراءها من المشرق ، ثم ركبوا البحر أيضاً في زمن عثمان رضي الله عنه فافتتحوا قبرص ، فقاتلوا هذه الأمم كلها ، و افتتحوا أراضيهم ، وغنموا أموالهم ، وحكموهم بالإسلام ، فانتشر الدين في مشرق الأرض ومغربها .

وكل هذه الأمور ترد على ما في بيان المثقفين من نبذ (الصراع) و (العنف) عن دين الإسلام ، ونفي الإلزام بالشرع ، وادعاء أن (خيرات الأرض) لا يجوز الاعتداء عليها ، وغير ذلك مما سبق بيانه .

المثال الثالث : الشروط العمرية :

وهي الشروط المشهورة التي أخذها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووافقه عليها الصحابة على من بقي على كفره في بلاد الإسلام في البلاد المفتتحة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله [1]:

" إن أمير المؤمنين عمر في الصحابة رضي الله عنهم ثم عامة الأئمة بعده وسائر الفقهاء جعلوا في الشروط المشروطة على أهل الذمة من النصارى وغيرهم فيما شرطوه على أنفسهم [2]: (أن نوقر المسلمين ، ونقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس ، ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم ؛ قلنسوة أو عمامة أو نعلين أو فرق شعر ، ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نكتني بكناهم ، ولا نركب السروج ، ولا نتقلد السيوف ، ولا نتخذ شيئا من السلاح ، ولا نحمله ، ولا ننقش خواتيمنا بالعربية ، ولا نبيع الخمور ، وأن نجز مقادم رءوسنا ، وأن نلزم زينا حيثما كان ، وأن نشد الزنانير على أوساطنا ، وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا ، ولا نظهر صليبا ، ولا كتبا من كتب ديننا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلا ضربا خفيفا ، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين) رواه حرب بإسناد جيد .

وفي رواية أخرى رواها الخلال : (وأن لا نضرب بنواقيسنا إلا ضربا خفيفا في جوف كنائسنا ، ولا نظهر عليها صليبا ، ولا نرفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون ، وأن لا نخرج صليبا ولا كتابا في سوق المسلمين ، ولا نخرج باعوثا – والباعوث : أنهم يخرجون مجتمعين كما نخرج يوم الأضحى والفطر – ، ولا شعانينا ، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ، ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين ، وأن لا نجاوزهم بالجنائز ، ولا نبيع الخمور ، إلى أن قال : وأن نلزم زينا حيثما كنا ، وأن لا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ، ولا في مراكبهم ، ولا نتكلم بكلامهم ، ولا

---

[1] اقتضاء الصراط المستقيم : 1 / 122 – 124 .

[2] والفقهاء من جميع المذاهب يذكرون هذه الشروط ونحوها في أحكام أهل الذمة ، ولولا خشية الإطالة لنقلت من كل مذهب ما يدل عليها ، ومن أوسع الشروح لها شرح ابن القيم رحمه الله في كتابه (أحكام أهل الذمة) ، وقال ابن كثير رحمه الله تعالى في هذه الشروط (تفسير ابن كثير 2 /348) : " ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك الشروط المعروفة في إذلالهم وتصغيرهم وتحقيرهم ، وذلك مما رواه الأئمة الحفاظ ، ثم ذكرها ".

نكتني بكناهم ، وأن نجز مقادم رءوسنا ، ولا نفرق نواصينا ، وأن نشد الزنانير على أوساطنا)
.

وهذه الشروط أشهر شيء في كتب الفقه والعلم ، وهي مجمع عليها في الجملة بين العلماء من الأئمة المتبوعين وأصحابهم وسائر الأئمة ، ولولا شهرتها عند الفقهاء لذكرنا ألفاظ كل طائفة فيها ، وهي أصناف :

الصنف الأول : ما مقصوده التمييز عن المسلمين في الشعور واللباس والأسماء والمراكب والكلام ونحوها ليتميز المسلم من الكافر ، ولا يشبه أحدهما الآخر في الظاهر ، ولم يرض عمر رضي الله عنه والمسلمون بأصل التمييز ، بل بالتمييز في عامة الهدي على تفاصيل معروفة في غير هذا الموضع ، وذلك يقتضي إجماع المسلمين على التميز عن الكفار ظاهرا ، وترك التشبه بهم ، ولقد كان أمراء الهدى مثل العمرين وغيرهما يبالغون في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود[1] ... وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني في شروط أهل الذمة بإسناده : أن عمر كتب : (**أن لا تكاتبوا أهل الذمة فيجري بينكم وبينهم المودة ، ولا تكنوهم ، وأذلوهم ولا تظلموهم**)[2]...

ومن جملة الشروط : ما يعود بإخفاء منكرات دينهم وترك إظهارها ؛ كمنعهم من إظهار الخمر والناقوس والنيران والأعياد ونحو ذلك .

ومنها : ما يعود بإخفاء شعار دينهم ؛ كأصواتهم بكتابهم .

فاتفق عمر رضي الله عنه والمسلمون معه ، وسائر العلماء بعده ، ومن وفقه الله تعالى من ولاة الأمور ، على منعهم من أن يظهروا في دار الإسلام شيئا مما يختصون به ، مبالغة في أن لا يظهروا في دار الإسلام خصائص المشركين ، فكيف إذا عملها المسلمون وأظهروها هم .

ومنها : ما يعود بترك إكرامهم وإلزامهم الصغار الذي شرعه الله تعالى ".

والمقصود أنك بتأمل هذه الشروط التي اتفق عليها الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم تجد أن فيها ما يرد على بيان المثقفين من وجوه :

---

[1] مما يدل على غربة الدين في هذا الزمان أن (طالبان) – نصرهم الله تعالى – لما ألزموا (أهل الذمة) في بلادهم بالتميز في الزي أنكر عليهم العصرانيون والانهزاميون !!.

[2] تأمل كلام عمر رضي الله عنه هذا جيداً !!.

الأول : أن الأصل بين المسلمين والكفار المخالفة في كل شيء ، حتى لو كان الكفار من أهل الذمة ، فكيف بالمحاربين ؟. وأن السعي لإيجاد أسس مشتركة بين المسلمين وغيرهم من أجل التعايش باطل وضلال !.

الثاني : أن العدل المراد مع الكفار هو تطبيق شرع الله فيهم ، لا مساواتهم مع المسلمين بشكل مطلق!.

الثالث : أن فيها إلزاماً للغير بشريعة الإسلام ، وهذا ناقض لقولهم (وليس من شريعتنا أن نلزم الآخرين بمفاهيمنا الخاصة، هذا هو خيارنا الشرعي) .

الرابع : أن فيها منعاً للكفار أن يظهروا شيئاً من خصائص دينهم ، وهذا ناقض لقولهم (وقيم خاصة بشعب معين آثرها واختارها فنحن لا نكرهه على تركها ، ذلك أن ديننا علمنا أن لا إكراه في الدين) .

وهكذا لو تأملت هذه الشروط شرطاً شرطاً وتأملت ما في بيان المثقفين لرأيت البون بينهما شاسعاً ، هذا مع أن ما في هذه الشروط هو لأهل الذمة الذين تجري عليهم أحكام الإسلام ويجب احترام عهدهم وحمايتهم وترك أذاهم ، فكيف يكون الحال مع غيرهم من الكفار المحاربين للمسلمين كالأمريكان؟!.

الفصل الخامس

شبهات وردود

الشبهة الأولى : صلح الحديبية :

الشبهة الثانية : أن عدم ذكر الأصول لا يلزم منه عدم الاعتبار :

الشبهة الثالثة : أن هذا البيان من باب التقية :

الشبهة الرابعة : أن هذا البيان من باب المداراة :

الشبهة الخامسة : أن هذا البيان من باب التورية :

الشبهة السادسة : أن هذا البيان من باب الدعوة والحوار لا الرد والإبطال :

الشبهة السابعة : أن أصول التعايش في القرآن :

الشبهة الثامنة : أن القرآن كتاب حوار :

الشبهة التاسعة : الاستشهاد بكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

الشبهة العاشرة : حسن القصد :

الشبهة الحادية عشرة : المحافظة على وحدة الصف :

الشبهة الثانية عشرة : قوله تعالى عن هارون (**إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل**) :

الشبهة الثالثة عشرة : أن هذا البيان من باب المصلحة :

تمهيد

اعلم أن باب الشبهات لا حصر له ، خصوصاً من (الصحفيين) الذين جعلوا أنفسهم (مفكرين إسلاميين) ، حيث أخذوا يكتبون بشكل متتابع – بعد صدور البيان – تنظيراً له وتأصيلا ؛ لذا لا أقدر على حصر جميع الشبه والرد عليها ، ولكني حاولت في سبيل الجواب على عامة الشبه أن اتخذ طريقين :

الطريق الأول : أن أجعل هناك أصولاً تغني عن تتبع الشبه ، فوضعت المقدمات في الفصل الأول من أجل هذا الأمر ، فبمعرفة تلك المقدمات ، مع تأمل الأدلة في الفصل الرابع ، فإنها كافية– بإذن الله – في إبطال عامة الشبه .

الطريق الثاني : أن أذكر أهم ما وقفت عليه من الشبهات ، وأجيب عليها بشكل مفصل، وهذه الشبهات أيضاً على قسمين :

قسم منضبط : وهي الشبهات المذكورة في هذا الباب .

وقسم غير منضبط : وهي شبهة (المصلحة) ، فخصصت له فصلاً آخر .

أسأل الله تعالى أن يعيننا على بيان الحق ، وأن يرزقنا حسن القول والعمل ، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه ، وهذا أوان الشروع في ذكر الشبهات والرد عليها :

الشبهة الأولى

صلح الحديبية

قال بعضهم :

(إن (بيان المثقفين) من جنس ما جاء في (صلح الحديبية) ، وقد سمى الله صلح الحديبية فتحاً مبيناً لما فيه من تمكن المشركين من تفهم دين المسلمين ووضعهم ، مع ما تضمنه من الغضاضة التي لحقت الصحابة في الظاهر ، فقد أجابهم الرسول صلى الله عليه وسلم في ترك كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وكتابة محمد رسول الله ، وكون من أتى إليهم من المسلمين لا يرد ومن أتى من المشركين إلى المسلمين يرد إلى المشركين ، وغير ذلك) .

قلت : والجواب على هذا أن يقال :

إن صلح الحديبية في حقيقته أبلغ رد على البيان ، فإن ما وقع فيه من أعظم ما يمكن أن يرد به على (بيان المثقفين) وما شاكله ، وذلك من وجوه :

الوجه الأول :

إن هذا الصلح لم يتعد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم الوحي مطلقاً ، ولم يقل فيه برأيه ، بل قال لما استنكر بعض الصحابة هذا الصلح (برأيهم) : (إني رسول الله ، ولست أعصيه ، ولن يضيعني) ، فهو أبلغ دليل على من يتعدى الوحي برأيه !. وهل كان الذين يردون على هذا البيان إلا بسبب تجاوزه لل(الوحي) واعتماده على (الرأي)؟.

فصار هذا الصلح بعد ذلك أصلاً من الأصول في اتهام (الرأي) مقابل (الوحي) ، فإن الرجل قد يرى (مصلحة) من عمل ما ب(رأيه) ولكن النصوص تخالفه ؛ كهذا البيان تماماً ، فلو أراد أحد أن يرد عليه ما وجد أبلغ من أقوال الصحابة الذين شاركوا في هذا الصلح:

كما قال عمر رضي الله عنه : (اتهموا الرأي على الدين ؛ فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأي اجتهاداً ، فو الله ما آلوا عن الحق ، وذلك يوم أبي جندل ، حتى قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : تراني أرضى وتأبى؟) .

وكما في البخاري عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال : (اتهموا الرأي ، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره لرددت والله ورسوله أعلم).

فانظر كيف صار هذا (الصلح) أصلاً في اتهام الرأي أمام الوحي !!.

والوحي قد انقطع بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أكمل الله الدين وأتم النعمة!!.

وهل رددنا عليهم إلا بالوحي ؟. وهل ردوا علينا إلا بالرأي (مصلحة الدعوة) ؟!!

الوجه الثاني :

أن الرسول صلى الله عليه وسلم فعل هذا الصلح سعياً لنشر الإسلام ، ومواصلة للجهاد في سبيل الله ، وتحقيقاً لأصول الإسلام من : نشر التوحيد ، والكفر بالطاغوت ، والبراءة من الكفار على اختلاف نحلهم ، فإنه لم يقبل هذا الصلح نكاية بالمجاهدين ، ولا إخلاداً إلى الدنيا وركوناً إليها ، ولا (تعايشاً) مع كفار مكة ، و لا تحالفاً معهم ، وحاشاه من ذلك كله ، بل ما قبله إلا لصالح الإسلام والمسلمين ، وليتفرغ للدعوة إلى الله تعالى ، والجهاد في سبيله ، ونشر الإسلام ، ففتح خيبر ، وغزا عدة غزوات ، وراسل الملوك في عصره فدعاهم إلى الإسلام ، وغير ذلك من المصالح الدينية الظاهرة . فسمى الله سبحانه هذا (الصلح) فتحاً لأمور كثيرة ؛ منها أن النبي صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومنها بيعة الرضوان ، ومنها فتح خيبر ، ومنها دخول الناس في الإسلام ، كما قال الشعبي رحمه الله في قوله تعالى (**إنا فتحنا لك فتحا مبينا**) قال: " هو فتح الحديبية ، لقد أصاب بها ما لم يصب في غزوة ؛ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وبويع بيعة الرضوان " .

وأين هذا ممن يطلب من الكفار (ترك الصراع) و (الصدام) و (التشنج) ، ويدعوهم إلى (الاحترام) و (الحوار من أجل التعايش) ، ويؤيد الكفار في حملتهم على (الإرهابيين) ، ويشاركهم شعورهم ، وغير ذلك مما سبق تفصيله ، وهم في ذلك كله لم يدعوهم إلى الإسلام بحرف واحد!!.

الوجه الثالث :

أن الرسول صلى الله عليه وسلم مع اتفاقه معهم على أن يرد من أتاه منهم مسلماً ، فإنه لم يقطع موالاته ونصرته عن هؤلاء المجاهدين ، فلم يؤيد الكفار ، أو ينصرهم عليهم حتى بالكلام ، أو يسمي المجاهدين بالإرهابيين ، أو المتشددين ، بل كان يدعو للمستضعفين بالفرج ، وكان يخبر أصحابه بأن الله سيجعل لهم فرجاً ومخرجاً ، بل أشار إلى (أبي بصير) لما قتل (رسول الكفار) – وهو من (الأعمال الإرهابية) في ذلك الوقت – بما فيه علامة له حيث قال (ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد) ، كما قال الحافظ[1] : "وفيه إشارة إليه بالفرار لئلا يرده إلى المشركين ، ورمز إلى من بلغه ذلك من المسلمين أن يلحقوا به" .

الوجه الرابع :

أن هؤلاء المجاهدين لما هربوا من كفار مكة وذهبوا إلى سيف البحر ، وهم الذين شرط على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يردهم :

أرهقوا قريشاً ، فسفكوا دماءهم ، وسلبوا أموالهم ، وقطعوا الطريق عليهم ، وأرهبوهم ، وضربوا (الأمن المدني) و (العصب الاقتصادي) لهم من (قوافل التجارة) ، مع أن قريشاً كانوا معاهدين للرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم ينههم النبي صلى الله عليه وسلم مع ذلك ، ولم يجعل عملهم إرهاباً ، ولم يشجبها ، ولم يستنكرها :

ولم يكتب (بياناً) يطالب فيه المثقفين من كفار مكة بـ(ضرورة الدخول في حوار من أجل التعايش والقضاء على الصراع اللا إنساني الذي أحدثه الإرهابيون في سيف البحر**!**).

ولم يقل لكفار مكة (نحن معنيون بحملتكم على الإرهابيين مسلمين أو غير مسلمين) .

ولم يقل لهم (من الممكن أن نشارككم الشعور وحتى الموقف في رفض ضرب هؤلاء الإرهابيين الذين مع أبي بصير للأمن المدني) .

ولم يقل لهم (إن هؤلاء مشكلة حقيقية في العالم لا بد لها من علاج) ، أو (إنهم صورة من صور الاعتداء الظالم على الأنفس والممتلكات) .

وحاشاه من ذلك كله :

---

[1] الفتح : 350/5 .

و لو كان يراهم مخطئين في فعلهم لنهاهم ، ولو نهاهم عن فعل شيء لانتهوا عنه ، فلما لم يفعل شيئاً من ذلك فقد دل على رضاه بعملهم ، وتأييده و موالاته لهم ، وكمال براءته صلى الله عليه وسلم من الكفار .

قال ابن حزم رحمه الله[1]:

"فهذا أبو بصير وأبو جندل ومن معهم من المسلمين قد سفكوا دماء قريش المعاهدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذوا أموالهم ، ولم يحرم ذلك عليهم ، ولا كانوا بذلك عصاة ، ولا شك في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قادراً على منعهم من ذلك لو نهاهم فلم يفعل" .

الوجه الخامس :

أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتنازل عن ثوابت الدين أبداً ، ولم يداهنهم ، أو يركن إليهم ، أو يتودد لهم ، أو يسترضيهم ، ونحو ذلك .

وهل حصل عليه ما حصل في (مكة) حتى هاجر منها إلا بسبب كفره بالطاغوت وبراءته منهم ومن آلهتهم؟. وهو في صلح الحديبية أقوى وأمكن وأكثر أصحاباً وعدداً وعدة منه قبل الهجرة ، فلو كان ثمّ تنازل لكان في الفترة المكية !.

وقد سبق تفصيل الكلام على هذه الشروط في المقدمة السادسة من الفصل الأول ، ونقلت فيه كلام النووي رحمه الله تعالى على هذه الشروط حيث قال [2]:

" قال العلماء : وافقهم النبي صلى الله عليه وسلم في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وأنه كتب باسمك اللهم ، وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذا وافقهم في رد من جاء منهم إلينا دون من ذهب منا إليهم ، وإنما وافقهم في هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح ، **مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور** ، أما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد ، وكذا قوله : محمد بن عبد الله هو أيضا : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس في ترك وصف الله سبحانه وتعالى في هذا الموضع بالرحمن

---

[1] الأحكام : 126/5.

[2] شرح النووي لصحيح مسلم : 12 / 139 ، 140 .

الرحيم ما ينفي ذلك ، ولا في ترك وصفه أيضا صلى الله عليه وسلم هنا بالرسالة ما ينفيها ، **فلا مفسدة فيما طلبوه** .

وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك ، وأما شرط رد من جاء منهم ومنع من ذهب إليهم فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الحكمة فيهم في هذا الحديث بقوله (من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا)[1] ، ثم كان كما قال صلى الله عليه وسلم ؛ فجعل الله للذين جاءونا منهم وردهم إليهم فرجا ومخرجا ولله الحمد ، وهذا من المعجزات ".

---

[1] انظر الكلام على هذا الشرط بالتفصيل – إن شئت – في الجواب على الشبهة الثانية من الفصل الثالث من كتاب (التبيان في كفر من أعان الأمريكان).

الشبهة الثانية

إن عدم ذكر الأصول لا يلزم منه عدم الاعتبار

وقال بعضهم :

(إن عدم الذكر لبعض الأصول الشرعية في البيان ، من وجوب الدعوة إلى التوحيد ، وعقيدة الولاء ، و البراء ، و شعيرة الجهاد في سبيل الله ، أو ذكرها مجملة ، أو ذكر بعض مقاماتها دون بعض لا يراد منه ، ولا يلزم عدم اعتبارها ، أو قصدها ؛ فإن المقام يذكر بحسب ما يناسبه ، وهذا قدر يقع فيه اجتهاد ، وتردد) .

قلت : والرد عليه من ثلاثة وجوه :

الوجه الأول :

أن هذا ليس محل الانتقاد ، فلم يكن محل الانتقاد (المسكوت عنه) ، بل محله (المنطوق به) ، فلم أر أحداً انتقد هذا البيان بأنهم سكتوا عن بيان (توحيد الأسماء والصفات) ، أو (توحيد الربوبية) ، أو (الإيمان بالملائكة والرسل واليوم الآخر) ، أو الإيمان بالأحكام القطعية في الشريعة الإسلامية كالأركان الخمسة مثلاً ، وهذه كلها من الأصول!.

وكل من قرأ الردود يعلم جيداً أن الانتقاد كان على (ذكر الباطل) لا على (السكوت عن الحق) ، فالسكوت عن الحق شيء ، والكلام بالباطل شيء آخر كما سبق تفصيله [1] .

الوجه الثاني : أن يقال :

أولاً : على أي عقيدة (براء) من الكفار تحمل النصوص الواردة في (بيان المثقفين): من الدعوة إلى الاحترام ، ونبذ التشنج ، والانطلاق من القيم المشتركة لتحقيق الأهداف المشتركة التي تتبناها الحكومات ، والحوار من أجل التعايش مع الكفار ، والكرامة الإنسانية المشتركة ، والتقرب إليهم ، وبناء العلاقات مع (الكفار) على (الأخلاق الكريمة) ، ومشاركتهم في شعورهم ، وتأييدهم على الإرهابيين ، والاعتراف بأن (الإرهاب) مشكلة حقيقية في العالم ،

---

[1] واقرأ ما ذكرته في المقدمة الرابعة من الفصل الأول عن : أن الكلام بالباطل أعظم من السكوت عن الحق .

وأن (الإرهاب الاصطلاحي) – ويقصد به عند لمخاطبين (الجهاد) – نوع من أنواع الاعتداء على الأنفس والممتلكات ، وغير هذا مما سبق تفصيله!!.

ثانياً : وعلى أي (جهاد) تحمل النصوص الواردة في (بيان المثقفين) : من الدعوة للنأي بالشعوب عن التطاحن والصراع ، واستنكار الصدام والإرهاب والتطرف ، والادعاء بأنه ليس من شريعتنا أن نلزم الآخرين بمفاهيمنا الخاصة ، وأن من تعاليم الإسلام أن العدوان على الشعوب المستضعفة ونهب ثرواتها وخيراتها من الإفساد في الأرض ، وعدم إكراه أي شعب على ترك قيمه الخاصة ، وغير ذلك مما سبق تفصيله أيضاً!!.

الوجه الثالث :

أن طريقة دعوة الكفار إلى الإسلام أو الرد على شبهاتهم محل اجتهاد فعلاً، ولكن الاجتهاد في (طريقة التناول) و (العرض) ، لا في (التغيير) و (التحريف) ، كأن يجتهد إنسان في الدعوة إلى الإسلام عن طريق الكلام على بعض الأصول مثلاً ، بغية التدرج بالكافر إلى الإسلام ، أو في المقارنة بين الإسلام وغيره من الأديان ، أو بذكر عدل الشريعة ، أو بالرد على بعض الشبه التي تثار حول الإسلام ، ونحو هذا , وقد يرى باجتهاده أن الدعوة تكون في فترة بالحكمة ، وفي فترة بالموعظة الحسنة ، وفي فترة بالجدال ، وفي فترة بالجلاد ، فهذا ونحوه هو محل الاجتهاد ، أما أصول الإسلام وشرائعه فليست ملكاً لأحد ليحرف فيها كيف يشاء ، أو يلغي منها أبواباً ، أو يميع أبواباً أخرى ، أو يحرف نصوصاً ، بحجة المصلحة أو الدعوة ، فهذا ونحوه لا يجوز لأحد فعله ، وقد سبق بيان هذا في الفصل الأول.

الشبهة الثالثة

أن هذا البيان من باب التقية

وقال بعضهم :

(إن المسلمين الآن في حال استضعاف ، وقد أباح الله في حالة الاستضعاف موالاة الكفار تقية في قوله تعالى (**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير)**) .

قلت : والجواب عن هذا من ثلاثة وجوه :

الوجه الأول :

أن التقية إنما تكون لمن هو مستضعف بين ظهراني الكفار وفي سلطانهم ، ويخشى منهم ، فلا يقدر أن يجهر بدينه بينهم ، ولا يقدر على الهجرة ، فيتقيهم بترك إظهاره ، وأصحاب هذا البيان ليسوا في سلطان الكفار ، ولا بين أظهرهم ، فلا تجوز لهم التقية بحال .

الوجه الثاني :

سلمنا أن لهم التقية في هذا البيان :

فالاستضعاف مسألة غير مسألة الإكراه ، فالإكراه يبيح النطق بالباطل ، أما الاستضعاف فقد يبيح – عند وجود شرطه – التقية[1] ، وهي في (السكوت عن الحق) ، وليست في (الكلام بالباطل) كما سبق في (المقدمة الثالثة) في الفصل الأول ، وسبق أن ذكرت كلام شيخ الإسلام مفصلاً هناك ، ومما قاله رحمه الله تعالى [2]:

---

[1] على أن هنا تنبيهاً وهو : أن من العلماء من جعل (التقية) مرادفة للإكراه ، وفسر آية النحل بآية آل عمران ، فأجاز الكفر بالتقية لأنها إكراه ، وشرط للتقية ما شرط للإكراه ، وهناك من فرق بينهما ، وهو الظاهر ، فالتقية يجوز فيها كتمان الدين دون إظهار الكفر ، أما الإكراه فيجوز فيه إظهار الكفر ، والتقية تجوز بمجرد الخوف مع الاستضعاف إذا كان في سلطان الكافرين ، أما الإكراه فلا يكون بمجرد الخوف ، ولهذا كله تفصيل ، محله في بحث الإكراه إن شاء الله تعالى .

[2] منهاج السنة : 6 / 424 – 425 .

"فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه ، ولكن إن أمكنه بلسانه ، وإلا فبقلبه ، مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه ؛ إما أن يظهر دينه ، وإما أن يكتمه ، وهو مع هذا لا يوافقهم على دينهم كله ، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون وامرأة فرعون ، وهو لم يكن موافقا لهم على جميع دينهم ، ولا كان يكذب ، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، بل كان يكتم إيمانه ، وكتمان الدين شيء ، وإظهار الدين الباطل شيء آخر ، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره".

و قال ابن جرير رحمه الله [1]:

" (**إلا أن تتقوا منهم تقاة**) : إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم ، وتضمروا لهم العداوة ، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ، ولا تعينوهم على مسلم بفعل ".

وقال ابن القيم رحمه الله [2]:

"ومعلوم أن التقاة ليست بموالاة ، ولكن لما نهاهم عن موالاة الكفار اقتضي ذلك معاداتهم والبراءة منهم ومجاهرتهم بالعدوان في كل حال ، إلا إذا خافوا من شرهم ، فأباح لهم التقية وليست التقية موالاة لهم".

وكلامنا على (البيان) ليس في سكوتهم عن الحق ، بل في كلامهم بالباطل .

الوجه الثالث :

سلمنا أن لهم التقية في هذا البيان ، وأن لهم أن يتكلموا بالباطل :

فإنه في هذه الحالة مشروط بعدم (انشراح الصدر لهذا العمل) ، و يجب أن (يقدر الأمر بقدره) ، فيكون هذا (البيان) بينهم وبين (الكفار) فقط ، فلا ينشر بين المسلمين ، ولا تجمع له التواقيع ، ولا توضع له الندوات ، ولا تكتب له الملاحق في الصحف ، ولا المواقع في الشبكة ، ولا تجرد له الردود التي تدافع عنه ، فإن هذا كله عنوان (انشراح الصدر بهذا البيان) ، وهذا لا تجيزه التقية ولا غيرها ! .

---

[1] تفسير الطبري : 227/3 .

[2] بدائع الفوائد : 3 / 575 .

الشبهة الرابعة

أن هذا البيان من باب المداراة

وقال بعضهم :

(إن هذا البيان من باب المداراة الشرعية الجائزة لدفع شر الكفار عن المسلمين ، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لاطف رجلاً بعد أن قال فيه (بئس أخو العشيرة) ، وكما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه (إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم)) .

والجواب :

أن هذا باطل ، فإن باب (المداراة) شيء ، و باب (المداهنة) شيء آخر ، فتجوز المداراة بخلاف المداهنة ، فالمداراة من باب التلطف بالقول مع المخالف ، واللين ، والرفق ، ولا يكون فيها إقرار باطل ، أو تقرير له ، أو تحريف نصوص ، أو تغيير شريعة ، ونحو ذلك ، فإن حصل شيء من هذا فقد انتقل إلى باب (المداهنة)!.

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بباطل ، ولم يقر شيئاً باطلاً ، ولم يفعل معصية في عمله – وحاشاه صلى الله عليه وسلم – ، وكذلك أبو الدرداء ، وما فعلوه قد يكون من باب التأليف على الإسلام ، أو من باب دفع الشر ، أو غيره ، ولكنه بطريقة مشروعة ، لم تخالط بمعصية ، وقد وردت أحاديث في مدح مداراة الناس لأنها قد تكون من باب حسن الخلق في بعض الأحيان .

قال ابن حبان رحمه الله بعد أن روى حديث (مداراة الناس صدقة)[1] :

" المداراة التي تكون صدقة للمداري هي : تخلّق الإنسانِ الأشياءَ المستحسنةَ ، مع من يدفع إلى عشرته ، ما لم يشبها بمعصية الله ، والمداهنة : هي استعمال المرء الخصال التي تستحسن منه في العشرة وقد يشوبها ما يكره الله جل وعلا".

---

[1] صحيح ابن حبان : 2 / 218 ، والحديث فيه نظر.

وقال ابن بطال رحمه الله [1]:

" المداراة : من أخلاق المؤمنين ؛ وهي خفض الجناح للناس ، ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ لهم في القول ، وذلك من أقوى أسباب الألفة . وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط ؛ لأن المداراة مندوب إليها ، والمداهنة محرمة ، والفرق أن المداهنة : من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه ، وفسرها العلماء بأنها : معاشرة الفاسق ، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه ، والمداراة : هي الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك".

وقال ابن حجر نقلاً عن القرطبي وعياض رحم الله الجميع [2]:

" والفرق بين المدارة والمداهنة :

أن المداراة : بذل الدنيا لصلاح الدنيا ، أو الدين ، أو هما معاً ، وهي مباحة ، وربما استحبت ، والمداهنة : ترك الدين لصلاح الدنيا ، والنبي صلى الله عليه وسلم إنما بذل له [يعني لمن قال عنه (بئس أخو العشيرة)]من دنياه حسن عشرته ، والرفق في مكالمته ، ومع ذلك فلم يمدحه بقول ، فلم يناقض قوله فيه فعله ، فإن قوله فيه قول حق ، وفعله معه حسن عشرة ، فيزول مع هذا التقرير الإشكال بحمد الله تعالى".

وهذا يدل على أنه إذا كان الأمر المبذول للعدو من (الدين) فإنه مداهنة ، لا مداراة !.

وهذا كله يعود إلى ما يجوز بذله للكافر وما لا يجوز في وقت الاستضعاف ، وقد تقدم الكلام عليه في المقدمة السادسة من الفصل الأول .

---

[1] فتح الباري : 10 / 528 .

[2] فتح الباري : 10 / 454 .

الشبهة الخامسة

أن هذا البيان من باب التورية

وقال بعضهم :

(و التورية : أن تطلق لفظاً ظاهراً في معنى ، وتريد به معنى آخر يتناوله اللفظ لكنه خلاف ظاهره ، وهذا ما حصل في (بيان المثقفين) حيث استخدمت فيه ألفاظ تحتمل أكثر من معنى : كان المقصود منها للموقعين المعنى البعيد الشرعي ، والمراد إفهامه للغرب المعنى القريب المستنكر ، وهذا جائز في باب (السياسة الشرعية) ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد غزوة ورّى بغيرها) .

والجواب على هذا : من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول :

بالمنع : فإن البيان وإن كانت فيه كلمات مجملة قد تفسر على أكثر من تفسير ، إلا أن فيه كلمات ليس لها إلا تفسير واحد ، سأذكر منها أربعة أمثلة طلباً للاختصار ، ومن أراد التفصيل فليراجع الفصل الرابع :

1- (**وعليه فإن الإفساد في الأرض :كالعدوان على الغير من الشعوب المستضعفة ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها الخاصة التي تملكها أو تلويث البيئة ، من الفساد الذي لا يحبه الله**) : وهذا منسوب إلى تعليمات النبي صلى الله عليه وسلم في الأسس التي أرساها لتحكم علاقات المسلمين مع الأمم الأخرى ، و (الغير) بالنسبة للمسلمين هم (الكفار) ، فهذا له تفسير واحد : وهو أن غزو المسلمين لـ(الشعوب المستضعفة) و (منازعتها في ثرواتها) من (الفساد الذي لا يحبه الله) ، وهذا يلزم منه تغيير الشرع ، في باب الجهاد ، وباب الفيء والغنائم ، والقدح في الفتوحات الإسلامية !.

2- (**فمن الممكن أن نشاركه الشعور وحتى الموقف في رفض ضرب الأمن المدني في العالم**) : وهذه لها تفسير واحد كما هو ظاهر : وهو مشاركة للكفار في شعورهم ، فهل لمثل كلمة (شعور) تفسير آخر ؟!.

3- (**إننا معنيون بالحملة على الإرهاب سواءً أتى من مسلمين أو غير مسلمين**) :
وهذا تصريح بتأييد الحملة على الإرهابيين ، بل وقطعوا أي تفسير آخر بزيادة في التأكيد بقولهم (سواء أتى من مسلمين أو غير مسلمين)!.

4- (**إن الإرهاب بالمعنى الاصطلاحي الشائع اليوم إنما هو صورة واحدة من صور الاعتداء الظالم على الأنفس والممتلكات**) : وهذا تصريح بأن الإرهاب صورة من صور الاعتداء الظالم ، وقد قيدوا (الإرهاب) بثلاثة قيود منعاً لاحتمال معنى آخر وهي (**الاصطلاحي**) و (**الشائع**) و(**اليوم**) ، وهل هذا (**الإرهاب**) (**الاصطلاحي**) (**الشائع**) (**اليوم**) : إلا الجهاد في سبيل الله في أفغانستان وكشمير والفلبين ونحوها ؟!.

الوجه الثاني :

سلمنا بأن ما في (البيان) كله على سبيل (التورية) ، وليس فيها لفظ صريح ، فلا نسلم أن أصول الدين من الكفر بالطاغوت و الولاء والبراء تجوز فيها التورية [1]:

فإن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان يوري في مثل جهة الغزوة ، وهو أمر واسع ، لكنه لا يوري في شيء من شرائع الدين ، والقاعدة في هذا (أن ما وجب بيانه فالتعريض أو التورية فيه لا يجوز)[2] ، لذا تجد أن توريته هذه بعد اشتداد قوة المسلمين وبداية الجهاد في سبيل الله ، وأما أصول الدين وشرائعه فلا تجوز التورية في بيانها إذا بينت حتى في وقت ضعف المسلمين ، وقلتهم ، وتسلط الكفار ، في مكة ، فقد كان يجهر بالتوحيد ، والكفر بالطاغوت ، ويصرح بإبداء العداوة للمشركين وآلهتهم ، مع كل ما حصل له ولأصحابه من أذى ، وقد نهاه الله سبحانه عن (المداهنة) لهم ، أو (الركون القليل) إليهم ، ولو من باب

---

[1] هنا أمران كما سبق التنبيه عليه في الفصل الأول :

الأول : مخاطبة الكفار ، أو الرد عليهم ، بدون تعرض لأصل الولاء والبراء ونحوه مطلقاً ، ولكن بدون تحريف أو تغيير للشرع ، بل عرض لبعض أصول الشريعة ، أو رد لبعض أباطيل الكفار.

الثاني : ذكر بعض الأصول الشرعية ، كمسائل الولاء والبراء ونحوها ، ومسخها ، ولبس الحق فيها بالباطل ، من أجل (السياسة الشرعية) أو (مصلحة الدعوة) ونحو ذلك .

فالأول يجوز ، لأن فيه كلاماً حقاً بدون لبسه بباطل ، والثاني لا يجوز ، بل هو باطل ، وقد يكون كفراً وخروجاً من الإسلام في بعض الحالات .

[2] انظر : إعلام الموقعين : 3 / 235 .

(السياسة الشرعية) ، بل وتأمل قصة ابن أم مكتوم رضي الله عنه في (سورة عبس) ، وقصة (الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) ، وقصة (سورة الكافرون) ، وكلها سبق تفصيلها في الفصل السابق ، فإنها كلها تدل على عدم جواز التنازل عن شيء من أمور الدين مطلقاً ، ولو حصلت (مصلحة دعوية) ، و النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكنه أن يورّي لهم بحبه لآلهتهم ، أو حبه لهم ، أو عدم عدائه لهم ، أو برغبته في التعايش معهم ، أو نحو ذلك ، ولكنه لم يفعل ، بل نهاه الله سبحانه ، وهو الحريص على أصحابه ، الذي ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً !.

الوجه الثالث :

سلمنا أن التورية تجوز مطلقاً حتى في أصول الدين :

فإنه يجب أن يقتصر هذا الأمر على (الضرورة) ، ولا ينشر بين المسلمين ، بل يقتصر فيه بين كاتبي البيان و كفار أمريكا فقط .

أما نشره بين المسلمين ، وعقد الندوات والمؤتمرات من أجله ، ونشره في الصحف والشبكة ، والسعي لجمع التواقيع عليه ، فهو من لبس الحق بالباطل :

لأن (التورية) فيها إرادة معنيين ، أحدهما حق ، والآخر باطل ، وكاتب البيان يريد الحق ، وقاريء البيان سيفهم الباطل ، أو على أقل أحواله سيلتبس عليه المعنى الحق بالباطل ، وهذا لا يجوز ، لأنه لبس الحق بالباطل ، وهو من باب إضلال المسلمين ، وهو من صفات اليهود كما جاء في وصفهم ، وهذا ظاهر جداً !.

قال شيخ الإسلام رحمه الله [1]:

" ولهذا قال تعالى فيما يخاطب به أهل الكتاب على لسان محمد صلى الله عليه وسلم : **(يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون ، وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون ، ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)** ، فنهاهم عن لبس الحق بالباطل ، وكتمانه ، ولبسه به : خلطه به حتى يلتبس أحدهما بالآخر ؛ كما قال تعالى (**ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون**) ، ومنه

---

[1] درء التعارض : 1 / 209 .

التلبيس : وهو التدليس : وهو الغش ؛ لأن المغشوش من النحاس تلبسه فضة تخالطه وتغطيه ،كذلك إذا لبس الحق بالباطل : يكون قد أظهر الباطل في صورة الحق ، فالظاهر حق ، والباطن باطل".

الشبهة السادسة

أن هذا البيان من باب الدعوة والحوار لا الرد والإبطال

وقال بعضهم :

(إن هدف هذا البيان هو الدعوة والحوار لا الرد والإبطال ، فجاء على أسلوب رشيد في الحوار ، وهو الانطلاق من المتفق عليه إلى المختلف فيه ؛ إذ إن هذا هو السبيل لاستمرار الحوار وتحقيق التأثير ، على حد قوله عز وجل (**قل من يرزقكم من السماء والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ، قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون**)) .

قلت : والجواب على هذا من ثلاثة وجوه :

الوجه الأول :

أن هذا القول في (الحوار) وهو (الانطلاق من المتفق عليه إلى المختلف فيه) والاستشهاد بمثل هذه الآيات إنما خرج من مشكاة (العصرانيين) و (التقريبيين) ؛ كما قال شيخهم [1] :

" وهذا مبدأ مهم جداً : إذا أردت أن تحاور الآخرين فابدأ بالمتفق عليه ليكون سبيلاً إلى نصل إلى قاسم مشترك بين الفريقين ، لا نأتي إلى الشيء المختلف فيه ، ونقول به ، فلا يمكن أن نلتقي ...نقول : نبحث فيما يجمع بيننا ؟ نحن معاً نؤمن بالله ، ولو إيماناً إجمالياً ، نؤمن بالآخرة والجزاء الأخروي ، نؤمن بعبادة الله ، وبالقيم الأخلاقية ، وبثبات هذه القيم ، نؤمن بوحدة الإنسانية ، وبأن الإنسان مخلوق مكرم ، ...نأتي بأشياء يمكن أن تجمع بين المختلفين ، فإذا وضعنا هذه الأشياء المتفق عليه ، يمكن أن نقرّب بين المختلفين بعضهم بعضاً ، من جهتنا نحن المسلمين مستعدون للتقارب"[2].

---

[1] دعوة التقريب : 2 / 744 ، والقائل هو شيخ العصرانيين : القرضاوي.

[2] ويقول نفسه في حلقة من برنامجه الشريعة والحياة بعنوان (الحوار مع الغرب) بتاريخ 11 / 7 / 1999 م : "ومن أهم الأشياء في الحوار والجدال وهي التركيز على القواسم المشتركة ، لاشك أنك مع المخالفين هناك نقاط تمايز ونقاط اختلاف ، فلا تركز في الحوار على هذه النقاط التي تميز بينك وبين غيرك لأن هذا يبعد ولا يقرب ، إذا أردت أن تقرب

الوجه الثاني :

أن هذه الآيات من أقوى الحجج في الرد عليهم في هذه المسألة ، بل لعلك لو بحثت في القرآن للرد على هذه الشبهة ما وجدت أقوى منها ، وذلك من وجهين :

الأول : أن الله سبحانه ذكر قبل هذه الآيات مباشرة ، وبعدها مباشرة ، آيات عظيمة في الدعوة إلى التوحيد ، وبطلان الشرك ، فقال تعالى قبلها (**قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**) وقال بعد هذه الآيات (**قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم ، وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**) ، وسياق الآيات واحد ، فأي اشتراك مزعوم ، وأي انطلاق من المسائل المتفق عليها إلى المختلف فيها !، بل كان الانطلاق من الدعوة إلى التوحيد وإقامة الحجة عليهم ببطلان ما هم عليه من الشرك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى على هذه الآيات [1] :

" فإنه لما دعاهم إلى التوحيد ، وبين أن ما يدعونه من دون الله لا يملك مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، ولا هو شريك ، ولا هو ظهير ، ولا ينفع شفيع إلا بإذنه ، نفى بذلك جميع وجوه الشرك ، فإن ما يشرك به : إما أن يكون له ملك ، أو شريك في الملك ، أو يكون به معيناً ، فإذا انتفت الثلاثة لم يبق إلا الشفاعة التي هي دعاء لك ومسألة ، وتلك لا تنفع عنده إلا لمن أذن له . ثم ذكر بعد هذا : أنه لا رازق يرزق من السماء والأرض إلا

الآخرين منك فركز على نقاط الاتفاق" ، ويقول في نفس الحلقة : "وعلى هذا الأساس نقول أن هناك قواسم مشتركة، تعالوا نقف على هذه الأرضية المشتركة أننا نريد أن نقف ضد النزعة الإلحادية في العالم، النزعة المادية"!!.

ويقول في حلقة بعنوان الأخلاق بتاريخ : 13 / 9 / 1998م : "ولذلك نحن ندعو إلى الحوار الإسلامي المسيحي ؛ لأن هناك أرضيه مشتركة بيننا وبينهم (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) فنحن نؤمن بالله ، ونؤمن بالفضائل ، ونؤمن بالعبادات ، ونؤمن بالآخرة ، هذه قواسم مشتركة بيننا وبينهم".

ويقول في حلقة بعنوان لإسلام وشبكة الإنترنت بتاريخ 28 / 6 / 1998م : " ونحن استجبنا لهم في دعوة الحوار الإسلامي المسيحي، عندنا أرضية مشتركة ، كما قال الله تعالى (وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم ..) يعني : اذكروا القواسم المشتركة بينكم وبينهم لا نقاط الاختلاف والتمايز".

[1] الجواب الصحيح : 2 / 81- 83 .

الله ، دل بهذا وهذا على التوحيد ، كما في قوله (**وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ، ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ، ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون**) ، فلما ذكر ما دل على وجوب توحيده ، وبيان أن أهل التوحيد هم على الهدى ، وأن أهل الشرك على الضلال ، قال : (**وإنا أو وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**) يقول : إن أحد الفريقين : أهل التوحيد الذين لا يعبدون إلا الله ، وأهل الشرك ، لعلى هدى أو في ضلال مبين ، وهذا من الإنصاف في الخطاب الذي كل من سمعه من ولي وعدو قال لمن خوطب به : قد أنصفك صاحبك ، كما يقول العادل الذي ظهر عدله للظالم الذي ظهر ظلمه : الظالم إما أنا وإما أنت ، لا للشك في الأمر الظاهر ، ولكن لبيان أن أحدنا ظالم ظاهر الظلم وهو أنت لا أنا ، فإنه إذا قيل : أهل التوحيد الذين يعبدون الله على هدى ، أو في ضلال مبين ، وأهل الشرك الذين يعبدون ما لا يضر ولا ينفع على هدى أو في ضلال ، تبين أن أهل التوحيد على الهدى ، وأهل الشرك على الضلال ، وهذا مما يعلمه جميع الملل من المسلمين واليهود والنصارى ؛ يعلمون أن أهل التوحيد على الهدى ، وأهل الشرك على الضلال ".

فالمقصود :

أنه لم يكن هنا انطلاق من (المتفق عليه) إلى (المختلف فيه) كما يزعم هذا ، بل العكس هو الصحيح ، فإن الله سبحانه بعد أن ذكر التوحيد وبطلان الشرك ، ذكر هذه الآية ، وليس فيها أيضاً (متفق عليه) ، وهذا هو الوجه :

الثاني : وهو إن الله سبحانه أخبر في هذه الآيات بما يدل على المفاصلة التامة والمباينة الحقيقية بين الفريقين ، وأنه ليس ثمّ أمور أو قيم أو أهداف مشتركة تجمع بيننا مطلقاً :

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في هذه الآيات [1]:

" يقول تعالى مقرراً تفرده بالخلق والرزق ، وانفراده بالإلهية أيضاً ، فكما كانوا يعترفون بأنه لا يرزقهم من السماء والأرض – أي بما ينزل من المطر وينبت من الزرع – إلا الله ، فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره . وقوله تعالى (**وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**) : هذا من باب اللف والنشر ، أي : واحد من الفريقين مبطل ، والآخر محق ، لا سبيل إلى أن

[1] تفسير ابن كثير : 3 / 539 .

تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال ، بل واحد منا مصيب ، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد ، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى ؛ ولهذا قال (**وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**) قال قتادة : قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين : **والله ما نحن وإياكم على أمر واحد ، إن أحد الفريقين لمهتد** . وقال عكرمة وزياد بن أبي مريم : معناه : إنا نحن لعلى هدى ، وإنكم لفي ضلال مبين . وقوله تعالى (**قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون**) معناه : التبري منهم ، أي : لستم منا ، ولا نحن منكم ، بل ندعوكم إلى الله تعالى وإلى توحيده وإفراد العبادة له ، فإن أجبتم فأنتم منا ونحن منكم ، وإن كذبتم فنحن برآء منكم وأنتم برآء منا ؛ كما قال تعالى (**فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون**) ، وقال عز وجل (**قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين**)".

قلت :

وهذا أمر عجيب ، فإن هؤلاء أتوا إلى الآيات التي فيها تمام البراءة من المشركين وأعمالهم فجعلوها (حواراً منطلقاً من الأمور المشتركة) ، فعكسوا الأمر تماماً ، وهي في حقيقتها أبلغ رد على هذا القول وهذا لا يدل إلا على جهلهم بتفسير الآيات التي ينتزعونها من القرآن على فهمهم المنكوس [1]، وهذا دأبهم في أكثر الأدلة التي يستشهدون بها ، فعلى المسلم أن يتنبه لاستدلالاتهم ويرجع إلى أقوال الأئمة في ذلك :

قال شيخ الإسلام رحمه الله [2]:

" وقوله (**الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم**) : هذه براءة منه لمن يخاطب بذلك من المشركين وأهل الكتاب ؛ كقوله تعالى (**وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون**) ، ومثل قوله تعالى (**قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون**) ، وكذلك قوله (**قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا**

[1] وأعني بهم العصرانيين الذين أفسدوا الدين بتحريفاتهم للنصوص وبفتاواهم الساقطة .

[2] الجواب الصحيح : 2 / 31 ، 32 .

أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين) ، فإن هذه الكلمة كقوله (**لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون**) ؛ وهي كلمة توجب براءته من عملهم ، وبراءتهم من عمله ؛ فإن حرف (اللام) في لغة العرب يدل على الاختصاص ، فقوله (**لكم دينكم ولي دين**) : يدل على أنكم مختصون بدينكم لا أشرككم فيه ، وأنا مختص بديني لا تشركوني فيه ؛ كما قال (**لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون**) ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في (**قل يا أيها الكافرون**) : هي براءة من الشرك ".

الوجه الثالث :

أن هذا البيان سواء كان حواراً ودعوة ، أو رداً وإبطالاً ، أو غير ذلك ، فإنه لا يسوّغ مسخ الشرع ، وتحريف النصوص ، والبراءة من الجهاد ، وموالاة الكفار ، وغير ذلك مما سبق تفصيله .[1]

[1] هذا كله من باب التنزل ، وإلا فهذا البيان ليس فيه حرف واحد أصلاً يدعوهم إلى (الإسلام) ، كما أنه في حقيقته (رد) على بيان المثقفين الأمريكان كما ذكر ذلك من نشره !.

الشبهة السابعة

أن أصول التعايش في القرآن

وقال بعضهم :

(لقد تضمن القرآن الكريم أصول التعايش مع الكفار في الأحوال المختلفة ، ففي مرحلة الدعوة جاءت النصوص بالأمر باللين ، وإقامة البراهين التي يتمكن المخاطب من فهمها ، كخطاب موسى للسحرة بما يدل على بطلان سحرهم ، وخطاب قوم عاد بما يدل على أن الله أشد منهم قوة ، ثم معجزة الرسالة الخاتمة من جنس ما تميزت به ثقافة العرب اللغوية ، وهذا كله نوع من إقامة الجسور الفكرية مع المخالف ، كما جاء القرآن بمراعاة مصالح المدعوين والإشادة بشرعية الصحيح منها ، فتجارة قوم شعيب عليه السلام جاء معها قول الله سبحانه (**إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط**[1]) ، وقال مؤمن آل فرعون (**يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض**) ، وفي القرآن مواضع لا تحصى تقرر أصول التعايش مع الكفار في الأحوال المختلفة ، وربما كان أكثرها بياناً في هذا السياق قوله تعالى (**لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ...الآية**) ، وقوله تعالى (**فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**)).

قلت : والجواب على هذا من وجوه :

الوجه الأول :

أن قوله (لقد تضمن القرآن الكريم أصول التعايش مع الكفار في الأحوال المختلفة) صحيح ، فإن أكثر آيات القرآن بعد التوحيد كما سبق : في (البراء) من الكفار ، و التحذير منهم ، ومن موالاتهم ، وفي بيان عداوتهم للمؤمنين ، وفي الإنكار على من سوى بين المسلمين وبينهم ، كما أن أكثر آيات الأحكام هي في (جهاد الكفار) ، وقصص الأنبياء كانت في

[1] جاء في الأصل : (الوطن) : عذاب يوم عظيم ، وهو خطأ .

طريقة (تعايشهم مع أقوامهم) ، وكيف (همت كل أمة برسولها ليأخذوه) ، وكيف توعدوا رسلهم (لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) ، وكيف (بدا بين الرسل وبين أقوامهم العداوة والبغضاء أبدا حتى يؤمنوا بالله وحده) ، وكيف (تقاسم الكفار بالله ليبيتن رسولهم مصبحين) ، وكيف قالوا (أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) ، وكيف (أتبعوهم مشرقين) ، و (قالوا أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم) ، وكيف قالوا (ولولا رهطك لرجمناك) ، وكيف (زلزل الرسل وأتباعهم حتى يقولوا متى نصر الله ؟) ، وهذا كله غير (نتائج تعايش الرسل مع أقوامهم) : (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا) ، فهذه ونحوها في القرآن هي : أصول التعايش مع الكفار ، وقد سبق ذكر الآيات في ذلك ، فلا نطيل في هذا .

الوجه الثاني :

أن قوله (وهذا كله نوع من إقامة الجسور الفكرية مع المخالف) إن كان يقصد بهذه (الجسور) طريقة دعوة الأنبياء لأقوامهم إلى التوحيد والكفر بالطاغوت ونبذ الشرك كما هو في القرآن فهذا صحيح ولا مشاحة في الاصطلاح ، وإن كان يقصد به – كما هو الظاهر – تملق الكفار ومداهنتهم ومسخ الشريعة لإرضائهم كما في (بيان المثقفين) فباطل ، ودليله هذا عليه لا له ، فإن مجرد التأمل في القرآن الكريم ، وفي قصص الأنبياء ، وفي أي سورة من سوره يبطل قوله ، وسواء سماها (جسوراً فكرية) أو (أنفاقاً ثقافية) فالعبرة بالحقيقة.

الوجه الثالث :

أن اللين والرفق في الدعوة لا يعني التنازل عن الثوابت أو لبس الحق بالباطل من أجل إرضاء الكفار ، كما سبق بيانه في الفصل الأول .

الوجه الرابع :

أن قوله (كما جاء القرآن بمراعاة مصالح المدعوين والإشادة بشرعية الصحيح منها ، فتجارة قوم شعيب عليه السلام جاء معها قول الله سبحانه (**إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط**)) دليل عليه لا له من وجوه :

أحدها : أن شعيباً عليه السلام في هذه الآية نفسها جاهرهم بدعوتهم إلى التوحيد والكفر بالطاغوت (**يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**) ، فلم يداهنهم في ذلك !.

وثانيها : أنه أنكر فيها ما هم عليه من التطفيف في الكيل والميزان (**ولا تنقصوا المكيال والميزان**).

وثالثها : أنه حذرهم من عذاب الله (**وإني عليكم عذاب يوم محيط**) .

ورابعها : أن قوم شعيب قالوا له بعد دعوته لهم (وهذا من أصول التعايش في القرآن) : (**ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز**) ، ثم جاءت نتيجة هذا التعايش في قوله تعالى بعد ذلك (**ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين**).

وأما قوله (**إني أراكم بخير**) : فإنه ليس إشادة بمصالحهم كما يزعم ، وليس مدحاً ، بل إخباراً بواقعهم ، والخير هنا لا يقصد به أنهم على أمر محمود ؛ من الخير مقابل الشر ، بل المقصود بالخير هنا: المال و سعة الرزق ، وهذا معروف في القرآن :

قال ابن عبد البر رحمه الله [1]:

"قول الله عز وجل (**كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين**) : والخير ههنا : المال ، لا خلاف بين أهل العلم في ذلك ، ومثل قوله عز وجل (**إن ترك خيرا**) : قوله (**وإنه لحب الخير لشديد**) ، وقوله (**إني أحببت حب الخير**) ، وقوله (**فكاتبوهم إن علمتم فيه خيرا**) و الخير في هذه الآيات كلها : المال ، وكذلك قوله عز وجل حاكياً عن شعيب صلى الله عليه وسلم : (**إني أراكم بخير**)".

الوجه الخامس :

---

[1] التمهيد : 14 / 295 ، وعلى هذا جميع كتب التفسير : انظر : تفسير القرطبي : 9 / 85 ، تفسير ابن كثير: 2/ 456.

أن قوله (وقال مؤمن آل فرعون (**يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض**)) دليل عليه لا له من وجوه :

أحدها : أن القائل (مؤمن آل فرعون) وكان يكتم إيمانه ، في وسط الكفار ، وعند فرعون ، وقد عرف بتسلطه وجبروته وإسرافه ، ومع ذلك جاهرهم بهذه النصائح لما سمع قول فرعون (**ذروني أقتل موسى وليدع ربه**) ، مع أنه معذور بالسكوت تقية لاستضعافه ، فكيف بمن ليس كهيئته بل في بلاد المسلمين[1] ؟! .

ثانيها : أنه قال بعد هذا محذراً لهم من عذاب الله (**فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا**).

ثالثها : أنه قال بعد ذلك رداً على فرعون (**وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ، ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ، ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب**) ، ثم دعاهم بعدها إلى الإيمان والنجاة وحذرهم من الكفر والنار .

رابعها : أن الله سبحانه ذكر بعد ذلك (نتائج هذا التعايش) فقال (**فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**) .

وأما قوله (**لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض**) فهو من جنس قول شعيب لقومه (**إني أراكم بخير**) ، فهو ليس من باب المدح ، بل ذكر الواقع وتخويفهم من زواله .

الوجه السادس :

---

[1] وهذا عجيب : رجل واحد ، مستضعف ، بين أقوام كافرين ، بلغ فيهم الجبروت والتسلط مبلغاً وصفه الله سبحانه بقوله (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم ...الآية) ، ثم يهددون بقتل موسى عليه السلام فيتكلم هذا الرجل ولا يهاب سطوته ويطيل في نصحهم وتخويفهم والدفاع عن موسى.

ورجال في بلاد المسلمين ، وبين ظهرانيهم ، ويهدد (فرعون) هذا العصر بقتل (الإرهابيين) من المسلمين ، فيكاتبونه ومما يقولون له : إنهم معنيون بحملتهم على الإرهابيين من مسلمين وغيرهم .

فأي مقارنة بين الفريقين ، وأي استشهاد من هذا بهذا الدليل ؟!!.

أن قوله (وربما كان أكثرها بياناً في هذا السياق قوله تعالى (**لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ...الآية**)) :
سبق الإجابة عليه مفصلاً في الفصل السابق فراجعه .

الوجه السابع :

أن قوله (وقوله تعالى (**فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**)) . الجواب عليه من وجهين :

الأول : أن هذه الآية منسوخة على (المعنى العام : وهو رفع الظاهر)[1] بالإجماع :

قال الجصاص رحمه الله تعالى [2]:

" ولا نعلم أحداً من الفقهاء يحظر قتال من اعتزل قتالنا من المشركين ، وإنما الخلاف في جواز ترك قتالهم لا في حظره " .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [3]:

" فكان النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر مأموراً أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده ؛ فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي أحسن ويجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً ، قال تعالى في سورة الفرقان – وهي مكية – (**فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً**) ، وكان مأموراً بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك ، ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أذن له في الجهاد ، ثم لما قووا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم ؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار ، فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ووفدت

---

[1] النسخ بمعناه الخاص رفع الحكم ، وأما بمعناه العام فرفع الظاهر : بتخصيص عام ، أو تقييد مطلق ، ونحو ذلك ، والأول مصطلح للمتأخرين ، أما المتقدمون فيذكرون النسخ ويقصدون به في الغالب المعنى الثاني ، والمقصود هنا أن هذه الآية لا أحد يأخذ بحكمها بهذا الإطلاق ، بل إما أن يقول إنها منسوخة بسورة براءة وآيات السيف كما يقول به جملة من أهل العلم ، أو يقول إنها مخصوصة بحالة الضعف الذي لا يستطيع فيه المسلمون قتال جميع الكفار. وأحكام القتال جاء على مراحل :

فقد أمروا بالكف أولاً ، ثم أذن لهم بالقتال ولم يؤمروا ، ثم أمروا بقتال من يعتدي عليهم ، ثم أمروا بقتال الكفار إلا من اعتزل قتالهم ، ثم أمروا بقتال الكفار مطلقاً . ومن لم يعرف الناسخ والمنسوخ من القرآن والأحكام فإنه قد يستدل بالأمر بكف الأذى على نفي (مشروعية الجهاد) !! .

[2] أحكام القرآن : 315/2 .

[3] الجواب الصحيح : 1 / 237 .

إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت وأمره بنبذ العهود المطلقة فكان الذي رفعه ونسخه ترك القتال وأما مجاهدة الكفار باللسان فما زال مشروعاً من أول الأمر إلى آخره".

وقال الشوكاني رحمه الله [1]:

"وما ورد في موادعتهم أو تركهم إذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ بإجماع المسلمين".

وجميع الفقهاء من جميع المذاهب يذكرون أبواب الجهاد وحكمه وأنه فرض كفاية وهو جهاد الطلب ، ولا يذكرون من الذين يحرم قتالهم إلا المعاهد والمستأمن والذمي ، وليس الاعتزال من (عاصمات الدم) للكافرين ! .

وراجع ما ذكر في آيات وأحاديث الجهاد في المبحث الثاني من الفصل السابق .

الثاني : إن يقال : (السلم) قد يراد به أمران :

أحدهما : ما اصطلح عليه في عصرنا هذا بـ(السلام) ، فيرد عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة قد قاتلوا من اعتزلهم وسالمهم كما في كثير من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم كغزوة المصطلق وغزوات نجد وغيرها ، وكما في فتوح الصحابة للبلدان ، كبلاد خراسان ، ومصر ، وقبرص ، وغيرها، واستمر العمل عليه عند التابعين ومن بعدهم.

ثانيها : أن يكون معنى (السلم) : الاستسلام والانقياد[2] ، فهذا من مقاصد الجهاد ، فإذا انقادوا لأحكام المسلمين لم يبق لجهادهم معنى .

---

[1] السيل الجرار : 4/ 519.

[2] قد فسر الشوكاني في (فتح القدير) 496/1 (وألقوا إليكم السلم) : أي : استسلموا لكم وانقادوا .

الشبهة الثامنة

أن القرآن كتاب حوار

وقال بعضهم :

(إذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أنه كتاب حوار من الطراز الأول ، وقد حاور الأنبياء أقوامهم ، وحاور الله سبحانه أعدى أعدائه (الشيطان) ، لذلك فنحن نقتدي بالقرآن ونتحاور مع من خالفنا)[1] .

قلت : والجواب على هذا من وجهين :

الوجه الأول :

أن كلمة (حوار) مجملة ، قد يراد بها أمران كما سبق :

الأمر الأول : أن يحاور الكافر ، أو المبتدع ، أو الفاسق ، أو المجتهد المخطيء ، أو غيرهم ممن خالف الحق فابتعد عنه كثيراً أو قليلاً بالطرق الشرعية ، وبطريقة الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم ، على حسب المخالفة ، والمخالف ، فهذا صحيح ، بل هو ما عليه عمل المسلمين (من أهل السنة والجماعة) إلى هذا اليوم ، وما دخلت الأمم في وقت الصحابة ومن بعدهم في الإسلام إلى بمثل هذا الحوار ، بل ما دخل الصحابة أنفسهم رضي الله عنهم في الإسلام إلا به .

الأمر الثاني : أن يراد بالحوار (التعايش) و (التعاون) في المتفق عليه ، و (تقريب وجهات النظر) ، وترك (المعاداة في الله) ، و(نبذ التعصب الديني) ، و (التطاحن والصراع) ، والدعوة إلى الاحترام وترك التشنج ، وتحريف النصوص إرضاء للمتحاورين ، ونحو هذا ، فهذا من شريعة الشيطان ، وليست من شريعة الرحمن ، بل هي منها براء ، وما سبق في الفصل السابق من أدلة ترد هذا.

---

[1] هذا الكلام احتج به (بعض الموقعين) هداهم الله لما نوقشوا (مشافهة) ، وهو من كلام شيخ العصرانيين : القرضاوي كما في محاضرة له بعنوان (الحوار الإسلامي المسيحي) منشورة في مجلة المسلم المعاصر عدد : 86 ، ص 144 ، انظر : دعوة التقريب : 2 / 719 .

الوجه الثاني : أن ما ذكره من (حوار) في (القرآن) هو أبلغ رد عليهم في ما ذهبوا إليه:

فانظر إلى (حوار) نوح عليه السلام مع قومه (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ، و دعاهم إلى هذا (ليلا ونهارا) و (جهارا وإسرارا) ، ثم إن الكفار (مكروا مكراً كباراً) ، وقالوا (إنا لنراك في ضلال مبين) ، وقالوا (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواع ولا يغوث ويعوق ونسرا) ، ثم قال نوح عليه السلام بعد هذا الحوار (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) ، ثم كانت نتيجة هذا (الحوار) (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا).

وانظر إلى حوار هود عليه السلام مع قومه (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) ، فرد قومه على هذا بقولهم (إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين) ، (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) ، فأجابهم بقوله (قد وقع عليكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) ، ثم كانت نتيجة هذا الحوار (فأنجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) .

وانظر إلى حوار إبراهيم عليه السلام والذين معه (إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) .

ولولا خشية الإطالة لذكرت (حوار) الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم ، وكيف كانت نتيجة كل حوار .

ولو جامل الأنبياء عليهم السلام أقوامهم ، أو داهنوهم ، ورضوا بـ(بعض الأمر) وتركوا بعضه ، ما حصل عليهم ما حصل من أقوامهم !.

فأين هذه الحوارات النورانية من (بيان المثقفين) وما فيه من الادهان لأعداء الله وموالاتهم وتحريف النصوص إرضاء لهم وغير ذلك مما سبق بيانه ؟!.

الشبهة التاسعة

الاستشهاد بكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى

وقال بعضهم :

(يشهد له قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (وهذا ما قاله ابن تيمية ولم أقله أنا**!**) :

" أن المخالفة لهم – أي : للكافرين – لا تكون إلا مع ظهور الدين وعلوه كالجهاد، وإلزامهم بالجزية والصغار ، فلما كان المسلمون في أول الأمر ضعفاء لم تشرع المخالفة لهم ، فلما كمل الدين وظهر وعلا ، شرع ذلك . ومثل ذلك اليوم : لو أن المسلم بدار حرب ، أو دار كفر غير حرب ، لم يكن مأموراً بالمخالفة لهم في الهدي الظاهر لما عليه في ذلك من الضرر ، بل قد يستحب للرجل ، أو يجب عليه ، أن يشاركهم أحياناً في هديهم الظاهر ، إذا كان في ذلك مصلحة دينية : من دعوتهم إلى الدين ، والإطلاع على باطن أمورهم لإخبار المسلمين بذلك ، أو دفع ضررهم عن المسلمين ، ونحو ذلك من المقاصد الصالحة . فأما في دار الإسلام والهجرة ، التي أعز الله فيها دينه ، وجعل على الكافرين بها الصغار والجزية ، ففيها شرعت المخالفة ، وإذا ظهر أن الموافقة والمخالفة تختلف باختلاف الزمان والمكان ظهرت حقيقة الأحاديث في هذا ".).

قلت :

والجواب على هذا من وجوه :

الوجه الأول :

أن هذا النقل مأخوذ من كتاب الشيخ (**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**)[1] ، ويكفي (عنوان) الكتاب فقط في (إبطال بيان المثقفين) بما فيه ، فضلاً عن تقريراته البليغة فيه : من مخالفة الكفار ، وتحريم التشبه بهم ، ووجوب اجتناب سبيلهم ،

[1] العجيب أن من نقل هذا النص قال (وبحسبه أن يأتي في أميز كتبه " اقتضاء الصراط المستقيم...") فوضع مكان (مخالفة أصحاب الجحيم) نقطاً!!.

والحذر من موافقة أهوائهم ، وحشد الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار في هذا ، وغير ذلك ، مما جعل هذا الكتاب (عمدة) في باب (معاملة الكفار) !.

الوجه الثاني :

أن الغريب أن تنتزع أسطر في وسط الكتاب وتعرض في الصحافة ، ويطبل لها المطبلون (هذا ما قاله شيخ الإسلام ولم أقله أنا!) ، ويغفل عن الكتاب كله ، وهو جميعه شوكة في حلوق (التعايشيين) ، يهدم ما يسعون إلى بنائه ، وسأنقل فيما يلي بعض ما جاء في هذا الكتاب العظيم في هذه المسألة ومن خلاله يفهم هذا النص المنقول :

قال رحمه الله في مسألة تقرير الإجماع على مخالفة الكفار [1]:

" الوجه الثالث في تقرير الإجماع : ما ذكره عامة علماء الإسلام من المتقدمين والأئمة المتبوعين وأصحابهم في تعليل النهي عن أشياء بمخالفة الكفار أو مخالفة الأعاجم ، وهو أكثر من أن يمكن استقصاؤه ، وما من أحد له أدنى نظر في الفقه إلا وقد بلغه من ذلك طائفة ، وهذا بعد التأمل والنظر يورث علماً ضرورياً باتفاق الأئمة على النهي عن موافقة الكفار والأعاجم ، والأمر بمخالفتهم " .

وقال أيضاً [2]:

" أن نفس المخالفة لهم في الهدى الظاهر مصلحة ومنفعة لعباد الله المؤمنين ، لما في مخالفتهم من المجانبة والمباينة التي توجب المباعدة عن أعمال أهل الجحيم ، وإنما يظهر بعض المصلحة في ذلك لمن تنور قلبه حتى رأى ما اتصف به المغضوب عليهم والضالون من مرض القلب الذي ضرره أشد من ضرر أمراض الأبدان " .

وقال أيضاً [3]:

" وذلك يقتضي إجماع المسلمين على التميز عن الكفار ظاهرا ، وترك التشبه بهم ، ولقد كان أمراء الهدى مثل العمرين وغيرهما يبالغون في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود".

وقال أيضاً [4]:

---

[1] الاقتضاء : 350/1 .
[2] الاقتضاء : 1/ 176 .
[3] الاقتضاء : 327/1 .
[4] الاقتضاء : 1 /177 .

"ولا يتصور أن يكون شيء من أمورهم كاملا قط ، فإذا المخالفة فيها منفعة وصلاح لنا في كل أمورنا ، حتى ما هم عليه من إتقان أمور دنياهم قد يكون مضرا بآخرتنا ، أو بما هو أهم منه من أمر دنيانا ، فالمخالفة فيه صلاح لنا. وبالجملة : فالكفر بمنزلة مرض القلب أو أشد ، ومتى كان القلب مريضا لم يصح شيء من الأعضاء صحة مطلقة ، وإنما الصلاح أن لا تشابه مريض القلب في شيء من أموره ، وإن خفي عليك مرض ذلك العضو ، لكن يكفيك أن فساد الأصل لا بد أن يؤثر في الفرع . ومن انتبه لهذا قد يعلم بعض الحكمة التي أنزلها الله".

وقال أيضاً [1]:

" جعل محمدا صلى الله عليه وسلم على شريعة شرعها له ، وأمره باتباعها ، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون ، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته .

وأهواءهم : هو ما يهوونه ؛ وما عليه المشركون من هديهم الظاهر ، الذي هو من موجبات دينهم الباطل ، وتوابع ذلك فهم يهوونه ، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه ، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم ، ويسرون به ويودون أن لو بذلوا مالا عظيما ليحصل ذلك . ولو فرض أن ليس الفعل من اتباع أهوائهم فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم في أهوائهم وأعون على حصول مرضاة الله في تركها ، وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره ، فإن من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه ".

قلت : والنقول كثيرة جداً ، ولو أردت أن استطرد لنقلت الكتاب كاملاً ، فانظر – يا رعاك الله – إلى هذه التقريرات من ذكر الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار على وجوب مخالفة الكفار وتحريم التشبه بهم ، بل وانظر إلى قوله " ولا يتصور أن يكون شيء من أمورهم كاملا قط ، فإذا المخالفة فيها منفعة وصلاح لنا في كل أمورنا ، حتى ما هم عليه من إتقان أمور دنياهم قد يكون مضرا بآخرتنا ، أو بما هو أهم منه من أمر دنيانا ، فالمخالفة فيه صلاح لنا " . فنفس مخالفتهم حتى في أمور دنياهم أصلح لنا ، فكيف يزعم الزاعمون بأن هذا الشيخ رحمه الله قد يقر (بعض) ما في بيان التعايش من عظائم ؟!.

---

[1] الاقتضاء : 86/1.

سبحانك هذا بهتان عظيم !! .

الوجه الثالث :

إذا تقرر لك ما مضى من كلام شيخ الإسلام في إيجابه مخالفة الكفار ، وتحريم التشبه بهم ، ونقله للإجماع على ذلك ، تبين لك بجلاء معنى هذا النقل ، وهو مبتور من وجهين :

أحدهما : أن هذه الأسطر منزوعة من كتاب كامل في بيان وجوب مخالفة الكفار ، فهي كما لو استشهد أحد بقول الله تعالى (**فويل للمصلين**) !.

ثانيهما : أن هذا النقل مبتور عن سياقه الذي هو فيه ، ولا يمكن لأحدٍ أن يفهمه حقاً إلا بوضعه في السياق الذي وضعه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيه ، فإنه قرّر مسألة وجوب مخالفة الكفار وتحريم التشبه بهم بالأدلة والإجماع ، ثم ذكر (شبهة) وهي قول من يقول : ما ذكرتموه معارض بما يدل على خلافه وذلك أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يدل شرعنا على خلافه [1] ثم ذكر أدلتهم على قولهم ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ، كسدل الشعر ، واستقبال بيت المقدس ، ويوم عاشوراء ، فأجاب الشيخ رحمه الله [2]:

"بأن هذا كان متقدماً **ثم نسخ الله ذلك** ، وشرع له مخالفة أهل الكتاب وأمره بذلك ".

ثم تكلم على مسألة استقبال بيت المقدس ، واستحباب مخالفتهم في صيام عاشوراء بصوم يوم التاسع معه ، ثم قال:

"**ومما يوضح ذلك** : أن كل ما جاء من التشبه بهم **إنما كان في صدر الهجرة ثم نسخ ذلك** ؛ لأن اليهود إذ ذاك كانوا لا يتميزون عن المسلمين : لا في شعور ، ولا في لباس ، ولا بعلامة ، ولا غيرها . ثم إنه ثبت بعد ذلك في الكتاب والسنة والإجماع – الذي كمل ظهوره في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه – ما شرعه الله من مخالفة الكافرين ومفارقتهم في الشعار والهدي.

---

[1] الاقتضاء : 1 / 412 وما بعدها .

[2] الاقتضاء : 1 /416.

وسبب ذلك [1]: أن المخالفة لهم لا تكون إلا بعد ظهور الدين وعلوه كالجهاد وإلزامهم بالجزية والصغار فلما كان المسلمون في أول الأمر ضعفاء لم يشرع المخالفة لهم فلما كمل الدين وظهر وعلا شرع ذلك...ثم ذكر باقي النص المنقول".

فهو تكلم هنا على أمرين :

الأمر الأول : تعليل موافقة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب صدر الهجرة ثم نسخ ذلك فيما بعد ، وهذا (تعليل) لا (تقرير) ، كما لو عللت سبب التدرج في تحريم الخمر ، أو التدرج في فرض الجهاد ، ونحو ذلك ، لأن الشريعة اكتملت بعد ذلك ولا يجوز لأحدٍ أن يأخذ بالمنسوخ ؛ لذلك قال " فلما كمل الدين وظهر وعلا ..." ، ومعلوم أن المشروع لنا هو الدين الكامل الذي مات عليه النبي صلى الله عليه وسلم .

والأمر الثاني : التنظير والتمثيل على المسلم الذي في بلاد الكفار ويخشى على نفسه أو كان وجوده لمصلحة دينية بقوله (ومثل ذلك اليوم : لو أن المسلم بدار حرب ، أو دار كفر غير حرب ، لم يكن مأموراً بالمخالفة لهم في الهدي الظاهر لما عليه في ذلك من الضرر ، بل قد يستحب للرجل ، أو يجب عليه ، أن يشاركهم أحياناً في هديهم الظاهر ، إذا كان في ذلك مصلحة دينية...) ، وقد سبق ذكر هذا الأمر في مسألة (التقية) ، أو المسلم الذي يجس للمسلمين ؛ كفعل محمد بن مسلمة رضي الله عنه ، ونحو ذلك ، فهذه قضايا جزئية فرعية استثنائية ، وليست أحكاماً كلية ، كاستثناء المضطر من تحريم الميتة فإنه لا يقدح في تحريم الميتة ، فالحكم الكلي قد توجد له استثناءات لا تخرجه من أن يكون كلياً.

ويبين هذا :

الوجه الرابع :

وهو قول الشيخ رحمه الله بعد هذا النص بأسطر [2]:

---

[1] وقد بتر النص عن أوله فلم يذكر قول الشيخ (وسبب ذلك) ، ومن المعلوم أن التعليل ليس كالتقرير ، لأن الشيخ هنا يلتمس العلة في سبب موافقتهم للكفار أول الأمر ثم نسخه في الأخير ، ولا يذكره كحكم مقرّر ، فإذا ذكرت كلامه كله ثم قوله (وسبب ذلك : أن المخالفة لهم لا تكون ...) تفيد غير ما يفيده قولك : قال الشيخ (إن المخالفة لهم لا تكون ...) ، فالأول يفيد تعليل حكم منسوخ ، والثاني يقرر حكماً شرعياً !!.

[2] الاقتضاء : 1 / 421 .

" ولو قال رجل : يستحب لنا موافقة أهل الكتاب الموجودين في زماننا لكان قد خرج عن دين الأمة ".

فاجمع هذا القول مع قوله في النص المنقول المبتور المحتج به على بيان المثقفين :

" بل قد يستحب للرجل ، أو يجب عليه ، أن يشاركهم أحياناً في هديهم الظاهر ، إذا كان في ذلك مصلحة دينية ".

يتضح لك الأمر ، فانظر إلى تكفيره من قال بأنه يستحب موافقة أهل الكتاب الموجودين في زماننا ، ثم انظر إلى ذكره أنه (قد يستحب مشاركة الكفار في الهدي الظاهر) ، تجد أن الأول هو الحكم الكلي الأصلي الذي يجب على المسلم الالتزام به ، والثاني حكم عارض في بعض الأحوال يعرف حكمه أهل العلم .

الوجه الخامس :

أن مشابهة الكفار في الهدي الظاهر على قسمين :

الأول : ما ورد فيه نهي خاص ، كالنهي عن لبس المعصفر الوارد في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

والثاني : ما لم يرد فيه نهي خاص ، وإنما يدخل في الأمر بمخالفة الكفار في هديهم على وجه العموم .

فالأول لا يجوز فعله إلا في حال الضرورة ، والثاني قد يجوز للمصلحة الدينية الظاهرة ونحوها ، وعليها يحمل كلام الشيخ رحمه الله هنا .

الوجه السادس :

أن النص على أنه يتفق تماماً مع باقي كلام شيخ الإسلام رحمه الله ، ولا لبس فيه ولا غموض لو أنه نقل كاملاً غير مبتور ، فإنه مع بتره والإيهام في نقله لا يدل على ما أرادوا لأمور :

أولها : قوله (لو أن المسلم بدار حرب ، أو دار كفر غير حرب) : فهذا في دار الكفار.

ثانيها : قوله (لما عليه في ذلك من الضرر) وهذا حال ما يوجب التقية .

ثالثها : قوله (إذا كان في ذلك مصلحة دينية) فهي مقيدة بقيود يفتي بها العلماء في حالات ضيقة جداً معروفة ، فالمسألة (جزئية) (معينة) لا كلية عامة .

رابعها : قوله (فأما في دار الإسلام والهجرة ، التي أعز الله فيها دينه ، وجعل على الكافرين بها الصغار والجزية ، ففيها شرعت المخالفة) : فهذا حال المسلمين في دار الإسلام . فأين ما يحتج به على مثل هذا (البيان) ؟![1].

[1] على أن القاعدة الشرعية تقول : إن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلو خالف أحد الدليل الشرعي لرد قوله ، فأقوال الرجال يحتج لها ولا يحتج بها ، وإنما أطلت في هذا المبحث لأبين لهم أن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى من أبعد الناس عن تقرير مثل كلامهم ، كيف : وإنما عرف رحمه الله تعالى بقوته في هذا الباب ؟!.

الشبهة العاشرة

حسن القصد

قالوا (إن النية إذا صلحت ، والقصد إذا حسن ؛ ضاق الخلاف ، وما قصد أصحاب هذا البيان إلا الخير ونصرة الإسلام والمسلمين ، وكف شر الكافرين ، فينبغي النظر في مقصدهم).

قلت :

والجواب من وجهين :

الوجه الأول :

أن الكلام في هذا البيان على قسمين :

الأول : الكلام على نية أصحابه (بإطلاق) واتهامهم في مقاصدهم .

والثاني : الكلام على ما في البيان من أباطيل ظاهرة .

فهذا الاعتراض قد يتوجه على القسم الأول ، فإذا تكلم أحد عن مقاصد الموقعين واتهمهم في دينهم ونحو ذلك توجه عليه مثل هذا ، فقد يكون من الموقعين من هو مجتهد مأجور ، أو مخطيء معذور ، أو آثم مأزور ، وهذا فيما بينهم وبين الله سبحانه .

أما الكلام على ما في هذا البيان من أباطيل فلا دخل للنية فيه أصلاً ، وإنما هو رد على باطل ظهر بغض النظر عن قصد قائله وهذا هو :

الوجه الثاني :

وهو أن المعصية لا تنقلب طاعة بالمقصد الحسن ، والباطل لا ينقلب حقاً بالنية الصالحة ، بل يبقى الباطل باطلاً ، والمعصية معصية ، إلا بدليل شرعي خاص ، أما بمجرد النية فلا ؛ فإن الحكم في الشريعة الإسلامية مبني على (الظاهر) كما هو معلوم ، فمن أبدى باطلاً رد عليه باطله كائناً من كان بغض النظر عن مقصده ، ومن جاء بحق قبل منه كائناً من كان بغض النظر عن مقصده .

فإذا تقرّر هذا : فإن ما في البيان من مخالفات شرعية واضحة يجب الرد عليها وبيانها للناس والتحذير منها ، والكلام فيها إنما هو كلام على الظاهر المنشور بين الناس ، لا كلام على ما غاب من مقاصد أصحابه !.

وقد ثبت في صحيح البخاري عن عمر رضي الله عنه قال : (إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء ، الله يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال : إن سريرته حسنة).

وقال الشافعي رحمه الله [1] :

"الأحكام على الظاهر ، والله ولي المغيب ، ومن حكم على الناس بالإزكان جعل لنفسه ما حظر الله تعالى عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم ; لأن الله عز وجل إنما يولي الثواب والعقاب على المغيب ; لأنه لا يعلمه إلا هو جل ثناؤه , وكلف العباد أن يأخذوا من العباد بالظاهر , ولو كان لأحد أن يأخذ بباطن عليه دلالة كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما وصفت من هذا يدخل في جميع العلم ".

---

[1] الأم : 4 / 120 .

الشبهة الحادية عشرة

المحافظة على وحدة الصف

قالوا : (إن المحافظة على (وحدة الصف) ضرورة ، والرد في مثل هذه المسألة يشق الصفوف ، ويوقع الإحن ، ويوغر الصدور ، ولا يسلم المتكلم فيه من الهوى ، وهذه المسألة أيضاً قد يكون الخطأ فيها لا يستحق هذا التضخيم ، وقد تكون مسألة اجتهادية ، ولا ينبغي تغليط الكبار من الصغار ، ولا ينبغي أن يتكلم في المسائل الكبار إلا الكبار)[1] .

قلت :

والجواب على هذا من وجوه :

الوجه الأول :

أن يقال لصاحب هذا الكلام : هل ما في البيان حق أو باطل ؟.

فإن قال : حق ، قلنا له : فالكلام معك له مقام آخر ؛ إذ لا بد من شرح اعتقاد الموحدين وأصولهم في الولاء والبراء وشعائر الدين .

وإن قال : باطل ، قلنا : فكلامك في (وحدة الصف) يتوجه على من أصدر البيان لا على من رد الباطل من ثلاثة وجوه :

---

[1] قال الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله في (الردود) : ص 78 بعد كلام على أهمية الرد على المخالف والحذر من المخذلين الذين يحذرون من (شق الصفوف) عند الرد على المخالفين ! : " أم أنها (دعوة إلى وحدةٍ تصدّع كلمة التوحيد) فاحذروا ، وما حجتهم إلا المقولات الباطلة : لا تصدعوا الصف من الداخل ، لا تثيروا الغبار من الخارج ، لا تحركوا الخلاف بين المسلمين ، نلتقي فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه ، وهكذا . وأضعف الإيمان أن يقال لهؤلاء : هل سكت المبطلون لنسكت ، أم أنهم يهاجمون الاعتقاد على مرأى ومسمع ويطلب السكوت ؟ اللهم لا . ونعيذ بالله كل مسلم من تسرب حجة يهود ، فهم مختلفون على الكتاب ، مخالفون للكتاب ، ومع هذا يظهرون الوحدة والاجتماع ، وقد كذبهم الله تعالى فقال سبحانه (**تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى**) ، وكان من أسباب لعنتهم ما ذكره الله بقوله (**كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه**) " انتهى .

أولها : أن (البيان) هو الذي ظهر أولاً ، في وقت كاد أن يتفق فيه أهل الحق على محاربة الدمج ، فخرج هذا البيان وشق الصف وأشغلهم عن مواجهة الباطل ، فهو سبب (تصدع الصفوف) الذي تدعيه.

وثانيها : أن ما في (البيان) باطل كما تقول .

وثالثها : أن (البيان) جمعت له عشرات التواقيع ، وكانوا يريدون (مليون توقيع) ، وترجم إلى اللغة الإنجليزية ، ونشر في الشبكة على نطاق واسع ، وعقدت له الندوات واللقاءات في القنوات الفضائية ، وكتبت فيه المقالات التي تدافع عنه ، ووضعت له الملاحق التي تؤصل له ، ولا يزال إلى وقتنا هذا .

فيا لله العجب :

بيان مليء بالباطل ، يصدر أولاً ، وتجمع له التواقيع ، و ينشر على العالمين ، وبعدد من اللغات ، وتتناقله وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ، وتحشد له الطاقات ، لا يقال فيه (إنه أثّر في صفٍ!).

وبضعة ردود لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، ولم تصدر ابتداء ، وإنما صدرت انتصاراً للحق ، ورداً على الباطل ، ولم تنتشر إلا في الشبكة ، ولم تذكرها وسيلة إعلام مطلقاً ، وما فيها مستند إلى الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم ، ومع هذا تكون هذه الردود هي التي (شقت الصف)!.

تالله إنها لقسمة ضيزى!.

الوجه الثاني :

أن طرد هذا الكلام في (باب الردود) يفضي إلى الزندقة ، وبيان ذلك :

أن من قال في مثل هذا الموضع دع الباطل حتى لا يفترق الناس ببيان الحق ، يلزمه أن يترك أيضاً أباطيل العصرانيين (من مسائل موالاة الكفار واحتواء العلمانيين ومسائل أحكام النساء والملاهي وغيرها) لهذه العلة ، ثم يترك بعد ذلك الرد على الروافض والأشاعرة والقبورية لئلا

يتصدع صف المسلمين ، ثم يترك بعد ذلك الرد على اليهود والنصارى لئلا تتصدع صفوف (الديانات السماوية) من أجل مواجهة (الإلحاد والإباحية)[1]!!.

فإن قال : أقصد الردود في المسائل الاجتهادية .

قلنا : فالمسألة هذه ليست اجتهادية ، بل مسألة اجتمع المسلمون عليها ، ودلت عليها الدلائل العظيمة من الكتاب والسنة وهدي الصحابة والسلف .[2]

الوجه الثالث :

أن بعض الموقعين على هذا البيان قد قاموا قبل أكثر من عشر سنوات بالرد على (الأكابر) ، وذلك عندما أفتى كبار العلماء في الجزيرة بجواز الاستعانة بقوات أعداء الله الأمريكان ، فخالفهم هؤلاء ، وألفوا في ذلك مذكرات في الرد عليهم ، ونشروا هذه الردود في المحاضرات

---

[1] لا تستغرب هذا المثال ، فهو واقع فعلاً ، فقد قال شيخ العصرانيين القرضاوي (في الروافض) في حلقة من الشريعة والحياة بعنوان الاختلاف الفقهي بتاريخ : 12 / 9 / 1999 م : " أنا شخصياً ممن ينادون بالتقريب بين أبناء الأمة الإسلامية وأنه لا يستفيد من إيقاظ الخلاف بينهم إلا أعداء الإسلام والمسلمين مهما كان بيننا وبين الشيعة من خلافات فهم من أبناء الأمة " ، وقال عن (الإباضية والروافض) في حلقة بعنوان الإسلام وشبكة الإنترنت بتاريخ : 28 / 6 / 1998 م : "ليس مهمتنا أن نثير القضايا المختلف فيها بل نحاول جمع الناس على القضايا المتفق عليها، إذا كنا رحبنا بالحوار الإسلامي المسيحي، فكيف ندعو لأن يحارب المسلمون بعضهم بعضا؟ نحن عندنا القاعدة الذهبية التي طالما دعوت إليها، وهي قاعدة الشيخ رشيد رضا والتي تبناها الشيخ حسن البنا وهي قاعدة تقول نتعاون فيم اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه. وعلى هذا الأساس أنا سافرت إلى إيران والتقيت أعضاء مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية، لأنني أرى أن حتى السنة والشيعة رغم الخلاف بيننا وبينهم هناك قدر يمكن أن نتفق عليه ونتعاون فيه، نحن جميعاً نقف ضد الصهيونية العالمية، نقف ضد إسرائيل واعتداءاتها، نحامي عن المسجد الأقصى، نقف ضد الإلحاد والإباحية في العالم، نقف ضد الظلم وضد الاستعباد والاستكبار فهناك ألف قضية وقضية نتعاون فيها، فيجب أن يضع كل منا يده في يد أخيه... لأنه سيكون تمزق في الجانب الإسلامي وتكتل في الجانب المعادي وهذا خطر على الأمة ولا يجوز للمسلمين أن يتسلحوا لهذا أبدا ".

ولم يقف هذا الأمر عند (الفرق الإسلامية) ، بل تعداها إلى (الديانات السماوية) ، فقال هذا الرجل في (أولويات الحركة الإسلامية) ص 175 عن أهداف الحوار الإسلامي المسيحي : " الوقوف في وجه تيار الإلحاد والمادية ، الذي يعادي كل الرسالات السماوية ، ويسخر من الإيمان بالغيب ..." . (دعوة التقريب) 2 / 824 .

ويقول الترابي كما في (الحوار بين الأديان التحديات والآفاق) ص 5 : " هذه هي دعوتنا اليوم ، أن نقيم جبهة (أهل الكتاب) ...ونحن اليوم مواجهون بتحدي الدفاع عن أصل التدين في الأرض ، وهذا التحدي يدفعنا نحو تجاوز الشكوك والتوجسات ، لنتعاون على البر المشترك بين الأديان". (دعوة التقريب) 2 / 733 .

[2] بل وحتى أهل البدع يوافقون أهل السنة في مسائل الولاء والبراء كما سبق بيانه .

والأشرطة وغيرها ، وحصل تصدع في الصفوف ذلك الوقت لا يزال أثره إلى اليوم ، ومع ذلك جعلها أتباعهم من مناقبهم ومحامدهم .

فهلاّ قالوا آنذاك : لم شققتم الصفوف ؟.

وهلاّ نشروا مقالات في (وحدة الصف) ؟.

وقد كان (الصف) في ذلك الوقت أحوج ما يكون إلى (الاتحاد) ، فالعدو البعثي في الشمال ، وقد حالفته بعض الدول الشمالية والجنوبية ، بالإضافة إلى نصف مليون من جنود الكفار بين أظهرنا ، هذا غير المنافقين والعلمانيين والمخذلين والمرجفين .

فهلاّ راعوا (وحدة الصف) ، وتركوا المسألة تلك مع أنها مسألة فقهية خلافية كما يذكر من أفتى بها – وهم معروفون بالعلم والدين والورع – وهي مسألة (الاستعانة بالمشركين)؟!!.

وهلاّ تركوا المسائل الكبار للكبار ؟!.

ولماذا يغلّط الصغار الكبار ؟![1].

فهل علة (الرد) تدور مع (الباطل) وجوداً وعدماً ؟!.

أم أنها تدور مع (بعض الأسماء) وجوداً وعدماً ؟!.

فإذا وجدت (أسماء معينة) كان الرد على كلامهم وإن كان باطلاً (شقاً للصفوف) ، وإن لم توجد أسماؤهم فالأمر واسع !.[2]

الوجه الرابع :

أن أعظم أسباب الاجتماع والوحدة الاعتصام بحبل الله كما قال تعالى (**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**) ، ومن ذلك الرد على الباطل ، لأنه يجعل الصف محمياً من تسرب

---

[1] أحد الذين أبلوا بلاء حسناً في أزمة الخليج تكلم في محاضرة له عن أن الحق ليس محصوراً عند الأكابر ، بل قد يكون عند الصغار ما ليس عند الكبار ، واستشهد في كلامه بابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ، وكيف علموا وهم من صغار الصحابة ما جهله البدريون !!.

[2] يقول محمد محمد حسين رحمه الله (الإسلام والحضارة الغربية) ص 49 : " ونحن حين ندعو إلى إعادة النظر في تقويم الرجال ، لا نريد أن ننقص من قدر أحد ، ولكننا لا نريد أن تقوم في مجتمعنا أصنام جديدة معبودة لأناس يزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ ، وأن أعمالهم كلها حسنات لا تقبل القدح والنقد ، حتى إن المخدوع بهم والمتعصب لهم والمروّج لآرائهم ليهيج ويموج إذا وصف أحد إماماً من أئمتهم بالخطأ في رأي من آرائه ، في الوقت الذي لا يهيجون فيه ولا يموجون حين يوصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يقبلون أن يوصف به زعماؤهم المعصومون".

الأباطيل إليه ، وهذا سبب الاجتماع ، ولم يجعل أحد من علماء الإسلام رد الباطل بالحق من أسباب الفرقة أبداً قبل هذا الوقت ، بل ترك الباطل هو الذي يؤدي إلى فساد دين الناس ودنياهم ومن ثم تفرقهم ، لهذا كان أعظم المسلمين اجتماعاً أهل السنة والجماعة لردهم الباطل واعتصامهم بالسنة ، وأما أهل الأهواء فكل من كان قريباً إلى السنة منهم كان أقل تفرقاً وتحزباً من غيرهم ، وإنما تعددت الفرق وتحزبت الجماعات بسبب نشر الأباطيل بين الناس دون ردها .

الوجه الخامس :

أن جعل رد الباطل بالحق مفرقاً للصفوف من مسائل الجاهلية ، فإن من تعيير كفار مكة للرسول صلى الله عليه وسلم قولهم عنه " فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا"، فلو حصل تفريق بين الصفوف عند بيان الحق و رد الباطل فهو من باب (التمحيص) و (التمييز) الممدوح لا المذموم .

الوجه السادس :

أن مصطلح (الكبار) و (الصغار) في المسائل والأحكام ، أو في الرجال ، مصطلح غير منضبط ، ولا يمكن لأحدٍ أن يطرده ، بل هذا الذي يطالب بهذا الأمر لماذا تكلم في هذه المسألة ولم يتركها للكبار ؟.

هل هو (كبير) ؟ أو المسألة (صغيرة) ؟.

إن كان كبيراً فلكل أحدٍ أن يزعم هذا الأمر لنفسه ، وإن كانت المسألة صغيرة ، فالخلاف فيها يسير !.

والرسول صلى الله عليه وسلم قبل الحق من اليهودي ، كما في النسائي من حديث قُتيلة بنت صيفى رضي الله عنها : (أن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم تشركون ؛ تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون والكعبة ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت).

فانظر إلى هذا الحديث :

فالراد (يهودي كافر) ، والمردود عليه (أناس من الصحابة رضي الله عنهم) ، والمسألة من (الكبار) في أصول الدين .

فلن تجد (أصغر) من (اليهودي) ، ولن تجد أكبر من (الصحابة) ، ومع ذلك قبل النبي صلى الله عليه وسلم هذا منه ، لا لأنه (كبير) ، ولا لأن المردود عليه (صغير) ، ولا لأن المسألة (صغيرة) ، بل لأن كلامه وافق (الحق) .

فالأمر المنضبط هو (الحق) و (الباطل) ، لا (الكبار) و (الصغار) !.

فإذا كان المتكلم جاء بحق قبل منه ولو كان صغيراً ، وإن جاء بباطل رد عليه ولو كان كبيراً ، والحق ما وافق الكتاب والسنة ، والباطل ما خالفهما[1].

[1] وهذا كله على التسليم بأن الموقعين على البيان من الأكابر والمنتقدين من الأصاغر ، والصحيح أن الذين انتقدوا البيان — من غير كاتب هذه السطور — ليسوا أقل من الموقعين علماً وفضلاً ، بل منهم من هو أكبر من عامة من فيه !.

الشبهة الثانية عشرة

قوله تعالى عن هارون (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل)

وقال بعضهم – وهي من أعجب الشبهات التي وقفت عليها – تحت عنوان (وحدة الصف ضرورة)[1]:

" وثمة أمور بها تتضح أهمية وحدة الصف والحاجة إليه :

ثم قال : الأمر الثاني : أن هذا مما بعث به الأنبياء :

كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم دعاة لوحدة الصف وجمع الكلمة ، قال الإمام البغوي "بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة". وقد اختلف الأنبياء من قبل في الرأي ، فاختلف موسى وهارون : (**قال يا هارون ما منعك إذا رأيتهم ضلوا ، ألا تتبعن أفعصيت أمري ، قال يا بنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي**) ، ولو وقع مثل هذا الأمر في عصرنا فقد تجد من يتهم هارون بأنه سكت عن إنكار الشرك الأكبر ، وأن المسألة خلل في الاعتقاد ، وانحراف في المنهج ...إلخ ، وبغض النظر عن الأصوب من الاجتهادين فالخلاف حصل ، وعذر كل منهما الآخر " .

والجواب أن يقال:

إن هذا الكلام ساقط ، ويظهر سقوطه من وجوه :

الوجه الأول :

---

[1] وقد فُصِّلت مقالات في وحدة الصف على مقاس (بيان المثقفين) ؛ بحيث يكون (شق الصف) من (الردود الجائرة الظالمة) ، ويخرج منها (البيان المسكين) مظلوماً قد افتري عليه لم يشق (صفاً) ولا هم يحزنون!.

أن هذه شبهة العصرانيين في أن الحفاظ على (الوحدة الوطنية) أهم من (تحقيق التوحيد) و (إنكار الشرك) ، وإليك كلام أحد الخبراء بهم[1] ممن لا يتهم عليهم أثناء كلام له عن الصحفي الذي صار مفكراً إسلامياً فهمي هويدي ، حيث قال[2] :

"ولكنه ما زال يتشبث بفتوى أخرى ملخصها أنه إذا كانت الوحدة الوطنية تتطلب أن يكفر المسلمون بالله ويخرجوا من دين الإسلام فليكفروا وليخرجوا حماية للوحدة الوطنية!! ودليله بنص كلامه : " قصة النبي موسى عليه السلام وأخيه هارون — التي استشهدت بها أكثر من مرة — وفيها مرر (كتبت مرر بحروف سوداء ومعناها فوّت ..ج)[3] النبي موسى انزلاق بعض بني إسرائيل إلى الشرك (الشرك أيضاً كتبت سوداء ..ج) — مؤقتاً — حفاظاً

---

[1] القائل هو محمد جلال كشك في كتابه (ألا في الفتنة سقطوا) ص 138 ، والكتاب فيه أشياء حسنة وغيرة على الإسلام ورد على الانهزاميين ، إلا أن عليه مؤاخذات كبيرة وتخبيطات كثيرة من جهة التعامل مع الكفار وأحكام أهل الذمة وغير ذلك و ليس هذا موضعها .

[2] يقول كشك عن (فهمي هويدي) بعد أن ذكر منتحلي صفة الكتاب الإسلاميين ممن عرفوا بعدائهم للإسلاميين – وما بين معقوفتين مني للتوضيح – : " وسأتناول هنا واحداً منهم يعد من المتخصصين في هذا اللون من الدس الذي يتم تحت الشعار المطلوب جماهيرياً ويؤدي إلى العكس ! ولنضرب على ذلك مثلاً : فهو ككاتب للسلطة يتمتع بتسهيلات خاصة في النشر في كبرى الصحف الحكومية المصرية ، وكان ولا يزال من أقرب المقربين لأستاذه محمد حسنين هيكل ، وأقربهم لرضاه في عهد تربع فيه هيكل على عرش الناصرية ، وعلاقتهما مستمرة إلى اليوم ، فهما يسافران معاً للتفتيش على الثورة الإيرانية ، ويتبادلان المجاملات والإشادة والاقتباسات ، هو يدعوه (أستاذه) ، وهيكل يدعوه (زميلي) ، ويترافقان في المهام الصحفية ، ولا يستطيع أشد فقهاء السلطان بهلوانية أن يجد علاقة بين هيكل والحركة الإسلامية إلا النفور والعداء والتاريخ المرير ، أما الصداقة الحميمة بين كاتب إسلامي وهيكل الناصري العلماني فهو ما يستحيل تفسيره بكل حسن النية المتوافرة عند البلهاء ، ثم لما عاش في الخارج – فترة – عمل في الكويت تحت رعاية السلفي الأصولي الإسلامي المتطرف (!) أحمد بهاء الدين [وهو علماني معروف] ، الذي مكنه من مواصلة الجهاد في سبيل الدعوة ! ، وفي لندن عمل في صحيفة سعودية [الشرق الأوسط] ، وما زال يكتب في الصحف السعودية ، وهو ناصري حتى النخاع ، وإلى اليوم يشهد لعبد الناصر بالثورية ...[ثم تكلم طويلاً عن هويدي]" (ألا في الفتنة سقطوا) ص 129 ، وقال أيضاً ص 176 : " روت لي الكاتبة الإسلامية (ص) إنها سألت هذا الهويدي : هل يريد إلغاء الآيات التي تتعرض لعقائد المسيحيين واليهود في القرآن ؟فرد قائلاً : لا ، تبقى في المصحف ، لكن لا تتلى في الإذاعة والتلفزيون والاجتماعات العامة !".

[3] ما بين القوسين تعليقات من جلال كشك على كلام هويدي ، ويختم تعليقه بالإشارة إلى أول حرف من اسمه.

على هدف أسمى هو وحدة القوم "[1] . وقد جمع هذا الخبث [والكلام لا يزال لكشك] في كتاب وأضاف إليه ، فبعد أن حكى واقعة بني إسرائيل والعجل افترى الآتي : " **وهو ما سكت عنه هارون مؤقتاً ، من أجل وحدة القوم ، وسداً لباب الفراق والشقاق** ، سكت هارون على هذا المظهر من مظاهر الشرك (عبادة العجل مظهر ..أمال إيه الشرك نفسه ..ج؟) ويتابع : " وهي حجة قدرها النبي موسى وأقرها ، إذ لم يشر النص القرآني إلى أنه رد الحجة أو اعترض عليها ، أي أن هارون عليه السلام **لما خير بين إحباط الدعوة إلى الشرك بالله واحتمال تفتيت المجتمع وشق وحدته ، وبين السكوت المؤقت على بادرة الشرك في سبيل دوام الوحدة والتئام الصف ، فإنه اختار الموقف الثاني** ، ولم يعترض النبي موسى ، وجاء النص القرآني محملاً بهذه الإشارة ذات الدلالة المهمة ، وإذا أحسنا قراءة النص ، وتدبرنا معناه ، فقد نضيف بعداً آخر شرعياً ، يستزيد الإسلاميون به في تقدير الأهمية البالغة لوحدة القوم والوطن والأمة ، خصوصاً إن الملابسات الراهنة أخف كثيراً من تلك التي ألحت إليها النصوص القرآنية في قصة موسى وهارون"[2] انتهى .

الوجه الثاني :

أن ما استشهد به من قصة هارون وموسى من أبلغ ما يمكن أن يرد به على دعاة (ترك الباطل) من أجل (وحدة الصف) !، ويظهر هذا من وجوه :

أحدها : إن هارون عيه السلام أنكر عليهم في نفس الآيات التي ساقها حيث قال تعالى قبلها (**ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري**) .

والثاني : إن هارون عليه السلام بالغ في الإنكار حتى كادوا أن يقتلوه كما قال تعالى عنه (**إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني**) .

والثالث : أن موسى عليه السلام لما رأى هذا المنكر رجع غضبان أسفاً ، ثم تكلم على قومه ، و ألقى الألواح (التي كتب الله له فيها من كل شيء) ، وأخذ برأس أخيه ولحيته —

---

[1] الأهرام : مقال لهويدي بعنوان : (بيان من أجل الوحدة الوطنية) : 1989/5/9م . (ألا في الفتنة سقطوا) ص 173.

[2] ص 270 ، 271 : كتاب (حتى لا تكون فتنة) تأليف هويدي . (ألا في الفتنة سقطوا) ص 173 .

وهو : نبي ، وشقيق ، وأكبر منه سناً — ، وقام يجره إليه ، وكان هذا أمام الملأ من بني إسرائيل ، كما قال تعالى (**ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين**).

والرابع : أن موسى عليه السلام قام بإحراق العجل ونسفه ، والدعاء على السامري الذي أضل قومه ، كما قال تعالى (**قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا**).

والخامس : أن موسى عليه السلام قال لقومه (**يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم**) .

فلو أراد أحد أن يأتي بحجة في : قوة الغضب لله ، والانتصار للتوحيد ، والغيرة له ، واستكمال مراتب الإنكار ، فلعله لا يجد أبلغ من هذه الآيات التي أرادوا أن يحتجوا بها على عكس ما تدل عليه!!.

الوجه الثالث :

أن قوله (ولو وقع مثل هذا الأمر في عصرنا فقد تجد من يتهم هارون بأنه سكت عن إنكار الشرك الأكبر ، وأن المسألة خلل في الاعتقاد ، وانحراف في المنهج ...إلخ) :

جهل بمقام الأنبياء عليهم السلام ! ، ومعاذ الله أن يسكت هارون عليه السلام عن إنكار هذا الشرك .

سبحان الله !.

كيف وقبله بآية يقول تعالى عنه (**ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري**) ، وقال تعالى عنه في الآية الأخرى (**إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني**) ؟.

أهذا حال من سكت عن إنكار هذا الشرك؟.

سبحانك هذا بهتان عظيم .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في قوله تعالى (**ولقد قال لهم هارون من قبل ...الآيات**)[1] :

"يخبر تعالى عما كان من نهي هارون عليه السلام لهم عن عبادة العجل ، وإخباره إياهم إنما هذا فتنة لكم ، (**وإن ربكم الرحمن**) الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا ، ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد ، (**فاتبعوني وأطيعوا أمري**) أي : فيما آمركم به ، واتركوا ما أنهاكم عنه ، (**قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى**) أي : لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه ، وخالفوا هارون في ذلك ، وحاربوه ، وكادوا أن يقتلوه" .

الوجه الرابع :

أن قوله تعالى (**إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي**) ليس كما توهم هذا الكاتب وأمثاله من أن المراد أن هارون عليه السلام ترك الإنكار عليهم وسكت عن (الشرك الأكبر) حرصاً منه على (وحدة الصف) ، وبقراءة الآيات قبل هذه الآية يعلم هذا جيداً ، و لو رجع إلى كلام أهل التفسير لعلم المقصود من قوله (**فرقت بين بني إسرائيل**) ، فقد أجمع المفسرون على إنكار هارون عليهم واعتزاله لعبادتهم العجل وأنهم كادوا أن يقتلوه بسبب هذا ، وهذا ما دل عليه القرآن ، وكلهم مجمعون على أن قوله (**فرقت بين بني إسرائيل**) أمر زائد على الإنكار وإن اختلفوا في هذه الزيادة ، فمنهم من قال : إنه يقاتلهم بمن معه من المؤمنين ، ومنهم من قال : أن يتركهم ويلحق موسى بمن معه من المؤمنين ، ونحو هذا ، ولم يقل أحد قبل (فهمي هويدي) – ومن اتبعه – أنه خشي على (وحدة الصف) عند إنكار (عبادة العجل) فآثر السكوت على ذلك[2] !!.

---

[1] تفسير ابن كثير : 3 / 164 .

[2] يقول كشك في كلامه على دعوة (هويدي) هذه (ألا في الفتنة سقطوا) ص 139 – وما بين معقوفتين مني – : "والغريب أن أحداً من شيوخنا لم يرد على هذا الإفك والتزوير في الوقائع والتفسير ، ويبدو أنه هو وحده الذي أحسن قراءة النص ، ونستغفر الله قبل القول : بأن[ه يلزم على كلامه هذا أن] رسول الله لما أنزل عليه هذا النص لم يحسن استيعابه مثلما فعل هذا ، لأن الرسول آثر رفض الشرك على وحدة قومه وعشيرته ، فشاققهم وفرق بينهم ، بل وقاتلهم ، وقتل منهم 23 عاماً حتى اتحدوا على وحدانية الله ، ولا أبو بكر استوعب النص ؛ لأنه خاض حرباً أهليه من أجل الالتزام بنص الله في الزكاة ، حتى رزئنا بالهويدي فأحسن استيعاب النص!!...إلى أن قال ص 141 : هل يمكن القول بأن وحدة القوم هدف أسمى من التوحيد ورفض الشرك ، وعند من ؟ نبي ! محال عقلاً ونقلاً ، فالهدف الأسمى للدين والأنبياء ، بل الهدف الأسمى للإنسان والوجود كله : توحيد الله !".

قال ابن جرير رحمه الله:

"وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي قاله ابن عباس من أن موسى عذل أخاه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الإيمان ، فقال له هارون : إني خشيت أن تقول فرقت بين جماعتهم فتركت بعضهم وراءك وجئت ببعضهم ، وذلك بيّن في قول هارون للقوم (**يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري**) وفي جواب القوم له وقولهم (**لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى**) ".

وقال ابن الجوزي رحمه الله في قوله (**فرقت بين بني إسرائيل**):

" وفيه قولان : أحدهما : باتباعي إياك ومن معي من المؤمنين ، والثاني : بقتالي لبعضهم ببعض " .

وقال ابن كثير رحمه الله:

" قال (**إني خشيت**) أن أتبعك فأخبرك بهذا ، فتقول لي : لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم ؟".

الوجه الخامس :

أن قوله (وبغض النظر عن الأصوب من الاجتهادين فالخلاف حصل) باطل ، أ فيختلف النبيان عليهما السلام في إنكار الشرك حتى تجعل هذه مسألة اختلفا فيها ؟ وهل تحتاج المسألة إلى (ترجيح) ؟. وهل يريد بذلك أن يجعل مسألة إنكار الشرك الأكبر مسألة (خلافية) ؟ .

إن هذا القول جهل بالتوحيد ، وبدعوة الأنبياء ، وبالقرآن ، فكلا النبيين عليهما السلام أنكرا الشرك كما نص على ذلك القرآن ولم يسكتا عنه خوفاً على (وحدة الصف) كما يزعم هؤلاء ، وليست المسألة (اجتهادية) ، ولم يحصل بينهما خلاف في حقيقة الأمر ، وإنما ظن موسى عليه السلام لما رأى عبادة العجل أن أخيه هارون عليه السلام (سكت) عن الإنكار كما يظن هؤلاء ، فلما قال له هارون عليه السلام (**إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني**) وأخبره عن نهيه لهم قبل ذلك منه وعذره ودعا له ، فأين الخلاف وكلهم متفقون؟.

قلت : يبقى أن تعرف أن (جلال كشك) كاتب هذا الكلام الجميل في الرد على دعاة وحدة الصف بمثل هذه (التخبيطات) كان (شيوعياً) في شبابه كما نص على ذلك في كتابه هذا ص 23 !!.

قال ابن كثير رحمه الله [1]:

" وقوله (**وأخذ برأس أخيه يجره إليه**) خوفاً أن يكون قد قصر في نهيهم ، كما قال في الآية الأخرى (**قال يا هارون ما منعك إذا رأيتهم ضلوا ، ألا تتبعن أفعصيت أمري ، قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي**) ، وقال ها هنا (**ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين**) أي : لا تسقني مساقهم ، ولا تخلطني معهم ، وإنما قال (**ابن أم**) ليكون أرأف وأنجع عنده ، وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه ، فلما تحقق موسى عليه السلام براءة ساحة هارون عليه السلام كما قال تعالى (**ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري**) ، فعند ذلك قال موسى (**رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين**) ".

فليس هنا خلاف أصلاً حتى يذكر فيها قولين ، فصارا متفقين أولاً وآخراً !!.

الوجه السادس :

أن قوله (فالخلاف حصل ، وعذر كل منهما الآخر) تخليط :

فأي خلافٍ ، وأي عذرٍ يريد ؟ .

فقصة موسى وهارون عليهما السلام كما في الآيات لها جانبان :

الجانب الأول : إنكار موسى الشديد على هارون وجره بلحيته وبرأسه ؛ لأنه ظن أنه خالفه وسكت عن إنكار مثل هذا الشرك .

والجانب الثاني : دعاء موسى لأخيه وعذره له لما أخبره أنه لم يخالفه وأنه أنكر عليهم حتى كادوا يقتلونه .

فأين الخلاف والعذر الذي يريده ؟.

إن كان الخلاف كما يزعم عن هارون عليه السلام إنه خالف موسى عليه السلام وسكت عن إنكار الشرك الأكبر من أجل وحدة الصف فإن موسى عليه السلام لما ظن أن هارون عليه السلام فعل هذا لم يعذره ، بل فعل معه ما رواه القرآن لنا ، أ فيريد إنكاراً عليه أعظم

[1] تفسير ابن كثير : 249/2 .

من إلقاء الألواح المباركة و الأخذ برأسه باليمين ولحيته بالشمال وجره إليه أمام الملأ حتى خشي هارون من شماتة الأعداء ؟!.

فهو في الحقيقة دليل عليه لا له ؛ فإن موسى عليه السلام لم يعذر هارون عليه السلام إلا لما تبين له أنه لم يخالفه وأنه أنكر ولم يسكت !.

الوجه السابع :

لو سلمنا ما يقوله من فعل هارون عليه السلام وحاشاه من ذلك ، وأن المسألة اختلفا فيها ، فإن هارون عليه السلام وزير لصاحب الرسالة (موسى) عليه السلام وخليفة له وتابع ، فالحجة – لو اختلفا – في فعل موسى عليه السلام.

الوجه الثامن :

إذا تبين لك أن موسى وهارون عليهما السلام متفقان تماماً على إنكار الشرك ، ولم يسكت هارون عن إنكاره له خوفاً على وحدة الصف كما يزعم هؤلاء ، فيقلب عليه قوله (ولو وقع مثل هذا الأمر في عصرنا فقد تجد من يتهم هارون بأنه سكت عن إنكار الشرك الأكبر ، وأن المسألة خلل في الاعتقاد ، وانحراف في المنهج ...إلخ) .

فيقال :

و لو وقع مثل هذا الأمر في عصرنا :

1- **(ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً)**
2- **(قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم)**
3- **(وألقى الألواح)**
4- **(وأخذ برأس أخيه يجره إليه)**
5- **(قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني)**
6- **(فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين)**

فقد تجد من يتهم من فعل مثل فعل موسى عليه السلام بأنه : متعجل ، متشنج ، ضخّم الخلاف ، وفرّق الصف ، وألزم بما لا يلزم ، وليست لديه أخلاقيات الحوار ، ولا آداب الاختلاف ، ولم يفصل بين الأشخاص (هارون عليه السلام وبني إسرائيل) و المواقف (عبادة

العجل) ، ولم يوقر الأكابر (فهارون عليه السلام نبي أكبر سناً من موسى عليه السلام) ، وغير هذا .

وحاشا موسى صلوات الله وسلامه عليه وهو من أولي العزم من هذا كله ، وحاشا هارون عليه السلام مما ذكر من السكوت عن الشرك ، وإنما هذا الكلام من باب قلب الدليل على المستدل.

الشبهة الثالثة عشرة

أنه من باب المصلحة

وهي أكبر شبهة لهم :

فمنهم من قال : (مصلحة الدعوة) ، ومنهم من قال : (حماية الأقليات) ، ومنهم من قال : (كسب هؤلاء الكفار أو تحييدهم) ، ومنهم من قال (تحسين صورة الإسلام) ، ومنهم من قال : (درء المفاسد) ، ومنهم من قال : (دفع شر الكفار) ، ومنهم من قال : (مصلحته عميقة لا يفهمها السطحيون) ، ومنهم من قال : (سحب البساط من العلمانيين) ، وغير هذه (المصالح) التي يعارض بها الوحي ، ولا تكاد تجد اثنين يتفقان على (مصلحة معينة) !.

وهكذا : كل يخرج من (كيسه) (مصلحة) فيرد بها النصوص .

واعلم أن هذه شبهة عريضة ، وليست مختصة بهذا البيان فقط ، بل إنها أصبحت في عصرنا هذا سلاحاً لكل مفلس ، من مغرض ، أو جاهل ، أو عصراني ، أو علماني ، أو سياسي ، أو غيرهم ، يبارز بها النصوص الشرعية ، فلا يحتاج – بعد أن تذكر له النصوص الصريحة في إبطال مذهبه – إلا أن يقول كلمة واحدة فقط : (المصلحة) !!.

ولأن هذه الشبهة هي أكبر شبهة في هذا البيان ، ولانتشارها في هذا الزمان في معارضة الكتاب والسنة ، ولأهمية كسر هذا (الطاغوت) الذي ردت به النصوص ، فقد جعلته في فصل آخر ، وقد لخصته من كتاب مستقل في (المصلحة) لم يكتمل بعد .

الفصل السادس

كسر طاغوت حجة المفلسين (المصلحة) :

المبحث الأول : أنواع المصالح:

المبحث الثاني : أول من قدم المصالح على النصوص :

المبحث الثالث : إبطال تقديم (المصالح) على النصوص :

المبحث الرابع : تنبيهات في مسألة المصلحة :

تمهيد

قال ابن القيم رحمه الله تعالى عند كسره لطواغيت أهل الأهواء في زمانه [1]:

" **الفصل الرابع والعشرون** : في ذكر الطواغيت الأربع التي هدم بها أصحاب التأويل الباطل معاقل الدين ، وانتهكوا بها حرمة القرآن ، ومحوا بها رسوم الإيمان وهي :

1-قولهم : إن كلام الله وكلام رسوله أدلة لفظية لا تفيد علماً ولا يحصل منها يقين.

2-وقولهم : إن آيات الصفات وأحاديث الصفات مجازات لا حقيقة لها.

3-وقولهم : إن أخبار رسول الله الصحيحة التي رواها العدول وتلقتها الأمة بالقبول لا تفيد العلم وغايتها أن تفيد الظن.

4-وقولهم :إذا تعارض العقل ونصوص الوحي أخذنا بالعقل ولم نلتفت إلى الوحي.

فهذه الطواغيت الأربع :

هي التي فعلت بالإسلام ما فعلت ، وهي التي محت رسومه ، وأزالت معالمه ، وهدمت قواعده ، وأسقطت حرمة النصوص من القلوب ، ونهجت طريق الطعن فيها لكل زنديق وملحد ، فلا يحتج عليه المحتج بحجة من كتاب الله أو سنة رسوله إلا لجأ إلى طاغوت من هذه الطواغيت واعتصم به واتخذه جنة يصد به عن سبيل الله .

والله تعالى بحوله وقوته ومنه وفضله قد كسر هذه الطواغيت طاغوتاً طاغوتاً على ألسنة خلفاء رسله ، وورثة أنبيائه ، فلم يزل أنصار الله ورسوله يصيحون بأهلها من أقطار الأرض ، ويرجمونهم بشهب الوحي ، وأدلة المعقول ، ونحن نفرد الكلام عليها طاغوتاً طاغوتاً : ثم شرع في كسرها رحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام وأهله خير الجزاء ".

قلت :

رحمك الله يا أبا عبد الله ، فلقد أحدثت طواغيت من بعدك ، ومن هذه الطواغيت التي (محت رسوم الإسلام ، وأزالت معالمه ، وهدمت قواعده ، وأسقطت حرمة النصوص من القلوب ، ونهجت طريق الطعن فيها لكل زنديق وملحد) طاغوت (المصلحة) : والذي (لا

---

[1] الصواعق المرسلة : 2 / 632 .

يُحتج على المبطل بحجة من كتاب الله أو سنة رسوله إلا لجأ إلى هذا الطاغوت (المصلحة) واعتصم به ، واتخذه جنة يصد به عن سبيل الله!).

وهذا أمر لمسناه وتحققناه ، والناس فيه بين مستقل ومستكثر ؛ كباقي الطواغيت التي ذكرها ابن القيم رحمه الله ؛ فإن الناس الذين يتسلحون بها ليسوا على حدٍ سواء ، بل هم بين الغالي والمقتصد .

وهذه مسألة عظيمة ، جليلة ، لا يعرف خطرها إلا من عرف فروعها ، وما لحق الأمة منها ، فإنك لا تكاد تجد أحداً عارض النصوص برأيه في هذا الزمان إلا ويرد عليك إذا بينت له بقوله (هذه المصلحة) ، و الأمر في كسر هذا الطاغوت قد جمعت فيه بحمد الله (كتاباً) لم يكتمل بعد، ذكرت في كسره الأدلة النقلية والعقلية وكلام أهل العلم ، مع ذكر ما ترتب على ذلك من مفاسد بالتفصيل ، وسأذكر في هذا الفصل مختصراً لما جمعته لمناسبة الرد على (شبهة الاستدلال بالمصلحة).

المبحث الأول

الكلام على أنواع المصالح

من المعلوم لدى كل مسلم أن الشريعة الإسلامية لا تأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة ، ولا تنهى إلا عما مفسدته خالصة أو راجحة ، وهذا أمر معروف ، قد قامت عليه الدلائل ، فلا يحتاج إلى استطراد ، ولكن هذا الأمر لا يعني أن كل مصلحة يدركها العقل فلا بد أن تكون مشروعة ؛ فإن العقل لا يستقل بمعرفة المصالح لقصور العقل البشري ونقصه ، بل قد يتوهم ويرى مصلحة ما حقيقته مفسدة ، أو ما يترتب عليه مفسدة ، لذا كان لا بد له من دليل يهديه إلى ذلك لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقد عمل الصحابة والتابعون ومن بعدهم من الأئمة بهذا الأمر ، فكانوا يقرون المصالح الشرعية ويفتون بها ، إلا أنهم كانوا في استدلالاتهم على النوازل لا يستدلون بمجرد المصالح ، بل بالأدلة التي تثبت وجود هذه المصلحة ، و تثبت اعتبارها .

ثم إن الأصوليين قسموا المصالح إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : مصالح معتبرة : وهي ما قامت الأدلة الشرعية المعينة على رعايتها ، وشهد الشرع للأوصاف التي بنيت عليها بالقبول .

النوع الثاني : مصالح ملغاة : وهي المصالح التي دلت الأدلة الشرعية المعيّنة على إلغائها وعدم اعتبارها ، بأن وضع الشارع أحكاماً تدل على عدم الاعتداد بها .

النوع الثالث : مصالح مرسلة : وهي ما لم يشهد لها دليل خاص باعتبار ولا بإلغاء وكانت ملائمة لتصرفات الشرع [1].

---

[1] واعلم أن هذه الأقسام فيها خلاف بين الأصوليين ، قد صرح ابن السبكي بذلك حيث قال في (الإبهاج) 3 / 69: " وعبارات المصنفين في التعبير عن هذه الأقسام مضطربة".اهـ وليس هذا هو المظهر الوحيد في خلافهم في هذه المسألة ، بل اختلفوا في أمور كثيرة فيها ، ومن هذه المظاهر :

المظهر الأول : أنهم اختلفوا في مواضع التقسيم من أبواب الأصول لسببٍ نذكره فيما بعد إن شاء الله ، فمن الأصوليين من ذكر هذا التقسيم تحت باب القياس ولم يذكره تحت باب الاستصلاح ، ومنهم من ذكره في باب القياس وأحال عليه في باب الاستصلاح ، ومنهم من ذكره في باب القياس ولم يذكر للاستصلاح باباً مستقلاً ، ومنهم من قسم المصالح في باب الاستصلاح ، ثم ذكر أقسام المصالح مرة أخرى في باب القياس ولكن لم يذكر فيها المصالح

المرسلة ، وأكثرهم ذكروا أقسام المصالح في باب القياس ثم ذكروها مرة أخرى مجملة في باب الاستصلاح . **المظهر الثاني** : أنهم اختلفوا في نفس التقسيمات ، فكثير منهم قسموا (المصالح المعتبرة) إلى ثلاث مراتب ، ويقسمون ذلك على حسب الوصف الذي بني عليه الحكم ، فجعلوا المرتبة الأولى : وهو الوصف المسمى ب(المؤثّر) : وهو الذي يكون الحكم فيه قد جاء على وفقه مع ثبوت النص والإجماع على عليته له ، بمعنى أنه قد قام الدليل من النص أو الإجماع على اعتبار عين الوصف علة لعين الحكم ، ومثاله ترتيب حكم التحريم على وصف الإسكار ، فهذا الوصف (مؤثر) .

والمرتبة الثانية : الوصف المسمى ب(الملائم) : وهو الوصف الذي لم يتعرض الشارع لعليته بنص أو إجماع ، ولكن ثبت حكم شرعي بنص أو إجماع على وفقه ، أو هو : ما اعتبر فيه عين الوصف علة لجنس الحكم ، أو جنس الوصف علة لعين الحكم ، أو جنس الوصف علة لجنس الحكم ، بالنص أو الإجماع في الثلاثة . وله أمثلة يطول ذكرها .

والمرتبة الثالثة : الوصف المسمى ب(الغريب) : وهو أن يعتبر عين الوصف علة في عين الحكم على وفق الوصف فقط ، ولا يعتبر فيه عين الوصف في جنس الحكم ولا عينه ولا جنسه في جنسه بنص أو إجماع . ويمثل له بمثال اختلف الأصوليون فيه : وهو توريث المطلقة ثلاثاً في مرض الموت معاملة بنقيض قصد الزوج ، وهذا النوع وهو المعاملة بنقيض القصد الفاسد لم يعهد اعتباره في غير هذا الموضع .

ومنهم من يقول : إذا دل الدليل الخاص على اعتبار الوصف علة للحكم فهو المؤثر والملائم على التقسيم السابق للمؤثر والملائم ، وإذا دل الدليل على إلغائها فهو الغريب ، وإذا لم يدل دليل على اعتبارها أو إلغائها فهو المرسل ، ومنهم من يدخل الغريب في قسم (المرسل) ويجعله قسمين : الغريب المرسل : وهي المصلحة التي لم يعلم اعتبارها أو إلغاؤها بأي وجهٍ من الوجوه ، والمصلحة المرسلة : وهي المصلحة التي لم يعلم اعتبارها أو إلغاؤها بنص معين ولكن علم اعتبارها في الجملة، ومنهم من قسم المصالح إلى معتبرة وغير معتبرة ، وجعلوا القسم الثاني ثلاثة أقسام (مصلحة مرسلة) ، و (مصلحة ملغاة) ، و (الغريب المرسل) ، ومنهم من قال غير هذا .

المظهر الثالث : أنهم اختلفوا في نسبة الأقوال والمذاهب ، فمنهم من نسب القول بالمصالح المرسلة إلى مالك ، ومنهم من نفاه عنه ، ومنهم من فصل فيه ، ومن المالكية من أثبت قول مالك بالمصالح وادعى الإجماع عليه من جميع المذاهب ، وهكذا الحال في الشافعي أيضاً فقد وقفت على أربعة أقوال منسوبة إليه وإلى الشافعية بعضها ينقض بعضاً**!**
.

المظهر الرابع : أنهم اختلفوا في التمثيل ، فقد زعم بعضهم أن مالكاً يجيز قطع اللسان في الهذر استنادا إلى الاستصلاح ، ونفاه علماء مذهبه ، وكذلك نسبوا إليه أنه يجيز قتل الثلث لاستصلاح الثلثين ، ونفاه آخرون ، مع أن هذه الأمثلة أمثلة لمصالح مهدرة لا مرسلة !.

المظهر الخامس : أنهم اختلفوا في تسمية هذه المصالح ، ومن الأسماء التي وقفت عليها : المصالح المرسلة ، المعنى المرسل ، المصلحة المستندة إلى كلي الشرع ، المناسب المرسل ، الملائم المرسل ، المرسل ، غريب المرسل ، الاستصلاح ، الاستدلال المرسل ، الاستدلال ، الاستدلال بالأقيسة المرسلة ، الاستصواب ، الاستصحاب ، القياس المرسل ، قياس المعنى ، الرأي المرسل .

هذا بالإضافة إلى اختلافهم في (حقيقة هذه المصالح) وما يترتب على ذلك من تصور لها ، ولم أجد في مباحث كتب الأصول اختلافاً كاختلافهم في هذا الباب ، وليس المقصود في الاختلاف اختلافهم في الحكم أو الحد فهذا كثير ، بل اختلافهم في التصور والتقسيم ونسبة الأقوال والتمثيل عليها ! .

وبعد أن ذكرت تقسيم الأصوليين للمصالح إجمالاً ، أحب أن أنبه إلى ما يلي :

أولاً : أن كثيراً من التقسيمات قد يفترضها العقل ولا يكون لها وجود إلا في الذهن ، وليس لها وجود في الواقع ، فقد يقسم العقل الأشياء مثلاً إلى ثلاثة أقسام : خالق ، ومخلوق ، وما ليس بخالق ولا مخلوق ، وتقسم الأحكام إلى ثلاثة أقسام : حلال ، وحرام ، وما ليس بحلال ولا حرام ، ونحو هذا ، فهذه قسمة عقلية وتقديرات ذهنية ، إلا أن القسم الثالث لا وجود له في الواقع .

قال شيخ الإسلام رحمه الله في الرد على الأشاعرة في زعمهم بوجود من لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا مباين له ولا محايث بأن هذه قسمة عقلية معروفة :[1]

" فقوله : إن العقل يقسم المعلوم إلى مباين ، ومحايث ، وما ليس بمباين ولا محايث ، ونظائره . فيقال له : التقسيم المعلوم إلى واجب ، وممكن ، وما ليس بواجب ولا ممكن ، وإلى قديم ، ومحدث ، وما ليس بقديم ولا محدث ، وإلى قائم بنفسه ، وقائم بغيره ، وما ليس بقائم بنفسه ولا غيره ، وأمثال ذلك من تقديرات الذهن ، ومعلوم أن مثل ذلك لا يدل على إمكان ذلك في الخارج ، فليس كل ما فرضه الذهن من الأقسام والتقديرات في الأذهان يكون ممكناً أو موجوداً في الأعيان ، بل الذهن يقسم ما يخطر له إلى واجب وممتنع وممكن ، وإلى موجود ومعدوم ، فالذهن يقدر كل ما يخطر بالبال ، ومعلوم أن في ذلك من الممتنعات ما لا يجوز وجوده خارج الذهن".

فإذا تقرّر هذا ، فاعلم أن قسمة المصالح بهذه الصورة قد يراد بها أمران :

الأمر الأول : أن يراد بها ترتيبها بحسب القوة والضعف ، بحيث ما اعتبره الشارع بدليل خاص فهو من المصالح المعتبرة على اختلاف المراتب في (اعتبار الوصف) ، وما لم يعتبره بدليل خاص بل شهدت له العمومات فهو مصالح مرسلة ، وما ألغاه الشارع فهو مصالح ملغاة ، فهذا أمره واسع ، والخلاف فيه قريب ، ولا مشاحة في الاصطلاح ، ولا شك أن اعتبار الشارع للمصالح يختلف قوة وضعفاً ، كما أن المصالح نفسها تختلف ظهوراً وخفاء.

---

[1] الفتاوى : 5 / 296 .

الأمر الثاني : أن يراد به (القسمة العقلية المجردة) وهي أن من المصالح ما اعتبره الشرع فهو (معتبر) ، وما ألغاه فهو (ملغى) ، وما لم يعتبره ولم يلغه فهو (مرسل) ، بهذا الإطلاق ، فهذا (الثالث) في الحقيقة لا وجود له إلا في الذهن ، ولا وجود له في الواقع ، فلا يمكن أن توجد مصلحة في الوجود لم يعتبرها الشرع أو لم يلغها ، ولا يمكن أن يمثل لهذه المصلحة بمثال صحيح كما سيأتي إن شاء الله ، ولا يوجد أحد من كبار الأصوليين جعل المصالح المرسلة بهذا الإطلاق ، بل لا بد أن يجعلها إما قد شهدت لها عمومات الشرع ، أو ملائمة لتصرفات الشرع ، ونحو ذلك مما يدخلها في (الاعتبار)[1].

ثانياً : أن كبار الأصوليين لم يقصد بهذا الأصل (الاستصلاح) أو (المصالح المرسلة) مزاحمة الكتاب والسنة ، بل أراد به بيان كيفية استنباط الأحكام والتماسه منهما:

قال الغزالي رحمه الله (وقد ذكر الاستصلاح في الأصول الموهومة) [2]:

" فإن قيل : قد ملتم في أكثر هذه المسائل إلى القول بالمصالح ، ثم أوردتم هذا الأصل في جملة الأصول الموهومة ، فليلحق بالأصول الصحيحة ليصير أصلاً خامساً بعد الكتاب والسنة والإجماع والعقل .

قلنا : هذا من الأصول الموهومة ؛ إذ من ظن أنه أصل خامس فقد أخطأ ، لأننا رددنا المصلحة إلى حفظ مقاصد الشرع ، ومقاصد الشرع تعرف بالكتاب والسنة والإجماع ، فكل مصلحة لا ترجع إلى حفظ مقصود فُهم من الكتاب والسنة والإجماع ، وكانت من المصالح الغريبة التي لا تلائم تصرفات الشرع فهي باطلة مطرحة ، ومن صار إليها فقد شرّع ، كما أن من استحسن فقد شرّع ".

ثالثاً : واعلم أن سبب اضطراب الأصوليين في المصالح المرسلة : في حكمها وحدها وتقسيمها ونسبة المذاهب فيها إلى أصحابها يعود – بعد البحث والتتبع – إلى أمرين :

أولهما : الاختلاف في تصور هذه المصالح :

---

[1] إذا تبين لك هذا : فاعلم أن أحد أسباب اضطراب الأصوليين في (تصور) المصالح المرسلة ، وفي نسبتها إلى أصحابها ، هو هذان الأمران ،كما سيأتي إن شاء الله .

[2] المستصفى : 1 / 143 ، وللفائدة فقد ذكر أنه أول من اخترع مسمى (الاستصلاح) لبناء الحكم على المصالح المرسلة ، وقد أشار إلى هذا المصطلح شيخه الجويني في البرهان ولكنه لم يعقد له فصلاً بهذا العنوان .

فمن تصورها على أنها (مرسلة) بإطلاق عن أي اعتبار أو إلغاء أنكرها ، ورد على من قال بها ، وهذا التصور في حقيقته لا يوجد إلا في الذهن كما سبق ، ولا وجود لمثل هذه المصالح في الواقع ، ومنهم من تصورها مصالح ملغاة فشنع على من قالها بها بذكر أمثلة عليها لا تصح.

ومن تصورها على أنها (مرسلة) عن الاعتبار أو الإلغاء بـ(الدليل الخاص) ، ولكنها ملائمة لتصرفات الشارع ، وتشهد لها عمومات الأدلة ، قال بها ، ونسب العمل بها إلى الأئمة ، وبعضهم ادعى الإجماع عليها لوجود مثل هذه المصالح فعلاً ، وقد عمل الصحابة بها .

ثانيهما : أن الأصول المعتبرة التي يرجع إليها في استنباط الأحكام : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس[1] ، فكان الاستدلال بمثل هذه الأصول على الأحكام ظاهراً ، فالاستدلال بالنص والإجماع أمره معلوم ، والاستدلال بالقياس أن يحمل فرع معين على أصل معين في الكتاب أو السنة لوصف مشترك ، إلا أن هناك من أنواع الاستدلال ما يشبه القياس وليس به على المعنى الخاص وهو : أن تدل مجموع النصوص الشرعية على مراعاة أمر كلي ، ثم يوجد فرع معين في واقعة معينة لم يشهد له نص معين ولكن علم من النصوص الشرعية أنها ملائمة لها ، فيحمل هذا الفرع المعين على ذلك الأمر الكلي ، وهذه هي المصالح المرسلة عند المحققين ، فهو ليس قياساً بمعناه المعروف لأنه لم يحمل على أصل معين ، وليس استدلالاً بدليلٍ (خاصٍ) من الكتاب والسنة ؛ لذا فمن رأى أنه استدلال بأصل غير الأصول الأربعة خالف فيه وأنكره ، ومن رآه في حقيقته استدلال بعمومات النصوص الشرعية احتج به ونسبه إلى الأئمة [2].

قال الغزالي رحمه الله عن المصالح المرسلة[3] :

---

[1] على أنك إذا حققت فإن هذه الأصول الأربعة ترجع إلى الأصلين : الكتاب والسنة ، فلا توجد مسألة أجمعوا عليها إلا وكان الإجماع فيها مبنياً على دليل منهما ، والقياس الصحيح يتناوله عموم النص المعنوي .

[2] لذلك فهو يبحث في مسلك المناسبة من مسالك العلة في أبواب القياس ، لأنه في حقيقته حمل فرعٍ معين على أصل كلي لوصف مشترك ، ويبحث في الأدلة المختلف فيها (الاستصلاح) لأن هناك من ظنه دليلاً مستقلاً في استنباط الأحكام ، وليس كذلك ، والكلام على هذا يطول ، ولتفصيل القول فيه موضع آخر .

[3] المستصفى : 1 / 144 .

"وكل مصلحة رجعت إلى حفظ مقصود شرعي علم كونه مقصوداً بالكتاب والسنة والإجماع فليس خارجاً عن هذه الأصول ، لكنه لا يسمى قياساً ؛ بل مصلحة مرسلة ؛ إذ القياس أصل معين ، وكون هذه المعاني مقصودة عرفت لا بدليل واحد ، بل بأدلة كثيرة لا حصر لها من الكتاب والسنة ، وقرائن الأحوال ، وتفاريق الأمارات ، تسمى لذلك مصلحة مرسلة " .

ويقول الشاطبي رحمه الله [1]:

" إن كل أصل شرعي لم يشهد له نص معين ، وكان ملائماً لتصرفات الشرع ، ومأخوذاً معناه من أدلته ؛ فهو صحيح يبنى عليه ...ويدخل تحت هذا ضرب الاستدلال المرسل [يعني المصالح المرسلة] الذي اعتمده مالك والشافعي ؛ فإنه وإن لم يشهد للفرع أصل معين ، فقد شهد له أصل كلي ".

فإذا تقرّر هذا :

فاعلم أن هذه القسمة (اصطلاحية) ، وإلا فالاستدلال في هذه الواقعة في حقيقته إنما هو بعمومات أدلة الكتاب والسنة ؛ فإن من أراد أن يحتج لهذه المصلحة لا يكفيه أن يقول (إنها من المصالح المرسلة) أو دل عليها (الاستصلاح) ؛ لأن هذه يستطيعها كل أحد ، ولا تفيد علماً ، وليست ببرهان ولا حجة بمجردها ، كما أن من أراد أن يحتج بالقياس فلا يكفيه أن يقول حكم هذه الواقعة كذا بالقياس ، بل لا بد أن يذكر الأصل المقيس عليه ، والوصف الجامع ، وكذلك صاحب المصلحة لا بد أن يستدل لهذه المصلحة بما يبين أنها مرادة للشارع ، وأنها ملائمة لتصرفاته ، فيكون دليله حينئذٍ النص .

فظهر بهذا أن (المصالح المرسلة) داخلة في (الاستدلال بالنص) ، ومردها إلى القياس ، إلا أن الأصوليين رحمهم الله أولعوا بالتقسيمات ، فهم يريدون أن يميزوا بين جميع أنواع الاستدلال ، فقسموا حمل الفروع على الأصول بجامع الأوصاف المشتركة إلى المؤثر والملائم والمرسل والغريب ، ومسألة التقاسيم أمرها واسع إذا لم تحدث بسببها مفسدة.[2]

---

[1] الموافقات : 1 / 32 .

[2] ومثل هذه التقسيمات قد تكون نافعة في باب الترجيح عند التعارض ، إلا أن من مساوئها أنه قد يبنى عليها ما يؤدي إلى باطل ، وهذا قد وقفت عليه في كثير من مسائل أصول الفقه ، ولدي أمثلة كثيرة غير المصالح المرسلة.

رابعاً : ولأن المصالح المرسلة في حقيقتها يقصد بها (ما شهدت عمومات الشرع لها) كما سبق ؛ فقد ذكر كثير من أهل العلم أن جميع المذاهب متفقون على العمل بها ، وأن الصحابة قد أجمعوا على ذلك [1] .

خامساً : وقد تتبعت جميع الأمثلة التي مثل بها الأصوليون على (المصالح المرسلة) ، فلم أر شيئاً منها أرسلته (النصوص) عن الاعتبار أو الإلغاء ؛ فإنها إما أن تكون مصلحة ملغاة ، أو مصلحة معتبرة ، أو تكون مسألة قائمة على تعارض بين دليلين ، وسأمثل على ذلك بثلاثة أمثلة من أشهر ما يمثل بها الأصوليون :

المثال الأول : إنهم قالوا : إن مالكاً أجاز قتل ثلث الأمة لاستصلاح الثلثين استناداً إلى الاستصلاح .[2]

قلت : وهذه مصلحة ملغاة مهدرة ، وأي عالم بالشرع يعلم بطلان هذا الأمر ، والأدلة على حرمة الظلم و حرمة دم المسلم لا تحصى [3] .

المثال الثاني : إنهم قالوا : إن مالكاً أجاز قطع اللسان في الهذر استناداً إلى الاستصلاح[4] .

---

[1] ذكر هذا القرافي والشاطبي والشوكاني والشنقيطي وغيرهم رحمهم الله ، وهذا يدل على أن من نفاها لم يتصورها التصور الصحيح ، وظنها عمل بمجرد المصلحة لا رجوع فيها إلى النصوص .

[2] ذكر هذا عدد من كتب الأصول مثل (المنخول) للغزالي ص 354 ، و (الروضة) لابن قدامة 418/1 ، وقد أنكر المالكية نسبة هذا الأمر لإمامهم ، وهذا حال كثير من الأمثلة في كتب الأصول ؛ فإنها ينبغي أن تحرّر.

[3] ومما يشبه هذا ما ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية في ترجمة نور الدين زنكي رحمه الله في وفيات عام 569 : "كتب إليه [يعني إلى نور الدين] الشيخ عمر بن الملا : (إن المفسدين قد كثروا ويحتاج إلى سياسة ، ومثل هذا لا يجيء إلا بقتل وصلب وضرب ، وإذا أخذ إنسان في البرية من يجيء يشهد له) ، فكتب إليه الملك نور الدين على ظهر كتابه : (إن الله خلق الخلق ، وشرع لهم شريعة ، وهو أعلم بما يصلحهم ، ولو علم أن في الشريعة زيادة في المصلحة لشرعها لنا ، فلا حاجة بنا إلى الزيادة على ما شرعه الله تعالى ، فمن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته ، وهذا من الجرأة على الله وعلى ما شرعه ، والعقول المظلمة لا تهتدي ، والله سبحانه يهدينا وإياك إلى صراط مستقيم) ، فلما وصل الكتاب إلى الشيخ عمر الملا جمع الناس بالموصل وقرأ عليهم الكتاب ، وجعل يقول : انظروا إلى كتاب الزاهد إلى الملك ، وكتاب الملك إلى الزاهد".

[4] ذكر ذلك بعض الأصوليين كالغزالي في (المنخول) ص 304 ، وأنكر ذلك علماء المالكية .

قلت : وهذه مصلحة ملغاة ، دل على بطلانها أدلة كثيرة ، منها على سبيل المثال ما ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة ، وقطع اللسان من المثلة .

المثال الثالث : وهو أشهر مثالٍ تقريباً تذكره كتب الأصول وأعني به (مسألة التترس) ، وهي كما يذكرها الأصوليون :

لو تترس الكفار بجماعة من المسلمين ؛ بحيث لو كففنا عنهم لغلب الكفار على دار الإسلام واستأصلوا شأفة المسلمين ، ولو رمينا الترس وقتلناهم اندفعت المفسدة عن كافة المسلمين ولكنه يلزم منه قتل مسلم لا جريمة له ، فهذا القتل وإن كان مناسباً في هذه الصورة والمصلحة ضرورية كلية إلا أنه لم يظهر من الشارع اعتبارها ولا إلغاؤها في هذه الصورة .

قلت : وهذه المسألة في حقيقتها تعارض بين إعمال دليلين ، ويقع هذا كثيراً ، وله شواهد من الكتاب والسنة :

فالدليل الأول : أدلة فرضية جهاد الدفع ، ورد الكفار عن بلاد الإسلام ، وحفظ الدين والبلاد منهم ، والأدلة على ذلك كثيرة جداً ، وأجمع عليها أهل العلم .

والدليل الثاني : حرمة دم المسلم ، والأدلة على ذلك معروفة .

ومثل هذا يقع كثيراً في حياة الناس ، بحيث قد يجد المرء نفسه أمام عملين قام على كل منهما دليل ولا بد له من أحدهما ، فلا بد في مثل هذه الحالة من الترجيح بين الدليلين ، وإنما يعرف هذا بالمرجحات الشرعية المعروفة ، ولا شك أن العمل بالدليل الأول أقوى في مثل هذه المسألة ؛ إذ فيه حماية الدين والعرض والنفس والبلاد والعباد من شر الكفر والكفار ، وقد ثبت في النصوص تقديم حفظ الدين على حفظ النفس ومن أجل هذا شرع الجهاد ، وقرّر أهل العلم أنه يجوز التغرير بالنفس في القتال في سبيل الله ، فكيف وقد اجتمع فيه حفظ الدين والنفس ، ولأحكام الاضطرار استثناء بحيث يجوز فيه ما لا يجوز في غيره ، وغير هذه المرجحات ، وليس المقصود هنا الاستدلال لهذه المسألة ، بل المقصود بيان أن هذه المسألة لم ترسل شرعاً بلا اعتبار أو إلغاء .

سادساً : يتضح من جميع ما سبق :

أن المصالح قسمان :

القسم الأول : مصالح حقيقية قامت الأدلة على اعتبارها ، وهي (المعتبرة والمرسلة) ، وإنما تتفاوت في مراتب القوة ، لا في أصل الاعتبار .

القسم الثاني : مصالح موهومة أو ملغاة أو مهدرة ، وهي التي قامت الأدلة على إهدارها ، وهي كل مصلحة يلزم من العمل بمجردها معارضة النص [1] .

[1] يمثل الأصوليون للمصلحة الملغاة بقول بعض العلماء لبعض الملوك لما جامع في نهار رمضان وهو صائم : يجب عليك صوم شهرين متتابعين ، فلما أنكر عليه حيث لم يأمره بإعتاق رقبة مع اتساع ماله ، قال : لو أمرته بذلك لسهل عليه ذلك واستحقر إعتاق رقبة في قضاء شهوة فرجه ، فكانت المصلحة في إيجاب الصوم مبالغة في زجره . ومثل هذه المصلحة مهدرة لأنها معارضة للنص .

المبحث الثاني

أول من قدم المصالح على النص

اعلم أنه قد أجمع العلماء بأنه إذا تعارضت المصلحة مع النص فإن النص يقدم ، ويسمون هذه المصلحة بـ(المصلحة الملغاة) أو (المهدرة) كما سبق ، ولا يجيزون الأخذ بها ، وحتى من قال بـ(الاستصلاح) فإن رتبته متأخرة عن (النص) كما تقدم في المبحث السابق.

ثم إن رجلاً واحداً في أوائل القرن الثامن خرج عن الإجماع هذا بـ(حجة ساقطة) ، وهو الذي ورّث أهل هذا الزمان هذا (الطاغوت) ؛ إذ لكل قومٍ وارث ، إلا أن الإنصاف يقتضي أن نشهد له بأنه لم يسرف في ذلك إسرافهم اليوم ، وهذا الرجل هو (نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي)[1] ، حيث قرّر في شرحه لحديث (لا ضرر ولا ضرار) من (شرح الأربعين للنووي)[2] أن النص إذا تعارض مع المصلحة فإن المصلحة تقدم ، وخلاصة نظريته :

1-أن العقل يستقل بمعرفة المصالح في العادات والمعاملات .

2-وأن المصالح من أدلة الشرع وهي أقواها ، فإذا تعارضت المصلحة مع النص معارضة لا يمكن الجمع بينهما قدمت المصلحة عليهما بشرط أن يكون ذلك في أبواب العادات والمعاملات .

---

[1] انظر ترجمة ابن رجب رحمه الله له في (طبقات الحنابلة) ، ومما قاله عنه 3 / 368 : " وكان مع ذلك كله شيعياً منحرفاً في الاعتقاد عن السنة ، حتى إنه قال عن نفسه : (حنبلي رافضي أشعري *** هذه إحدى العبر) ، ووجد له في الرفض قصائد ، وهو يلوح في كثير من تصانيفه ، حتى إنه صنف كتاباً سماه (العذاب الواصب على أرواح النواصب) ، ومن دسائسه الخبيثة أنه قال في شرح الأربعين للنووي : اعلم أن من أسباب الخلاف الواقع بين العلماء تعارض الروايات و النصوص ، وبعض الناس يزعم أن السبب في ذلك عمر بن الخطاب ...الخ".

قلت : وكلامه الذي نقله ابن رجب هذا عند شرح حديث (لا ضرر ولا ضرار) من الأربعين النووية وهي التي قرّر فيها تقديم المصلحة على النص عند التعارض !.

[2] وشرحه لهذا الحديث طبع مراراً ، والموجود لدي مطبوع ضمن كتاب (مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه) لعبد الوهاب خلاف – ط 5 – 1402 – دار العلم – الكويت - (ص 105 – 144) .

3-وقد دفعته هذه النظرية إلى القدح في الإجماع ، فذكر أدلته ورد عليها ، ثم أورد أن من خالف في الإجماع لم يخالف في اعتبار المصالح ، فصارت المصالح متفقاً عليها ، والإجماع اختلف فيه ، فثبوت المصالح أقوى !.

4- ودفعته هذه النظرية إلى القدح في عمر رضي الله عنه ؛ وذلك حين أراد أن يستدل على تقديم المصلحة على النصوص بأن النصوص متعارضة فقال [1]: "وبعض الناس يزعم أن السبب في ذلك عمر بن الخطاب ، وذلك أن أصحابه استأذنوه في تدوين السنة في ذلك الزمان فمنعهم من ذلك ...إلى أن قال : قالوا : فلو ترك الصحابة يدون كل واحد منهم ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم لانضبطت السنة ...".

5-وقد استدل لمذهبه الباطل بأدلة متناقضة ، هي في الجملة ثلاثة أدلة :

الأول : أن منكري الإجماع قالوا بالمصالح ، فالمصالح محل وفاق ، والإجماع محل خلاف ، والتمسك بالمتفق عليه أولى من التمسك بالمختلف فيه !.

والثاني : أن النصوص متعارضة فهي سبب الخلاف المذموم شرعاً ، أما المصالح فهي أمر حقيقي في نفسه لا يختلف فيه ، فهي سبب الاتفاق المطلوب شرعاً ، وقد قال تعالى (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**).

والثالث : أنه قد ثبت معارضة النصوص بالمصالح في السنة ، وذكر منها :

1-معارضة ابن مسعود رضي الله عنه للنص والإجماع في التيمم للجنب لمصلحة الاحتياط في العبادة.

2-معارضة بعض الصحابة لظاهر حديث الصلاة في بني قريظة لمصلحة الوقت .

3-وحديث بعثه لمن ينادي من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، فرده عمر لئلا يتكلوا.

4-وحديث أمره صلى الله عليه وسلم بأن يقتل الصحابة الرجل الذي دخل المسجد يصلي ، فتركه الصحابة لأجل إعجابهم بصلاته وقوله (لو قتل لم يختلف من أمتي اثنان) .

5-ومنها لما أمرهم بجعل الحج عمرة توقفوا من أجل العادة .

6-ولما أمرهم بالتحلل يوم الحديبية توقفوا تمسكاً بالعادة.

ونحو هذه النصوص ، وقال إنها من تقديم المصلحة على النص !.

---

[1] مصادر التشريع : ص 133 .

وقد رد كثير من المعاصرين على الطوفي ، وحجته ساقطة ، والكلام على إبطالها يطول ، إلا أنني أريد هنا أن أبين أنه متناقض في كل دليل ادعاه :

أما الدليل الأول : فقد احتج فيه بالإجماع على اعتبار المصالح ، بعد أن قدح في حقيقة ثبوت الإجماع ، فاحتج بدليل قدح فيه !.

وأما الدليل الثاني : فإنه قد استدل بالأمر بالاعتصام بحبل الله على ترك ذلك؛ إذ حبل الله هو دينه القائم على الكتاب والسنة ، فكيف يستدل بالأمر بالرجوع إليه على تركه عند معارضته بالمصلحة !.

وأما الدليل الثالث : فإن التناقض فيه يظهر من وجهين :

أحدهما : أنه يستدل بالنص في معارضة النص ، فإن كانت الحجة فيه فيلزمه هدم نظريته ، وإن كانت لا حجة فيه ، فلا قيمة لاستدلاله !.

وثانيهما : أنه قرّر في نظريته أن العبادات يقتصر فيها على النص ، ثم أراد أن يستدل على تقديم المصلحة على النص في المعاملات ، بأحاديث إن صح احتجاجه بها فهو تقديم للمصلحة على النص في العبادة ، فحديث ابن مسعود في التيمم ، والصلاة في بني قريظة ، ودخول الجنة ، وترك الصلاة ، والحج ، والتحلل ، كلها في العبادات ، فإما أن يكون احتجاجه خاطئاً من أصله وهو الصحيح ، أو يكون تقديم المصلحة على النص في العبادة أيضاً ولا يقول به!!.[1]

والمقصود :

أن مذهب هذا الرجل الذي شذ وخرق الإجماع وإن كان سلفاً لأصحاب (مصلحة الدعوة) اليوم الذين يقدمونها على النصوص إلا أنه يفضل عليهم من وجوه :

الوجه الأول : أنه اعترف بتقديم المصلحة على النص عند التعارض ، ولم يحاول الالتفاف على النصوص كما يفعل كثير منهم .

---

[1] وليس المقصود هنا مناقشة نظريته وإبطالها في هذا الموضع ، فالكلام على هذا في المبحث الثالث ، ولكن المقصود بيان (مورّث) أصحاب (المصالح) في هذا العصر !.

الوجه الثاني : أنه قصر تقديمه للمصلحة على النص بالعادات والمعاملات فقط ، أما كثير من هؤلاء فيقدم المصلحة حتى على (التوحيد) و أصول الدين ، فضلاً عن العبادات وغيرها!.

الوجه الثالث : أن هذه المسألة قرّرها نظراً ، ولا أعلم له تطبيقات عليها ، بل ذكر بعض من ترجم له من المعاصرين أنه رجع عنها ، أما اليوم فقد انتشرت تطبيقاتها في كثير من الأصول والفروع .

المبحث الثالث

إبطال تقديم المصالح على النصوص

إن الأدلة على إبطال هذا المذهب ، وهو تقديم المصلحة على النص ، أشهر من أن تذكر ؛ من الكتاب ، والسنة ، وأقوال الصحابة ، والتابعين ، والأئمة ، وأهل العلم قديماً وحديثاً ، وقد أجمع على ذلك أهل المذاهب ؛ إذ لا خلاف بينهم في أن النص مقدم على غيره[1] ، ولو أردت أن أسرد الأدلة وأذكر أقوال أهل العلم في هذا الباب لطال بنا المقام ، وهناك أكثر من خمسين دليلاً على هذه المسألة ، وذكر هذه الأدلة بالتفصيل له موضع آخر ، لذا سأقتصر على دليل واحد من (المعقول) في إبطال هذا المذهب للاختصار ، فأقول :

إن من قدّم (المصلحة) التي رآها على (النص) يلزمه أحد ثلاثة أمور :

أولهما : أن يطرد مذهبه في ذلك حتى يخرج به إلى الزندقة والانسلاخ من الدين .

وثانيهما : أن يترك مذهبه هذا ويلتزم بالنص في جميع أموره .

وإلا فإنه سيكون متناقضاً وهو **الأمر الثالث** ، والتناقض دليل فساد الأصل.

ولبيان هذا الأمر سأمثل بـ(بيان المثقفين) فأقول :

قد سبق ذكر مخالفات هذا البيان للكتاب والسنة والإجماع بالتفصيل ، فمن احتج له بالمصلحة ؛ وتلك المصلحة إما : أن تكون تحسين صورة الإسلام ، أو درء شر الكفار ، أو كسبهم ، أو تحييدهم ، أو غير هذا ، وهذا في حقيقته تقديم لهذه المصلحة على (النصوص) ، فإنه يلزمهم طرد مذهبهم هذا حتى يخرج إلى الزندقة ، أو ترك هذا المذهب وإبطال ما جاء في البيان والتزام النص ، وإلا وقعوا في التناقض :

فلو جاء آخرون وقالوا : كما إن من المشوهات لدين الإسلام عند الغربيين مسألة (الإرهاب=الجهاد) و (كراهية الآخر=البراء) والتي حاول البيان أن يدفعها عن الإسلام ، فإن من المشوهات أيضاً مسألة (الحدود) ؛ فإن (بتر الأطراف) كالقطع في السرقة أو الحرابة ، و

---

[1] وهذا لا ينافي أن تكون هناك مخالفة في بعض المفردات من أهل العلم ، ولكنها ليست تقديماً للمصلحة على النص ، بل إما لعدم بلوغ النص إليه ، أو لتضعيفه له ، أو تخصيصه ، أو نسخه ، أو غير ذلك من الأعذار التي ذكرها أهل العلم ، أما قاعدة تقديم النص على غيره فلا يخالف فيها أحد .

(العقوبات البدنية) كالجلد في القذف والزنا ، و ما يسمونه بـ(العقوبات الوحشية) كالرجم للزاني المحصن ، ونحوها ، هي عندهم من الانتهاكات لـ(حقوق الإنسان) ، ولمصلحة الدعوة ، وتحسين صورة الإسلام ، وجعله بصورة مقبولة لديهم يحسن بنا أن نترك مثل هذه الحدود ، ولا ننكرها معاذ الله ، بل نتأولها على أنها أريد بها (الزجر) ، وهذا المقصود من الممكن أن نحققه بدونها ، فنحقق مراد الشارع بدون هذه العقوبات ، وهذه مصلحة ظاهرة [1] .

فماذا يقول أصحاب البيان ؟!.

هم بين أحد جوابين :

الأول : أن يردوا هذا الكلام ، ويقولوا : إنه مناقض للنص والإجماع ، ولا يجوز .

فيقول لهم أولئك : وأنتم كلامكم مناقض للنص والإجماع ، بل إن النصوص التي وردت في الولاء والبراء والجهاد في سبيل الله أكثر من النصوص التي وردت في الحدود – ولا مقارنة – ، فكيف يسوغ لكم ما لا يسوغ لنا ؟!.

فإن قال أصحاب البيان : ولكننا لم نكتب هذا البيان إلا لمصلحة ظاهرة .

قال لهم أولئك : ونحن لم نقل هذا الكلام إلا لمصلحة ظاهرة ، فما الذي يجعل مصلحتكم تجيز لكم مخالفة النص والإجماع ، ولا يجعل مصلحتنا كذلك ؟!.

فإن قال أصحاب البيان : ولكن هذا (كلام مكتوب) بلغة لا يفهمها إلا المثقف الغربي ولا نريد أن (نعمل به).

قال لهم أولئك : ونحن نريد أن نقرّر هذا في (كلام مكتوب) بلغة لا يفهمها إلا المثقف الغربي ولا نريد أن (نعمل به).

فإن قال أصحاب البيان : ولكن كلامكم مغير لشرع الله .

قال لهم أولئك : وكلامكم مغير لشرع الله .

فإن قال أصحاب البيان : ولكننا لم نكتب هذا البيان ابتداء ، بل لرد حملة موجهة ضد الإسلام .

[1] هذا الكلام ليس خيالاً ، بل هو كلام إحدى المدارس العصرانية الحديثة ، وكلامهم هذا موثق لدي .

قال لهم أولئك : ونحن لم نقل هذا الكلام ابتداء ، بل لرد حملة موجهة ضد الإسلام ، فهذه تقارير منظمات حقوق الإنسان تشن حملة على (بتر الأطراف) والعقوبات الوحشية كما يقولون .

فلا يمكن أن يرد أصحاب البيان على هؤلاء بأمرٍ إلا لزمهم نظيره ، ولا يحتجون لبيانهم بحجة إلا كان لهؤلاء أن يحتجوا بمثلها ، ولا يمكن أن يسكتوهم إلا بالتزامهم بالنص وتركهم لمذهبهم هذا ، أو أن يوافقوهم في مذهبهم وهو :

الجواب الثاني : وهو أن يقر أصحاب البيان بصحة كلام أولئك فيما قالوه في (الحدود) وأنه لا بأس بذلك في سبيل المصلحة ، فيأتي آخرون ويقولون :

إن مما يشوه صورة الإسلام في الغرب أيضاً بعض القضايا الموجودة لدى المسلمين مما لا تتسع لها عقول الغرب ، كعقيدة (الغيب) : الملائكة ، والجن ، والشياطين ، وما يتعلق بذلك ، ولتحسين صورة الإسلام لديهم فلا بد من تأويل هذه الأمور ، فنقول إن الملائكة يقصد بها (قوى الخير) ، والجن (قوى الشر) [1]، ونحو ذلك .

فلا يرد عليهم أصحاب البيان بشيء إلا لزمهم نظيره ، ولا يحتجون لفعلهم بشيء إلا احتج أولئك بمثله ، تماماً كالفريق الذي قبله.

وإن أقروهم على كلامهم جاء فريق آخر أيضاً ورأى (هدم) بعض الشريعة بنحو هذا الكلام حتى يخرج الأمر كله إلى الزندقة الصريحة والانسلاخ من الدين ، وإلا فإنهم يقعون في التناقض ؛ إذ ليس ما يذكرونه من مصلحة تسوّغ لهم مخالفة النص والإجماع بأولى من مصلحة يراها آخر ويريد بها مخالفة نص ثانٍ ، وليست هاتان المصلحتان بأولى من مصلحة يراها ثالث ويريد بها مخالفة نص ثالث ، وهكذا .

ولا يمكن أن يرد على الجميع إلا من التزم النص في جميع أموره ، وتبرأ من جميع ما يخالف ذلك ، والحمد لله رب العالمين .[2]

---

[1] وهذا الكلام ليس خيالاً أيضاً ، بل موجود من كلام بعض العصرانيين .

[2] يقول محمد محمد حسين رحمه الله (الإسلام والحضارة الغربية) ص 53 : "الاجتهاد الذي يحترم النصوص الشرعية ويبحثها في حيدة ونزاهة شيء ، والتطوير الذي يهدف إلى تسويغ قيم الحضارة الغربية شيء آخر .

الاجتهاد الذي يتمسك بمباديء الإسلام يقوّم بها عوج الحياة شيء ، والتطوير الذي ينزل على الأمر الواقع ويسوغ عوج الحياة بنصوص الشريعة شيء آخر .

المبحث الرابع
تنبيهات في مسألة المصلحة

سأذكر هنا بعض الأمور التي يجب أن تراعى في النظر إلى المصلحة ومنها :

الأمر الأول :
أن النظر إلى المصلحة يكون عند عدم وجود الدليل الشرعي المعارض :

وذلك أن المسلم مأمور بالامتثال للشرع في جميع أموره ، كما قال تعالى (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعض الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا**) ، فإذا نزلت نازلة فلا بد أن يرجع في حكمها إلى الأدلة الشرعية كما هو حال العلماء الربانيين وأهل الاستقامة ، فإذا لم يجد من الأدلة الشرعية (الخاصة) حكماً معيناً لها باعتبار أو إلغاء ، فينظر حينئذٍ في المصالح والمفاسد ، فإن المصالح إذا كانت ظاهرة أو راجحة فلا بد أن تكون معتبرة في الشرع ، للعمومات الدالة على ذلك ، ولكن بشرط عدم وجود النص الشرعي المعارض ؛ وإلا كانت المصلحة (ملغاة) ، ولا يمكن أن تكون المصلحة ظاهرة أو راجحة عند ذلك.

ومن أمثلة هذا (بيان المثقفين) ؛ فإن جميع ما ذكر من المصالح فيه إنما هي (مصالح مهدرة) و (ملغاة) لأنها معارضة للنصوص من الكتاب والسنة والإجماع كما سبق تفصيله.

نقطة البدء في اجتهاد المجتهد هي هذا السؤال : هل يصح هذا الأمر شرعاً أو لا يصح ؟ أو : ما هو حكم الإسلام في هذا الأمر ؟ .

ونقطة البدء في تطوير المطور هي : ما هي النصوص الشرعية التي تثبت صحة هذا الأمر ؟ أو : ما هي النصوص الشرعية التي تثبت حرمة هذا الأمر ؟.".

قال شيخ الإسلام رحمه الله [1] :

" المصالح المرسلة : وهو أن يرى المجتهد إن هذا الفعل يجلب منفعة راجحة ، **وليس في الشرع ما ينفيه**[2] ، فهذه الطريق فيها خلاف مشهور ، فالفقهاء يسمونها المصالح المرسلة ، ومنهم من يسميها الرأي ، وبعضهم يقرب إليها الاستحسان ، وقريب منها ذوق الصوفية ووجدهم وإلهاماتهم ، فإن حاصلها أنهم يجدون في القول والعمل مصلحة في قلوبهم وأديانهم ، ويذوقون طعم ثمرته وهذه مصلحة ، لكن بعض الناس يخص المصالح المرسلة : بحفظ النفوس والأموال والأعراض والعقول والأديان ، وليس كذلك بل المصالح المرسلة في جلب المنافع وفى دفع المضار ، وما ذكروه من دفع المضار عن هذه الأمور الخمسة فهو أحد القسمين ، وجلب المنفعة يكون في الدنيا وفى الدين ، ففي الدنيا : كالمعاملات والأعمال التي يقال فيها مصلحة للخلق **من غير حظر شرعي**[3] ، وفى الدين : ككثير من المعارف والأحوال والعبادات والزهادات التي يقال فيها مصلحة للإنسان **من غير منع شرعي**[4] ، فمن قصر المصالح على العقوبات التي فيها دفع الفساد عن تلك الأحوال ليحفظ الجسم فقط فقد قصر .

وهذا فصل عظيم ينبغي الاهتمام به ؛ فإن من جهته حصل في الدين اضطراب عظيم ، وكثير من الأمراء والعلماء والعباد رأوا مصالح فاستعملوها بناء على هذا الأصل **وقد يكون منها ما هو محظور في الشرع** ولم يعلموه[5] ، وربما قدم على المصالح المرسلة كلاماً بخلاف النصوص ، وكثير منهم من أهمل مصالح يجب اعتبارها شرعاً بناء على أن الشرع لم يرد بها[6]

---

[1] الفتاوى : 11 / 342 ، وما بعدها .

[2] انظر إلى هذا القيد : وليس في الشرع ما ينفيه !.

[3] انظر إلى هذا القيد : من غير حظر شرعي !.

[4] انظر إلى هذا القيد : من غير منع شرعي !.

[5] وهؤلاء من جنس من يقدم (مصلحة الدعوة) على الدليل ؛ فإنهم يرون مصالح فيقدمونها ومنها ما هو محظور في الشرع !.

[6] هنا انتقد الشيخ من ترك المصلحة بناء على عدم ورود الدليل الخاص بها ، كما انتقد قبله من أخذ بمصلحة قد قام الدليل الشرعي على حظرها !.

ففوت واجبات ومستحبات أو وقع في محظورات ومكروهات ، وقد يكون الشرع ورد بذلك ولم يعلمه .

وحجة الأول[1] : أن هذه مصلحة ، والشرع لا يهمل المصالح ، بل قد دل الكتاب والسنة والإجماع على اعتبارها .

وحجة الثاني[2] : إن هذا أمر لم يرد به الشرع نصاً ولا قياساً.

والقول بالمصالح المرسلة يشرع من الدين ما لم يأذن به الله غالباً [3]، وهى تشبه من بعض الوجوه مسألة الاستحسان والتحسين العقلي والرأي ونحو ذلك ؛ فإن الاستحسان طلب الحسن والأحسن ؛ كالاستخراج ، وهو رؤية الشيء حسناً ، كما أن الاستقباح رؤيته قبيحاً ، والحسن : هو المصلحة ، فالاستحسان والاستصلاح متقاربان ، والتحسين العقلي قول بأن العقل يدرك الحسن ، لكن بين هذه فروق".

---

[1] وهو من عمل بالمصلحة مع قيام الدليل الحاظر .

[2] الذي ترك المصلحة بناء على أن الشرع لم يرد بها .

[3] انظر إلى هذا الكلام ، وانظر إلى الواقع تجد كلام الشيخ رحمه الله في محله ، فكأن هناك شرعاً آخر ووحياً جديداً.

الأمر الثاني :

أن أعظم مصلحة ينظر إليها : مصلحة الحفاظ على الدين :

فإن أعظم المصالح في الوجود مصلحة الحفاظ على الدين ، ويليها الحفاظ على باقي الضروريات كالنفس والعقل والعرض والمال ، فالمصلحة الشرعية المعتبرة تحفظ للمسلمين دينهم ودنياهم ، فإن خيف على دينهم فيحفظ ولو كان هذا بزوال دنياهم .

قال الشاطبي رحمه الله [1]:

" إن المنافع الحاصلة للمكلف مشوبة بالمضار عادة ، كما أن المضار محفوفة ببعض المنافع ، كما نقول : إن النفوس محترمة محفوظة ومطلوبة الإحياء ، بحيث إذا دار الأمر بين إحيائها وإتلاف المال عليها ، أو إتلافها وإحياء المال ؛ كان إحياؤها أولى ، فإن عارض إحياؤها إماتة الدين ؛ كان إحياء الدين أولى وإن أدى إلى إماتتها ، كما جاء في جهاد الكفار ، وقتل المرتد ، وغير ذلك " .

[1] الموافقات : 64/2.

الأمر الثالث :

أن المصالح الشرعية المعتبرة ليست منوطة بأهواء الناس وشهواتهم :

بل مبنية على النظر الشرعي الصحيح القائم على الأدلة ، والنظر إلى اليوم الآخر ، وإلا لاضطرب الناس في تقدير المصالح لاختلاف أهوائهم .

قال شيخ الإسلام رحمه الله [1]:

"اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة ، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها ، وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر ، وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدلالتها على الأحكام ".

وقال الشاطبي رحمه الله [2]:

" إن المصالح إنما اعتبرت من حيث وضعها الشارع كذلك ، لا من حيث إدراك المكلف ؛ إذ المصالح تختلف عند ذلك بالنسب والإضافات ".

وقال أيضاً [3]:

" المصالح المجتلبة شرعاً والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى ، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية ، أو درء مفاسدها العادية" .

وقال أيضاً [4]:

" والمصالح والمفاسد الأخروية مقدمة في الاعتبار على المصالح والمفاسد الدنيوية باتفاق ؛ إذ لا يصح اعتبار مصلحة دنيوية تخل بمصالح الآخرة ، فمعلوم أن ما يخل بمصالح الآخرة غير موافق لمقصود الشارع ؛ فكان باطلاً " .

---

[1] الفتاوى : 28 / 129 .

[2] الموافقات : 42/5 .

[3] الموافقات : 63/2 .

[4] الموافقات : 124/3 .

الأمر الرابع :

أن الاستدلال بمجرد (قاعدة المصالح) على الوقائع لا يسوغ :

لما سبق بيانه في المبحث الأول من أن هذا لا يفيد علماً ، وليس حجة ولا برهاناً ، ولكل أحد أن يستدل بمثل هذه القاعدة ولو كان من أجهل الناس أو أخبثهم ، بل لا بد أن يثبت أن هذه مصلحة ملائمة لتصرفات الشارع .

والاستدلال عموماً بالقواعد الأصولية أو الفقهية على النوازل والفروع لا يسوغ لأحد سببين :

الأول : أن تكون هذه القواعد أغلبية ليست كلية ، فلا يصح أن تكون دليلاً للمستجد من النوازل ، كما قال ابن نجيم الحنفي رحمه الله : "لا يجوز الفتوى بما تقتضيه القواعد والضوابط ؛ لأنها ليست كلية ، بل أغلبية " [1] .

وجاء في شرح مجلة الأحكام العدلية [2]: " فحكام الشرع ما لم يقفوا على نقل صريح لا يحكمون بمجرد الاستناد إلى واحدة من هذه القواعد " .

الثاني : أن تكون هذه القواعد كلية تعم جميع فروعها ، وقائمة على الاستقراء التام ؛ إلا أن التحقق من اندراج هذا الفرع بعينه تحت هذه القاعدة يحتاج إلى دليل مستقل ، كقاعدة المصالح ؛ فإن الشرع أتى لتحقيق المصالح وتكميلها ، وإبطال المفاسد وتقليلها ، وهذه قاعدة كلية لا يشذ عنها فرع ، إلا أن التحقق من المصلحة الشرعية في الفرع تحتاج إلى دليل يثبت وجودها ؛ لأن العقل قد يتخيل ويتوهم وجود المصلحة وهي في حقيقتها مفسدة ، أو تكون مصلحة إلا أنها يحصل بسببها مفسدة أعظم منها .

---

[1] انظر : القواعد الفقهية : للندوي : ص 293 .

[2] نفس المرجع .

الأمر الخامس :

أن الدليل الشرعي حيث وجد فهناك المصلحة ، وحيث وجدت المصلحة فقد دل عليها الدليل :[1]

ولا يمكن أن توجد مصلحة لا يدل عليها دليل ، أو دليل لا مصلحة فيه ، وحيث توهم أحد وجود ذلك فلأحد سببين :

الأول : أن تكون المصلحة موهومة لا حقيقية .

الثاني : أن يكون الدليل غير صحيح ؛ إما في ثبوته أو في دلالته .

ولما كان عقل الإنسان قاصراً لا يستقل بمعرفة المصالح ، شرع الله سبحانه وتعالى له الشرائع التي توصله إلى مصالحه الدنيوية والأخروية ؛ وبيّن له الأدلة التي تدله على ذلك ؛ لذلك كان لا بد من الرجوع إلى الكتاب والسنة للاستدلال على النوازل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله [2]:

"والقول الجامع : إن الشريعة لا تهمل مصلحة قط ، بل الله تعالى قد أكمل لنا الدين ، وأتم النعمة ، فما من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثنا به النبي صلى الله عليه وسلم ، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك ، لكن ما اعتقده العقل مصلحة وإن كان الشرع لم يرد به فأحد الأمرين لازم له :

إما أن الشرع دل عليه من حيث لم يعلم هذا الناظر .

أو أنه ليس بمصلحة وإن اعتقده مصلحة .

لأن المصلحة : هي المنفعة الحاصلة أو الغالبة ، وكثير ما يتوهم الناس أن الشيء ينفع في الدين والدنيا ويكون فيه منفعة مرجوحة بالمضرة ؛ كما قال تعالى في الخمر والميسر (**قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما**) .

---

[1] قال رافع بن خديج رضي الله عنه : (نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان لنا نافعاً ، وطواعية الله ورسوله أنفع لنا) رواه مسلم .

[2] الفتاوى : 11 / 344 .

وكثير مما ابتدعه الناس من العقائد والأعمال من بدع أهل الكلام ، وأهل التصوف ، وأهل الرأي ، وأهل الملك ، حسبوه منفعة أو مصلحة نافعاً وحقاً وصواباً ، ولم يكن كلك ، بل كثير من الخارجين عن الإسلام من اليهود والنصارى والمشركين والصابئين والمجوس يحسب كثير منهم أن ما هم عليه من الاعتقادات والمعاملات والعبادات مصلحة لهم في الدين والدنيا ومنفعة لهم ، فقد ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وقد زين لهم سوء عملهم فرأوه حسناً ، فإذا كان الإنسان يرى حسناً ما هو سيء كان استحسانه أو استصلاحه قد يكون من هذا الباب ".

الخاتمة

وبعد هذا :

فاحرص أخي المسلم على تحقيق التوحيد ، والبراءة من الكفر وأهله ، ومعاداتهم ، والتقرب إلى الله ببغضهم ، وتحقيق ملة إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه (**إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده**) .

واعلم أن (الحملة القادمة) ستستهدف أمرين :

الأمر الأول : عقيدة (الولاء والبراء) ، بتكثيف المؤامرات التي تسمى (مؤتمرات) ، والمحاضرات ، والمقالات ، والندوات ، والبيانات ، والفتاوى ، وغيرها ، مع تعديل مناهج التعليم ، والإعلام ، والتي تظهر الإسلام : دين التسامح مع الآخرين (الكفار) ، والمودة لهم ، والمحبة ، والاحترام ، والتعايش ، وأنه ضد (الكراهية) و (معاداة الأديان) و (بغض غير المسلمين) ، ونحو هذا ، على وتيرة يراد من خلالها نزع عقيدة (الولاء والبراء) من نفوس المؤمنين ، وإزالة الحاجز النفسي بين المسلمين والكفار .

الأمر الثاني : عقيدة (الجهاد في سبيل الله) ، وذلك بتسمية الجهاد بالإرهاب ، والمجاهدين بالإرهابيين ، وإظهارهم بصورة مشوهة في شتى بقاع العالم ، وأنهم يقودون العالم إلى (صراع لا إنساني) ، و أنهم مجرمون لا يراعون الأخلاق ، ولا يرحمون ، وأنهم أصحاب مؤامرات لزعزعة استقرار الشعوب ، إلى غير هذه الشعارات المألوفة ، كما سيصورون هذا العصر بأنه عصر (حوار) لا عصر (صدام) و (صراع) ، وأن المتحضرين يأنفون من

الصراعات[1] ،كما سيصور الانهزاميون الجهاد في الإسلام بأنه وسيلة دفع لردع المعتدين عليه ، ولم يشرع لنشر الإسلام في الأرض ، إلى غير هذا.

فاحذر أخي المسلم من الانزلاق وراء هذه الشعارات ، واعتصم بالتوحيد ، وتأمل آيات القرآن ، وأحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وقصص الأنبياء ، والسيرة النبوية ، وسير الصحابة والصالحين ، ليظهر لك بطلان ما يدعون إليه .

أسأل الله سبحانه أن ينصر دينه ، وأن يعلي كلمته ، وأن يحفظ على المسلمين دينهم ، وأن يكفيهم شر أعداءهم ، وأن يهدي ضال المسلمين ، وأن ينصر المجاهدين في سبيله في كل مكان ، وأن يرينا في الأمريكان والكفار عجائب قدرته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

ناصر بن حمد الفهد

الرياض

ربيع الآخر – 1423

[1] هذا كله فقط من أجل وأد الجهاد ، أما قتل الأمريكان واليهود والكفار للمسلمين في جميع أنحاء العالم فليس من باب الصراع ولا الصدام اللا أخلاقي ، بل هو من أرقى أبواب الحوارات المزعومة !!.

الملاحق

الملحق الأول :

(أصول الصحوة الجديدة) :

فضيلة الشيخ / علي بن خضير الخضير حفظه الله تعالى

الملحق الثاني :

(لسنا أغبياء بدرجة كافية) :

لأبي البراء

الملحق الأول

أصول الصحوة الجديدة

لفضيلة الشيخ : علي بن خضير الخضير حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

إن الصحوة الأم في الآونة الأخيرة بدأت تعيش أزمات متلاحقة ، ولا بد أن نعي أن هذه الأحداث التي تعصف بالصحوة الأم وتهدد بتفككها ليست أحداثاً فردية وليست أيضاً من باب الزلات أو كبوة فارس ، بل هي توجه يحمل في طياته أصولاً وركائز تَخرج لنا بين الفينة والأخرى ، فبعد أن كانت الصحوة الأم تعيش متماسكة قوية انشق منها الآن توجهان ولا حول ولا قوة إلا بالله :

1-**عصرانيون** : وهؤلاء أول فرقة انشقت وهم علمانيون بثياب إسلامية ، وسبق أن كتبت فيهم رسالة تُبين أصولهم ومراحلهم .

2-**تيار انهزامي** : وما زال هذا التيار المنشق عن الصحوة الأم يعيش فترة نمو ، وما بين الفينة والفينة يستحدث من الأصول ما يناسب العصر والواقع ، ثم يلبسه لباس أهل السنة والجماعة ، ولباس الاجتهادات المسموح فيها ، وعمر هذا التيار لا يتجاوز السنتين تقريبا لا تحديدا .

ونبدأ بالفرقة الثانية التي انشقت عن الصحوة الأم ، وهي ما يُسمى : بالصحوة الجديدة ، أو الصحوة الثانية ، أو الصحوة الواقعية ، أو تصحيح الصحوة ، أو الصحوة المعتدلة ، أو

تيار تجديد الخطاب الإسلامي ، أو ما سموا به أنفسهم أخيراً : التيار الوسطي المعتدل ، كل هذه أسماء مترادفة لهذا التيار , ولهم أطروحات جديدة منها :

1-الأصل الأول في باب الأيمان والكفر ، ففي باب الإيمان يتجهون إلى الإرجاء وفي باب التكفير إلى التجهم ، ولذا لا يكفرون الساب حتى يعتقد ، ولا الحاكم بالقوانين حتى يعتقد ، ولا من تولى الكفار حتى يعتقد ، ولا من يتحالف مع الكفار حتى يعتقد ، وهذه المفردات انقلبت إلى أصل هو الإرجاء ، ومن أصولهم في باب التكفير:

أ . التحذير المطلق من التكفير عموما دون تفصيل .

ب . إطلاق التفريق بين القول والقائل والفعل والفاعل دائماً وفي كل مسألة سواء أكانت في باب الشرك الأكبر أم في المسائل الظاهرة لمن قامت عليه الحجة ، مع أنه اجتمعت الأسباب وانتفت الموانع ، ولذا فليس عندهم أعيان يكفرونهم إلا من جاء ذكرهم في الكتاب والسنة.

ج . هجر علم وفقه باب التكفير والتحذير من تعلمه والتفقه فيه وعدم تدريسه وترك كتبه ، والتحذير من كتب أئمة الدعوة النجدية ، واعتبار تعلم أصول التوحيد وتكرار كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب لا داعي له ، وهجر دراسة نواقض الإسلام واعتبار دراستها فتنة وجرأة على التكفير .

د . عدم الاهتمام بمسائل الولاء والبراء والبغض والمعاداة وعدم الاهتمام بمسألة الكفر بالطاغوت ، ويرددون أننا غير متعبدين بذلك ولن يسألنا الله عنها ، وليس في علم ذلك فائدة .

هـ . الإطلاق في مسائل العذر بالجهل والتوسع فيه حتى في الجهال المعاندين والمفرطين ، وحتى وصل الأمر عند بعضهم إلى إعذار جهال اليهود والنصارى .

و . الدعوة إلى التسامح والسلام العالمي وترديد ذلك .

ز . التحذير من تكفير الطغاة المبدلين ونبذ من كفّرهم وعاداهم على هذا الأصل .

ح . جعل أشخاص معينين من السياسيين هم المعيار والميزان ، فمن كفّرهم . مع أنهم أتوا بأسباب الكفر الصراح وانتفت الموانع . فهو حروري وتكفيري وصاحب فتنة وليس من أهل السنة.

2-وفي باب الجهاد معطلة للجهاد المسلح ، ومخذّلة ومرجفة ، ويجعلون مراحل تعجيزية للجهاد المسلح حقيقتها تنتهي إلى تعطيل الجهاد ، ويستبدلونه بجهاد الكلمة أو الشبكة (الانترنت) أو جهاد التربية ، أو جهاد الفضائيات التي أفسدوا بها الناس و أفسدوا بها شباب الصحوة ، وبعضهم يرون أنه لا جهاد طلب ، ويهاجمون المجاهدين ويلمزونهم ويتهمونهم بالاستعجال والغلو وعدم فهم الواقع ، وأنهم تكفيريون وخوارج وأهل ردود أفعال فقط ، وأنهم افتاتوا على الأمة ولم يُشاوروا العلماء ، ولا يُراعون المصالح والمفاسد ، وأضاعوا مكاسب الدعوة ، وجرّوا الأمة إلى صراع غير متكافئ ، إلى غير ذلك من الجور والظلم العظيم الذي ظلموا به إخوانهم .[1]

ومن شبهاتهم في هذا الباب أن الأمة غير مهيأة للجهاد ، ولا يجوز جرّ الأمة إلى معركة غير متكافئة ، ويشترطون التكافؤ في الجهاد وأن يسبقه التربية , ويتهمون الجهاديين بأنهم أضاعوا مكاسب الصحوة مثل إغلاق جمعيات الإغاثة في الغرب والمراكز الإسلامية فيها ، وكذا قلّة الدروس العلمية والتأليف وتسلط الغرب على الانترنت وهكذا , وقد يفصلون أو يطردون الجهاديين من حلقاتهم وتجمعاتهم ومنازلهم ويؤثمونهم ، وينفون عنهم الأجر والمثوبة والقبول من الله ويجعلون قتلاهم ليسوا شهداء .

3-وفي باب الفقه فتحوا باب الترخص واستحدثوا ما يُسمى - زورا وبهتانا - بفقه التيسير ، وهو اختيار ما يوافق العصر وفيه يسر على الناس - زعموا - مما اختلف فيه أهل العلم ، علما بأن الأصل في مثل هذا أن ما اختلف فيه أهل العلم يرجح الراجح بناءا على ما دلت النصوص عليه ، وهؤلاء عكسوا فكانوا يرجحون على أساس يسره على الناس ، وبهذا الأصل الباطل أفتوا بأشياء في الحج والبيوع واللباس والفضائيات وما يتعلق بالمرأة والحجاب واللحية وصلاة الجماعة في البيت والسفر بدون محرم ، والتساهل في سماع الغناء والموسيقى بحجة أن هناك فرقاً بين السماع والاستماع ، والسفر من أجل الاستمتاع بالنساء بعقد ظاهره الجواز وحقيقته حيلة من أجل الاستمتاع فقط فحقيقته نكاح متعة من غير نية الاستقرار معها أو الإنجاب ...الخ , فأصبحوا أهل أهواء وترخصات في باب الفقه .

4–وفي باب الموقف من أهل البدع والأهواء استخدام سياسة الاحتواء والموازنات بين الحسنات والسيئات .

5–وفي باب الموقف من العلمانيين والسياسيين استخدام أسلوب الحوار ومد الجسور ، وترك مجاهدتهم والاحتساب عليهم وهجر أصول السلف فيهم .

6–التركيز من الناحية السياسية على قضايا معينة لا يختلف فيها أحد لكسب رضا الجميع ، مع إهمال قضايا مهمة كالتوحيد وأصول الولاء والبراء ومسائل الكفر بالطاغوت ومسائل تبني الجهاد والمجاهدين والأمر والنهي والاحتساب في ذلك .

7–استخدام أسلوب البرلمانات أو التحالف مع العلمانيين أو السياسيين أو التربية والتثقيف والوعي واتخاذ ذلك طريقا لإقامة الدولة الإسلامية .

8–تعظيم جانب المصلحة والسياسة الشرعية في ظنهم ولو خالفت الشرع ، فإن أكثر استدلالهم في مواقفهم بالمصلحة ، ولذا انتقدوا تكسير أصنام بوذا من قبل حكومة الإمارة الإسلامية في أفغانستان بحجة أن المصلحة تقتضي التمهل وعدم الاستعجال في تكسيرها ، ثم يخترعون المفاسد الظنية – مع العلم بأن أعظم المصالح إقامة التوحيد وكسر الشرك – ويعارضون أعمال المجاهدين باسم المصلحة ، ويتنازلون عن أشياء في العقيدة والأصول باسم المصلحة ، ويستخدمون المناورات السياسية باسم المصلحة والسياسة الشرعية ، ويكون لهم كلام خاص يُخالف الكلام المعلن باسم المصلحة والسياسة الشرعية، وتركوا بيان الحق ورد الخطأ باسم مصلحة الاجتماع – زعموا – ، وتركوا التراجع عن الخطأ الذي يعترفون سرا أنهم اخطأوا فيه من باب المصلحة ووحدة الصف مع أن التلبيس به باق ولا زال نشره ساري المفعول ، واستغلال أهل الباطل له باق .

9–ثم أحدثوا مسألة التعايش مع الأمريكان عن طريق الأرض المشتركة والأصول المتفق عليها مع نبذ العنف والإرهاب والتعاون على ذلك ، وأحدثوا هذا الأصل في الوقت الذي كثرت فيه الدعوات إلى الحوار والتعايش مع الغرب وخصوصا مع الأمريكان ، مسايرة لهذا الواقع ، وأيضا رسالة إلى بعض السياسيين من باب الاسترضاء ، وهذا الأصل وعدوا بنشره وإشاعته ، والى كتابة هذه الأسطر وهو منشور.

10 . ولما ظهرت الردود على مسألة التعايش انتهجوا وروّجوا لإلغاء باب الردود واعتباره مفرقا للجماعة ومبعثرا للصف ، وأنه من أسباب الفرقة والضياع ، ناسفين بذلك طريقة السلف في الردود المبينة للحق المزيلة للخطأ ، مع أنهم في القديم ردوا على فتاوى مشهورة وعلى علماء مشهورين ولم يلتفتوا إلى مسألة أن الردود مفرقة للجماعة مبعثرة للصف ! .

وبهذه المناسبة سوف أذكر لك أيها القارئ الحبيب نماذج من ردود السلف بقصد بيان الحق ورد الخطأ :

كتاب السير للأوزاعي وهو رد على سير أبي حنيفة ، وكتاب الرد على سير الأوزاعي لأبي يوسف . كتاب الرد على محمد بن الحسن للشافعي .

الكتب المسماة بالرد على الجهمية : للإمام أحمد والدارمي وأبي داود في سننه وابن ماجة في سننه ، والرد على بشر المريسي للدارمي .

المصنف لابن أبي شيبة في فصل الرد على أبي حنيفة رحمه الله ، وفصل في السنة لعبد الله بن أحمد فصل بعنوان الرد على أبي حنيفة . رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت . رسالة ابن قدامة المقدسي في الرد على ابن عقيل الحنبلي .

ردود البيهقي على من رد على الشافعي مثل كتاب بيان خطأ من أخطأ على الشافعي وكتاب الانتقاد على الشافعي . ردود أبي يعلى مثل كتاب الرد على ابن اللبان الشافعي ، وكتاب الرد على الكرامية ، وكتاب الرد على السالمية .

ردود ابن تيمية مثل الرد على الأخنائي ، وكتاب الرد على البكري ، قاعدة في الرد على الغزالي في التوكل . كتاب الصارم المنكي في الرد على السبكي لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي . وكتب ابن القيم في الردود .

وكتاب الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر لابن ناصر الدين الدمشقي .

ردود الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثل : كتاب مفيد المستفيد ردا على أخيه سليمان ، رسالة في الرد على الرافضة . ردود عبد اللطيف بن عبد الرحمن مثل : منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس ، وكتاب الإتحاف في الرد على الصحاف ، وكتاب دلائل الرسوخ في الرد على المنفوخ ، وكتاب البراهين الإسلامية في رد الشبه الفارسية . كتاب

الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين لعبد الله أبا بطين ، كتاب تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدراسي والسندي والحلبي لأحمد بن عيسى . ردود ابن سحمان مثل : الأسنة الحداد في الرد على علوي حداد ، والصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية ، وتأييد مذهب السلف وكشف شبهات من حاد وانحرف ودعي باليماني شرف ، والبيان المبدي لشناعة القول المجدي .كتاب غاية الأماني في الرد على النبهاني لمحمود الآلوسي . كتاب نقض المباني في فتوى اليماني وتحقيق المرام فيما يتعلق بالمقام للشيخ سليمان بن حمدان . وعبد الرحمن المعلمي في كتابه التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل . الشيخ عبد الله بن حميد في كتابه الرد على ابن محمود . كتب الشيخ حمود التويجري ومنها : الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي ، السراج الوهاج في الرد على شلبي في الإسراء والمعراج ، كتابه في الرد على أهل الفلك المسمى : الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة .

القسم الثاني الذي انشق من الصحوة الأم :

وهؤلاء هم الغلاة وهم ما يسمى بالعصرانيين وهؤلاء أطروحتهم مثل أطروحات العلمانيين في المرأة والاقتصاد والسياسة والمال والغناء والفن والتمثيل ، وهم مرجئة في باب الإيمان جهمية في باب التكفير مع رقة في الدين ، وعلمانيين في باب السياسة والحكم.

تنبيه :

هناك من أهل الصحوة من يوافق التيار الانهزامي بأصل أو أصلين فهذا لا يكون منهم ، ولا يحسب عليهم ، لكنه يُخشى عليه الانخراط في سلكهم إن لم يتدارك أمره ، وهذا يُقال فيه أخطأ في هذا فقط ، ويبقى على ما كان عليه والله أعلم .

وما عدا القسمين السابقين بقيت الصحوة الأم ولله الحمد على أصول أهل السنة في الإيمان والتوحيد والتكفير والفقه والجهاد والسياسة والموقف من الكفار والعلمانيين والضالين والمبتدعين ورفض التعايش ورفض والأطروحات العلمانية وغير ذلك ، وهم جمهور الصحوة اليوم ولله الحمد ولم يشذ عنها إلا أولئك النفر القليل الذين أحدثوا الفرقة والشقاق ، نسأل

الله أن يهدينا وإياهم وأن يردهم إلى الحق وأن يجنب المسلمين الفرقة والخلاف والعداوة والبغضاء المخالفة للشريعة . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

علي بن خضير الخضير

القصيم – بريدة

1423هـ

الملحق الثاني

لسنا أغبياء بالدرجة الكافية

الحمد لله رب العالمين خالق الخلق أجمعين والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ثم أما بعد :

لقد علمت ببعض تفاصيل البيان التوضيحي الذي أصدره المشايخ حفظهم الله تعالى قبل صدوره بيومين ، ولقد سرني بعض عبارات نقلت عن مسودة البيان ، فاستبقت الأحداث وكتبت بناء على ما وصلني من معلومات سارة خطاب شكر لهم برجوعهم للحق وبيانهم لأوجه الخطأ التي تضمنها بيانهم بيان المثقفين ، وهذا كفيل بإغلاق باب شر فتحه علينا هذا البيان ، ولكني مع كل أسف قد مزقت خطاب الشكر الذي استبقت به بيان التوضيح ، وبكيت حالنا فور قراءتي لما أصدروه ، لأني وجدت أنه لا داعي للشكر ولا مجال للثناء على بيان التوضيح لما سوف أذكره ، ورأيت بعد طول تأمل أن أكتب هذه الأسطر لعلها تنفع المنصفين ، إذا لم تنفع من أرجو أن ينتفع بها أولاً وعلى رأسهم مشايخنا الأفاضل هدانا الله وإياهم إلى الحق ، وقد قصدت تأخير هذه الرسالة حتى تهدأ الزوبعة ليأخذ المعنيون وقتاً كافياً لقراءة ما كتبته لهم بأعصاب هادئة ودون تشنج.

نعم أيها الكرام لسنا أغبياء بالدرجة الكافية ، لأننا نمتلك عقولاً وعلماً نفهم به العبارات ونقرأ الأسطر ونعي معاني ألفاظها ، وندرك مناورات الأقوال والأفعال.

ولذا فبسبب ما قرأناه في بيان المثقفين وبيان التوضيح نجد أنفسنا ملزمين بكتابة ما ندين الله به وما نرى أنه مطلب شرعي ، فمن أخطأ لا بد أن يرد خطأه بالدليل كائناً من كان فلا عصمة إلا للأنبياء ، والدين دين الله ومن ذب عن الدين بالدليل فإن فعله لا يكون إلا حسنا .

أولاً : إن بيان التوضيح الذي صدر لا يمكن لقارئه أن يعرف هو توضيح لماذا ! ، ولكني رأيت أنهم في بيان التوضيح بدل أن يناقشوا ما انتُقد عليهم من أخطاء في بيان المثقفين ، فيتراجعوا عما اتفق عليه الكثير بأنه خطأ ، وتراجع عنه أيضاً عدد ممن وقعوا البيان معهم ،

فبدل التراجع رأيت أنهم خرجوا من هذا كله – ربما لضعف موقفهم – ليصلوا إلى استعراض بعض عقيدة أهل السنة والجماعة .

علماً أننا لم ننتقد عقائد الموقعين بناءً على البيان ولم نجرح في اعتقادهم ، بل قدحنا فيما كتبوا فقط وذكرنا مخالفته للدليل ، ولو أنا كنا نظن في عقيدتهم خلاف ما بينوا من أصول في بيانهم التوضيحي لما خاطبناهم أصلاً ، لأن فاقد الأصول يعد مرتداً لايصلح النقاش معه ولا نصحه بل يستتاب فإن تاب و إلا قتل ، ونحن لم نكن نظن بمشايخنا هذا والعياذ بالله ، بل إننا نعرف حسن اعتقادهم ، ولكننا خطّأناهم كما خطّأ العلماء من قبلنا من هم خير منا ومنهم كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين ، و رغم تخطئة العلماء بعضهم لبعض على مر القرون لم نر أحدا منهم فزع إلى معتقده ليبينه دون داع دعت له مسائل الخلاف.

إذا ليكن الأمر واضحاً ، فإن قدحنا في بيان المثقفين كان لأجل مخالفته للدليل الشرعي ، ولم يكن منطلقاً من تصورنا لسوء معتقد من كتب البيان وأعني بذلك العلماء منهم لا الرعاع.

ووضعاً للنقاط على الحروف أقول : إن الهروب من نقاش أخطاء بيان المثقفين وعدم الإقرار بالخطأ صراحة ، والدخول في مسألة لا علاقة لها بالموضوع ، وهي استعراض العقائد ، لا يسمن ولا يغني من جوع ، ولا فائدة له لا من قريب ولا من بعيد في تصحيح أخطاء بيان المثقفين ، وصدور بيان التوضيح بهذا الشكل أصبح مثل عدمه ولم يعالج المشكلة ، إن ما أردنا أن يوضحه كتاب بيان المثقفين أو بعضهم و خاصة العلماء منهم هو أن يبينوا وجه الخطأ والصواب في البيان بالحجة والدليل ، لا أن يكتبوا لنا معتقدهم ليشفع ذلك لهم ، ويسكتنا عما لبّسوا به على الأمة ، وغروا به الكافرين باسم ديننا وباسم المسلمين جميعاً ، فلو أن كل من وقع في الخطأ استعرض عقيدة أهل السنة والجماعة لنسكت عنه لما اتضح حق ولا دحض باطل أبداً.

ثانيا : كان من المفترض أن يُنص في بيان التوضيح على الاعتراف بالخطأ ، ويُنص أيضاً على الأخطاء بعينها التي وردت في بيان المثقفين نصحاً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولعامة المسلمين ، فقد تلقف العامة بيان المثقفين الذي نشر عبر الصحف والقنوات

والإذاعات ، تلقفوه بالقبول لتوقيع أصحاب سابقة الفضل عليه ، فكان من الواجب أن ينص أصحاب الفضل والعلم أن بيان المثقفين فيه هذه الأخطاء وتصحيحها هو كذا وكذا والدليل كذا.

وأرجو ألا يقول قائل لا تلزم غيرك برأيك ، فهذا ليس رأيي ، بل كل من عرف الشرع وله عقل يعرف أن الرجوع عن الخطأ ورفع الشبهة من قلوب العامة ، إنما يكون بالرجوع الصريح عن الخطأ وبيان الحق بعبارات يفهمها الجاهل قبل العالم ، وهذا هو السبيل الوحيد لنصح عامة المسلمين ، و الحكم يدور مع علته ، فالعلة هي أن الناس قد راجت في أوساطهم تلك الأخطاء والشبه التي قذفت في قلوبهم من بيان المثقفين ، فوجب إزالتها بصراحة ووضوح بلا مواربة ولا استنكاف.

ثالثا : قدمنا أن بيان التوضيح لم ينص على نقد أخطاء بيان المثقفين ، وليت الأمر انتهى عند هذا الحد ، ولكن مما زاد الطين بلة أن البيان التوضيحي قد حمّل أخطاء بيان المثقفين لمن رد عليه ، لا لمن كتبه وروجه ، حيث قالوا في بيان التوضيح (وما تبع ذلك من الردود والتساؤلات من بعض الإخوان عن طبيعة هذا البيان ، ولغته ، ولذلك أحببنا أن نوضح لإخواننا هذا الأمر ، ونستدرك ما جاء من لبس ، ونعلق على هذه التساؤلات) نعم بيان التوضيح لم يخرج للاعتذار عن أخطاء بيان المثقفين كما تدل عليه هذه العبارات وخرج لتوضيح اللبس والتعليق على التساؤلات وبيان المجمل من العبارات فقط .

فلاحظ معنى كلمة (لبس) فاللبس لا يكون من الكاتب إنما يكون من القارئ ، فأصبح الذي رد على البيان أو نقده أو فهم منه الخطأ أنه هو صاحب (اللبس) وهو المخطئ ، أما البيان فليس فيه ما يستحق التراجع ولا النقد ولا النقض أيضاً ، إنما يحتاج إلى كشف اللبس ، وما جاء من عبارات مجملة فيه تحتاج إلى بيان وتفصيل حتى يزول اللبس.

فعبارات بيان التوضيح تحمّل أخطاء بيان المثقفين لمن رد عليه فحسب بطريقة غير مباشرة ، فجاء هذا البيان ليوضح (اللبس) الذي حصل – بالطبع – من الناقد والقارئ فقط ، أما الكاتب فلديه فن التعبير والأسلوب الذي لا يفهمه إلا هم والأمريكان .

ولم يقفوا عند تلك العبارة التي تحمّل الناقد الخطأ ، حتى دعموها بجملة هي أصرح منها فقالوا عن لغة بيان المثقفين (وهذا قدر يقع فيه اجتهاد، وتردد) فبعد تحميل الناقد أخطاء

بيان المثقفين لأنه لا يفهم وحصل عنده (لبس) ، تأتي هذه الجملة لتحيل المشكلة برمتها إلى موضوع أسلوب تتجاذبه الآراء ولا داعي لإلزامنا بآراء الآخرين في لغة الخطاب.

رابعاً : قالوا في بيان التوضيح (مع أن عدم الذكر لبعض الأصول الشرعية في البيان ، أو ذكرها مجملة ، أو ذكر بعض مقاماتها دون بعض لا يراد منه ، ولا يلزم عدم اعتبارها ، أو قصدها فإن المقام يذكر بحسب ما يناسبه).

عفواً أيها العلماء الكرام إننا نحتاج إلى شيء من الصراحة والصدق مع النفس أولاً ثم مع القارئ العاقل ثانياً ، فنقد الذين رفضوا بيان المثقفين وردوه وحذروا الناس منه ، لم يكن بسبب عدم إيرادكم لبعض الأصول الشرعية التي لم تدع المناسبة لذكرها ، كمسائل الأسماء والصفات مثلاً أو أخبار المهدي أو الدجال ، فلم ينتقدكم من يعول عليه بأنكم لم تذكروا أصولاً لا مناسبة لذكرها ، ولم ينتقدكم أحد بما هو خارج ما كتبتموه.

بل إن جل من انتقدكم إنما انتقدكم لأنكم أخطأتم في عرض بعض الأصول وقلبتم المفاهيم فيها ، فهناك فرق بين عدم ذكر الحق أو ذكره مجملاً لعدم المناسبة أو عدم الحاجة للتفصيل ، وبين قول الخطأ وقلب حقائق الدين وذكر الأدلة في غير موضعها ، فهذا هو أصل الخلاف وهو السبب الرئيس للنقد ، فمن انتقد عليكم إنما انتقد الباطل الذي سطرتموه وانتقد الاستدلال بالآيات في غير موضعها إلى غير ذلك من الأمور التي سبق ذكرها في ردود متفرقة ، فاصدقوا مع أنفسكم واعرفوا موطن الخلاف وأصله ، وثقوا أننا لسنا أغبياء بالدرجة الكافية ، حتى تحولوا القضية إلى خلاف في مسائل فرعية واجتهادية ، ولا توهموا أنفسكم أنكم خرجتم من تلك الأخطاء بهذه العبارات ، فكل عاقل يفهم أنكم تتحدثون عن مسائل هي خارج موطن النزاع أو ثانوية فيه .

خامساً : جاء في بيان التوضيح أن هذا البيان يوضح ما جاء في بيان المثقفين ولا ينقضه ، وأنا أستغرب أشد الاستغراب ، كيف يكون بيان توضيح فقط ، وليس بيان تراجع ونقض ، ويوجد في البيانين متناقضات لا يمكن الجمع بينها بحال أبداً فمنها :

قولهم في بيان المثقفين (وليس من شريعتنا أن نلزم الآخرين بمفاهيمنا الخاصة) ثم يأتي في بيان التوضيح ما يناقض هذا فيقولون (والمقصود من الجهاد هو نشر دين الله في أرض الله ، و إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد فمن دخل في الإسلام عصم ماله ، و

دمه ، و من أبى ذلك ، وأدى الجزية ، فهو معصوم المال ، والدم ، ومن أبى هذا ، وذاك وجب مع القدرة قتاله) فكيف يكون وضع الكافر أمام خيارات ثلاث هي الإسلام أو الجزية أو السيف ليس إلزاماً للآخرين ؟.

وجاء في بيان المثقفين (وفي مثل هذا المفصل المهم من التاريخ فإننا ندعو المفكرين الأحرار إلى حوار جاد يحقق الفهم الأفضل للفريقين ، وينأى بشعوبنا عن دائرة التطاحن والصراع) وجاء فيه أيضا)وقد تعلمنا من التاريخ أن الضمانات لتحقيق الأمن لا تفرض بالقوة فقط ، لأن الضمانات التي تفرض بالقوة تحمل معها بذور الفشل والانهيار) ثم يأتي في بيان التوضيح (إن الجهاد في سبيل الله من أهم وسائل نشر التوحيد تحقيقا لقول الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، و جعل الذل و الصغار على من خالف أمري) فكيف تقرون بأن الصراع والتطاحن من أهم وسائل نشر التوحيد ، وقد دعوتم الكفار الأحرار قبل ذلك بأن يتعاونوا معكم للابتعاد بالشعوب عن دائرة التطاحن والصراع ، وكما أنكم تقرون بأن الجهاد من أهم وسائل نشر التوحيد إلا أنكم سبق وأن قررتم بأن الأمن لا يفرض بالقوة وإذا فرض بالقوة فهو يحمل بذور الفشل والانهيار فكيف نجمع بين ذلك ؟.

و جاء في بيان التوضيح (نؤكد لإخواننا أننا نرى أن بيان هذه العقائد ، والأصول للناس مؤمنهم ، و كافرهم واجب متحتم ، و أن هذه هي طريقة القران ، ومنهج الرسل الكرام ، ولا نتردد في ذلك ، و لله الحمد ، والمنة) والمتأمل في بيان المثقفين لا يرى هذه الصفات فيه ، فبما أنكم لا تترددون ببيان ذلك فأين هو من بيان المثقفين أرشدونا إليه بالدليل ؟ أو تعلموه من بيان فضيلة الشيخ عبد الكريم الحميد المسمى بـ (جواب الأمريكيين ..) ، وقد وصفتم بيان الأمريكيين في بيان التوضيح بقولكم (وفي بيان الأمريكان اعتداءٌ على الحق وضلال عن السبيل)

والعجيب أن من يقرأ بيان المثقفين لا يجد فيه الرد على هذا الاعتداء والضلال بوضوح ، بل نجد الحرص على الوصول إلى قواسم مشتركة ، والتعسف في إيجاد قيم متفق عليها كأرضية للتعاون ، فكيف تتركون الرد على ما جاء فيه من اعتداء وضلال ، لتذهبوا للبحث

عن أرضية للتفاهم ، وأنتم الذين تقرون أن بيان العقائد واجب متحتم يجب إيصالها للناس مؤمنهم وكافرهم ؟.

وجاء في بيان التوضيح (فإننا نقول ونؤكد أن الولاء والبراء هو مضمون ، ومقتضى لا إله إلا الله ، وأنه لا يقوم إسلام عبد إلا بتحقيقه الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين وأن من يشك في كفر الكافر فهو كافر ، وأن من تولى الكافرين فهو منهم) وسبق أن قلتم في بيان المثقفين (ولهذا فإن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر ، وهذا من القسط الذي يحبه الله وأمرنا به ، قال الله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)) فعباراتكم في بيان المثقفين ومنها ما تقدم تخالف ما جاء في بيان التوضيح ، ففي بيان التوضيح من يتولى الكافر فهو كافر ، ولا إسلام إلا بالبراءة من الكافرين ، وقبل ذلك قلتم في بيان المثقفين أساس العلاقة و الأصل فيها هو العدل والبر والإحسان ، وهذه المعاني تفسر بما يفهمه المخاطب لأنها موجهة إليه ، فما هذا التناقض ؟.

جاء في بيان التوضيح (إن عدم الإكراه في الدين الذي جاء في قوله تعالى (لا إكراه في الدين) لا يعني ترك الجهاد في سبيل الله ولا إقرار المرتد عن الإسلام على ردته) وسبق أن جاء في بيان المثقفين ما يخالف هذا ، وذلك بقولكم (الإنسان من حيث هو كينونته مخلوق مكرم ، فلا يجوز أن يعتدى عليه مهما كان لونه أو عرقه أو دينه ، قال الله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم)) فهذه العبارة لا تجيز الاعتداء عليه مهما كان دينه ، والعبارة التي جاءت في بيان التوضيح تبطل هذا الحكم ، فبيان التوضيح لا يجيز إقرار المرتد ولا يجيز ترك الجهاد ، وبيان المثقفين يعارضه ولا يجيز الاعتداء عليه مهما كان دينه ، ومعلوم أن الجهاد شرع ضد الكفار من أجل دينهم ، ووجب قتل المرتد أيضاً من أجل تبديله لدينه ، فكيف الجمع بين النقيضين ؟.

جاء في بيان التوضيح (لا يجوز لأحد ممن بسط الله يده في الأرض أن يمكن الكافر أن ينشر دينه ، أو فكره بين الناس ، بل يجب قمعه ، وردعه ..) وقد قررتم في بيان المثقفين كما سبق ذكره أنه لا يجوز أن يعتدى على الإنسان مهما كان لونه أو عرقه أو دينه ، وقد وصفت بعض الأوساط المؤيدة لكم بيانكم بيان المثقفين بأنه طرح جرئ وغير مسبوق ،

ليصل مع الغرب إلى أرضية للتفاهم المشترك والتعاون معا لنشر بعض القيم والمفاهيم المتفق عليها ، وهذا واضح أيضاً من ألفاظ البيان ، فكيف يتم التعاون مع الكافر لنشر القيم والمفاهيم المتفق عليها للنأي بالشعوب عن دائرة التطاحن والصراع ، وأنتم الذين تقرون أنه لا يجوز تمكين الكافر من نشر دينه أو فكره بين الناس ؟!! عجباً لذلك ، ولعل قائل يقول بأن المفاهيم المقصودة هي المفاهيم التي لا تخالف الشرع ، فيقال لو طابقت مفاهيم الكافر مفاهيم الإسلام فإنه لا يجوز أن يتاح له نشرها لأنه لا ينشرها باسم الإسلام ، بل ينشرها باسمه وباسم حضارته وقوانينه الوضعية وهذا بالتالي دعوة إلى دينه وحضارته .

وجاء في بيان التوضيح (إن من ضروريات الدين أن السيادة والحكم في المجتمع الإسلامي لشرع الله دون اعتبار لقلة أو كثرة) ثم بعد توالي الردود والاستنكارات على بيان المثقفين ، يوضع صفحة في موقع الإسلام اليوم المروج لبيان المثقفين ، لجمع أصوات مليون مؤيد للبيان ، فإذا كان الشرع لا يعتبر لقلة أو كثرة ، فما الداعي لجمع مليون مؤيد ، فإذا كان الاعتبار بالدليل فلم لم يطلب الدليل ممن اعترض ويعتنى به ويناقش ويلتزم ويطبق فالحق أحق أن يتبع ؟ أما القدح في نوايا المنتقدين و في نقدهم المعزز بالدليل ، والقول بأنه متشنج أو عباراته شديدة أو أنه صدر ممن تستر خلف اسم مستعار ، أو أنه تدخل في المقاصد أو هو مبني على خلفيات تاريخية ، وغير ذلك من القوادح ، فكل ذلك لا يغني عنكم شيئاً ، فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل نقد اليهودي لبعض الألفاظ ونهى الناس عنها ، وهو أيضاً الذي أقر خبر الشيطان لأبي هريرة رضي الله عنه بفضل آية الكرسي ، فطالب الحق لا يهمه من جاء بالحق أو ما هي ألفاظه وخلفياته ، المهم عند طالب الحق هل وافق النقد للدليل أم لا .

فهذه بعض التناقضات على سبيل المثال لا الحصر التي وردت في البيانين ، وهي من المتناقضات التي لا تجتمع عند طالب علم ، فإما أن يكون البيان الأول صواباً والثاني خطأً أو العكس ، والدليل يدل على أن الثاني هو الصواب ، وربما هذا ما أراده أصحاب بيان التوضيح ليكون بمثابة تراجع مبطن عن بيان المثقفين ، ولكن المشكلة لماذا أعرض كتاب بيان التوضيح الذين ربوا شباب الأمة على الشجاعة في تقبل النقد والرجوع عن الخطأ ، لماذا أعرضوا عما ربوا الشباب عليه ، ولماذا يتبنون النقيضين ولا يرجعون عن الخطأ بصراحة ؟! فهل المسألة تحتاج إلى شجاعة أم السبب شيء آخر ؟.

سادساً : لقد سمعنا من بعض العلماء دعوتهم بعد صدور بيان التوضيح لإغلاق باب نقاش بيان المثقفين والاهتمام بما هو أولى ، ونحن مع بالغ تقديرنا لمن دعا لإغلاق الباب وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك ، نرى أن الحق ليس للموقعين على بيان المثقفين وليس لأصحاب بيان التوضيح أيضاً ، إنما الحق لله تعالى ولدينه ، فمن رد على بيان المثقفين إنما مقصده إيضاح الحق لا تكفير وتفسيق الرجال ، وحينما يتضح الحق فالسكوت هو الصواب ، ولكن إذا ألبس الحق بالباطل فالسكوت باطل ، ولا يلام من كتب ألف ألف صفحة في بيان حق واحد ، فكيف يلام من كتب مائة صفحة في بيان أصول الدين والرد على من شوهها ، فإما أن يتراجع أصحاب الخطأ ويحذروا الأمة مما أخطأوا فيه ويبينوا وجه الخطأ حفاظاً على دين الناس ، أو تستمر الردود على ما جاء فيه من باطل حتى يتضح الحق جليا للعام قبل الخاص ، فالحق ليس للعلماء الثلاثة ، وحينما كان يظن البعض أن الحق للرجال نادى بالكف عندما بين العلماء معتقدهم وقالوا كفوا فقد بينوا معتقدهم ، نحن لم نكن نقدح في معتقدهم ، ولكن كنا نقدح في بيانهم ، وما جاء من ألفاظ فيها نوع شدة لم يكن المقصد منها تجريح الرجال ، بل المقصود بها رد ما جاء في بيانهم من باطل.

ولا يظن أحد أن هذه الردود التي توالت على بيان المثقفين المقصد الوحيد منها هو رد أخطاء البيان فقط وإن كان هذا جدير بكل تلك الردود وضعفها ، ولكن المقصد منها أيضاً هو رد المنهج الذي أفرز لنا هذا البيان الذي جاء قبله بعدة بيانات ومقابلات مماثلة له ، وهذا المنهج كفيل أيضاً أن يفرز لنا بيانات أخرى إذا لم يتم توضيح وجه خطأ هذا المنهج الدافع لمثل ذلك بالدليل ، ونقول لمن طلب توقف الردود ، هل بان لعامة الناس وللإعلام خاصة وجه بطلان أقوال بيان المثقفين ؟ و هل تشعرون بأن المنهج الذي دفع أصحابه لمثل هذا البيان ونشره ، هل تشعرون بحصول مراجعات لهم في المنهج وليس تراجعات ؟.

سابعاً : لقد جاء في بيان التوضيح عبارة تحتاج إلى طلب إيضاح وهي قولكم (ولا يحمل خطأ من أخطأ باسم الجهاد على المجاهدين) فما معنى هذه العبارة المطاطة ؟ ومن المقصود بها ؟ وما هو الخطأ بالدليل ؟ ولن نفسرها نحن استناداً على ما سبق أن كتبتموه عن المجاهدين ، بل إننا نظن فيكم خيراً ونرى أنكم لا تقصدون ما يُفهم من هذه العبارة استناداً على ما سبق من قولكم في حق المجاهدين ، بل إننا نطلب الإيضاح لعلنا لا نفهم العبارات ،

وسؤال حول علمكم بخطورة القدح في المجاهدين وخطر ذمهم هل طبقتم ذلك من قبل ؟ وهل معنى هذه العبارة أن المسلم لو أخطأ باسم الجهاد فضرب الكفار وقاتلهم اجتهادا منه فإنه يجوز إعانة الكفار عليه ويجوز تسميته بالإرهابي ونتبرأ منه ، كما يفيد بيان المثقفين ؟.

ثامناً : نقول للعلماء الأفاضل الذين وقعوا على بيان المثقفين وعلى رأسهم من وقعوا بيان التوضيح ، إن الحق أحق أن يتبع ، ولقد بلغنا أن منكم من هو على قناعة تامة بالأخطاء التي وردت في بيان المثقفين ، بل لقد علمنا أن بعضكم قال بلسان مقاله أو حاله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما وقعت ، فمع أن بعضكم نادم ومعترف بالخطأ ، فلم لا تغلقوا بابا أنتم فتحتموه على الأمة ، وتتراجعوا تراجعاً صريحاً وتنقضوا ما جاء في بيان المثقفين من أخطاء بعبارات واضحة ومباشرة ، نصحاً لله ولرسوله ولعامة المسلمين أما أن تكتبوا بياناً لا حاجة للأمة بمثله في هذا الوقت بالذات ، وتخلطوا فيه الحق بالباطل ، وإذا رد عليكم العلماء ، قلتم أخطأ من رد وكان عليه ألا يرد حتى لا يشق الصف ، ولو كنتم أصلاً تريدون توحيد الصف لما أخرجتم مثل هذا البيان ، ولو أردتم توحيد الصف أيضاً لتراجعتم صراحة عندما اتضح لكم وجه الخطأ في بيانكم ، أما إلقاء الخطأ على من رد لأنه حصل عنده لبس ، فهذا لا يزيد الأمر إلا تعقيداً ولا يزيد الصفوف إلا فرقة ، وكان من المفترض أن تتحملوا الخطأ وتعتذروا عنه وتدعوا إلى الحق الذي بان لكم بالدليل ، أما رمي من رد الباطل الذي ظهر قرنه من خلال بيان المثقفين بأنه لا يراعي وحدة الصف فهذا ظلم له ، فالذي فتح باب الفتنة واستمر بدعم خطئه بجميل العبارات وبأسلوب ملتو ولم يتراجع عنه صراحة رغم وضوحه له ، هو الأولى بهذه التهمة لا سواه.

ولعل المدافع عنكم أيضاً تحمس واتهم من رد على بيان المثقفين بسوء فهمه للبيان ، فأقول له اترك فهمنا وفهمكم الآن وانظر للآخرين ، انظر إلى فهم الكفار وفهم العلمانيين والحداثيين وأذناب الطواغيت ، كيف فهموا بيان المثقفين ، وما السبب الذي جعلهم يشيدون به في القنوات وفي الإذاعات وفي الصحف والإنترنت ، هل هذا لأنه صدع بالحق وبين وجه الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن ؟ لا والله ولو كان كذلك لم تجدوا من أمثال هؤلاء إلا اللعن كما كان لكم منهم سابقاً ، فمدح الكافر و العلماني وإشادته بخطاب كهذا لم يأت إلا لأنه قرأ فيه عبارات توافق مذهبه الباطل ، فليس هذا فهم من نقدكم فقط

، بل هو فهم من كانوا أعداءكم سابقاً ولذا وقعوا معكم ، ففرحوا واستبشروا بذلك ويكفي أن يصف بيانكم أحد الجهلة العقلانيين في إحدى الصحف بقوله بأن بيان المثقفين هو سير على طريقة الإمام محمد عبده وتجديد لها ، فهنيئاً للبيان هذا الوصف ، أما رافع لواء الدفاع عن الشرك والمشركين الزيدي الجلد فقد أثنى على بيان المثقفين ووصفه بالاعتدال والعلم وأشاد به ، وهو الذي لا يتحمل أن يقر بفضل الصحابة ولا صحبتهم كمعاوية وعمرو وخالد وغيرهم رضي الله عنهم ، فكيف به يمدح بيان المثقفين وماذا فهم منه ؟ ، وخرج أحد الليبراليين — وهو يفتخر بهذا الوصف - ليدافع عن البيان في إحدى الفضائيات ويشجب ويستنكر على من رد عليه ، ويقول آخر وهو يدعي أنه وقع على بيان المثقفين في مقال له في جريدة الحياة بأن البيان لم يكتب بلغة القرآن بل كتب بلغة المخاطب — أي بلغة الكافر - ويمتدح هذا الأسلوب ، ناهيك عن ثناء الجهات الرسمية وغير الرسمية على هذا البيان ، ولو تتبعنا ثناء الخبثاء والكفار والعلمانيين وغيرهم على البيان لاحتجنا إلى مصنف لذلك ، ومع كل هذا يأتي من يدافع ويقول إن الخطأ في الفهم للبيان هو حكر على من رد عليه فقط ، وكأن من تبناه لا ينطق عن الهوى ، متناسين اشتراك الآخرين مع من نقده في قراءة سوء البيان ولو على سبيل المدح من الطرف الآخر ، فمدح الفسقة والجهلة والعلمانيين والكفار والطواغيت مجتمعين للبيان ، هو يعني المذمة له من وجه آخر ، والدليل على ذلك أن بيان التوضيح لم يذكره هؤلاء ولم يمدحوه ولم يتعرض له الإعلام كما تعرض للأول ، والسبب هو أنه جاء ببعض معتقد أهل السنة وهذا الذي يحاربه كل من أثنوا على بيان المثقفين من هذا الصنف الضال.

علماؤنا الأفاضل لقد أوجد بيان المثقفين في قلوبنا حسرات:

منها : أن من كان يرجى منهم جمع الكلمة وتوحيد الصفوف في وجه المد العلماني والتخريبي لبلاد المسلمين ، و انتظار إنكار المنكرات ومؤازرة من أنكرها بكل السبل ، فإذا بهم يطرحون طرحاً ليست الأمة بحاجة لذكره فضلاً عن الاشتغال به ، وهم الذين كانوا ينادون الأمة بعدم الانشغال بمعارك جانبية تبعدنا عن أهدافنا ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وزاد الأمر حسرة إقراركم في بيان التوضيح بأنكم تعتقدون أن من المهم السعي الدؤوب في جمع الكلمة وقطع دابر الفتنة والتفرق والاختلاف وإعطاء الفرصة للأعداء المتربصين ، فهل

فعلتم في بيان التوضيح شيئاً من ذلك واعترفتم أم أنكم حمّلتم أخطاءكم على كاهل غيركم وتماديتم في الخطأ ؟.

ومنها : عندما اكتشفنا للمشايخ حليفاً جديداً هو عدو الأمس ولكنه أصبح حليف اليوم دون أن يتوب ويرجع ، فالعلماني الذي كان بالأمس خبيثاً إذا به يتصدر قائمة أهل الإصلاح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله وهذا ما فرحت به الأوساط الإعلامية العلمانية.

ومنها : عندما أظهر البيان الخلل في منهاج الكثيرين ، فكم كنا نظن أننا على قناعة بأن الرجال يعرفون بالحق ، فإذا بالبيان يؤكد أن الكثير يعرفون الحق بالرجال ، رغم رد العلماء عليه بالدليل.

ومنها : عندما أكد بيان المثقفين أن كثيراً مما كان يُدرّس لم يكن أكثر من حبر على ورق أو كلام على أشرطة ، وعند التطبيق العملي فإذا بكثير منه يتبخر ، وقد أكد بيان التوضيح ذلك أيضاً فأين معتقد أهل السنة في بيان المثقفين ، فهل هناك فرق بين التنظير والتطبيق ؟.

ولقد خيم الحزن على قلوبنا عندما رأينا أننا انشغلنا مضطرين بكتابة الأسطر علناً لنصح من كنا نكتب الأسطر في نصرتهم والدفاع عنهم وعن قضيتهم وتحريض الناس على المطالبة بالإفراج عنهم.

وكان بالغ الحزن حصل عندما بلغنا أن مسودة البيان التوضيحي قد ورد فيها اعتراف من الموقعين عليها بالخطأ ، وأنهم توضيحاً لهذه الأخطاء كتبوا هذا البيان ، ففرحنا لهذا الرجوع الذي يؤثر الحق ويسير وراءه ويغلق باب الشر والفتنة ، فإذا بالنسخة النهائية للبيان تصدر وفيها بدل من الاعتراف بالخطأ ، وضع اللوم على عاتق من فهم البيان على خلاف نية ومقصد كاتبه ، فاحتاج الأمر إلى توضيح اللبس ببيان آخر زاد الأمر تعقيداً وضر وما سر.

وحزنا أيضاً حينما عرفنا أنهم أقروا في المسودة بعبارة صريحة أن بيان المثقفين قد كتب بلغة انهزامية ، فإذا بالنسخة النهائية كتب فيها عن لغة الخطاب أنها تذكر ما يناسب المخاطب على حسب المقام ، متناسين كل شيء يخالف هذا التعليل الضعيف.

ولكن أيها العلماء الأفاضل وبما أننا لسنا أغبياء بالدرجة الكافية ، فإننا خدمة لكم ودفاعاً عنكم سنعتبر بيانكم التوضيحي هو بيان تراجع واعتذار ونقض لبيان المثقفين ، حتى لا تتهموا بانفصام الشخصية بتبني النقيضين ، وهذا ليس قولي بل هو قول لأحد العلمانيين

في مقال له بعدما أصيب بالإحباط من بيان التوضيح ، فإذا كنتم تخافون من التراجع والإقرار بالخطأ تحت ضغوط النقد ، فإننا سنؤدي هذه المهمة عنكم وسنخدمكم فنحن لا نخاف من تراجعكم ولا إقراركم بالخطأ ، بل إن ذلك يرفع مكانتكم عندنا ويعلي قدركم وتطمئن نفوسنا لمن لا يستحي من الحق ويدور معه حيث دار ، فيا ليتكم فعلتم ونحن لكم من الشاكرين ، فرفقاً بنا رحمكم الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أخوكم / أبو البراء

3/15 / 1423 هـ .

الفهرس

القسم الأول

المقدمة : 3

التعليق على البيان التوضيحي : 9

تمهيد في خطورة هذا البيان وما شاكله : 11

الفصل الأول

مقدمات ضرورية

المقدمة الأولى : الكفر بالطاغوت ومنه البراءة من الكفار نصف التوحيد 15

المقدمة الثانية : رضا الكفار لن يحصل إلا باتباع ملتهم ، والزجر وقع في اتباع أهوائهم في قليل أو كثير : 21

المقدمة الثالثة : اللين والموعظة الحسنة لا يعني تغيير الشرع بما يوافق هوى المدعو: 23
المقدمة الرابعة : أن الكلام بالباطل أعظم من السكوت عن الحق : 26
المقدمة الخامسة : أن الله أكمل الدين وأتم النعمة : 31
المقدمة السادسة : في ما يجوز بذله للكفار وقت الضعف وما لا يجوز : 35
المقدمة السابعة : أن الجهاد شرع رحمة للعالمين : 39
المقدمة الثامنة : أن ترك الجهاد وقت الضعف لا يعني إلغاء التشريع : 41
المقدمة التاسعة : أن الصراع بين الحق والباطل واجب شرعاً دائم قدراً : 46
المقدمة العاشرة : أن الفترة المكية أشق من الفترة المدنية : 48
المقدمة الحادية عشرة : أن الرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة : 51
المقدمة الثانية عشرة : أن الحق يقبل ممن أتى به : 54
المقدمة الثالثة عشرة : أن السابقة والفضل لا يعني ترك الباطل : 56
المقدمة الرابعة عشرة : أن مسائل الخلاف ينكر فيها : 58
المقدمة الخامسة عشرة : أن ذكر اللازم لبيان فساد القول جادة مطروقة : 60

الفصل الثاني

مقارنات

المبحث الأول : مقارنة بين (جهاد الأمس) و (تعايش اليوم) : 63
المبحث الثاني : مقارنة بين (بيان المثقفين) و (بيان الأمريكيين) : 64
المبحث الثالث : مقارنة بين (بيان المثقفين) و (بيان الليبراليين) : 71
المبحث الرابع : مقارنة بين (بيان المثقفين) وبعض ما جاء في مؤتمرات التقريب بين الأديان : 73
المبحث الخامس : مقارنة بين (بيان المثقفين) ورسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ملك قبرص : 81

الفصل الثالث

نقض بيان المثقفين عقلاً

تمهيد :	**89**
المبحث الأول : بالنظر إلى الأمريكان :	**90**
المبحث الثاني : بالنظر إلى التاريخ :	**100**
القسم الأول : بالنظر إلى تاريخ الإسلام :	**100**
القسم الثاني : بالنظر إلى تاريخ بعض الموقعين في البيان :	**102**
المبحث الثالث : بالنظر إلى الواقع :	**106**
القسم الأول : بالنظر إلى الواقع الدولي المعاصر :	**106**
القسم الثاني : بالنظر إلى واقع بعض الموقعين :	**107**
المبحث الرابع : بالنظر إلى طبيعة البيان :	**111**
المسألة الأولى : الدعوة إلى الحوار والتعايش :	**111**
المسألة الثانية : الكلام على العلمانية :	**113**
المبحث الخامس : بالنظر إلى مؤيدي البيان :	**115**

الفصل الرابع

نقض بيان المثقفين شرعاً

تمهيد :	**123**
المبحث الأول : منكرات بيان المثقفين :	**124**
أولاً : بيان المثقفين والسياسة :	**125**
ثانياً : بيان المثقفين والأسس المنسوبة إلى الشريعة :	**133**
ثالثاً : بيان المثقفين والتقريب بين الأديان :	**149**
الأمر الأول : تاريخ التقريب بين الأديان وبعض رموزه :	**149**
القسم الأول : وحدة الأديان :	**149**
القسم الثاني : توحيد الأديان :	**150**
القسم الثالث : التقريب بين الأديان :	**151**
الأمر الثاني : أسس التقريب بين الأديان وبيان المثقفين :	**152**
الأساس الأول : الحوار من أجل التعايش والتعاون :	**152**

الأساس الثاني : الانطلاق من المسائل المشتركة :	155
الأساس الثالث : نبذ التعصب الديني :	158
رابعاً : بيان المثقفين وتحريف النصوص :	162
النص الأول : قوله تعالى (لا إكراه في الدين) :	162
النص الثاني : قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم) :	171
النص الثالث : قوله تعالى (أنه من قتل نفساً بغير نفس) :	174
النص الرابع : حديث (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) :	178
النص الخامس : قوله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) :	181
النص السادس : قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم) :	184
النص السابع : قوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) :	187
النص الثامن : قوله تعالى (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها) :	190
النص التاسع : قوله تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا) :	193
خامساً : بيان المثقفين والبراءة من الجهاد وأهله :	196
سادساً : بيان المثقفين وموالاة الكفار :	200
القسم الثاني	
المبحث الثاني : الأدلة الشرعية على نقض (بيان المثقفين) :	206
الدليل الأول : قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) :	209
الدليل الثاني : قوله تعالى (فلا تطع المكذبين) :	212
الدليل الثالث : قوله تعالى (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) :	215
الدليل الرابع : قوله تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) :	219
الدليل الخامس : نصوص البلاغ :	221
الدليل السادس : قوله تعالى (فاستقم كما أمرت) :	225
الدليل السابع : سورة الكافرون :	228
الدليل الثامن : سورة عبس :	233
الدليل التاسع : قوله تعالى (واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك) :	236

الدليل العاشر : قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه : 240
الدليل الحادي عشر : قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام) : 244
الدليل الثاني عشر : نصوص النهي عن موالاة الكفار : 249
الدليل الثالث عشر : نصوص عداوة الكفار للمسلمين : 256
الدليل الرابع عشر : النصوص الآمرة بمخالفة الكفار : 258
الدليل الخامس عشر : النصوص المفرّقة بين المسلمين والكفار : 262
الدليل السادس عشر : نصوص موالاة المؤمنين : 266
الدليل السابع عشر : نصوص التلازم بين الحق والابتلاء : 270
الدليل الثامن عشر : نصوص الجهاد في سبيل الله : 274
الدليل التاسع عشر : النصوص الدالة على بقاء الجهاد إلى يوم القيامة : 278
الدليل العشرون : قصص الأنبياء : 281
الدليل الحادي والعشرون : السيرة النبوية : 284
الدليل الثاني والعشرون : سيرة الصحابة : 289

الفصل الخامس

شبهات وردود

تمهيد : 295
الشبهة الأولى : صلح الحديبية : 296
الشبهة الثانية : أن عدم ذكر الأصول لا يلزم منه عدم الاعتبار : 301
الشبهة الثالثة : أن هذا البيان من باب التقية : 303
الشبهة الرابعة : أن هذا البيان من باب المداراة : 306
الشبهة الخامسة : أن هذا البيان من باب التورية : 308
الشبهة السادسة : أن هذا البيان من باب الدعوة والحوار لا الرد والإبطال : 312
الشبهة السابعة : أن أصول التعايش في القرآن : 317
الشبهة الثامنة : أن القرآن كتاب حوار : 323
الشبهة التاسعة : الاستشهاد بكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : 325

الشبهة العاشرة : حسن القصد : 332

الشبهة الحادية عشرة : المحافظة على وحدة الصف : 334

الشبهة الثانية عشرة : قوله تعالى عن هارون (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل) : 340

الشبهة الثالثة عشرة : أن هذا البيان من باب المصلحة : 349

الفصل السادس

كسر طاغوت حجة المفلسين (المصلحة)

تمهيد : 351

المبحث الأول : أنواع المصالح : 353

المبحث الثاني : أول من قدم المصالح على النصوص : 362

المبحث الثالث : إبطال تقديم المصالح على النصوص : 366

المبحث الرابع : تنبيهات في مسألة المصلحة : 369

الأمر الأول : أن النظر إلى المصلحة يكون عند عدم وجود الدليل الشرعي المعارض : 369

الأمر الثاني : أن أعظم مصلحة ينظر إليها : مصلحة الحفاظ على الدين : 372

الأمر الثالث : أن المصالح الشرعية المعتبرة ليست منوطة بأهواء الناس وشهواتهم: 373

الأمر الرابع : أن الاستدلال بمجرد (قاعدة المصالح) على الوقائع لا يسوغ : 374

الأمر الخامس : أن الدليل الشرعي حيث وجد فهناك المصلحة وحيث وجدت المصلحة فقد دل عليها الدليل : 375

الخاتمة : 377

الملاحق : 379

الملحق الأول : أصول الصحوة الجديدة : لفضيلة الشيخ : علي الخضير 380

الملحق الثاني : لسنا أغبياء بدرجة كافية : لأبي البراء 387

الفهرس 399